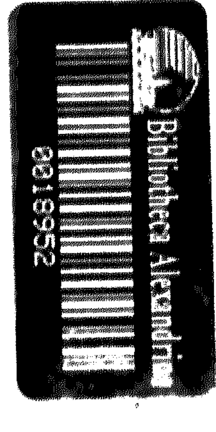
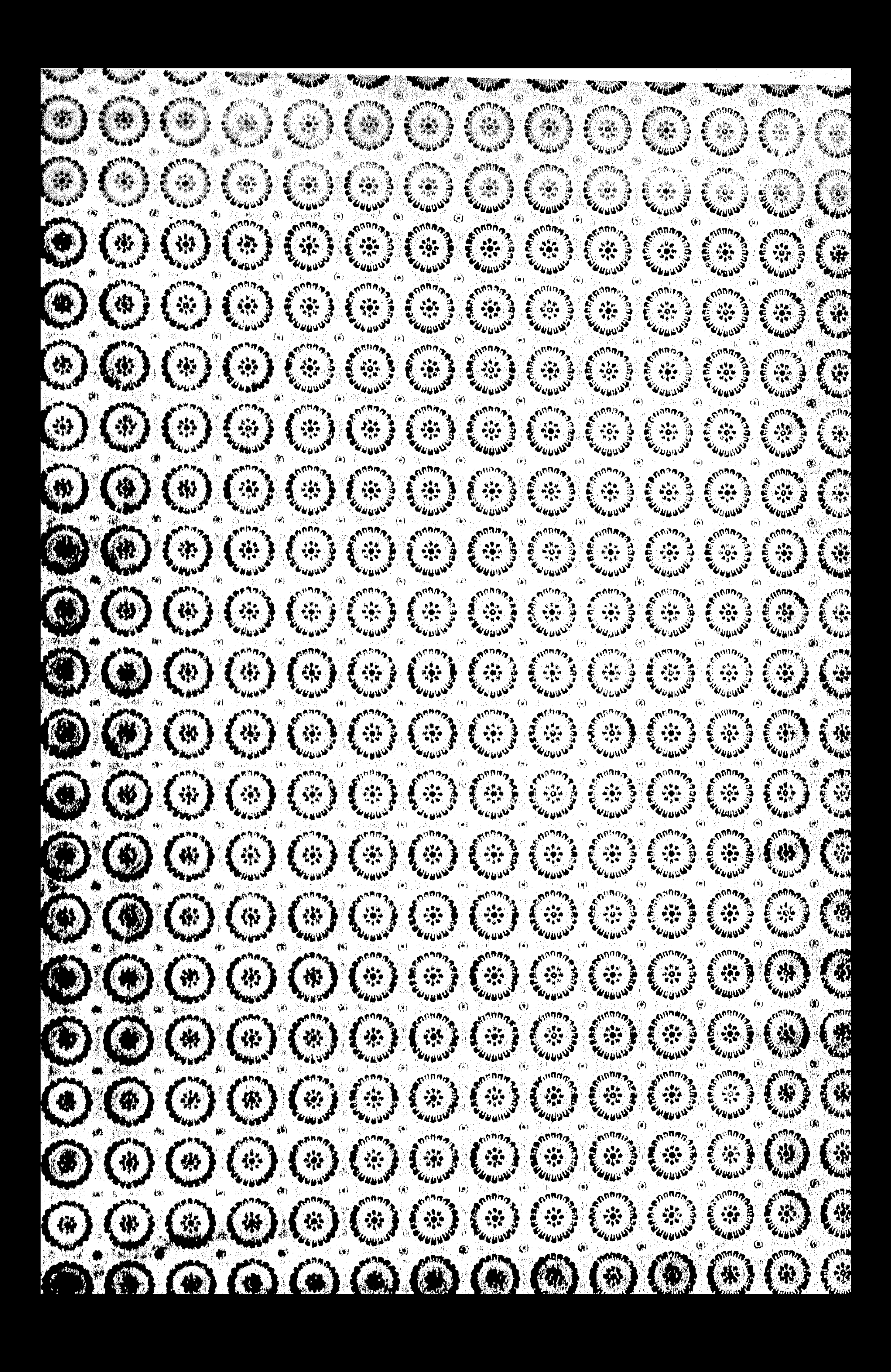
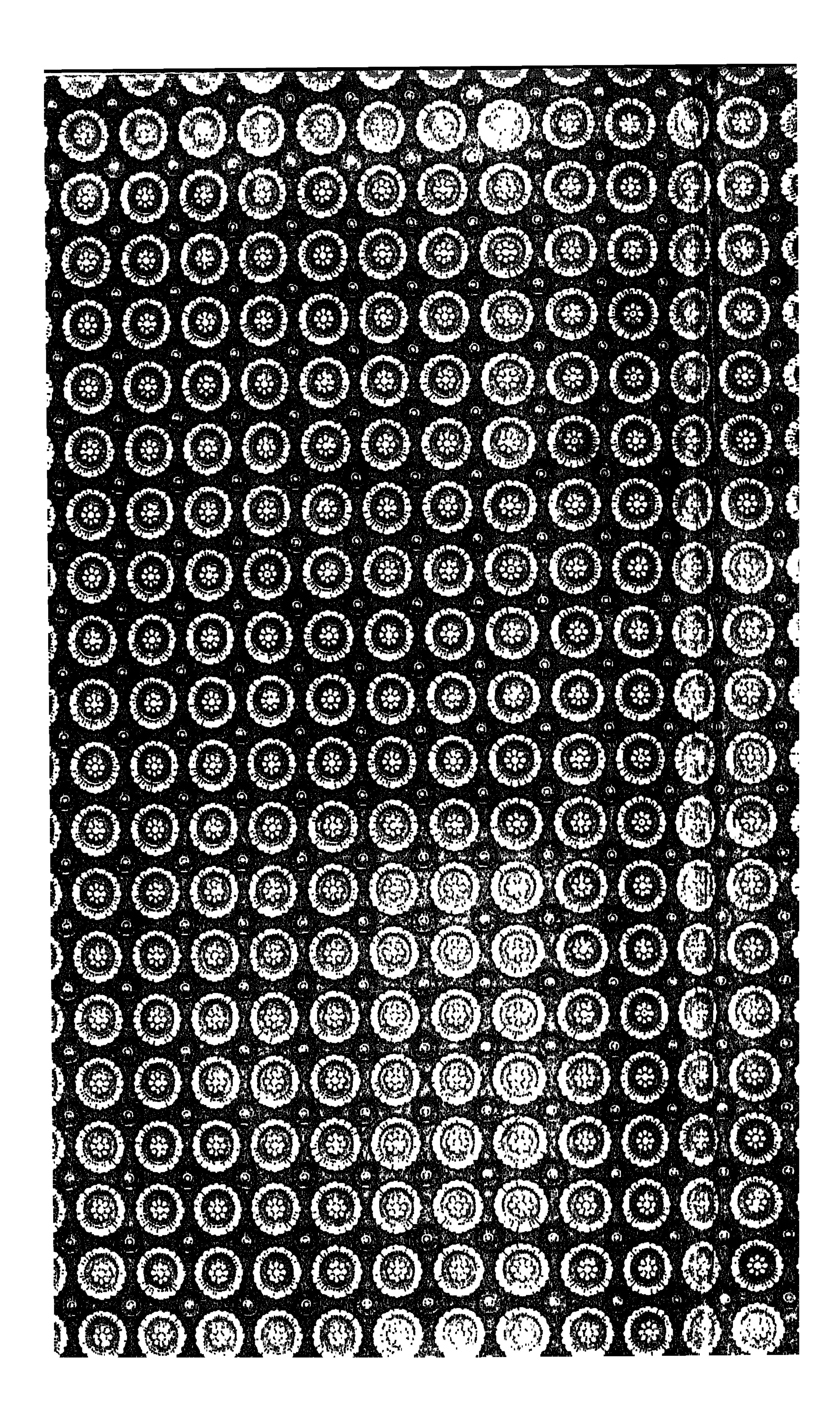






دار الكتب المصرية

القسم الأدبى



تأليف

أبى الفرج الاصفهانى

الجزء الثامن

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٥

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثامن

من كتاب الأغانى

نسب جرير وأخباره

نسبه من قبل أبويه

٥ جَرير بن عطيّة بن الخَطَفَى . والخَطَفَى لقبٌ ، وآسمه حُذَيفة بن بَدْر بن سَلَمَة ابن عَوْف بن كُلَيب بن يَرْبُوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَميم بن مُرّ بن أُدّ ابن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . ويُكنى أبا حَزْرة . ولُقّب الخَطَفَى لقوله :

يَرْفَعْنَ لِلّيـل(١) إذا ما أَسْـدَفَا(٢) * أعنـاقَ جِنّانٍ وهاماً رُجَّفا

* وعَنَقاً(٣) بعد الكَلال خَيْطَفَا *

١٠ ويُروى : خَطَفَى .

---

(١) فى اللسان وشرح القاموس (مادتى خطف وسدف) والاشتقاق لابن دريد والمؤتلف والمختلف للآمدى : «بالليل» . (٢) أسدف الليل : أظلم . والجنان : جنس من الحيات اذا مشت رفعت رءوسها ، واحدها جان . والهام : الرءوس . (٣) العنق : السير المنبسط . والخيطف والخيطفى : سرعة انجذاب السير ، كأنه يختطف فى مشيه عنقه ، أى يجتذبه . ورواية هـذا الشطر فى الشعر والشعراء

١٥ (ص ٢٨٣ طبع أوربا) : * وعنقا باقى الرسيم خيطفا *

وقد ذكر صاحب اللسان (مادة خطف) رواية الأصل كما أورد رواية أخرى هى :

* وعنقا بعد الرسيم خيطفا *

والرسيم : ضرب من السير سريع مؤثر فى الأرض .

وهو والفَرَزْدَقُ والأَخْطَل المقدَّمون على شعراء الاسلام الذين لم يُدْركوا الجاهلية جميعا . ومختلَفٌ فى أيُّهم المتقدّم، ولم يَبْقَ أحد من شعراء عصرهم إلا تعرَّض لهم فافتَضح وسقَط وبَقُوا يتصاولون ؛ على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق فى آخر أمرهما وقد أَسَنَّ ونفِد أكثرُ عمره . وهو وإن كان له فضلُه وتقدُّمه فليس[1] نَجْره من نِجَار هذين[2] فى شىء ؛ وله أخبار مفردة عنهما ستُذْكر بعد هذا مع ما يُغَنَّى من شعره . ٥

أخبرنى أبو خَليفة الفَضْل بن الحُبَاب الجُمَحِىّ قال حدّثنا محمد بن سَلّام الجُمَحِىّ، وأخبرنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ وعلىّ بن سليمان الأخفش قالا حدّثنا أبو سَعيد السُّكّرىّ عن محمد بن حَبيب وأبى غَسّان دَمَاذ وإبراهيم بن سَعْدان عن أبيه جميعا عن أبى عُبَيدة مَعْمَر بن المثنَّى ، بنسب جرير على ما ذكرتُه وسائرِ ما أذكره فى الكتاب من أخباره فأحكيه عن أبى عُبيدة أو عن محمد بن سَلّام . قالوا جميعا : ١٠

وأُمّ جرير أمّ قَيْس بنتُ مُعَيد[3] بن عُمَير[4] بن مسعود بن حارثة بن عَوْف بن كُلَيب ابن يَرْبوع . وأُمّ عطيّة النَّوّار بنت يَزيد بن عبد العُزَّى بن مسعود بن حارثة بن عَوْف بن كُلَيب .

جرير وطبقته من الشعراء

قال أبو عُبَيدة ومحمد بن سَلّام ووافقهما الأصمعىّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبّة[5] عنه : ١٥

(١) كذا فى جميع الأصول . وليس لهذه الفاء موقع فى الكلام . (٢) النجر والنجار : الأصل والحسب . يريد أنه ليس من معدنهما . (٣) كذا فى النقائض (ص ٧ طبع أوربا) عند الكلام على شرح بيت غسان بن ذهيل فى هجاء جرير وهو :

ستعلم ما يغنى معيد ومعرض * إذا ما سليط غرّقتك بحورها ٢٠

وفى الأصول : «سعد» . (٤) فى النقائض : «بن عثيم بن حارثة ... الخ» .
(٥) فى ب ، س : «... عن عمر بن شبة أنه اتفقت الخ» .

اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة : جريرٌ والفرزدق والأخطل ، واختلفوا فى تقديم بعضهم على بعض . قال محمد بن سَلّام : والراعى معهم فى طبقتهم ولكنّه آخرهم ، والمخالِف فى ذلك قليل . وقد سمعتُ يونسَ يقول : ما شهدت مَشْهَدًا قط قد ذُكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهلُ المجلس على أحدهما . وكان يونس فَرَزْدقيًّا .

قال ابن سَلّام : وقال ابنُ دأْب : الفرزدق أشعرُ عامّةً وجرير أشعرُ خاصّةً . وقال أبو عُبيدة : كان أبو عمرو يشبِّه جريرا بالأعشى ، والفرزدقَ بزُهَير ، والأخطلَ بالنابغة . قال أبو عبيدة : يحتجّ مَنْ قدّم جريرا بأنه كان أكثرَهم فنونَ شعر ، وأسهلَهم ألفاظا ، وأقلَّهم تكلّفا ، وأرقَّهم نَسيبا ، وكان دَيِّنا عفيفًا . وقال عامر ابن عبد الملك : جرير كان أشْبَهَهما[1] وأنسبَهما .

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ : قال خالد بن كُلْثوم : ما رأيت أشعر من جرير والفرزدق ، قال الفرزدق بيتا مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين ، قال :

عجبتُ لعِجْلٍ إذ تُهَاجِى عبيدَها * كما آلُ يَرْبُوعٍ هَجَوْا آلَ دارِم[2]

يعْنى بعبيدها بنى حَنيفة . وقال جرير بيتا هجا فيه أربعة :

إن الفرزدق والبَعيث وأمَّه * وأبا البَعيث لشَرُّ ما إسْتارِ[3]

قال : وقال جرير : لقد هجوتُ التَّيْمَ فى ثلاث كلمات ما هجا فيهنّ شاعر شاعرا قبلى ، قلتُ :

من الأصلاب يَنْزِل لؤمُ تَيْمٍ * وفى الأرحام يُخلَق والمَشِيم

---

(١) كذا فى م ، أ ، ء . وفى ب ، س : « كان أسنهما ... » . ولعل الصواب فيه : « كان أسبهما » كما سيأتى فى ص ٩ من هذا الجزء .
(٢) آل دارم : قوم الفرزدق . وآل يربوع : قوم جرير .
(٣) الإستار (بكسر الهمزة) من العدد : الأربعة . وما زائدة . يريد أن هؤلاء المذكورين فى البيت شرّ أربعة .

وقال محمد بن سَلّام: قال العَلاء بن جرير العَنْبرىّ وكان شيخا قد جالس الناس: إذا لم يجئ الأخطلُ سابقًا فهو سُكَّيتٌ[1]، والفرزدق لا يجىء سابقا ولا سكّيتا، وجرير يجىء سابقا ومُصلِّيًا[2] وسكّيتا. قال محمد بن سلّام: ورأيت أعرابيًّا من بنى أَسَد أعجبنى ظَرْفُه وروايته، فقلت له: أيُّهما عندكم أشعرُ؟ قال: بيوت الشعر أربعة: فخرٌ ومَديح وهجاء ونَسيب، وفى كلّها غَلَب جرير؛ قال فى الفخر:

إذا غضِبتْ عليكَ بنو تَميمٍ * حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

والمديح:

ألَستُم خيرَ من ركب المطايا * وأَنْدَى العالمَين بطونَ راحِ

والهجاء:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ * فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

والنَّسيب:

إنّ العيون التى فى طَرْفها حَوَرٌ * قتلْننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا

قال أبو عبدالله محمد بن سَلّام: وبيتُ النَّسيب عندى:

فلما ٱلتقى الحيَّانِ أُلْقيتِ العصا * وماتَ الهوى لمّا أُصيبتْ مَقَاتِلُهْ

قال كَيْسان[3]: أمَا والله لقد أوجعكم (يعنى فى الهجاء)، فقال: يا أحمق! أَوَ ذاك يمنعه أن يكون شاعرا!.

فضله عبيدة بن هلال على الفرزدق

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال قال أبو عُبَيدة، وأخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنى محمد بن سَلّام الجُمَحىّ قال حدّثنى أَبَانُ بن عثمان البَلْخىّ قال:

(١) السكيت (بتشديد الكاف وتخفيفها): الذى يجىء آخر الخيل فى السباق.
(٢) المصلى: الذى يجىء بعد الأوّل فى السباق.
(٣) لم يتقدّم لهذا الاسم ذكر فى هذا الخبر.

تنازع فى جرير والفرزدق رجلان[1] فى عسكر المهلّب ، فآرتفعا اليه وسألاه ؛ فقال : لا أقول بينهما شيئا ولكنّى أدلّكما على من يهون عليه سُخْطُهما : عُبَيدة بن هلال[2] اليَشْكُرِىّ — وكان بازائه مع قَطَرِىّ[3] و بينهما نهر . وقال عمر بن شَبّة : فى هؤلاء الخوارج من تَهُون عليه سِبالُ[4] كلّ واحد منهما — فأمّا أنا فما كنتُ لأُعرِّض نفسى لهما . فخرج أحد الرجلين وقد تراضيا بحكم الخوارج ؛ فبدر من الصفّ ثم دعا بعُبيدة بن هلال للبارزة فخرج اليه . فقال : إنى أسألك عن شىء تحاكمنا اليك فيه؛ فقال : وما هو ؟ عليكما لعنة الله . قال : فأىّ الرجلين عندك أشعرُ : أجريرٌ أم الفرزدق ؟ فقال : لعنكما الله ولعن جريرا والفرزدق ! أمثلى يُسأل عن هذين الكلبين ! قالا : لا بدّ من حكمك . قال : فإنّى سائلُكم قبل ذلك عن ثلاث . قالوا : سَلْ . قال : ما تقولون فى إمامكم اذا فجَر؟ قالوا : نُطيعه وإن عصى الله عزّ وجلّ . قال : قبّحكم الله ! فما تقولون فى كتاب الله وأحكامه ؟ قالوا : تنْبِذه وراء ظهورنا ونُعطّل أحكامه . قال : لعنكم الله إذًا ! فما تقولون فى اليتيم ؟ قالوا : نأكل ماله وننيك أمّه . قال : أخزاكم الله إذًا ! والله لقد زِدْتُمونى فيكم[5] بَصيرةً . ثم ذهب لينصرف؛ فقالوا له : إن الوفاء يَلْزَمك ، وقد سألتنا فأخبرناك ولم تُخبرنا ؛ فرجع فقال : من الذى يقول :

---

(١) فى ب ، س : « من » .

(٢) هو عبيدة بن هلال اليشكرى أحد زعماء الخوارج وقوّادهم وفصحائهم . (انظر فقرا عليه فى الطبرى ق ٢ ص ٣٩١ ، ٥١٥ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٧٦٢ طبع أوربا) .

(٣) هو قطرى بن الفجاءة أحد أبطال الخوارج ومتقدميها ، وكان شاعرا .

(٤) كذا فى أ ، حـ . والسبال : جمع سبلة وهى طرف الشارب ومقدّم اللحية . يريد أن فى هؤلاء الخوارج من لا يباليهما . وفى ب ، س : « يهون عليه أن يسأل كل واحد الخ» . وفى م ، ى : « يهون عليه يسأل الخ» .

(٥) لعل الصواب : « ... بكم بصيرة» .

إنّا لنذعَر يا قُفَـيرُ[1] عدوَّنا ⁎ بالخيل لاحقةَ الأَيَاطِل[2] قُودَا

وتَحُوطُ حَوْزَتَنا وتَحمي سَرْحَنا ⁎ جُرْدٌ تَرَى لمُغَـارِها[3] أُخْدُودا

أجْرَى قلائدَها وقدَّد لحمَها ⁎ ألّا يَذُقْنَ مع الشَّكائم عُودَا

وطَوَى القِيادُ مع الطِّرادِ متونَها ⁎ طَيَّ التِّجَار بحَضْرَمَوْتَ بُرُودا

قالا : جريرٌ؛ قال : فهو ذاك، فانصرفا . ٥

حديث الأصمعىّ وغيره عنـه

أخبرنى عمّى أبى عبدُ العزيز بن أحمد قال حدّثنـا الرِّيَاشىّ قال قال الأصمعىّ وذكر جريرا فقال[4] :

كان يَنْهَشُـه ثلاثة وأربعون شاعرا فينْبِذُهم وراء ظهره ويرمى بهـم واحدا واحدا ، ومنهم من كان يَنْفَحه[5] فيرمى به ، وثبَت له الفرزدقُ والأخطل . وقال جرير : والله ما يهجونى الأخطل وحدَه وإنه ليهجونى معـه خمسون شاعرا كلُّهم عزيزٌ[6] ليس بدون الأخطل ، وذلك أنه كان اذا أراد هجائى جَمعهم على شراب ، فيقول هذا بيتا وهذا بيتا ، وينتحل هو القصيدةَ بعد أن يُتَمِّموها . ١٠

قال ابن سَـلّام : وحدّثنى أبو البَيْداء الرِّيَاحىّ قال قال الفرزدق : إنّى وإيّاه لنغترفُ من بحرٍ واحد وتضطرب دِلاؤه عند طول النهر .

(١) كذا فى ديوانه المخطوط بقلم المرحوم الأستاذ الشنقيطى (المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) وشرح القاموس (مادة قفر) . وهى أم الفرزدق الشاعر . وفى الأصول : « فقير » بتقديم الفاء على القاف ، وهو تصحيف . (٢) الأياطل : جمع أيطل وهى الخاصرة . ولاحقة : ضامرة . والقُود : جمع أقود وقوداء . والأقود من الخيل : الطويل العنق العظيمه . ١٥

(٣) المغار : الإغارة . والأخدود : الشق ، يريد أثر حوافرها فى الأرض .

(٤) كذا فى الأصول ، والكلام مستغن عنها . (٥) كذا فى حـ ، يقال : نفحه (بالحاء المهملة) بالسيف أى ضربه به ضربة خفيفة . وفى سائر الأصول : « ينفخه » بالخاء المعجمة . ٢٠

(٦) فى ب ، س : « عربىّ » .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى زيرك بن هُبَيرة المنانىّ قال :

كان جريرٌ مَيدانَ الشعر، من لم يَجْرِ فيه لم يَرْوِ شيئا ، وكان مَنْ هاجَى جريرا فغلّبه جرير أرجحَ عندهم ممّن هاجَى شاعرا آخر غير جرير فغلَب .

٥ أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال : تذاكروا جريرا والفرزدق فى حَلْقة يونس بن معاوية بن أبى عمرو بن العَلاء وخَلَف الأحمر ومِسْمَع وعامر ابنا عبد الملك المِسْمَعيّان[(١)]، فسمعت عامرا وهو شيخ بكر بن وائل يقول : كان جرير والله أنسبَهما وأسبَّهما وأشبَهما .

سمع الراعى شعره فأقر بأنه جدير بالسبق

قال ابن سَلّام : وحدّثنى أبو البَيْداء قال : مرّ راكبٌ بالراعى وهو يغنّى ببيتين

١٠ لجرير، وهما :

وعاوٍ عَوَى من غير شىء رميتُه * بقارعةٍ أنْفاذُها تَقْطُرُ الدّمَا

خَرُوجٍ بأفواه الرُّواةِ كأنّها * قَرَا هُنْدُوانىٍّ[(٢)] اذا هُزّ صَمّمَا

فأتْبَعه الراعى رسولًا يسأله لمن البيتان ؟ قال : لجرير . قال : لو اجتمع على هذا جميع الجنّ والإنس ما أغنَوْا فيه شيئا . ثم قال لمن حضر : وَيْحكم أأُلَام على أن

١٤ يغلبنى مثلُ هذا ! .

(١) وردت هذه العبارة هكذا فى جميع الأصول . ولعل الصواب فيها : فى حلقة يونس بن حبيب وفيها أبو عمرو بن العلاء... الخ » لأن الذى كانت له حلقة بالبصرة هو يونس بن حبيب وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الأعراب والبادية . وكان من معاصرى أبى عمرو بن العلاء وخلف الأحمر والمسمعيين المذكورين هنا ، وهم الذين تكررت رواية محمد بن سلام عنهم فى طبقاته ، وكانوا يتزاورون ويتذاكرون

٢٠ فى المسائل العربية وغيرها ولهم مجالس معروفة فى ذلك . (راجع الأمالى لأبى على القالى ج ١ ص ٤٨ طبعة دار الكتب المصرية وطبقات ابن سلام طبعة أوربا ونزهة الألبا فى طبقات الأدبا لابن الأنبارى) .

(٢) الهندوانى (بكسر الهاء وتضم) : المنسوب للهند ، وهى نسبة شاذة .

رأى بشار فيه وفى صاحبيه ورثاؤه ابنه

قال ابن سَلّام : وسألت بَشّارا المرعَّث : أىُّ الثلاثة أشعر ؟ فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ولكنّ رَبيعة تعصَّبتْ له وأفْرطتْ فيه . قلت : فهذان ؟ قال : كانت لجرير ضُروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النَّوار فقاموا يَنُوحون عليها بشعر جرير. فقلتُ لبَشّار: وأىُّ شىء لجريرٍ من المَراثى إلّا التى رَثَى بها امرأتَه ! فأنشدنى لجرير يَرْثى ابنَه سَوَادةَ ومات بالشأم :

٤١/٧

قالوا نَصيبَك من أجرٍ فقلتُ لهم * كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أشبالى
فارقتَنى حين كَفّ الدهرُ من بَصَرى * وحين صِرْتُ كعظم الرِّمّة البالى
أَمْسَى سَوَادةُ يجْلُو مُقْلَتَىْ لَحِمٍ[1] * بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبأ العالى
قد كنتُ أعرفه منّى اذا غَلِقتْ * رُهْنُ الجياد ومَدّ الغايةَ الغالِى[2]
إنّ الثَّوِىّ[3] بذى الزَّيْتُون فاحتسبى * قد أَسرَعَ اليوم[4] فى عقلى وفى حالى
إلّا تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن مُعْوِلةٌ * فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْل مِعْوالِ
كأمّ بَوٍّ عَجُولٍ عند مَعْهَده * حَنّتْ الى جَلَدٍ[5] منه وأوْصالِ
حتى اذا عرَفتْ أن لا حياةَ به * رَدّتْ هَماهِمَ[6] حَرَّى الجوف مِثْكالِ
زادت على وَجْدِها وَجْدًا وإن رجَعتْ[7] * فى الصدر منها خُطوبٌ ذاتُ بَلْبالِ

أخبرنى عبد الواحد بن عُبيد عن قَعْنَب بن المُحْرِز الباهِلىّ عن المُغيرة بن حَجْناء وعمارة بن عقَيل قالا :

(١) اللحم : البازى الذى يأكل اللحم أو يشتهيه . وصرصر: صوّت وصاح أشد الصياح . والمربأ : المرقب . (٢) الغالى : الرامى بالسهام . (٣) الثوىّ : المقيم . (٤) كذا فى أكثر الأصول وتجريد الأغانى وديوانه . وفى ب ، س : « الموت » . (٥) الجلد محركة لغة فى الجلد . (٦) الهماهم : جمع همهمة وهى ترديد الزئير فى الصدر من الهمّ . (٧) كذا فى ديوانه . وفى الأصول :

... ... فلو رجعت * فى الصدر منها خطوبا ذات بلبال

خرج جرير الى دِمَشْـق يَؤُمُّ الوَليدَ، فرض ابن له يقال له سَـوَادة ، وكان به مُعْجَبا ، فمات بالشأم ؛ فجزِع عليه ورثاه جرير فقال :

أَوْدَى سَوَادةُ يَجْلُو مُقْلَتَىْ لَحِـمٍ   بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبأ العـالى

حديث الفرزدق عنـه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَـبّة قال حدّثنى

٥ أحمد بن معاوية قال حدّثنى رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدّثنى أبو نصر اليَشْكُرِىّ عن مولىً لبنى هاشم قال :

اِمْتَرَى(١) أهلُ المجلس فى جرير والفرزدق أيُّهما أشـعرُ ، فدخلتُ على الفرزدق فما سألنى عن شىء حتى قال: يانَوار، أدركتْ بَرْنِيّتُكِ؟ قالت : قد فعلتْ أو كادتْ . قال : فٱبعثى بدرهم فاشـترى لحمـا ، ففعلتْ وجعلت تشرِّحه وتُلْقيـه على النـار

١٠ ويأكل . ثم قال : هاتى بَرْنِيّتَكِ، فشرب قَدَحًا ثم ناولنى، وشرب آخر ثم ناولنى . ثم قال : هاتِ حاجتَكَ يٱبنَ أخى ، فأخبرتُه ؛ قال : أعَنِ ٱبنِ الخَطَفَى تَسألنى ! ثم تنفَّس حتى قلتُ : ٱنشقَّتْ حَيَازِيمُه(٢)، ثم قال : قاتلَه الله ! فمـا أَخْشَنَ ناحيتَه وأَشْرَدَ قافيتَه ! والله لو تركوه لأَبْكَى العجوزَ على شبابهـا ، والشابَّةَ على أحبـابها ، ولكنهم هَرُّوه(٣) فوجدوه عنـد الهِرَاش نابحا وعند الجِرَاء(٤) قارحا، وقد قال بيتا لأَنْ

١٥ أكونَ قلتُه أحبُّ إلىّ مما طلعتْ عليه الشمس :

إذا غضِبتْ عليكَ بنو تميمٍ * حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضَابَا

أثنى عليه الفرزدق أمام الأحوص

أخبرنى أحمـد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبى عُبَيدة، قالا :

(١) أى تجادلوا . (٢) الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه أو ما استدار بالظهر

٢٠ والبطن . (٣) كذا فى شرح شواهد التلخيص ص ٣٠٤ طبع بلاق . وفى الأصول « هزوه » بالزاى المعجمة . (٤) جاراه مجاراة وجراء : جرى معه وسابقه .

نزل الفَرَزْدَق على الأحوص حين قدم المدينة ، فقال الأحوص : ما تشتهى؟ قال : شِواء وطِلاء وغناء[1] . قال : ذلك لك ، ومضى به الى قينة بالمدينة فغنته :

صـــوت

ألَا حَيِّ الديارَ بسُعْدَ[2] إنى * أُحِبُّ لحبِّ فاطمة الديارا

إذا ما حَلّ أَهْلُكِ يا سُلَيْمَى * بدارة صُلْصُلٍ[3] شحطوا مزارا

أراد الظاعنون ليحزُنونى * فهاجُوا صدْعَ قلبى فاستطارا

— غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبنصر — فقال الفرزدق : ما أرقّ أشعاركم يأهلَ الحجاز وأَمْلَحها ! قال : أو ما تَدْرِى لمن هذا الشعر؟ قال : لا والله . قال : فهو والله لجرير يَهْجُوك به . فقال : وَيْلُ آبن المَراغة ! ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعرى ، وأحْوَجَنى مع شَهَواتى الى رقّة شعره ! .

٤٢
٧

قدم المدينة وتحدث مع الأحوص حتى أخزاه وأقبل على أشعب وأجازه

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق المَوْصِلىّ ، وأخبرنى محمد بن مَزْيد عن حَمّاد عن أبيه قال [قال][4] إسحاق بن يحيى بن طلحة :

قدِم علينا جريرٌ المدينة فحشَدْنا له ، فبيْنا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام آنفًا ، ما تريد منه ؟ قال : أُخزيه ، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف . فأقبل جريرٌ علينا فقال : من الرجل ؟ فقلنا : الأحوصُ بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح . قال : هذا الخبيث ابن الطيِّب . ثم أقبل عليه فقال : قد قلتَ :

يَقَرُّ بعيْنِى ما يَقَرُّ بعينها * وأحسنُ شىء ما به العينُ قَرَّتِ

(١) الطلاء : من أسماء الخمر . (٢) [illegible] بنجد ، واستشهد بهذا البيت . (٣) دارة صلصل : [illegible] كذا ذكر ياقوت فى معجمه . (٤) الزيادة عن [illegible] .

فإنه يَقَرُّ بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البَكْر ، أفيَقَرُّ ذلك بعينك ؟ — قال : وكان الأحوصُ يُرمَى بالأُبْنة — فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة . وأقبلنا نسأل جريرا وهو فى مؤخّر البيت وأشعبُ عند الباب ؛ فأقبل أشعبُ يسأله ؛ فقال له جرير: والله إنك لأقبَحُهم وجهًا ولكنّى أراك أطولَهم حَسَبا ، وقد أبرمتَنِى . فقال : أنا

٥ والله أنفعُهم لك . فانْتبه جريرٌ فقال : كيف ؟ قال : إنى لأُملِّح شعرَك ؛ واندفع يغنِّيه قولَه :

صـــوت

يا أختَ ناجيةَ السـلامُ عليكمُ * قبلَ الفراق وقبـل لَوْم العُذّلِ

لو كنتُ أعلم أن آخرَ عهـدكم * يوم الفراق فعلتُ ما لم أفعـلِ

١٠ قال : فأدناه جريرٌ منه حتى ألصق ركبتَه بركبته وجعله قريبًا منه ؛ ثم قال : أَجَلْ ! والله إنك لأنفعُهـم لى وأحسنُهم تزيينا[1] لشعرى ، أَعِدْ ؛ فأعاده عليـه وجرير يبكى حتى آخضلَّت لحيتـه ، ثم وهَب لأشعبَ دراهمَ كانت معـه وكساه حُلّةً من حُلَل الملوك . وكان يُرسِل إليه طولَ مُقَامه بالمدينـة فيغنّيه أشعبُ ويُعْطيه جريرٌ شعرَه فيغنِّى فيه . قال : وكان أشعبُ من أحسنِ الناس صوتا . قال حماد : والغناء الذى

١٥ غنّاه فيه أشعبُ لابن سُرَيج .

وفد على الحكم ابن أيوب فبعث به إلى الحجاج فحدثه عن معارضيه من الشعراء

أخبرنى علىّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّرىّ عن الرِّيَاشىّ عن الأصمعىّ قال وذكر المغيرةُ بن حَجْناء[2] قال حدّثنى أبى عن أبيه عن جدّه يحيى بن أَعْيَن ، وذكر ذلك هشامُ بن الكلبىّ قال حدّثنى النَّهْشَلىّ من بنى مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعِىّ ابن سَلْمَى بن جَنْدَل قال حدّثنى مِسْحَل بن كُسَيب بن عِمْران بن عَطاء بن الخَطَفَى ،

---

٢٠ (١) فى الأصول : «تربيبا لشعرى» وهو تصحيف . (٢) هكذا بالأصول .

وأمّه الرَّبداءُ بنتُ جرير — وهذا الخبر وإن كان فيه طولٌ مُحْتَوٍ على سائر أخبار مَنْ ناقَض جريرًا أو اعْتَنَّ(١) بينه وبين الفرزدق وغيره، فذكرتُه هنا لاشتماله على ذلك فى بلاغ واختصار — :

أنّ جريرا قدِم على الحَكَم بن أيوب بن يحيى بن الحَكَم بن أبى عُقَيل، وهو خليفة للحجّاج يومئذ، فمدحه جرير فقال :

أَقْبَلْتُ(٢) من ثَهْلانَ أو جَنْبَىْ خِيَمْ * على قِلاصٍ مثلِ خِيطانِ(٣) السَّلَمْ

— ثَهْلانُ : جبلٌ كان لباهلةَ ثم غلبتْ عليه نُمَيْرٌ. وخِيَم : جبلٌ يُنَاوِحُه من طَرَفه الأَقْصَى فيما بين رُكْنِه الأقصى وبين مَطْلِع الشمس، به ماء ونخل —

قد طُوِيتْ بطونُها طَىَّ الأَدَمْ * يَبْحَثْنَ بحثًا كمُضِلّاتِ الخَدَمْ(٤)

إذا قطعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ * حتى تناهينَ(٥) الى باب الحَكَمْ

خليفةِ الحجّاج غيرِ المُتَّهَمْ * فى مَعْقِدِ(٦) العِزِّ وبُؤْبُؤِ الكَرَمْ

* بعد انْفِضَاجِ(٧) البُدْنِ واللَّحْمُ زِيَمْ *

فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظَرْفُه وشعره؛ فكتب الى الحجّاج : إنه قدِم علىّ أعرابىٌّ شيطانٌ من الشياطين. فكتب إليه أن ابعثْ به إلىّ، ففعل. فقدِم

(١) اعتن بينه وبينه : اعترض. (٢) فى ديوانه : «أقبلن» وقد وردت هذه الأرجوزة فى ديوانه باختلاف عما هنا فانظرها فى ص ١٨٨ من نسخة الشنقيطى. (٣) الخيطان : جمع خوط وهو الغصن. (٤) الخدم : جمع خدمة وهى الخلخال. يريد أنهنّ يبحثن بمناسمهنّ الأرض كما تبحث النساء المضلات خلاخلهنّ عنها فى التراب. (٥) كذا فى ديوانه. وفى الأصول : «تناهينا». (٦) كذا فى س. والمعقد : موضع العقد. وفى حديث الدعاء : «أسألك بمعاقد العز من عرشك». وفى سائر الأصول : «فى مقعد العز». وفى ديوانه : «فى ضِئْضِئْ المجد». (٧) كذا فى ديوانه. والانفضاج : السمن والضخم. وفى الأصول : «انفضاخ» بالخاء المعجمة وهو تصحيف. والبدن : النوق. والزيم : المتفرق على رءوس الأعضاء.

عليه فأكرمه الحجّاج وكَسَاه جُبّة صَبِرِيّة[1] وأنزله فمكث أياما . ثم أرسل إليه بعد نومه فقالوا : أَجِبِ الأمير ؛ فقال : أَلْبَس ثيابى ؛ فقالوا : لا ! والله لقد أمرنا أن نأتيه بك على الحال التى نجدُك عليها ؛ ففزع جرير وعليه قميص غليظ ومُلاءة صَفْراء . فلما رأى ما به رجلٌ من الرُّسُل دنا منه وقال: لا بأس عليك ، إنما دعاك للحديث.

٥ قال جرير : فلما دخلتُ عليه قال: إيه يا عدوّ الله ! عَلَامَ تشتم الناسَ وتظلمهم ؟ فقلتُ : جعلنى الله فداءَ الأمير ، والله إنى ما أظلمهم ولكنّهم يظلمُوننى فأنتصر. مالى ولابنِ أُمّ غَسّان! ومالى وللبَعيث ! ومالى وللفرزدق! ومالى وللأخطل! ومالى وللتَّيْمى ! حتى عدّدهم واحدا واحدا . فقال الحجاج : ما أَدْرِى مالك ولهم! قال : أُخْبِرُ الأميرَ أعزّه الله : أمّا غَسّانُ بن ذُهَيْل فانه رجلٌ من قومى هجانى وهجا عشيرتى

١٠ وكان شاعرا . قال : فقال لك ماذا ؟ قال قال لى :

لعَمْرِى لئن كانت بَجيلةُ زانَها * جَرِيرٌ[2] لقد أَخْزَى كُلَيْبًا جَرِيرُها
رميتَ نِضالًا عن كُلَيبٍ فقصَّرتْ * مَرَاميكَ حتى عاد صِفْرًا جَفِيرُها[3]
ولا يَذْبَحون الشاةَ إلا بمَيْسِرٍ[4] * طويلٌ تَنَاجِيها صِغارٌ قُدورُها

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

١٥ ألَا ليتَ شِعْرِى عن سَلِيطٍ[5] ألم تَجِدْ * سَليطُ سِوَى غَسّانَ جارًا يُجِيرُها
فقد ضمّنوا الأحسابَ صاحبَ سَوْءةٍ * يُنَاجِى بها نفسًا خبيثًا ضميرُها

---

(١) صبرية : نسبة إلى صبر (بفتح فكسر) وهو الجبل الشامخ العظيم المطل على قلعة تعز (بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد الزاى المعجمة) ، فيه عدّة حصون وقرى باليمن . (٢) يريد جرير بن عبد الله البجلى ، كان من أفاضل أهل الكوفة ، قيل : إنه أسلم فى السنة التى قبض فيها النبى صلى الله عليه وسلم ومات

٢٠ فى سنة ٥١ هجرية ، وهو الذى هدم الصنم المسمى بذى الخلصة . (٣) الجفير : جعبة السهام .
(٤) الميسر : اللعب بالقداح . (٥) سليط : قبيلة غسان بن ذهيل .

كأنّ سَـليطًا فى جَوَاشِنِها الحُصَى * اذا حلّ بين الأَمْلَحَيْن وَقِيرُها (١)

أَضِـجُّوا الرَّوَايَا بالمَزَادِ فانّكم * ستُكْفَوْنَ رَكْضَ الخيل تَدْمَى نحورُها (٢)

كأنّ السَّـلِيطِيَّاتِ مُجْنَاةُ كَمْأَةٍ * لأوّلِ جانٍ بالعَصـا يستثيرُها (٣)

عَضَارِيطُ يَشْوُونَ الفَرَاسِنَ بالضُّحَى * اذا ما السَّرَايا حَثَّ رَكْضًا مُغيرُها (٤)

فما فى سَـلِيطٍ فارسٌ ذو حَفِيظةٍ * ومَعْقِلُهـا يومَ الهِياجِ جُعُـورُها (٥)

عجِبتُ من الدّاعِى جُحَيشًا وصائدًا * وعَيْساءُ يسـعَى بالعِلَابِ نَفِـيرُها (٦)

قال : ثم مَنْ ؟ قال : البَعيث . قال : مالك وله ؟ قال : اعترض دونَ ابنِ أمّ غسّان يفضّله علىّ ويُعينه . قال : فما قال لك ؟ قال قال لى :

كُلَيبٌ لئامُ الناسِ قـد تعلمونه * وأنتَ اذا عُدّتْ كُلَيبٌ لئيمُها

أترجو كُلَيبٌ أن يجىء حديثُها * بخيرٍ وقـد أعيا كُلَيبا قـديمُها

---

(١) الجواشن : الصدور . وفى جواشنها الحصى أى هى عظام الصدور . يريد أن أبدانهم معضلة كخلق العبيد قد اكتنزت من العمل فتعضلت ليست سبطة كسبوطة الأحرار . والأملحان : ماءان ، ويقال : هما جبلان لبنى سليط . والوقير : الغنم فيها حماران أو أحمرة ، ولا تسمى الغنم وقيرا إلا بحمرها . (النقائض بين جرير والفرزدق ص ١١ طبع أوربا) . (٢) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « أضحوا » بالحاء المهملة وهو تصحيف . وأضجوا الروايا أى ألحوا عليها بالاستقاء حتى تضـج وترغو . والروايا : الإبل يستق عليها . والمزاد : جمع مزادة وهى القربة . يقول : اخدموا أنتم واستقوا فان الحرب يكفيكموها غيركم . (٣) رواية النقائض : « كأن السليطيين أنقاض كمأة » . والأنقاض : جمع نقض وهو هنا ماخرج من رأس الكمأة اذا انشقت عنها الأرض . يصفهم بالذل وأنهم لايمتنعون كما لا تمتنع هـذه الكمأة اذا استثيرت بالعصا . (٤) العضاريط : الأتباع ، والواحد عضروط . والفراسن : أخفاف الابل واحدها فرسن . يقول : ذلك حظهم من الجزور ، وهو شر ما فيه . ويريد بقوله : «اذا ما السرايا حث ركضا مغيرها» أنه اذا ركب الناس لغارة أو فزع لم يركبوا معهم لأنهم ليسوا بأصحاب حرب ولا خيـل . (٥) الجعر : ما يبس من العذرة فى الدبر . يقول : اذا تهايج الناس أحدثوا هم من الفـزع والجبن . (٦) هذه رواية النقائض . وفى الأصـول : « وعيساء يدعى بالفلاة نصيرها » . وجحيش هو جحيش ابن زياد أحد بنى زبيد بن سليط . وصائد : سليطى . وعيساء : جدّة غسان بن ذهيل . والعلاب : جمع علبة وهى التى يحلب فيها ، وهى تعمل من جلود الابل . ونفيرها : قومها .

قال : فما قلت له ؟ قال قلت :

ألم ترأنّى قد رميتُ ٱبنَ قَرْتنَى * بصَمّاءَ لا يرجو الحيـاةَ أميمُها (١)

له أُمّ سَـوْءٍ بئس ما قَدّمتْ له * اذا فَرَطُ الأحساب (٢) عُدّ قديمُها

قال : ثم مَنْ؟ قلتُ: الفَرَزْدَقُ . قال : ومالك وله؟ قلتُ: أعان البعيثَ علىّ .

٥ قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

تمنّى رجالٌ من تمـيمٍ لِىَ الرّدَى * وما ذَادَ عن أحسابِهم ذائدٌ مِثْلِي

كأنّهـم لا يعلمون مَوَاطـنى * وقد جرّبوا أنى أنا السابقُ المُبْلِى (٣)

فلو شاء قومى كان حِلْمىَ فيهمُ * وكان على جُهّالِ أعدائهم جَهْلى

وقد زعَموا أنّ الفرزدقَ حيّـةٌ * وما قَتَلَ الحيّاتِ من أحدٍ قَبْلِى

١٠ قال : ثم مَنْ؟ قلتُ : الأَخْطَل . قال : مالك وله؟ قلتُ : رَشَاه محمد بن عُمَير ابن عُطَارِدٍ زِقًّا من خمر وكَسَاه حُلّةً على أن يفضّل علىّ الفَرَزْدَقَ ويهجُونى . قال : فما قال لك ؟ قال قال :

اِخسَأْ إليكَ كُلَيبُ إنّ مُجَاشِعًا * وأبا الفَوَارسِ نَهْشَلًا أخَوانِ

واذا وردْتَ المـاءَ كان لدارِمٍ * جُمّاتُه (٤) وسُهُولَةُ الأَعْطانِ

١٥ و إذا قذَفْتَ أباك فى ميزانِهـم * رجَحُوا وشالَ أبوك فى الميزانِ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

ياذا العَبَاءَةِ (٥) إنّ بِشْرًا قـد قضَى * ألّا تجُوزَ حكومةُ النّشْوانِ (٦)

(١) القرتنى : الزانيـة . والأميم : المشـجوج الرأس . (٢) فرط الأحساب : ما مضى وسبق منها ؛ يعنى أوائلها . (٣) فى ب ، س : « المجلى » بالجيم .

٢٠ (٤) الجمـة : مجتمع المـاء ومعظمـه . والأعطان : جمـع عطن وهو مناخ الابل حول وردها . وفى ديوانه : «صفواته» بدل «جماته» . (٥) كذا فى جـ والنقائض . والعباءة : الكساء . يعيره لبسها . وفى سائر الأصول : « ياذا الغبـارة » . (٦) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « النسوان » . بالسين المهملة وهو تصحيف . وبشر هو بشر بن مروان بن الحكم .

فدَعُوا الحكومةَ لَسْتُمُ من أهلِها * إنّ الحكومةَ فى بنى شَيْبانِ
قتلوا كُلَيْبَكُمُ بلِقْحةِ جارِهم * يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بهِجانِ (١)

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عمر بن لجأ التَّيْميّ . قال : مالك وله؟ قال : قلت بيتًا من شعر فقبَّحه وقاله على غيرِ ما قلتُه؛ قلت :

لَقَومِى أَحْمَى للحقيقةِ منكمُ * وأَضْرَبُ للجَبّار والنَّقْعُ ساطعُ
وأوثَقُ عند المُرْهَفاتِ عشيّةً * لَحَاقًا اذا ما جرَّد السيفَ لامعُ (٢)

فزعم أنّى قلتُ :

وأَوْثَقُ عند المُرْدَفات عشيّةً * لَحَاقا اذا ما جرَّد السيفَ لامعُ

فقال : لحِقتَهنّ عند العَشِيّ وقد أُخِذْنَ غُدْوةً ، والله ما يُمْسِينَ حتى يُفْضَحْنَ . قال : فما قلتَ له؟ قال قلت :

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِىّ لا أبا لكمُ * لا يُوقِعَنَّكمُ فى سَوْءةٍ عُمَرُ
خَلِّ الطريقَ لمن يَبْنِى المنارَ به * وابْرُزْ ببَرْزَةَ (٣) حيثُ اضطرّك القَدَرُ

حتى أتى على الشعر . قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : سُرَاقةُ بن مِرْداس البارِقيّ . قال : مالك وله ؟ قال قلت : لا شيء ، حمله بِشْرُ بن مَرْوان وأكرهه على هجائى، ثم بَعث إلىّ رسولا وأمرنى أن أُجيبَه . قال : فما قال لك ؟ قال قال :

إنّ الفرزدقَ برّزتْ أعراقُه * عَفْوًا وغُودِر فى الغُبار جريرُ
ما كنتَ أوّلَ مُحْمِرٍ (٤) قعدتْ به * مَسْعاتُه إنّ اللئيم عَثُور (٥)
هذا قضاءُ البارِقىّ وإنه * بالمَيْل فى ميزانكم لبَصيرُ

---

(١) اللقحة : الناقة الحلوب . والخزر : جمع أخزر، والخزر : حول إحدى العينين . والهجان : البيض الكرام . يشير الى حادثة كليب بن ربيعة ومقتله . (٢) اللامع : المشير بالسيف منذرا . (٣) برزة : اسم أم عمر بن لجأ . (٤) المحمر : اللئيم . (٥) كذا فى حـ ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى سائر الأصول : « اللئام » وهو تحريف .

قال : فما قلت له ؟ قال قلت :

يا بِشْرُ حَقَّ لوجهك التبشيرُ * هَلّا غضبتَ لنا وأنت أميرُ

بِشْرٌ أبو مَرْوانَ إن عاسَرْتَه * عَسِرٌ وعند يَساره مَيْسورُ

إنّ الكريمة ينصُر الكرمَ ابنُها * وابنُ اللئيمةِ للّئام نَصُورُ

٥ قد كان حقُّك أن تقول لبارقٍ * يا آلَ بارقَ فِيمَ سُبَّ جَرِيرُ

وكَسَحْتَ بآستِك للفَخَار و بارِقٌ * شَيْخانِ أَعْمَى مُقْعَدٌ وكَسِيرُ

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : البَلْتَع وهو المُسْتَنِيرُ[1] بن سَبْرَةَ العَنْبَرِيّ . قال : مالكَ وله ؟ قلتُ : أعان عليّ آبنَ لَجَأ . قال : فما قال لك؟ قلت قال :

إنّ التى رَبَّتْكَ لما طُلِّقتْ[2] * قَعَدتْ على جَحْشِ المَرَاغةِ[3] تَمرَغُ

١٠ أَتَعِيبُ مَنْ رضيتْ قريشٌ صِهْرَه * وأبوك عبدٌ بالخَوَرْنَقِ أَذْلَغُ[4]

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

فما مستنيرُ الخُبْثِ إلا فَرَاشةٌ * هَوَتْ بين مُؤْتَجِّ[5] الحَرِيقَيْن ساطِعِ

نهيتُ بناتِ المستنيرِ عن الرُّقَى[6] * وعن مشيهنّ الليلَ بين المَزَارِعِ

ويروى * ... بين مؤتجٍّ من النار ساطِعِ *

---

١٥ (١) قد ورد فى هذا الاسم اختلاف (انظر النقائض وديوانه المخطوط ص ١٨٤) . (٢) فى ب ، س : «زينت» وهو تحريف . (٣) المراغة فى الأصل : الأتان التى لا تمتنع عن الفحول ، وبه لقب الأخطل أم جرير . (٤) فى الأصول : «أولغ» بالواو وهو تحريف . والأذلغ : الغليظ الشفتين ، وهو أيضا الأقلف . (٥) كذا فى ب وديوانه . وائتجاج النار : التهابها . يريد أنه فى تعرضه لى دون عمر بن لجأ كالفراشة نظرت الى نار فألقت نفسها فيها . وفى سائر الأصول : «مرتج»

٢٠ وهو تحريف . (٦) قال فى شرح ديوانه : «كانت تميمة بنت المستنير بن سبرة وهو البلتع العنبرى جارية شابة جميلة وكانت تزعم أنها ترقى ، فطبن لها فتى فأتاها يسترقيها ، فلما خلا معها قال : ليس بى حاجة الى الرقية ولكن قد قتلنى حبك ؛ فأمكنته من نفسها ؛ فلم يرعهم إلا وهى فى رابعها فهجاه جرير بذلك» .

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : راعِى الإبل . قال : مالكَ وله ؟ قلتُ : قدِمتُ البصرة وكان بلغنِى أنه قال لى :

يا صاحبىَّ دنا الرَّواحُ فسِيرَا * غَلَبَ الفرزدقُ فى الهجاء جَرِيرَا

وقال أيضا :

رأيتُ الجَحْشَ جحشَ بنى كُلَيبٍ * تَيَمَّم حوضَ دِجْلةَ ثم هابا

فقلت : يا أبا جَنْدل ، إنك شيخُ مُضَر وشاعرُها ، وقد بلغنى أنك تُفضِّل علىّ الفرزدقَ ، وأنت يُسمع قولُك ، وهو ٱبنُ عمّى دونك ؛ فان كان لا بدّ من تفضيلٍ فأنا أحقُّ به لمدحى قومَك وذكرى إيّاهم . قال : وٱبنه جَنْدَلٌ على فرسٍ له ، فأقبل يسيرُ بفرسه حتى ضرب عَجُزَ دابّتى وأنا قائم فكاد يقطع أصبعَ رِجْلى وقال : لا أَرَاك واقفًا على هذا الكلب من بنى كُلَيب ؛ فمضَى ، وناديته : أنا ٱبن يَرْبُوع[1] ! إنّ أهلَك بعثوك مائرًا من هَبُود[2] وبئس المائرُ ، وإنما بعثنى أهلى لأقعدَ على قارعة هذا المِرْبَد فلا يَسُبُّهم أحدٌ إلّا سببتُه ، وإنّ علىّ نذرًا إن جعلتُ فى عينى غُمْضا حتى أُخزِيَك . قال : فما أصبحتُ حتى هجوتُه فقلت :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ * فلا كعبًا بلغتَ ولا كِلَابَا

قال فغدوتُ عليه من الغَدِ فأخذتُ بعِنَانه ، فما فارقتُه حتى أنشدتُه إيّاها . فلما مررتُ على قولى :

أجَنْدَلُ ما تقول بنو نُمَيرٍ * إذا ما الأَيْرُ فى ٱسْتِ أبيك غابَا

قال : فأرسَل يَدِى وقال : يقولون والله شرًّا .

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : العباس بن يَزِيدَ الكِنْدىّ قال : مالك وله ؟ قال لمّا قلتُ :

(١) كذا فى نسخة الشيخ الشنقيطى مصححة بقلمه ، ويربوع من أجداده كما تقدّم . وفى الأصول : « أيا ابن يربوع » بالياء المثناة من تحت وهو تصحيف . (٢) هبود : اسم موضع ببلاد بنى نمير .

إذا غَضِبتْ عليــكَ بنو تَمِـيم * حسِبتَ النـاسَ كلَّهمُ غِضابا

قال :

ألا رَغِمَتْ أُنوفُ بنى تَمِـيم * فُسَـاةِ التمرِ إن كانوا غضـابا

لقــد غضِبتْ عليــك بنو تميم * فمـا نَكَأَتْ بغَضْبتهـا ذُبابا

٥ لو اطّلع الغــرابُ على تَمِـيم * وما فيهـا من السَّوْءات شابا

قال : فتركتُه خمسَ سِنينَ لا أهجوه ، ثم قدمتُ الكوفةَ فأتيتُ مجلسَ كِنْدةَ ، فطلبتُ اليهم أن يكفُّوه عنِّى ؛ فقالوا : ما نَكُفُّه وإنه لشاعرٌ وأَوْعدونى ؛ فقلت :

ألَا أَبْلِـغْ بنى حُجْـرِ بن وَهْبٍ * بأنّ التمـرَ حُلْوٌ فى الشــتاءِ

فَعُــودُوا للنَّخيــل فأبِّرُوها[1] * وعِيشُوا بالمُشَــقَّر فالصَّــفَاءِ

١٠ قال : فمكثتُ قليلا ، ثم بعثوا إلىّ راكبا فأخبرونى بمثَالِبه وجِواره فى طَيِّئٍ حيث جاور عَتّابا ، وحَبْل أخته هُضَيبةَ حيث حَبِلتْ . قال : فقلتَ ماذا ؟ قال قلتُ :

إذا جهِـل الشَّــقِيُّ ولم يُقَدِّرْ * لبعضِ الأمرِ أَوْشكَ أن يُصابا

أَعَبْدًا حَلَّ فى شُــعَبَى[2] غريبـا * أَلُؤْمًا لا أَبالكَ واغــترابا

فما خَفِيتْ هُضَيبة حينَ جُرَّتْ[3] * ولا إطعـامُ سَخْلَتِهـا الكِلابا

١٥ تُخَــرِّقُ بالمَشَاقِصِ[4] حالِبَيْهـا * وقــد بَلَّتْ مَشِــيمَتُها الترابا

فقــد حَمَلتْ ثمانيــةً وأَوْفتْ * بتاســعِها وتَحْسَــبُها كَعَـابا

---

(١) أبر النخل : أصلحه . والمشقر : حصن بالبحرين عظيم لعبــد القيس يلى حصنا لهم آخر يقال له الصفاء قبل مدينة هجر . (٢) شعبى : موضع فى جبل طيئ . (عن شرح القاموس) . (٣) كذا فى ديوانه . وقد جاء فيه فى شرح هــذا البيت أن العباس قتل ولدها فرمى به وقتلها ؛ فرماه بها جرير وعيره ٢٠ ذلك . وفى الأصول : * فمـا تخفى هضيبة حيث تمسى *

(٤) المشقص من النصال : ما طال وعرض وقد جاء هذا البيت فى الديوان هكذا :

يقطع بالمعـابل حالبيها * وقــد بلت مشيمتها الثيابا

والمعابل : المشاقص .

قال : ثم من؟ قلت : جَفْنة الهِزّانِىّ بن جعفر بن عَبَايَةَ بن شَكْس من عَنَزة . قال : ومالكَ وله ؟ قال : أَقْبَـلَ سائلًا حتى أتانى وأنا أَمْدُر[(١)] حوضًا لى ، فقال : ياجَرير ، قُمْ إلىّ هاهنا ؛ قلت نعم . ثم أتيتُه فقلتُ : ما حاجتُك ؟ قال : مدحتُك فآستمِعْ منّى . قلتُ : أَنْشِـدْنى فأَنْشَد ؛ فقلتُ : قـد والله أحسنتَ وأجملتَ ؛ فما حاجتُك؟ قال : تكْسُونى الحُلّةَ التى كَسَاكَها الوليدُ بن عبد الملك العامَ . فقلت : إنّى لم أَقِفْ فيهـا بالموسم ، ولا بدّ من أن أقِفَ فيها العامَ ، ولكنّى أَكْسُوك حلّة خيرًا منهـا كان كَسَانيها الوليدُ عامًّا أوّلَ . فقال : ما أَقْبَـلُ غيرَها بعينها . فقلت : بَلَى ، فآقبَلْ وأَزِيدُك معها دنانيرَ نفقةً . فقال : ما أفعل ؛ ومضَى فأتى المَرّارَ بنَ مُنْقِذ أحَدَ بنى العَدَوِيّة ، فحمَله على ناقة له يقال لها القَصْواءُ . فقال جَفْنة :

لَعَمْـرُكَ لَلْمَـرّارُ يومَ لَقِيتُـهُ * على الشَّحْطِ خيرٌ من جريرٍ وأَكْرَمُ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

لقـد بَعثتْ هِزّانُ جَفْنةَ مائرًا * فآبَ وأَحْذَى[(٢)] قومَـه شَرَّ مَغْنَمِ

فيا راكبَ القَصْواءِ ما أنت قائلٌ * لهِزّانَ إذ أَسْـلَمْتَها شَرَّ مُسْـلَمِ

أظنُّ عِجَانَ[(٣)] التَّيْسِ هِزّانَ طالبًا * عُلَالةَ[(٤)] سَـبّاقِ الأَضاميمِ مِرْجَمِ

كأنّ بنى هِزّانَ حينَ رَدَيتُهُــم * وِبَارٌ[(٥)] تَضاغَتْ تحتَ غارٍ مهدَّمِ

بَنِى عَبْدِ عمرٍو قد فَرَغْتُ اليكمُ * وقد طالَ زَجْرِى لو نَهَاكُمْ تقدُّمِى

(١) المدر : تطيينك وجه الحوض بالطين المتماسك لئلا يخرج منه الماء . (٢) كذا فى أ ، ء ، م وديوانه . وأحذاه : أعطاه مما أصاب . وفى سائر الأصول : «أجدى» بالجيم . (٣) كذا فى ديوانه . والعجان : الدبر . وفى الأصول : «نحاف التيس» ولا معنى لها . (٤) العلالة : الجرى بعد الجرى . والأضاميم : الجماعات ، واحده إضمامة . والمرجم : الشديد . (٥) الوبار : مفرده وبر ، وهى دويبة على قدر السنور طحلاء اللون لا ذنب لها تقيم فى البيوت . وتضاغت : صوّتت .

وَرَضْعَاءَ هِزَّانِيَّةٍ قد تَحَفَّشَتْ(١) * على مِثْلِ حِرْباءِ الفَلَاةِ المعمَّمِ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : المَرَّارُ بن مُنْقِذ . قال : مالكَ وله ؟ قلتُ : أعان علىّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

بَنِى مُنْقِذٍ لا صُلْحَ حتى تَضُمَّكُمْ * من الحربِ صَمَّاءُ القَنَاةِ زَبُونُ(٢)

وحتى تَذُوقوا كأسَ مَنْ كان قبلَكم * ويَسْلَحَ(٣) منكم فى الحِبَالِ قَرِينُ

٥ فإن كنتمُ كَلْبَى(٤) فعندى شفاؤكم * وللجنِّ إن كان اعتراكَ جنونُ

قال : ثم مَنْ؟ قلتُ : حَكِيم بن مُعَيَّةَ من بنى رَبيعةَ بنِ مالك بن زيد مَنَاةَ بن تَميم . قال : ومالك وله ؟ قلتُ : بلغنى أنه أعان علىّ غَسَّانَ السَّلِيطىّ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

١٠ إذا طلَعَ الرُّكْبَانُ نَجْدًا وغَوَّرُوا * بها فَارْجُزَا(٥) يَابْنَىْ مُعَيَّةَ أو دَعَا

أتَسْمَنُ أسْتَاهُ الحِجْرِ(٦) وقد رأوْا * مَجَرًّا بوَعْسَاوَىْ(٧) رُمَاحَ مصرَّعَا

ألا إنَّما كانت غَضُوبُ(٨) مُحَامِياً * غداةَ اللِّوَى لم تَدْفَعِ الضَّيْمَ مَدْفَعَا

(١) هذا البيت ساقط فى الأصول عدا ب ، س . ورواية الديوان :

ورصعاء هزانيـــة يخلق ابنها * لئيما اذا ما ماص فى اللحم والدم

١٥ نليفلة جلد الكاذتين تحفشت * على مثل حرباء الفلاة المعمـــم

الرصعاء : الزلاء التى لا عجيزة لها . وماص : اغتسل . والكاذتان : ما نتأ من اللحم فى أعالى الفخذين . وتحفشت المرأة على زوجها : أقامت عليه ولزمته وأكبت عليه . (٢) حرب زبون : يدفع بعضها بعضا من الكثرة . (٣) فى جـ : «و يصبح» . (٤) الكلبى : الذين أصابهم مرض الكلب ، جمع كلب (بفتح فكسر) . (٥) كذا فى الديوان ، وهو الصواب ؛ لأن حكيم بن معية والمرار بن

٢٠ حكيم بن معية كانا راجزين وهما اللذان يمنيهما جرير . وفى الأصـــول : « فازجرا » وهو تصحيف . (٦) بنو الحجر : من بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة . (٧) الوعساء : الأرض اللينة ذات الرمل . وفى ديوانه : «ببلاوى رماح» . والبلاء : الأرض ذات الحجارة البيض ليست بسود ولا حمر . ورماح : موضع بالدهناء . وقد ورد فى الأصـــول : « رماح ومصرعا » بزيادة الواو وهو تحريف . (٨) غضوب : امرأة من بنى الحجر كانت شاعرة بذية ، قتلها بنو طهية فى هجاء لها هجتهم به .

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ [ثَوْرُ(١) بن] الأَشْهَب بن رُمَيلة النَّهْشَلِيّ . قال : ومالكَ وله ؟ قلتُ : أعان علىّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

سيَخْزَى إذا ضَمَّتْ حَلَائبُ(٢) مالكٍ * ثُوَيرٌ(٣) ويَخْزَى عاصِمٌ وجَمِيعُ(٤)
وقَبْلَكَ ما أَعْيَا الرُّماةَ اذا رَمَوْا * صَفًا ليس فى قاراتِهِنّ(٥) صُدُوعُ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الدَّهْمَسُ أحدُ بنى رَبيعةَ بنِ مالك بن زيد مَنَاة . قال : مالكَ وله ؟ قلتُ : أعان علىّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

لقد نَفَخَتْ منكَ الوَرِيدَيْنِ عِلْجَةٌ(٦) * خَبِيثةُ ريحِ المَنْكِبَيْنِ(٧) قَبُوعُ
ولو أَنْجَبَتْ أُمُّ الدَّهْمَسِ لم يَعِبْ(٨) * فَوَارِسَنا(٩) لا عاشَ وهو جَمِيعُ
أليس ابنَ حَمْراءِ العِجَانِ كأنّما * ثلاثةُ غِرْبانٍ عليه وُقُوعُ
فلا تُدْنِيَا رَحْلَ(١٠) الدَّهْمَسِ إنه * بَصِيرٌ بما يأتى اللئامُ سَمِيعُ(١١)
هو النَّخْبَةُ(١٢) الخَوّارُ ما دونَ قلبِه * حِجَابٌ ولا حولَ الحِجابِ ضُلوعُ

قال : ثم مررتُ على مجلس لهم فاعتذرتُ اليهم فلم يقبلوا عذرى ، وأنشدونى شعرا لم يُخْبِرونى من قاله :

(١) التكملة عن ديوانه . (٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « اذا ضمت جلابيب مالك » وهو تحريف . ومالك هو مالك بن ربعى بن سلمى بن جندل بن نهشل . (٣) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « نوير » بالنون وهو تصحيف . (٤) عاصم وجميع : رجلان من بنى عامر . (٥) القارة : الصخرة العظيمة . وفى ديوانه : «عاديهنّ» . (٦) كذا فى ديوانه وأكثر الأصول . وفى ب ، س : « لقد نفخت منك الوريد ابن عجلة » . وهو تحريف .
(٧) فى ديوانه : « المنخرين » . يريد أن يصفها بأنها راعية . والقبوع : التى تقبع السقاء وهو أن تثنى رأس السقاء الى داخله ثم تشده فيكون أحفظ لما فيه . (٨) كذا فى أ ، ء ، م وديوانه . وفى سائر الأصول : «لم تعب» وهو تصحيف . (٩) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «لامات» . (١٠) كذا فى أ ، ء وديوانه . وفى سائر الأصول : «رجل» بالجيم وهو تصحيف . (١١) يريد أنه محكم فى اللؤم . (١٢) النخبة : الجبان .

غضِبتَ علينا أن عَلاكَ ابنُ غالبٍ (١) * فهلّا على جَدّيْك فى ذاكَ تغضَبُ

هُمَا إذْ عَلَا بالمرءِ مَسْعاةُ قومِه * أنَاخَا فشَدّاك العِقالُ المؤرَّبُ (٢)

قال : فعلمتُ أنه شِعرُ قَبْضة الكلب (٣) . قال : فجمعتُهم فى شعرى فقلت :

[و] (٤) أكثرُ ما كانت رَبيعةُ أنها * خِباءانِ (٥) شتّى لا أنِيسٌ ولا قَفْرُ

٥ مُحالِفُهم فقرٌ شديدٌ وذِلّةٌ * وبئس الحليفانِ المَذَلّةُ والفقرُ

فصبرًا على ذُلِّ رَبيعَ بنَ مالكٍ * وكلُّ ذليلٍ خيرُ عادتِه الصبرُ

قال : ثم مَنْ؟ قلتُ : هُبيرةُ بن الصَّلْتِ الرَّبَعىّ من رَبيعةَ بنِ مالكٍ أيضا، كان (٤٨/٧)

يَرْوِى شعرَ الفرزدق . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

يَمْشِى هُبيرةُ بعد مَقْتَل شَيْخه * مَشْىَ المُراسِلِ (٦) أُوذِنَتْ بطَلاقِ

١٠ ماذا أردتَ إلىَّ حينَ تحرّقتْ * نارِى وشُمِّرَ مِئْزَرِى عن ساقِ

إنّ القِرافَ (٧) بمَنْخَرَيْكَ لَبيِّنٌ * وسوادُ وجهِك يابنَ أُمِّ عِفاقِ (٨)

---

(١) ابن غالب : الفرزدق . (٢) المؤرب : المحكم . (٣) فى أ ، ء ، م : « قضية الكلب » بالياء المثناة من تحت . (٤) التكملة عن ديوانه (ص ٦٢) . وهذه الأبيات من قصيدة مطلعها :

١٥ طربت وهاج الشوق منزلة قفر * تراوحها عصر خلا دونه عصر

(٥) كذا فى حـ وديوانه . وفى سائر الأصول : « حيان » وهو تحريف .

(٦) المراسل : التى أحست من زوجها أنه يريد تطليقها فهى تزين لآخر، وهى أيضا التى مات عنها زوجها . يقول : هو لا يطلب بثأره وإنما همته التصنع كالمطلقة التى تخطب فهى تتهيأ وتتزين . فلو كان حرّا لأنصبه طلب ثأره . أو المراسل : التى طلقت مرات فقد اعتادت الطلاق لا تباليه . يقول : فهبيرة قد اعتاد

٢٠ أن يقتل له قتيل ولا يطلب بثأره فأصبح لا يبالى ذلك ، مثل المراسل التى اعتادت الطلاق فلا تباليه .

(٧) يريد قرفة أنفه أى قشرته وهى المخاط اليابس الذى يلزق بالأنف، ومنه الحديث : « ما على أحدكم اذا أتى المسجد أن يخرج قرفة أنفه » أى ينقى أنفه . (٨) عفاق : اسم رجل، ولعله أخو هبيرة بن الصلت هذا .

سِيرُوا فرُبَّ مُسَبِّحِينَ وقائلٍ * هـذا شَقًا[1] لبَنِى رَبِيعةَ باقِى
أبَنِى رَبِيعةَ قد أخَسَّ بحَظِّكُمْ[2] * لؤمُ الجُدودِ ودِقَّةُ الأخلاقِ

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: عِلْقَةُ[3] والسَّرَنْدَى من بنى الرِّبَاب كانا يُعينان آبنَ لجأ. قال: فما قلتَ لهما؟ قال قلتُ:

عَضَّ السَّرَنْدَى على تثليم ناجذه * من أمّ عِلْقَةَ بَظْرًا غَمَّه[4] الشَّعَرُ
وعَضَّ عِلْقَةُ لا يألُو بعُرْعُرةٍ[5] * من بَظْرِ أمّ السَّرَنْدَى وهو منتصرُ

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: الطُّهَوِىّ، كان يَرْوِى شعر الفرزدق. قال: ما قلتَ له؟ قال قلتُ:

أتَنْسَوْنَ وَهْبًا يا بنى زَبَدِ آسْتِها * وقد كنتمُ جِيرانَ وَهْبِ بنِ أبْجَرا[6]
فما تتَّقُون الشَّرَّ حتّى يُصيبَكم * ولا تَعْرِفون الأمرَ إلا تدبُّرَا
ألا رُبَّ أعشَى ظالمٍ متخمِّطٍ[7] * جعلتُ لعينيه جِلاءً[8] فأبْصرَا

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: عُقْبةُ بن السُّنَيْعِ[9] الطُّهَوِىّ وكان نذَر دَمِى. قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

يا عُقْبُ يآبنَ سُنَيْعٍ ليس عندكُمُ * مأوَى الرِّفاقِ ولا ذو الرايةِ الغادِى[10]

(١) كذا فى ديوانه. والشقا يمد ويقصر. وفى الأصول: «شفا» بالفاء وهو تصحيف.
(٢) الدقة: الخسة. ورواية الديوان: «... إنما أزرى بكم * نكد الجدود ...».
(٣) كذا فى ديوانه ونسخة الأستاذ الشنقيطى. وفى الأصول: «علفة». بالفاء وهو تصحيف.
(٤) غمه: غطاه. وفى ب، س: «عمه» بالعين المهملة. (٥) العرعرة: رأس كل شىء وأعلاه.
(٦) هو وهب بن أبجر بن جابر العجلى، وكان خرج مع يزيد بن المهلب، فلما هزم آل المهلب لحق بأخواله بنى طهية؛ فبعث مسلمة بن عبد الملك قيرا المازنى فأخذ وهبا فقتله. وفى ديوانه: «أتنعون وهبا...».
(٧) المتخمط: المتكبر الشديد الغضب والجلبة. (٨) الجلاء: الكحل. (٩) كذا فى ديوانه وشرح القاموس مادة «سنع». وفى الأصول: «السميع» وهو تحريف. (١٠) كذا فى أكثر الأصول وديوانه. وفى ب، س: «العادى» بالعين المهملة.

يا عُقْبَ يا بْنَ سُنَيْعٍ بعضَ قولِكُمُ * إن الوِثابَ لكم عندى بمِرْصادِ

ما ظَنُّكم ببَنِى مَيْثَاءَ إن فَزِعُوا * ليلًا وشَدّ عليهم حَيّةُ الوادى

يَغْـدُو علىّ أبو لَيْلَى ليقتلَنى [1] * جَهْلًا علىّ ولم يَثْأر بشَدّاد !

اِرْوُوا [2] علىّ وأَرْضُوا بى صديقَكُمُ * وٱستسمِعُوا يا بَنِى مَيْثاءَ إنشادى

٥ مَيْثاءُ هى بنت زُهَير بن شَدّاد الطُّهَوِىّ وهى أم عَوْف بن أبى سُود بن مالك ٱبن حَنْظلة .

وقال أيضا لبنى مَيْثاء :

نُبِّئْتُ عُقْبةَ خَصّافًا [3] تَوَعّدَنِى * يا رُبَّ آدَرَ من مَيْثاءَ مأْفُونِ

أو فى طُهَيّةَ أحلامٌ لما ٱعترضُوا * دونَ الذى كنتُ أَرْمِيه ويَرْمِينى

١٠ قال : ثم مَنْ؟ قلت : سُحْمةُ [4] الأَعْوَرُ النَّبْهانِىّ، كانت له ٱمرأة من طيّئ وُلِدتْ فى بَنِى سَلِيط فأعطَوْه وحَمَلُوه علىّ . فسألنى فٱشْتَطَّ، ولم يكن عندى لِحُرْمته، فقال :

أقولُ لأصحابى النَّجاءَ فإنه * كَفَى الذّمَ أن يأتى الضيوفَ جَرِيرُ [5]

جَرِيرُ ٱبنَ ذاتِ البَظْرِ هل أنت زائلٌ * لِقِدْرِك [6] دون النازلين سُتُورُ

(١) هو شدّاد الميثاوى، كان يتحدّث الى امرأة من بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة، فألقاه أهلها

١٥ فى بئر . (٢) كذا فى ديوانه . وفى ب، س : « ردوا » . وفى أ، ى : « أردوا » . وفى ج : « أرزوا » وهو تحريف . ولعله يريد : ارووا شعر الفرزدق فى هجائى وأرضوه بذلك .

(٣) الخصاف : الكذاب . والآدر : الذى أصابه فتق فى إحدى خصيتيه . (٤) كذا فى اللسان وشرح القاموس (مادة « قرن ») وهو أحد الأقوال فى اسم الأعور النبهانى . قال ابن الكلبى : اسمه سحمة بن نعيم بن الأخنس بن هوذة، وقال أبو عبيدة فى النقائض : يقال له العناب واسمه سحيم بن شريك .

٢٠ (٥) قد وردت هذه القصيدة هكذا فى الأصول . والروىّ فيها مرفوع؛ على أنه يلاحظ أن البيت الأوّل والثانى منها يجب فيهما نصب الروى؛ فأما البيت الأوّل فذلك فيه ظاهر . وأما الثانى فإن زال يتعدّى، يقال : زال الشىء يزوله ويزيله أى نحاه . يريد هل أنت كاشف ستور قدرك لمن ينزل بك ويفد عليك ؟

(٦) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : « لقد زل » وهو تحريف .

وهل يُكْرِمُ الأضيافَ كلبٌ لكلبةٍ[1] * لها عند أَطْنابِ البيوت هَرِيرُ
فلو عندَ غَسّانَ السَّلِيطِىِّ عَرَّسَتْ[2] * رَغَا قَرَنٌ[3] منها وكَاسٌ عَقِيرُ
فَتًى هو خيرٌ منكَ نفسًا ووالدًا * عليكَ اذا كان الجِوار يُجِيرُ

فقالَ[4] جرير :

وَجَدْنا بَنِى نَبْهانَ أذنابَ طَيِّئٍ * وللناسِ أذنابٌ تُرَى وصُدُورُ
تَغَنَّى[5] ٱبْنُ نَبْهانيَّةٍ طَالَ بَظْرُها * وباعُ ٱبنِها عند الهِياج قَصِيرُ
وأَعْوَرَ من نَبْهانَ أمّا نَهارُه * فأَعْمَى وأمّا ليلُه فبَصِيرُ[6]
ستأتى بَنِى نَبْهانَ مِنِّى قصائدٌ * تَطَالَعُ[7] من سَلْمَى[8] وهنّ وُعُورُ
تَرَى قَزَمَ المِعْزَى مُهُورَ نسائهم * وفى قَزَمِ المِعْزَى لهنّ مُهُورُ[9]

قال : وطلع الصبحُ فنهَض ونهَضتُ . قال : فأخبرنى من كان قاعدا معه أنه قال : قاتله الله أعرابيًّا ! إنه لِحرْوٌ هِراش .

---

(١) روايته فى النقائض : « وأنت كليبى لكلب وكلبة » . شبهه فى قلة خيره بالكلب .

(٢) الضمير فى عرست يفهم من البيت السابق لهذا البيت ، وهو كما فى اللسان والنقائض :

أقول لها أمى سليطا بأرضها * فبئس مناخ النازلين جرير

(٣) كذا فى اللسان وشرح القاموس (مادة «قرن») والنقائض . والقرن : البعير المقرون بآخر . وكاس عقير ، يريد أنه عقر له بعير فقام على ثلاث . يقول : لو نزلت بغسان لأعطانى جملا يرغو وعقر لى آخر . وقد ورد هذا الشطر فى ب ، س « لعاقرن منها وهى كأس عقير» . وفى سائر الأصول : « لها قرن منها وكاس عقير» وهما تحريف . (٤) المناسب لسياق القصة «فقلت» . (٥) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «تعنى» بالعين المهملة . (٦) هذا البيت ورد فى ج وسقط من سائر النسخ . يريد أنه أعمى النهار عن الخيرات بصير الليل بالسوءات يسرق ويزنى . (٧) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « تطلع » . (٨) سلمى : اسم جبل لطيئ ، وهو لبنى نبهان خاصة . ووعور : خشنة غلاظ ، يعنى القصائد . (٩) القزم : الصغار العليلة واحدتها قزمة . وروى « ترى شرط المعزى » ، وشرط المال : أخسه وشراره . يقول : ليس تبلغ أقدارهم أن تمهر نساؤهم الابل إنما يمهرن خسيس المعزى .

قصته مع الراعي وابنه جندل

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّرى عن الرِّياشي عن الأصمعيّ قال وذكر المُغيرة بن حَجْناء قال حدّثني أبي عن أبيه قال :

كان راعي الإبل[1] يَقْضِي للفرزدق على جرير ويفضّله ، وكان راعي الإبل قد ضخُم أمرُه وكان من شعراء الناس . فلما أكثر من ذلك خرج جرير الى رجال من قومه فقال : هَلّا تَعْجَبون لهـذا الرجل الذى يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومَه وأنا أمدحهم ! قال جرير : فضربتُ[2] رأيي فيه . ثم خرج جرير ذاتَ يوم يمشي ولم يركب دابّتَه ، وقال : والله ما يسرّني أن يعلم[3] أحد . وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائهما حَلْقةٌ بأعلى المِرْبَد بالبصرة يجلسون فيها . قال : فخرجتُ أتعرّض له لألقاه من حِيالٍ حيثُ كنت أراه يمرّ اذا انصرف من مجلسه ، وما يسرّني أن يعلم أحد ، حتى اذا هو قد مرّ على بغلة له وابنُه جَنْدَلٌ يَسير وراءه على مُهْرٍ له أَحْوَى[4] محذوفِ الذَّنَب وإنسانٌ يمشي معه يسأله عن بعض السَّبَب ، فلما استقبلتُه قلتُ : مَرْحبًا بك يا أبا جَنْدل! وضربتُ بشِمالي على مَعْرَفة بغلته ، ثم قلت : يا أبا جَنْدل! إن قولك يُستمع وإنك تُفضِّـل الفرزدقَ عليّ تفضيلا قبيحا وأنا أمدح قومَك وهو يهجوهم وهو ابن عمي ، ويَكْفِيكَ من ذاك هيِّنٌ[5] : إذا ذُكِرنا أن تقول كلاهما شاعرٌ كريم ، ولا تحتملُ مني ولا منـه لائمةً . قال : فبَيْنا أنا وهو كذاكَ واقفًا عليّ وما ردّ عليّ بذلك شيئا حتى

(١) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل ، ويكنى أبا جندل ، والراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه الابل وجودة نعته إياها ، وهو شاعر فحل من شعراء الاسلام ، وكان مقدّما مفضلا حتى اعترض بين جرير والفرزدق . (انظر ترجمته في الأغاني ج ٢٠ ص ١٦٨ طبع بلاق) . (٢) في ح : «فصوّبت» . (٣) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « أن أعلم أحدا » . (٤) الأحوى : الذي يضرب إلى السواد من شدّة خضرته . والحذف : قطف الشيء من الطرف ، يقال : حذف شعره وذنب فرسه إذا قطع طرفه . (٥) هذه الكلمة « هين » ساقطة من ب ، س .

لَحِقَ ٱبنُهُ جَنْدَلٌ، فرفع كَرْمانيَّةً[1] معه فضرب بها عَجُزَ بغلتِه ثم قال : لا أَرَاكَ واقفًا على كلبٍ من بنى كُلَيب كأنك تخشَى منه شرًّا أو ترجو منه خيرا ! وضرب البغلةَ ضربةً، فرَمَحتْنِى رَمْحةً[2] وقعتْ منها قَلَنْسُوَتى، فواللهِ لو يعرِّج علىّ الراعى لقلتُ سَفِيهٌ غَوَى — يعْنى جَنْدَلًا ٱبنَه — ولكن لا واللهِ ما عاج علىّ، فأخذتُ قَلَنْسُوَتى فمسحتُها ثم أَعَدْتُها على رأسى ثم قلتُ :

أَجَنْــدَلُ ما تقول بنو نُمَــيْرٍ * إذا ما الأَيْرُ فى ٱستِ أبيك غابَا

٥

فسمعتُ الرّاعىَ قال لٱبنه : أَمَا واللهِ لقــد طرحتَ قَلَنْسُوَتَه طَرْحةً مشئومة . قال جريرٌ : ولا واللهِ ما القلنسوةُ بأَغْيظ أ مره الىّ لو كان عاجَ علىّ . فانصرف جرير غضبانَ حتى اذا صلَّى العشاءَ بمنزله فى عِلِّيَّةٍ[3] له قال : ارفَعوا إلىّ باطِيةً من نبيذ وأَسْرِجُوا لى ، فأَسْرَجُوا له وأتَوْه بباطيةٍ من نبيذ . قال : فجعَل يُهَمْهِمُ[4]، فسمعتْ صوتَه عجوزٌ فى الدار فٱطَّلَعَتْ فى الدَّرَجة حتى نظرتْ اليه، فاذا هو يَحْبُو على الفراش عُرْيانًا لما هو فيه، فٱنحدرتْ فقالت : ضيفُكم مجنون ! رأيت منه كذا وكذا ! فقالوا لها : اذهبى لِطِيَّتِكِ، نحن أعلم به وبما يُمَارِس . فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ، ثم إذا هو يكبِّر قد قالها ثمانين بيتا فى بنى نُمَيْر . فلما ختمها بقوله :

١٠

٥٠/٧

فغُضَّ الطَّــرْفَ إنّكَ من نُمَــيرٍ * فــلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلَابَا

١٥

كَبَّر ثم قال : أَخْزَيْتُــه وربِّ الكَعْبة . ثم أَصْبح ، حتى اذا عرَف أن الناس قد جلسوا فى مجالسهم بالمِرْبَد، وكان يعرِف مجلسَه ومجلسَ الفرزْدَق، دعا بدُهْنٍ

(١) كذا فى الأصول والأغانى (ج ٢٠ ص ١٦٩ طبع بلاق) فى ترجمة الراعى . وظاهر أنها ضرب من السياط . وقد جاءت هذه القصة فى النقائض (ص ٤٣١) وفيها : «فأقبل يشتد به فرسه حتى يهوى بالسوط لمؤخر بغلة أبيه .. الخ» . (٢) فى النقائض : «فزحمتنى والله زحمة وقعت منها على كفى فى الأرض» .

٢٠

(٣) العلية : الغرفة . (٤) فى جـ : « يهينم » . والهمهمة والهينمة : الصوت الخفىّ .

فآدَّهَنَ وكَفَّ[1] رأسه، وكان حسنَ الشَّعر، ثم قال: ياغلام، أَسْرِجْ لى، فأَسْرَجَ له حِصانا، ثم قصد مجلسَهم، حتى إذا كان بمَوْضِع[2] السلام قال: يا غلامُ — ولم يسلِّم — قل لعَبِيد: أبعَثك نِسْوَتُك تكسِبهنّ المالَ بالعراق! أما والذى نفسُ جريرٍ بيده لترْجِعَنّ اليهنّ بمَيْرٍ يَسُوءهن ولا يَسُرّهنّ! ثم آندفع فيها فأنشدها. قال: فنكَس الفرزدقُ وراعى الإبلِ وأَرَمّ[3] القومُ، حتى اذا فرَغ منها سار،[4] وثبَت راعى الإبلِ ساعةً ثم ركب بغلتَه بشَرٍّ وعُرٍّ وخَلّى المجلسَ حتى ترقَّى إلى منزله[5] الذى ينزله، ثم قال لأصحابه: رِكابَكم رِكابَكم، فليس لكم هاهنا مُقَام، فضَحكم والله جرير! فقال له بعض القوم: ذاك شؤمُك وشؤمُ ابنك. قال: فما كان إلا ترحُّلُهم. قال فسِرْنا الى أهلنا سيرًا ما ساره أحد، وهُمْ بالشُّرَيْف وهو أعلى دارِ بنى نُمَير. فيحلفُ بالله راعى الإبل إنّا وجَدْنا فى أهلنا:

* فغُضّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ *

وأقْسَم بالله ما بلَّغه إنْسِىٌّ قطّ، وإنّ لجريرٍ لأشياعًا من الجنّ. فتشاءمتْ به بنو نُمَير وسَبُّوه وآبنَه، فهم يتشاءمون به الى الآن.

قال قصيدته فى هجو الراعى عند رجل من أنصاره

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلِىّ عن أبيه قال حدّثنى مَوْلًى لبنى كُلَيب بن يَرْبوع كان يبيع الرُّطَبَ بالبصرة أُنْسِيتُ آسمَه قال:

---

(١) كف شعره: جمعه وضم أطرافه. (٢) كذا فيما سيأتى فى الأغانى (ج ٢٠ ص ١٧٠) طبع بلاق. وفى الأصول هنا: «موقع السلام». (٣) كذا فى حـ. وأرمّ القوم: سكتوا. وفى سائر الأصول: «أزم» بالزاى وهو تصحيف. (٤) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «... سار وثبت راعى الابل ساعتئذ فركب بغلته ... الخ». (٥) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «حتى أتى إلى المنزل الذى ينزله».

كنت أجمع شعر جرير وأشتهى أن أحفظه وأرويه . فجاءنى ليلةً فقال : إن راعىَ الإبلِ النُّميرىَّ قد هجانى ، وإنّى آتيك الليلةَ فأعِدَّ لى شِواءً رَشْراشًا(١) ونبيذًا مُخْفِسًا(٢) ؛ فأعددتُ له ذلك . فلما أعْتَمَ جاءنى فقال : هَلُمَّ عَشاءَك ، فأتيتُه به ، فأكل ثم قال : هَلُمَّ نبيذَك ، فأتيتُه به ، فشرب أقداحا ثم قال : هات دَواةً وكَتِفًا(٣) ؛ فأتيتُه بهما ، فجعل يُمْلِي علىّ قولَه :

أَقِلِّى اللَّومَ عَاذِلَ والعتابَا * وقُولِى إن أَصَبْتُ لقد أصابَا

حتى بلَغ الى قوله :

* فغُضِّ الطَّرْفَ إنكَ من نُمَيرٍ *

فجعَل يردّده ولا يَزيد عليه حتى حَمَلَتْنِى عينِى ، فضربتُ بذَقَنِى صَدْرِى نائمًا ، فاذا به قد وثَب حتى أصاب السَّقْفَ رأسُه وكبَّر ثم صاح : أخزيتُه والله ! اُكتُبْ :

* فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلاَبَا *

غَضَضْتُه(٤) وقدّمتُ إخوتَه عليه ! والله لا يُفْلِح بعدها [أبدا] . فكان والله كما قال ما أفلح هو ولا نُمَيْرِىٌّ بعدها .

أنشد الفرزدق أشطار شعر له وأخبر بتواليها

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غَسّانَ دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال : أقْبل راكبٌ من اليَمامة ؛ فمرّ بالفرزدق وهو جالس فى المِرْبَد ، فقال له : من أين أقبلتَ ؟ قال : من اليمامة . فقال : هل رأيت آبنَ المَرَاغة ؟ قال نعمْ . قال : فأىَّ شىءٍ أَحْدث بعدى ؟ فأنشده :

* هاجَ الهوى لفؤادك المُهْتاجِ *

(١) شواء رشراش : خضل ندٍ يقطر دسما . (٢) كذا فى ج . والمخفس : السريع الإسكار . وفى سائر الأصول : « محفشا » وهو تصحيف . (٣) كانوا يكتبون فى عظم الكتف لقلة القراطيس عندهم . (٤) فى ب ، س : « غصصته » بالصاد .

فقال الفرزدق :

* فانظُـر بتُوضِحَ[1] باكِرَ الأَحْداجِ *

فأنشده الرجل :

* هذا هوًى شغفَ الفؤادَ مبرِّحُ *

٥١ / ٧

٥ فقال الفرزدق :

* ونَوًى تَقاذَفُ غيرُ ذاتِ خِلاجِ[2] *

فأنشده الرجل :

* إن الغراب بمـا كرِهتَ لمُولَعُ *

فقال الفرزدق :

١٠ * بِنَوَى الأحبَّـةِ دائمُ التَّشْحاجِ[3] *

فقال الرجل : هكذا واللهِ ، قال أفسمعتَها من غيرى ؟ قال : لا ! ولكن هكذا ينبغى أن يقال ؛ أو ما علمت أن شـيطاننا واحد ! ثم قال : أَمَدَح بهـا الحَجّاجَ ؟ قال نعمْ . قال : إياه أراد .

أجاب الفـرزدق فى الحج جـوابا حسـنا

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا محمـد بن إسحاق بن عبد الرحمن قال

١٥ حدّثنى إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلىّ قال حدّثنى أبو عُبَيدة قال :

اِلتقَى جريرٌ والفرزدقُ بمِنًى وهما حاجّانِ ؛ فقال الفرزدقُ لجرير :

فإنك لاقٍ بالمنازل من مِنًى * فَخَارًا فخبِّرْنِى بمن أنت فاخرُ

---

(١) توضح : كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة . والأحداج : مراكب النساء .

(٢) غير ذات خلاج أى نوى مقطوع بها لا يخالج فيها الشك والريب . يقال : خلجه وخالجه فى الأمر

٢٠ شىء اذا شك فيه . وفى لسان العرب : « ونوى خلوج بينة الخلاج : مشكوك فيها » ثم استشهد بهـذا البيت . (٣) تشحاج الغراب : صـوته .

فقال له جريرٌ : بَلَبَّيْكَ(١) اللهم لبيك . قال إسحاق : فكان أصحابُنا يستحسنون هذا الجوابَ من جرير ويَعْجَبون(٢) منه .

هجا التيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم

أخبرنى أبو خَليفةَ عن محمد بن سَلّام ، وأخبرنى وَكِيعٌ عن محمد بن إسماعيل [عن آبن سَلّام](٣) قال حدّثنا أبو الخطّاب عن أبيه عن حَجْناء بن جَرير قال :

قلت لأبى : يا أَبتِ ، ما هجوتَ قوما قطُّ إلّا أفسدتَهم سِوَى التَّيْم . فقال : إنّى لم أجد حَسَبًا أَضَعُه ، ولا بِناء أهدِمُه .

حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء

قال ابن سَلّام أخبرنى أبو قيس(٤) عن عِكْرِمةَ بن جَرير قال : قلت لأبى : يا أَبَتِ ، من أشعرُ الناس ؟ فقال : أَلجاهليةَ تريد أم الإسلامَ ؟ قلتُ : أخبِرْنى عن الجاهلية . قال : شاعرُ الجاهلية زُهَير . قلت : فالإسلام ؟ قال : نَبْعة الشعر الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد صفة الملوك ويُصيب نَعْتَ الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : دَعْنِي فإنى نَحَرْتُ(٥) الشعرَ نَحْرا .

سمعه الفرزدق ينشد بائيته فتوقع فيها نصف بيت فيه هجوله فكان كما ظن

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى الحَسَن بن عُلَيل قال حدّثنى محمد بن عبدالله العَبْدِىّ عن عُمَارة بن عُقَيل عن جدّه قال :

وقف الفرزدقُ على أبى بِمِرْبَد البصرة وهو يُنشد قصيدته التى هجا بها الراعى ؛ فلما بلَغ الى قوله :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ * فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلابا

أقبل الفرزدقُ على راويته فقال : غَضَّه(٦) والله فلا يُجيبه أبدًا ولا يُفلِح بعدها . فلما بلَغ الى قوله :

---

(١) فى جـ : «لبيك اللهم لبيك» . (٢) فى جـ : «ويعجبون به» . (٣) زيادة عن جـ .
(٤) كذا فى ابن سلام وهو أبو قيس العنبرى ، قال عنه ابن سلام : ولم أر بدويا يزيد عليه . وفى أكثر الأصول : «أبو الدقيش» . وفى جـ : «أبو الدطمس» وكلاهما تحريف . (٥) فى ب ، س : «بحرت الشعر بحرا» . (٦) فى ب ، س : «غصه» بالصاد المهملة .

* بها بَرَصٌ بجانب إسكَتيها[1] *

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغطّى عَنْفقتَه[2]، فقال أبى :

* كعَنْفَقَةِ الفرزدقِ حين شابَا *

فانصرف الفــرزدقُ وهو يقول : اللهــم أَخْزِه ! والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غيرَ هذا، ولكن طَمِعتُ ألّا يأبَهَ فغطّيتُ وجْهى ، فما أغنانى ذلك شيئا . قال العَنَزىّ حدّثنى مسعود بن بِشْرعن أبى عُبَيــدة قال قال يونُس : ما أُرَى جَرِيرًا قال هــذا المِصْراعَ إلا حينَ غطّى الفرزدقُ عَنْفقتَه ، فإنه نبّهه عليــه بتغطيته إيّاها .

سئل الفرزدق عمن يجاريه فى الشعر فلم يعترف إلا به

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المَدائنىّ عن أبى بَكْر الهُذَلىّ قال :

قال رجل من بنى دارِم للفرزدق وهو بالبصرة : يا أبا فِرَاس ، هل تعلم اليوم أحدًا يَرْمِى معك؟ فقال: لا ! والله ماأعرف نابحا إلا وقد آستكان ولا ناهشا إلا وقد آنجحر إلا القائلَ :

فإنْ لم أجِدْ فى القُرْبِ والبعدِ حاجتى * تَشَأّمتُ أوحَوّلتُ وجهى يمانيَــا

فــرُدّى جِمَــالَ الحىِّ ثم تَحمّــلى * فمالَكِ فيهــم مِن مُقامٍ ولا لِيَا

فإنّى لمغــرورٌ أعلّل بالمُــنَى * ليــالىَ أرجــو أنّ مالَكِ ماليــا

وقائلةٍ والدمــعُ يَحْــدُرُ كُحْلَهــا * أبعــدَ جرير تُكرِمون المَواليا

بأىِّ نِجَادٍ تحمِــل السيفَ بعــد ما * قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا

بأىِّ ســنانٍ تطعُنُ القَرْمَ[3] بعدما * نَزَعْتَ ســنانًا من قَنَاتِك ماضــيا

(١) الإسكتان : جانبا الفرج . (٢) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

(٣) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «القوم» بالواو .

لسانى وسيفى صارمانِ كلاهما * وللسَّيْفُ أشْوى[1] وَقْعةً من لسانيا

قال: وهذا الشعر لجرير.

وفد على يزيد بن معاوية وأخذ جائزته

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يَزِيد عن عُمارةَ بنِ عُقَيل عن أبيه قال:

قال جرير: وفدتُ الى يزيدَ بنِ معاوية وأنا شابٌّ [يومئذ][2]، فٱستُؤذن لى عليه فى جملة الشعراء، فخرج الحاجب إلىّ وقال: يقول لك أمير المؤمنين: إنه لا يَصِلُ إلينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشىء من شعره، وما سمعنا لك بشىء فنأذنَ لك على بَصيرة. فقلت له: تقولُ لأمير المؤمنين: أنا القائل:

وإنّى لَعَفُّ الفقر مُشْتَرَكُ الغِنَى * سريعٌ إذا لم أرضَ دارى انتقاليا

جرىءُ الجَنَانِ لا أُهاب مِن الردَى * إذا ما جعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنَانيا

وليس لسيفى فى العظـامِ بَقِيّـةٌ * ولَلسَّيْفُ أَشْوَى وقعـةً من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبياتَ، ثم خرج إلىّ وأَذِن لى، فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزةَ مع الشعراء، فكانت أوّلَ جائزة أخذتُها من خليفة، وقال لى: لقد فارق أبى الدنيا وما يظنّ أبياتَك التى توسَّلْتَ بها إلىّ إلّا لى.

موازنة حماد الراوية بينه وبين الفرزدق

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثَم بنِ عَدِىّ عن حَمّادٍ الراوية قال:

أتيتُ الفـرزدق فأنشـدنى، ثم قال لى: هل أتيتَ الكلبَ جريرًا؟ قلت نعم. قال: فأنا أشـعر أو هو؟ فقلت: أنت فى بعض الأمر وهو فى بعض.

---

(١) يقال: رماه فأشواه اذا أصاب شواه ولم يصب مقتله. والشوى: الأطراف.

(٢) زيادة عن ح.

فقال : لِمَ تُناصِحُني . فقلت : هو أشعرُ إذا أرْخى من خِناقه ، وأنت أشعر منه إذا خِفْتَ أو رجوتَ . فقال : وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشرّ ! .

حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ عن يحيى بن عَنْبسة القُرَشيّ وعَوانةَ بنِ الحَكَم :

أنّ جريرا والفرزدق آجتمعا عند بِشْر بن مَرْوان ، فقال لهما بشر : إنكما قد تقارضتُما الأشعارَ وتطالبتُما الآثارَ وتقاولتُما الفخرَ وتهاجيتُما . فأمّا الهجاء فليست بي إليه حاجة ، فجدِّدا بين يَدَيّ فخرًا ودَعَاني مما مضى . فقال الفرزدق :

نحن السَّنَامُ والمَنَاسِمُ غيرُنا[1] * فمَنْ ذا يُساوِي بالسَّنامِ المناسِمَا !

فقال جرير :

على موضع الأَسْتاهِ أنتم زعمتُمُ * وكلُّ سَنامٍ تابعٌ للغَلاصِمِ[2]

فقال الفرزدق :

على مَحْرِثٍ[3] للفَرْث أنتم زعمتُمُ * ألا إنّ فوق الغَلْصَمات الجماجِمَا

فقال جرير :

وأنبأتُمونا أنكم هامُ قومِكم * ولا هامَ إلا تابعٌ للخَراطِمِ

فقال الفرزدق :

فنحن الزِّمامُ القائدُ المقتدَى به * من الناس، ما زلنا ولسنا لهَازِمَا[4]

فقال جرير :

فنحن بَنِي زيد قطعنا زِمامَها * فتاهت كسارٍ طائشِ الرأسِ عارِمِ[5]

---

(١) المنسم : طرف خف البعير . (٢) الغلصمة : رأس الحلقوم . (٣) في ب ، س : «محرض» وهو تحريف . (٤) اللهازم : جمع لهزمة . واللهزمتان هما ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدين . يريد أنه من الذين يقودون الناس لا ممن يقادون . (٥) العرام : الشدة والقوة والشراسة .

فقال بشر : غلبتَـه يا جريرُ بقطعِك الزِّمام وذَهابِك بالناقة . وأحسن الجـائزةَ لها وفضّل جريرًا .

جرير وسكينة بنت الحسين

قال المدائنىّ وحدّثنى عَوَانة بن الحَكَم قال :

جاء جرير الى باب سُكَيْنة بنت الحسين عليـه السلام يسـتأذن عليها فلم تأذن له ، وخرجت إليه جاريةٌ لهـا فقالت : تقول لك سيِّدتى : أنت القائل : ٥

طَرَقتْكَ صائدةُ القلوب وليس ذا * حينَ الزيارةِ فآرْجِعِى بسـلامِ

قال نعم . قالت : فألّا أخذتَ بيـدها فرحّبْتَ بهـا وأدنيتَ مجلسَها وقلتَ لهـا ما يقال لمثلها! أنت عفيفٌ وفيك ضعف ، فخذ هذين الألفى الدرهم فآلحَقْ بأهلك .

تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق

قال المدائنىّ فى خبره هذا وحدّثنى أبو يعقوب الثَّقفىّ عن الشَّعْبِىّ : أنّ الفرزدق خرج حاجًّا ، فلما قضى حجَّه عدَل الى المدينة فدخل الى سُكينة بنتِ الحسين عليهما السلام فسلَّم . فقالت له : يافرزدق ، مَنْ أشعر الناس؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ! أشعرُ منك الذى يقول : ١٠

بنفسِى مَنْ تَجنُّبُه عزيزٌ * علىّ ومَنْ زيارتُه لِمَـامُ
ومَنْ أمسِى وأُصبِح لا أَراه * ويَطْـرُقُنِى إذا هجَع النِّيـامُ

فقال : والله لو أذنتِ لى لأسمعتُكِ أحسنَ منه . قالت : أقيموه فأُخرج . ثم عاد إليها من الغـد فدخل عليها ؛ فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ! صاحبُك جرير أشعرُ منك حيث يقول : ١٥

لولا الحيـاءُ لعادنى آسـتعبارُ * ولَزُرْتُ قـبرَكِ والحبيبُ يُزَارُ
كانت إذا هجَر الضَّجيعُ فراشَها (١) * كُتِمَ الحديثُ وعَفَّت الأسرارُ

(١) الضجيع : الحليل ، وهجره ها هنا أن يغيب عنها فيهجر فراشها ، فأما اذا أقربت فهى أكرم عليه من أن يهجر فراشها . وكتم الحديث أى لاتحدث أحدا بريبة . والسر هو النكاح ، ومنه قوله تعالى : (ولكن لا تواعدوهن سرًّا) . يصفها بأن ليس عندها إلا العفاف . (عن النقائض) . ٢٠

لا يَلْبَثُ القُرَنَاءُ أنْ يتفرّقوا * ليـلٌ يَكُرّ عليهمُ ونهـارُ

فقال : والله لئن أذنتِ لي لأسمعنّك أحسنَ منـه ، فأمرتْ به فأُخرج . ثم عاد إليها في اليوم الثـالث وحَوْلَها مولَّداتٌ لهـا كأنهنّ التمـاثيل ؛ فنظر الفرزدق الى واحدة منهنّ فأُعْجِب بهـا وبُهِت ينظُر إليها . فقالت له سُكَينة : يا فرزدق ، مَنْ

٥ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ! صاحبُك أشعر منك حيث يقول :

إنّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ * قتلْنَنـا ثم لم يُحْيِينَ قتـلانا

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لاحَرَاكَ به * وهنّ أضعفُ خَلْقِ الله أركانا

أَتْبَعتُهـم مُقْـلةً إنسانُها غَرِقٌ * هل ما تَرَى تاركٌ للعين إنسـانا

٥٤ / ٧

فقال : والله لئن تركتِني لأسمعنّك أحسنَ منـه ؛ فأمرت بإخراجه . فالتفت

١٠ إليها وقال : يا بنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إنّ لي عليكِ حقًّا عظيما . [قالت : وما هو؟ قال :] ضربتُ إليكِ [آباطَ الإبلِ] (١) من مكةَ إرادةَ التسليم عليكِ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطَرْدِي وتفضيلَ جريرٍ عليّ ومنعَك إيّاي أن أُنْشِدَكِ شيئا من شعري ، وبي ما قد عِيلَ منه صبري ، وهـذه المَنايا تَغْدُو وتَرُوح ، ولعلّي لا أفارق المدينـةَ حتى أموت ؛ فإذا أنا مِتُّ فمُرِي بي أن أُدْرَج في كَفَني وأُدْفَنَ

١٥ في حِرِ هـذه (يَعْنِي الجاريةَ التي أعجبتْه) . فضحكتْ سكينة وأمرتْ له بالجارية ، فخرج بهـا آخذًا بِرَيْطَتِها (٢) ، وأمرتْ الجواريَ فدَفَعْنَ في أَقْفِيتهما ، ونادتْه . يا فرزدقُ آحتفظ بها وأحْسِن صحبتَها فإني آثرتُك بها على نفسي .

حضـر أعرابي مائدة عبد الملك بن مروان ووصف له طعاما أشهى من طعامه ثم سأله عن أحسن الشعر فأجاب من شعر جـرير

قال المَدائنيّ في خبره هذا وحدّثني أبو عِمْرانَ بنُ عبد الملك بن عُمَيرٍ عن أبيه ، وحدّثنيه عَوانَةُ أيضا قالا :

٢٠ (١) زيادة عن جـ . (٢) الريطة : الملاءة .

صنع عبدُ الملك بن مروان طعاما فأكْثر وأَطاب ودعا إليـه الناسَ فأكلوا . فقال بعضهم : ما أطيبَ هذا الطعامَ ! ما نَرى أن أحدا رأى أكثرَ منه ولا أكل أطيبَ منه . فقال أعرابىّ من ناحيـة القوم : أمّا أكثرُ فلا ، وأمّا أطيبُ فقـد والله أكلتُ أطيبَ منـه ، فطفِقوا[1] يضحكون من قوله . فأشار اليه عبـد الملك فأُدْنِىَ منه ، فقال : ما أنت بمُحِقٍّ فيما تقول إلّا أن تُخْبِرنى بما يَبِينُ به صدقُك . فقال : نعمْ يا أميرَ المؤمنين ، بيْنَا أنا بهجر[2] فى بَرْثٍ[3] أحمر فى أَقْصَى حَجْرٍ[4] ، إذ تُوُفِّىَ أبى وترك كَلًّا[5] وعيالًا ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلةٌ لم ينظُر الناظرون الى مثلها ، كأن تمرها أَخْفافُ الرِّبَاع[6] لم يُرَتمرٌ قطُّ أغلظُ ولا أصلبُ ولا أصغرُ نَوًى ولا أَحْلَى حلاوةً منه[7] . وكانت تَطْرُقها أَتَانٌ وَحْشيّةٌ قـد أَلِفتْها تأوِى الليلَ تحتها ، فكانت تُثْبت رجليهـا فى أصلها وترفع يديها وتَعْطُو[8] بِفِيها فلا تترك فيها إلا النَّبِيذَ[9] والمتفرِّقَ ، فأعظمَنى ذلك ووقع منِّى كلَّ موقـع ، فانطلقتُ بقوسى وأسهُمى وأنا أظنّ أنّى أرجع من ساعتى ، فمكثتُ يومًا وليلةً لا أَراها ، حتى اذا كان السَّحَرُ أقبلتْ ، فتهيأتُ لها فرشَقْتُها فأصبتُها وأَجْهزتُ عليها ، ثم عمَدْتُ الى سُرَّتها فاقْتَدَدْتُها[10] ، ثم عمَدْتُ الى حطب جَزْل فجمعته الى رَضْفٍ[11] وعمَدْت الى زَنْدِى فقدَحْتُ وأضرمتُ النارَ فى ذلك الحطب ، وألقيتُ

(١) فى الأصول : «وطفقوا» . (٢) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر . (٣) كذا فى البخلاء طبع أوربا ص ٢٤٣ ، والبرث : الأرض اللينة السهلة ، ومنه فى الحديث : «بين الزيتون الى كذا برث أحمر» . وفى الأصول : «ترب أحمر» وهو تصحيف . (٤) فى أقصى حجر أى فى أبعد ناحية . وفى البخلاء : «فى طلوع القمر» . (٥) الكل : الثقل والعيال ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء ، وربما جمع على الكلول فى الرجال والنساء . (٦) الرباع : جمع ربع (كمضر) وهو الفصيل ينتج فى الربيع وهو أوّل النتاج ، والذى ينتج فى آخر النتاج يسمى هبع (بضم ففتح) . (٧) فى الأصول : «منها» . (٨) تعطو : تتناول . (٩) كذا فى أ ، ء ، م . والنبيذ : المنبوذ . وفى سائر الأصول : «النبـذ» والنبذ : الشىء القليل اليسير . (١٠) كذا فى ج . واقتدّ الشىء : قطعه . وفى سائر الأصول : «فافترتها» وهو تحريف . (١١) الرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .

سُرَّتِها فيه، وأدركنى نومُ الشَّبَاب(١) فلم يُوقِظْنِى إلّا حَرُّ الشمس فى ظهرى ؛ فانطلقتُ اليها فكشفتُها وألقيتُ ما عليها من قَذًى وسواد ورَماد، ثم قلبتُ [منها](٢) مِثْلَ المُلَاءة البَيْضاء، فألقيتُ عليها من رُطَبِ تلك النخلةِ المُجَزِّعَةِ(٣) والمُنَصِّفةِ، فسمعتُ لها أَطِيطًا(٤) كتَدَاعِى عامرٍ وغَطَفَانَ، ثم أقبلتُ أتنـاول الشَّحْمة واللحمة فأضعُها بين التمرتين وأَهْوِى الى فَمِى، فما أحلِف إنّى(٥) ما أكلتُ طعامًا مثلَه قَطُّ. فقال له عبد الملك : لقد أكلتَ طعاما طيِّبا، فمن أنت ؟ قال : أنا رجل جانبتُنِى عَنْعنةُ تَمِيم(٦) وأَسَدٍ وكَشْكَشةُ(٧) رَبِيعةَ وحُوشِىُّ(٨) أهلِ اليمن وإن كنتُ منهم. فقال : من أيِّهم أنت ؟ قال : من أخوالك من عُذْرَةَ. قال : أولئك فصحاءُ الناس؛ فهل لك علمٌ بالشعر؟ قال: سَلْنِى عمّا بدالكَ يا أمير المؤمنين. قال : أىُّ بيتٍ قالته العربُ أَمدح ؟ قال: قولُ جرير :

ألستم خيرَ مَنْ رَكِب المَطايا * وأَنْدَى العالمين بطونَ راحِ

قال : وكان جرير فى القوم، فرفع رأسَـه وتَطَاول لهـا. ثم قال : فأىُّ بيتٍ قالته العربُ أَفخر ؟ قال : قولُ جرير :

إذا غضِبتْ عليـك بنو تميم * حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

(١) كذا فى جـ والبخلاء. وفى سائر الأصول : « السبات ». (٢) زيادة عن جـ.

(٣) جزع البسر : بلغ الإرطاب نصفه، وقيل: بلغ الإرطاب من أسفله الى نصفه وقيل : الى ثلثيه وقيل : بلغ بعضه من غير أن يحدّ. واختلف فى المجزعة أهى بفتح الزاى أم بكسرها. ونصف البسر: أرطب نصفه.

(٤) أطيط كل شىء : صوته. وعامر وغطفان : قبيلتان. (٥) فى ب، س : « فما أحلف ... الخ». وفى جـ : « فما أحلف أكلت ... الخ » أى فأحلف ما أكلت. فوقع فعل القسم معترضا بين «ما» النافية ومنفيها. (٦) عنعنة تميم : إبدالهم العين من الهمزة فيقولون « عنّ » يريدون «أن». (٧) كذا فى جـ. والكشكشة لغة ربيعة، يجعلون الشين مكان الكاف وذلك فى المؤنث خاصة فيقولون : عليش مكان عليك. وفى سائر الأصول : « كسكسة ربيعة » وهو تصحيف لأن الكسكسة لغة هوازن. (انظر اللسان مادة كسس وكشش). (٨) الحوشىّ من الكلام : الغامض.

قال : فتحرّك [لها جرير](١) . ثم قال له : فأىّ بيتٍ أهْجَى ؟ قال : قولُ جرير :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ * فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلَابَا

قال : فآستَشْرَف لها جريرٌ . قال : فأىّ بيتٍ أغْزَل ؟ قال : قول جرير :

إن العيون التى فى طَرْفِها مَرَضٌ * قَتَلْنَنا ثم لم يُحْيِين قتـــلانا

قال : فآهتزّ جريرٌ وطرِب . ثم قال له : فأىّ بيتٍ قالته العرب أحسنُ تشبيهًـا ؟ ٥
قال : قولُ جرير :

سَرَى نحوَهم ليـــلٌ كأنّ نجومَه * قَنَاديلُ فيهنّ الذُّبَالُ(٢) المفتَّـــلُ

فقال جرير : جائزتى للعُذْرِىّ يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلُها من بيت المـال ، ولك جائزتك يا جرير لا تُنْتَقَصُ منها شيئا . وكانت جائزةُ جرير أربعةَ آلاف درهم وتوابعَها من الحُمْلان والكُسْوة . فخرج العُذْرِىّ وفى يده اليمنى ثمـانيةُ ١٠ آلاف درهم وفى اليسرى رِزْمةُ ثياب .

* تفضيل عبيدة ابن هلال لجرير على الفرزدق

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المَدائنىّ عن أبى عبد الرحمن(٣) عن عبدالله بن عَيّاش الهَمْدانىّ قال :

بَيْنَا المهلَّبُ ذاتَ يوم [أوليلةٍ(٤)] بفارس وهو يقاتل الأَزَارِقة إذ سمع فى عسكره جَلَبَةً وصياحًا ؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا : جماعةٌ من العرب تحاكموا اليكَ فى شىء ، ١٥ فأَذِن لهم فقالوا : إنّا آختلفنا فى جرير والفرزدق ؛ فكلّ فريقٍ منّا يزعُم أنّ أحدهما أشعرُ من الآخر ، وقد رَضِينا بحكم الأمير . فقال : كأنكم أردتم [أنْ(٤)] تُعرِّضُونى

(١) زيادة يقتضيها سياق الكلام . (٢) الذبالة : الفتيلة التى توضع فى القنديل يوضع فيه الزيت ليستضاء به . (٣) أبو عبدالرحمن كنية الهيثم بن عدى ، وقد تقدّم مرارا أنه يروى عن عبدالله ابن عياش الهمدانى ، وقد صححنا هذا السند بناء على ذلك . وفى أكثر الأصول : «عن أبى عبد الرحمن ٢٠ ابن عبد الله بن عباس الهذلى» . وفى ب ، سـ مثل ذلك ، غير أن فيهما «الهمدانى» بدل «الهذلى» وكلاهما تحريف . (٤) زيادة عن حـ .

لهذين الكلبين فيمزّقا جِلْدتى ! لا أحكمُ بينهما ، ولكنّى أدلُّكم على من يَهُون عليه سِبالُ[1] جرير وسِبالُ الفرزدق ، عليكم بالأزارقة ، فانهم قومٌ عربٌ يَبْصُرون بالشعر[2] ويقولون فيه بالحق . فلما كان الغدُ خرج عُبيدةُ بن هِلال اليَشْكُرِىّ ودعا الى المبارزة ، فخرج اليه زجل من عسكر المهلَّب كان لقَطَرِىٍّ صديقًا ، فقال له : ياعُبيدة ، سألتُك الله إلّا أخبرتَنى عن شىء أسألُك عنه . قال : سَلْ . قال : أوَ تُخْبِرُنى ؟ قال : نعم إن كنتُ أعلمه . قال : أجريرٌ أشعرُ أم الفرزدقُ ؟ قال : قبحك الله ! أتركتَ القرآنَ والفقه وسألتَنى عن الشعر ! قال : إنا تشاجرْنا فى ذلك ورَضينا بك . فقال من الذى يقول :

وطَوَى الطِّرَادُ[3] مع القِيَادِ بطونَها * طَىَّ التِّجَارِ بحضْرَمَوْتَ بُرُودَا

فقال : جرير . قال : هذا أشعرُ الرجلين .

لم ينزع فى شعره إلى الغزل ولا الى الرجز

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّيَاشِىّ عن العُتْبِىّ قال :

قال جرير : ما عشِقتُ قطُّ ، ولو عشِقت لنَسَبْتُ نَسيبًا تَسْمَعه العجوز فتبكى على ما فاتها من شبابها ، وإنى لأرى من الرَّجَزِ أمثالَ آثارِ الخيلِ فى الثَّرَى ، ولولا أنّى أخاف أن يَسْتفرِغَنِى[4] لأكثرتُ منه .

جرير فى ضيافة عبد العزيز بن الوليد

أخبرنى حَبيب بن نصر المهلَّبى وعمّى قالا حدّثنا ابن الأعرابىّ قال حدّثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بَيْهَس بن صُهَيب الجَرْمىّ [عن عامر بن شِبْل الجَرْمىّ][5] قال :

(١) السبال : الشوارب . وفى ب ، سـ : «سؤال» وهو تحريف . (٢) فى الأصول : « يبصرون الشعر » والأفصح تعديته بالباء . (٣) كذا فى حـ هنا وجميع الأصول فيما تقدّم . وفى سائر الأصول هنا : «وطوى الطراد بطونهن كأنها» . (٤) كذا فى حـ . وهو محرّف فى سائر النسخ . (٥) ما بين هاتين القوسين ساقط من ب ، سـ .

قدم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازلٌ بدَيْرِ مُرّانَ[١]، فكنّا نغدو اليه بَكَرًا[٢]، فيخرج الينا ويجلس فى بُرْنُس خَزٍّ له لا يكلّمنا كلمةً حتى يجيء طَبّاخ عبد العزيز إليه بقَدَحٍ من طِلاءٍ مسخّن يَفُور، وبكُتْلةٍ من سمن كأنها هامةُ رجل فيَخُوضها فيه، ثم يدفعه اليه فيأتى عليه، ويُقْبِل علينا ويحدّثنا فى كل فنّ، ويُنشدنا لنفسه ولغيره، حتى يحضرَ غَداء عبد العزيز فنقومَ اليه جميعا. وكان يختِم مجلسه بالتسبيح فيُطيل. فقال له رجل: ما يُغْنِي عنك هذا التسبيحُ مع قَذْفك للمُحْصَنات! فتبسّم وقال: يٱبنَ أخى (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) إنهم والله يٱبنَ أخى يَبْدَءُونِى ثم لا أَحْلُم.

٥٦
٧

وفد رجل من قبيلة الفرزدق على امرأة من بنى حنيفة فأسمعته هجو جرير لهم، وقصة عشقها لابن عم لها

أخبرنى عمّى قال حدّثنا ٱبن أبى سَعْد قال حدّثنى إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن موسى قال حدّثنى الأَخْفش[٣] عن أبى مَحْذُورةَ الورّاق عن أبى مالكٍ الراوية قال سمعت الفرزدق يقول، وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى إبراهيم بن محمد الطائفىّ قال حدّثنى محمد بن مَسْعدةَ[٤] الأَخْفش عن أبى مَحْذُورةَ الورّاق عن أبى مالك الراوية قال:

سمعتُ الفرزدق يقول: أَبَقَ غلامانِ لرجلٍ منا يقال له إلخضرُ، فحدّثنى قال: خرجتُ فى طلبهما وأنا على ناقةٍ لى عَيْساءَ[٥] كَوْماءَ أريد اليمامةَ؛ فلما صِرْتُ فى ماءٍ لبنى حَنِيفةَ يقال له الصَّرْصَرانُ ٱرتفعتْ سحابةٌ فرعَدتْ وبرقتْ وأَرْخَتْ عَزَالِيَها[٦]؛

١٥

(١) دير مرّان: قرب دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة، وبناؤه بالجص وأكثر فرشه بالبلاط الملون. (انظر معجم البلدان لياقوت فى الكلام عليه). (٢) البكر (بالتحريك): البكرة. (٣) ورد هذا الاسم هكذا فى جميع الأصول. (٤) الأخافش كثيرون وليس منهم من له هذا الاسم، غير أن أحدهم يسمى سعيد بن مسعدة. (٥) العيساء من النوق: التى يضرب لونها إلى الأدمة، وقيل: هى التى يخالط بياضها شىء من الشقرة. وكوماء: عظيمة السنام طويلته. (٦) العزالى: جمع عزلاء، والعزلاء فى الأصل: مصب الماء من الراوية والقربة. شبه اتساع المطر واندفاقه بالذى يخرج من فم المزادة.

٢٠

فعَدَلْتُ الى بعض ديارهم وسألتُ القِرَى فأجابوا ؛ فدخلتُ دارًا لهم وأَنَخْتُ النـاقةَ وجلستُ تحت ظُلَّةٍ لهم من جَريد النخل، وفى الدار جُوَيريةٌ لهم سَوْداءُ، إذ دخلتْ جاريةٌ كأنها سَبِيكةُ فضة وكأن عينيها كوكبان دُرِّيّان؛ فسألتِ الجارية : لِمَن هذه العَيْسَاءُ؟ (تَعْنِى ناقتى) فقالت : لضيفِكم هذا . فعَدَلتْ إلىّ فقالت : السلام عليكم، فرددتُ عليها السلام . فقالت لى : ممّن الرجل؟ فقلت : من بنى حَنْظَلةَ . فقالت : من أيِّهـم ؟ فقلت : من بنى نَهْشَـل . فتبسَّمَتْ وقالت : أنت إذًا ممّن عناه الفرزدقُ بقوله :

إن الذى سمَك السماءَ بَنى لنـا * بيتًـا دعائمُـه أعزُّ وأطولُ
بيتًا بناه لنـا المليـكُ وما بَنَى * مَلِكُ السـماءِ فإنه لا يُنْقَـلُ
بيتًـا زُرارةُ مُحْتَبٍ بفِنـائه * ومُجَاشعٌ وأبو الفَوَارسِ نَهْشَـلُ

قال : فقلت نعم جُعِلتُ فِداكِ ! وأَعْجبنى ما سمعتُ منها . فضحكتْ وقالت : فإن ابنَ الخَطَفَى قد هدَم عليكم بيتَكم هذا الذى فخَرتم به حيث يقول :

أَخْزَى الذى رفَع السماءَ مُجَاشعًا * وبَنَى بِناءَك[1] بالحَضِيض الأسفلِ
بيتًـا يُحَمِّمُ[2] قَيْنُكم بفِنـائه * دَنِسًا مَقَاعِدُه خبيثَ المَـدْخَلِ

قال : فوجَمْتُ . فلما رأتْ ذلك فى وجهى قالت : لا عليـكَ ؛ فان الناس يُقال فيهم ويقولون . ثم قالت : أين تَؤُمُّ؟ قلت : اليمامةَ . فتنفَّسَتِ الصُّعَداءَ ثم قالت : هاهى تلك أمامَك؛ ثم أنشأت تقول :

تُذَكِّرُنى بلادًا خيرُ أهـلِى * بهـا أهلُ المروءة والكَرامهْ

(١) فى أكثر الأصول : «وبنى بناء» والتصويب عن حـ والنقائض ص ٤١٣ . (٢) يحمم : يسخن . والقين : الحداد؛ يشير الى أن مجاشعا قبيلة الفرزدق كانت قيونا لعبد كان لصعصعة بن ناجية بن عقال يسمى جبيرا فنسب جرير غالبا أبا الفرزدق الى القين ولذلك يقول جرير :

وجدنا جبـيرا أبا غالب * بعيـد القرابة من معبد
أتجعل ذا الكير من دارم * وأين سهيـل من الفرقد

أَلَا فَسقَى الإلهُ أَجَشّ صَوْبًا * يَسُحُّ بِدَرِّه بلدَ اليمَامهْ
وحَيَّا بالسلام أبا نُجَيد * فأهلٌ للتحيّة والسلامهْ

٥٧/٧ قال : فأَنِسْتُ بها وقلتُ لها : أذاتُ خِدْنٍ أم ذاتُ بَعْلٍ ؟ فأنشأتْ تقول :

إذا رقَد النِّيامُ فإن عمرًا * تؤرِّقه الهمومُ الى الصباحِ
تُقطِّع قلبَه الذِّكْرَى وقلبى * فلا هو بالخَلِيّ ولا بِصَاحِ
سَقَى اللهُ اليمامةَ دار قوم * بها عمرٌو يحِنُّ الى الرَّواحِ

فقلتُ لها : من عمرو هذا ؟ فأنشأتْ تقول :

سألتَ ولو علمتَ كفَفْتَ عنه * ومن لكَ بالجواب سوَى الخبيرِ
فإن تَكُ ذا قَبولٍ إن عَمْرًا * هو القَمَرُ المُضِىءُ المستنيرُ(1)
ومالى بالتبعُّلِ مُسْتَراحٌ * ولو رَدّ التبعُّلُ لى أسيرى

قال : ثم سكتتْ سكتةً كأنها تَسَمَّعُ(2) إلى كلام، ثم تهافتتْ(3) وأنشأتْ تقول :

يُخيَّل لى هَيَا عمرُو بنَ كَعْبٍ * كأنك قد حُمِلْتَ على سريرِ
يَسيرُ بك الهُوَيْنَى القومُ لما * رَماك الحبُّ بالعَلَقِ(4) العَسيرِ
فإن تَكُ هكذا يا عَمْرُو إنّى * مُبكِّرةٌ عليك إلى القبورِ

ثم شَهَقتْ شَهْقة فخَرَّتْ ميّتةً . فقلتُ لهم : من هذه ؟ فقالوا : هذه عَقيلةُ بنتُ الضحّاك بن عمرو بن مُحَرِّق بن النُّعْمان بن المُنْذِر بن ماء السماء . فقلت لهم : فمن عمرٌو هذا ؟ قالوا : ابنُ عمّها عمرو بن كعب بن محرِّق بن النعمان بن المنذر ؛ فارتحلتُ من عندهم . فلما دخلتُ اليمامةَ سألتُ عن عمرو هذا فاذا هو قد دُفن فى ذلك الوقت الذى قالت فيه ما قالت .

(1) فى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروى . (2) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «تستمع الى كلام» . (3) يريد أنها تساقطت من ضعفها وخورها . (4) العلق : الهوى يكون للرجل فى المرأة .

قصته مع عمر ابن عبد العزيز حين وفد عليه

أخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا محمد بن الحَكَم، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو الهَيْثم بدر بن سَعيد العَطّار قال حدّثنا عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز قال:

لمّا استُخْلِف عمرُ بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يَصِلُون اليه؛ فجاء عَوْن بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود وعليه عِمامةٌ قد أَرْخَى طَرَفيْها فدخل؛ فصاح به جرير:

يأيُّها القارئُ المُرْخِى عِمامتَه * هذا زمانُك إنّى قد مضَى زَمنِى[1]

أبلِغ خليفتَنا إن كنتَ لاقيَه * أنّى لَدَى البابِ كالمَصْفودِ فى قَرَنِ

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. وقد كان هيأ له شِعْراً، فلما دخل عليه غيّره وقال:

إنا لنرجو إذا ما الغيثُ أَخْلَفَنَا * من الخليفةِ ما نرجو من المطرِ

نال الخلافةَ إذ كانت له قَدَرًا * كما أَتَى ربَّه موسى على قَدَرِ

أأذكر الجَهْدَ والبَلْوَى التى نزلتْ * أم تَكْتفِى بالذى بُلِّغْتَ من خَبَرِى

ما زِلْتُ بعدكَ فى دارٍ تَعَرَّقُنِى[2] * قد طال بعدك إصعادى ومُنحدَرِى

لا ينفَع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنا * ولا يجود لنا بادٍ على حَضَرِ

كم بالمواسم من شَعْثاءَ أَرْمَلةٍ * ومن يَتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصرِ

يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنّ به * خَبْلًا من الجِنّ أو مَسًّا من النُّشَرِ[3]

ممّن يَعُدُّك تَكْفِى فَقْدَ والدِه * كالفَرْخ فى العُشّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرِ

(١) فى ديوان جرير المخطوط: «يأيها الرجل». (٢) أصل معنى التعرّق أخذ ما على العظم من اللحم نهشا بالأسنان. يريد أنها تفقره ولا تدع له شيئا. (٣) كذا فى ديوانه. وفى الأصول: «من البشر» بالباء، وهو تصحيف. والنشر: جمع نشرة وهى رقية يعالج بها المجنون والمريض.

قال : فبكى عمرُ ثم قال : يابنَ الخَطَفَى ، أمِنْ أبناءِ المهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم، أم من أبناءِ الأنصار فيَجبَ لكَ مايجبُ لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمرَ صاحبَ صدقاتِ قومِك فيَصِلَكَ بمثل مايَصِلُ به قومَك؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء ، وإنى لمن أكثر قومى مالاً ، وأحسنِهم حالا ، ولكنّى أسألك ما عَوَّدَتْنِيهِ الخلفاءُ: أربعةَ آلافِ درهم وما يَتْبعها من كُسْوةٍ وحُمْلانٍ . فقال له عمر : كلُّ آمرئٍ يَلْقَى فعلَه، وأمّا أنا فما أَرَى لك فى مال الله حقّا، ولكن انتظرْ، يَخْرُجُ عَطائى، فأَنظُرُ مايكْفِى عيالى سنةً منه فأَدّخِرُه لهم، ثم إن فضَل فَضْلٌ صرفناه إليك. فقال جرير : لا، بل يوفِّر أميرُ المؤمنين ويُحْمَد وأخرُج راضيًا ؛ قال : فذلك أحبُّ إلىّ ؛ فخرج. فلما ولَّى قال عمر: إن شرّ هذا ليُتَّقَى؛ رُدّوه إلىّ، فردّوه. فقال: إن عندى أربعين دينارًا وخِلْعتين إذا غُسِلتْ إحداهما لبِستُ الأخرى، وأنا مُقاسِمُك ذلك ، على أن الله جَلّ وعزّ يعلم أن عمر أَحْوجُ الى ذلك منك . فقال له : قد وَفّرك الله يا أمير المؤمنين وأنا والله راض . قال : أمّا وقد حلَفْتَ فإن ما وَفّرْتَه علىّ ولم تضيِّق به معيشتَنا آثرُ فى نفسى من المدح، فامْضِ مُصَاحَبا؛ فخرج. فقال له أصحابه وفيهم الفرزدقُ : ما صَنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرَةَ ؟ قال : خرجت من عند رجل يقرِّب الفقراءَ ويُبَاعِد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ؛ ثم وضع رِجْلَه فى غَرْزِ راحلته وأتى قومَه . فقالوا له : ما صنع بك أميرُ المؤمنين أبا حَزْرة ؟ فقال :

تركتُ لكم بالشأم حَبْلَ جماعةٍ * أمينَ القُوَى مُسْتَحْصِدَ[1] العَقْدِ باقيَا

وجدتُ رُقَى الشيطانِ لاتستفِزُّه * وقد كان شيطانى من الجنّ راقيَا

هذه رواية عمر بن شَبّة . وأما اليَزِيدىّ فإنه قال فى خبره : فقال له جريرٌ يا أميرَ المؤمنين، فإنّى ابنُ سَبيل . قال : لك ما لأبناء السبيل، زَادُكَ ونفقةٌ تبلّغك

(١) المستحصد : المستحكم .

وتُبَدِّل راحلتَك إن لم تحملك . فألحّ عليه؛ فقالت له بنو أميّة: يا أبا حَزْرَة، مَهْلًا عن أمير المؤمنين، ونحن نُرْضيكَ من أموالنا عنه، فخرج . وجمعتْ له بنو أميّة مالا عظيما؛ فما خرج من عند خليفةٍ بأكثرَ ممّا خرج من عند عمر .

رؤيا أمه وهى حامل به

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبيدة قال :

٥

رأتْ أمُّ جَريرٍ وهى حاملٌ به كأنها ولدتْ حَبْلا من شَعَرٍ أسْود، فلما سقط منها جعَل يَنْزُو فيقع فى عُنُقِ هـذا فيخنُقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ ، فانتبهتْ فَزِعةً فأوّلتِ الرُّؤيا فقيل لها : تلدينَ غلاما شاعرا ذا شَرٍّ وشدّةِ شَكيمة وبلاءٍ على الناس . فلما ولدتْه سمّتْه جَريرًا باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها . قال : والجرير: الحبل .

* قال إنه أشعر الناس لأنه فاخر بأبيه وهو دنىء

١٠

قال إسحاق وقال الأصمعيّ حدّثني بِلال بن جرير — أو حُدِّثتُ عنه — :

أنّ رجلا قال لجرير : من أشعرُ الناس ؟ قال له : قُمْ حتى أعرِّفكَ الجواب؛ فأخذ بيده وجاء به الى أبيه عطيّة وقد أخذ عَنْزا له فاعتقلها وجعل يَمَصّ ضَرْعَها، فصاح به : اخرجْ يا أَبَتِ؛ فخرج شيخٌ دَميمٌ رَثُّ الهيئة وقد سال لبنُ العَنْز على لحيته؛ فقال : ألاتَرَى[(١)] هذا ؟ قال نعم . قال : أوَ تعرفه ؟ قال لا . قال : هذا أبى، أفتدرى لِمَ كان يشرب من ضَرْعِ العَنْز ؟ قلت لا . قال : مَخَافةَ أن يُسمع صوتُ الحَلْب فيُطلبَ منه لبن . ثم قال : أشعرُ الناس مَنْ فاخَر بمِثل هـذا الأبِ ثمانين شاعرًا وقارَعهم به فغلَبهم جميعًا .

١٥

٥٩ / ٧

إخوته

حدّثني عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الله بن محمد ابن موسى مولى بني هاشم قال حدّثني عُمَارة بن عُقَيل عن المُغيرة بن حَجْناء عن أبيه قال :

٢٠

(١) فى حـ : «أترى هذا ؟» .

وُلد جريرٌ لسبعةِ أشهر، فكان الفرزدقُ يعيِّره ذلك[(١)]، وفيه يقول :

* وأنت ٱبنُ صُغْرى لم تَتِمَّ شهورُها *

قال وولَد عطيّــةُ جريرًا — وأمّه أمُّ قَيْس بنتُ مُعَيــد من بنى كُلَيب — وعَمْرًا وأبا الوَرْد . فأمّا أبو الورد فكان يحسُــد جريرا ؛ فذهبتْ لجريرٍ إبلٌ فشَمِتَ به أبو الورد فقال له جريرٌ :

أبا الوَرْدِ أبْقَى اللهُ منهـا بَقِيَّـــةً * كَفَتْ كلَّ لَوّامٍ خَذُولٍ وحاسِد

وأما عمرٌو فكان أكبَر من جرير، وكان يُقارِضُه الشعرَ . فقال له جريرٌ :

وعمرو[(٢)] قــد كرِهتُ عتابَ عمرٍو * وقــد كثُرَ المَعَاتِبُ والذُّنوبُ

وقــد صَدّعتُ صخرةَ مَنْ رماكم * وقـــد يُرْمَى بِىَ الحجَــرُ الصَّليبُ

وقــد قطَع الحــديدَ فلا تُمَــارُوا * فِـــرِنْدٌ لا يُفَـــلّ ولا يَذُوبُ

شعر قاله ليزيد ٱبن معاوية يعاتب به أباه

قال : وأوّل شعر قاله جرير فى زمن معاوية، قاله لابنه :

فــرُدِّى جِمــالَ البَيْنِ ثم تَحَمَّلِى * فمــا لكِ فيهم من مُقَامٍ ولا لِيَــا

لقد قادَنِى الجيرانُ يومًا وقُدْتُهم * وفارقتُ حتّى ما تَصُبُّ[(٣)] جِماليَــا

وإنّى لمغــرورٌ أعلَّلُ بالمُـــنَى * ليالىَ أرجو أن مالكَ ماليــا

بأىّ سِنَانٍ تَطْعُنُ القِرْمَ بعــدما * نَزَعْتَ سِنَانًا من قَنَاتِك ماضِــيَا

بأىّ نِجَادٍ تَحمِل السـيفَ بعــدما * قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيَا

قال : وكان يزيد بن معاوية عاتَب أباه بهــذه الأبيات ونسَبها الى نفســه ؛ لأن جريرًا لم يكن شــعرُه شُهر حينئذ . فقــدِم جرير على يزيد فى خلافتــه فٱستُؤْذِن له

(١) فى الأصول : «يعيره بذلك» والفصيح الكثير تعديه بنفسه حتى أنكر بعضهم تعديه بالباء .
(٢) فى ب، سـ : «أعمرو» . وفى حـ : «وعمرا» . وقبل هذا البيت كما فى ديوانه :

رأيتك ياحكيم علاك شيب * ولكن ما لحلمك لا يثوب

(٣) يقال : صب فى الوادى إذا انحدر .

مع الشعراء ، فأمر يزيدُ ألّا يدخلَ عليه شاعر إلّا من عَرَف شعرَه؛ فقال جرير :
قولوا له : أنا القائل :

فرُدِّى جِمالَ الحىِّ ثم تَحمَّلِى * فما لكِ فيهم من مُقامٍ ولا لَيا

فأمر بإدخاله . فلمّا أنْشده قال يَزيد : لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلّا أنّى
٥ قائلها، وأمَر له بجائزة وكُسْوة .

استعار من أبيه فلا ولما استردّه منه عرّض به

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدِىّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال قال
أبو عُبيدة قال أبو عمرو :

استعار جرير من أبيه فحلًا يُطْرِقه فى إبله ، فلما آستغنَى عنه جاءه أبوه فى بَتٍّ(١)
خَلَقٍ يستردُّه؛ فدفَعه اليه وقال : يا أبتِ، هذا «تُرَدّ الى عطيّة تُعْتَلُ» . يعرِّض بقول
١٠ الفرزدق فيه :

ليس الكرامُ بناحِليكَ أباهمُ * حتى تُرَدّ الى عَطيّة تُعْتَلُ(٢)

اتعاظه بجنازة مرّت عليه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعِىّ قال حدّثنا الرِّيَاشِىّ وعمر بن شَبّة قالا حدّثنا
الأصْمعىّ قال أخبرنا أبو عَمْرو بن العَلَاء قال :

جلس جرير يُملِى على رجل قوله :

١٥ وَدِّعْ أُمامةَ حانَ منكَ رحيلُ * إنّ الوَدَاعَ لمن تحبّ قليلُ

فمرّوا عليه بجنازة ؛ فقطع الإنشادَ وجعل يَبْكِى ، ثم قال : شيّبتْنى هذه الجنازة .
قال أبو عمرو : فقلت له : فعَلَامَ تَقْذِف المُحْصَنات منذ كذا وكذا ! فقال : إنهم
يَبْدءوننِى ثم لا أعْفو .

٦٠/٧

(١) البت : كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، قيل : هو من وبر وصوف . (٢) نحل : أعطى .
٢٠ وتعتل : تساق قسرا . ويقال : تعتل : تقاد بين اثنين . (عن النقائض) .

قيل إنه فضل لمقاومته الفرزدق

أخبرنى عمّى قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبىّ قال حدّثنا عبد الله بن المُعَذّل قال: كان أبى وجماعةٌ من علمائنا يقولون: إنما فُضِّل جريرٌ لمقاومته الفرزدقَ، وأفضل[1] شعرٍ قاله جرير:

* حَىِّ الهِدَمْلَةَ من ذات المَوَاعِيس[2] *

هجا بنى الهجيم لأنهم منعوه الإنشاد فى مسجدهم

٥

أخبرنى أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلّام قال حدّثنا أبو الغرّاف قال: أتى الفرزدقُ مجلسَ بنى الهُجَيم[3] فى مسجدهم فأنشدهم؛ وبلغ ذلك جريرًا فأتاهم من الغد ليُنْشِدَهم كما أَنْشدهم الفرزدق. فقال له شيخ منهم: يا هذا ٱتَّقِ الله! فإنّ هذا المسجد إنما بُنى لذكر الله والصلاة. فقال جرير: أقررتُم للفرزدق ومنعتمونى! وخرج مُغْضَبا وهو يقول:

١٠

إنّ الهُجَيمَ قبيلةٌ ملعونةٌ * حُصُّ[4] اللِّحَى متشابهو الألوانِ

هم يتركون بَنِيهمُ وبناتِهم * صُعْرَ الأنوفِ لريح كلِّ دُخَانِ

لو يَسمعون بأكلةٍ أو شَرْبةٍ * بعُمَانَ أصبح جَمْعُهم بعُمَانِ

قال: وخفّة اللِّحَى فى بنى هُجَيم ظاهرة. وقيل لرجل منهم: ما بالكم يا بنى الهُجَيم حُصَّ اللحى؟ قال: إن الفحل واحد.

حديثه مع عبد الملك أو الوليد ابنه عن الشعراء وعن نفسه

١٥

أخبرنى محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن آدم قال سمعت عُمارةَ بن عُقَيل يحدِّث عن أبيه عن جدّه قال:

(١) فى ب، سـ: «وأقوم شعر». (٢) الهدملة: موضع بعينه، هكذا ذكره ياقوت واستشهد بقول جرير هذا. والمواعيس: موضع، كما جاء فى شرح القاموس. (٣) بنو الهجيم: بطنان من العرب: أحدهما الهجيم بن عمرو بن تميم، والثانى الهجيم بن على بن سود من الأزد.

(٤) حص: جمع أحص وأحص اللحية: قليل شعرها.

٢٠

قال عبدالملك أو الوليد ابنه لجرير: مَنْ أشعر الناس؟ قال فقال: ابنُ العِشْرين[١]. قال: فما رأيك فى ٱبْنَىْ أبى سُلْمَى[٢]؟ قال: كان شعرهما نَيِّرا يا أمير المؤمنين. قال: فما تقول فى ٱمرئ القيس؟ قال: اتّخذ الخبيثُ الشعر نَعْلَين، وأقسم بالله لو أدركته لرفعتُ ذَلَاذِلَه[٣]. قال: فما تقول فى ذى الرُّمّة؟ قال: قَدَر من ظريف الشعر وغريبه وحَسَنِه [على][٤] ما لم يقدر عليه أحد. قال: فما تقول فى الأَخْطَل؟ قال: ما أخرج لسانُ ٱبنِ النَّصرانية ما فى صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول فى الفرزدق؟ قال: فى يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعةٌ من الشعر قد قبَض عليها. قال: فما أُراك أبقيتَ لنفسك شيئا! قال: بلى والله يا أمير المؤمنين! إنّى لَمدينة الشعر التى منها يخرج واليها يعود، نسبتُ فأطربتُ، وهجوتُ فأرديتُ، ومدحتُ فسنَّيتُ[٥]، وأَرْمَلتُ فأَغْزَرت، ورجزتُ[٦] فأَبْحرت؛ فأنا قلت ضروبَ الشعر كلَّها، وكلُّ واحد منهم قال نوعًا منها. قال: صدقتَ.

طلبت جارية له أن يبيعها فعيره الفرزدق ذلك

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا علىّ ابن الصبّاح عن ابن الكلبىّ قال:

كانت لجرير أَمَةٌ وكان بها معجَبا، فاستخفَّتِ المَطْعَم والمَلْبس والغِشْيانَ واستقلّتْ ما عنده، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد، أهلُ خِصْب ونَعْمة، فسامتْه أن يبيعها وأَلَحَّتْ فى ذلك؛ فقال فيها:

---

(١) يعنى به طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك أحد شعراء المعلقات، قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين. قتله عمرو بن هند بيد أبى الربيع بن حوثرة عامله على البحرين. (انظر الشعر والشعراء ص ٩١). (٢) يعنى زهير بن أبى سلمى وابنه كعب بن زهير. (٣) ذلاذل القميص: ما يلى الأرض من أسافله. ولعله يريد أنه كان يلزمه ويخدمه. (٤) الزيادة عن حـ. (٥) كذا فى الأصول. وسنى الشىء: سهله وفتحه، والأحرى بهذه الكلمة أن تكون «فأسنيت». وأسنى: رفع وأعلى. (٦) كذا فى أ، ء، م. وفى ب، س، حـ: «وزجرت» وهو تصحيف.

تكلّفنى معيشةَ آلِ زيدٍ * ومَنْ لى بالمُرَقَّقِ والصِّنابِ (١)

تقول ألَا تَضُمّ كضَمّ زيدٍ * وما ضَمّى وليس معى شَبابى

فقال الفرزدق يعيّره ذلك (٢) :

فإن تُفْرِكْك عِلْجةُ آلِ زيدٍ * ويُعْجِزْك المرقّقُ والصِّنابُ (٣)

فقِدْمًا كان عيشُ أبيك مُرًّا * يَعيشُ بما تعيش به الكلابُ (٤)

٥

٦١ / ٧

قصته مع ذى الرمة عند المهاجر بن عبد الله

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا العباس بن مَيْمون قال حدّثنا التَّوَّزِىّ عن أبى عُبيدة عن أيُّوب بن كُسَيب قال :

دخل جرير على المهاجِر بن عبدالله وهو والى اليَمامة وعنده ذو الرُّمَّة يُنْشِده . فقال المهاجِر بن عبد الله لجرير : كيف تَرَى ؟ قال : لقد قال وما أَنْعَم . فغضب ذو الرُّمَّة ونَهَض وهو يقول :

١٠

* أنا أبو الحارثِ وٱسْمِى غَيْلانْ *

فنَهَض جرير وقال :

إِنّى ٱمرؤٌ خُلِقتُ شَكْسًا أَشْوَسا (٥) * إن تَضْرِسانى تَضْرِسا مُضَرَّسا (٦)

قد لِبِس الدهرَ وأَبْقَى مَلْبَسا * من شاء من نارِ الجَحيم ٱقتَبَسا

قال : فجلَس ذو الرُّمَّة وحاد عنه فلم يُجِبْه .

١٥

(١) المرقق : الأرغفة الواسعة الرقيقة . والصناب : أدم يتخذ من الخردل والزبيب .

(٢) فى الأصول : «بذلك» راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٠ من هذا الجزء . (٣) قد ورد هذا البيت فى حـ هكذا :

فان تعدم معيشة آل زيد * ويعوزك المرقق والصناب

وفى النقائض :

« إن تفركك علجة آل زيد * ويعوزك ... ... الخ »

٢٠

وفركت المرأة زوجها تفركه فركا اذا أبغضته . (٤) فى ب ، س : «كريها لا يعيش به الكلاب» . (٥) وردت هذه الأبيات فى ديوانه المخطوط (صفحة ٢٠٨) باختلاف عما هنا . (٦) الشكس : الصعب الخلق . والأشوس : الذى ينظر بمؤخر عينه تكبرا أو تغيظا والجرىء على القتال الشديد . وضرسه : عضه وعجمه ليختبره .

اخبرنى أبو الحسن الأسدى قال حدّثنا ابن النّطّاح عن أبى عُبيدة قال :

كان ذو الرُّمّة ممّن أعان على جرير ولم يُصْحِرْ له[1] ؛ فقال جرير فيه :

أقول نَصَاحةً لبنى عَدِىٍّ * ثيابَكُمُ ونَضْحَ دمِ القَتيلِ

وهى قصيدة . قال : وكانوا يتعاونون عليه ولا يُصْحِرُون له .

حديثه مع ذى الرمة وهشام المرئىّ

أخبرنا أبو خَليفة الفَضْل بن الحُبَاب قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبو الغَرّاف قال :

قال الفرزدق لذى الرُّمّة : أَلْهاكَ البكاءُ فى الديار وهذا العبد يَرْجُزُ بك (يَعْنِى هشامًا المَرَئِىّ) بمَقْبُرة بَنِى حِصْن . قال : وكان السبب فى الهجاء بين ذى الرّمة وهشام أن ذا الرمّة نزل بقرية لبنى امرئ القيس يقال لها : مَرْأَةُ[2] ، فلم يَقْرُوه ولم يَعْلِفُوا له ،

١٠ فارتحل وهو يقول :

نزلنا وقد طال النهارُ[3] وأَوْقدتْ * علينا حَصَى المِعْزاءِ[4] شمسٌ تَنالُها

أَنَخْنَا فظَلَّلْنَا بأَبْرادِ يُمْنَةٍ[5] * رِقَاقٍ وأسيافٍ قديمٍ صِقَالُها

فلمّا رآنا أهلُ مَرْأَةَ أَغْلَقوا * مَخَادِعَ[6] لم تُرْفَع لخيرٍ ظِلَالُها

وقد سُمِّيتْ باسم امرئ القَيْسِ قَرْيةٌ * كِرَامٌ صَوَادِيها[7] لئامٌ رجالُها

---

١٥ (١) لم يصحر له : لم يبرز له ، من قولهم : أصحر الرجل اذا برز الى الصحراء . (٢) مرأة : قرية بنى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، كما ذكر أبو الفرج ، وهى باليمامة . سميت بشطر اسم امرئ القيس ، بينها وبين ذات غسل مرحلة على طريق النباج . (٣) رواية الديوان : « غار » . وغار النهار : انتصف . راجع هذا الشعر فى الديوان ففيه اختلاف فى الرواية عما هنا . (٤) المعزاء : الأرض الصلبة ذات الحصى . (٥) الأبراد : جمع برد وهو الثوب . واليمنة :

٢٠ ضرب من برود اليمن . (٦) المخادع : البيوت . (٧) الصوادى : النحل التى لا تسق وانما تشرب بعروقها ، الواحدة صادية .

يَظَلُّ الكِرامُ المُرْمِلُونَ بجَوِّها * سَواءٌ عليهم حَمْلُها وحِيالُها[(١)]

ولو وُضِعتْ أكوارُها عند بَيْهَسٍ * على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشَمَّسْ رِحالُها[(٢)]

فقال جرير لهشام، وكان يتَّهم ذا الرُّمَّة بهجائه التَّيْمَ وهم إخوة عَدِىّ : عليك العبدَ (يعنى ذا الرمة) . قال : فما أصنع يا أبا حَزْرة وهو يقول القَصِيدَ وأنا أقول الرَّجَزَ والرجز لا يقوم للقصيد ؟ فلو رَفَدْتَنى ! قال : قل له :

عَجِبتَ لِرَحْلٍ من عَدِىٍّ مُشَمَّسٍ * وفى أىّ يومٍ لم تُشَمَّسْ رحالُها

وفِيمَ عَدِىٌّ عند تَيْمٍ من العُلَا * وأيّامنا اللّاتى يُعَدّ فَعالُها

مَدَدْتَ بكفٍّ من عدىٍّ قصيرةٍ * لِتُدْرِكَ من زيد يدًا لا تنالُها

وضَبَّةُ عَمِّى يا آبنَ جِلٍّ[(٣)] فلا تَرُمْ * مساعىَ قومٍ ليس منك سِجالُها

يُمَاشِى عَدِيًّا لؤمُها ما تُجِنُّه * من الناس ما ماشتْ عَدِيًّا ظِلالُها

فقل لِعَدِىٍّ تَستعِنْ بنسائها * علىَّ فقد أعْيَا عَدِيًّا رجالُها

أذَا الرِّمِّ قد قَلَّدتَ[(٤)] قومَك رُمَّةً * بطيئًا بأيدى المُطلِقين آنحلالُها

تَرَى اللُّؤم ماعاشتْ عدىٌّ مُخَلَّدًا * سَرابيلُها منه ومنه نِعالُها

قال : فَلَجَّ الهجاءُ بين ذى الرمّة وهشام . فلما أنْشد المَرَئِىُّ هذه الأبيات وسمعها ذو الرمّة قال : كَذَبَ آلعَبدُ السَّوْءُ ! ليس هذا الكلام له ، هذا كلامُ نَجْدِىٍّ حَنْظَلِىّ ،

---

(١) أرمل القوم : فنى زادهم . يقول : سواء عليهم أحالت نخيلهم أم حملت ، فهم لا ينالهم منها شىء .

(٢) بيهس وذات غسل : سيذكرهما المؤلف بعد قليل . ولم تشمس رحالها : لم تعرّض للشمس . يريد أنها لا تهمل بل تكرم بادخالها البيوت .

(٣) كذا فى نسخة الشنقيطى مصححة بقلمه ، وهو جل ابن عدى ، رجل من مضر رهط ذى الرمة العدوى . وفى الأصول : « خل » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٤) كذا فى ج ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه وترجمة ذى الرمة (ص ١١٧ ج ١٦ من الأغانى طبع بلاق) . وفى سائر الأصول : « قد قلدن » بالنون وهو تصحيف . والرمة : الحبل يقلد به البعير .

هذا كلام ابن الأتان[1] . قال : ولم يزل ذو الرمّة مستعليًا على هشام حتى لقيه جرير فرفَده هذه الأبياتَ .

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عَدْنانَ قال حدّثني أبو صخْر[2] من ولد مَجْناءَ بنِ نُوح بن جَرير قال : سمعت أبي يحدّث عن أبيه قال :

أتى هشامُ بن قيس المَرَئيّ أبي (يعني جريرا) فاسترفَده على ذي الرمّة ، وقد كانا تهاجيَا دهرًا ، وكان سبب ذلك أنّ ذا الرُّمّة نزل على أهل قرية لبني آمرئ القيس فلم يُدْخِلوا رحله ، فذمَّهم في القِرَى ، ومدح بَيْهَسًا صاحبَ ذات غِسْل — وهو مَرَئيّ . وذات غِسْل : قرية له — فقال ذو الرُّمّة :

ولمّا وردْنا مَرْأةَ اللُّؤم أُغلِقتْ * دَسَاكِرُ لم تُفْتَحْ لخيرٍ ظِلالُها
ولو عُرِّيتْ أصلابُها[3] عند بَيْهَسٍ * على ذات غِسْلٍ لم تُشَمَّس رِحالُها
إذا ما آمرؤ القيس آبنُ لؤمٍ تَطَعَّمتْ * بكأس النَّدامَى خَبَّثتْها[4] سِبالُها

فقال جرير للمَرَئيّ : قل له :

غَضِبتَ لرَحْلٍ من عديٍّ مُشَمَّسٍ * وفي أيّ يومٍ لم تُشَمَّس رحالُها

وذكر الأبيات الماضية المذكورة في رواية أبي خَليفة . قال : فلقِي ذو الرُّمّة جريرا فقال له : تعصّبتَ للمَرَئيّ وأنا خالُك ! . قال : حين قلتُ ماذا ؟ قال : حين قلتَ له أن يقول لي :

* عجِبتَ لرَحْلٍ من عَدِيٍّ مشمَّسٍ *

---

(١) ابن الأتان : لقب كان ينبز به جرير . (٢) في ب ، س : « أبو صخرة » .
(٣) الأصلاب : جمع صلب وهو عظم من لدن الكاهل الى العجب . يريد : لو وضعت رحالها عن ظهورها عند بيهس لأكرمها ولم يتركها . وفي ب ، س : « غرست » وهو تحريف . (٤) كذا في أ ، ء ، م (وديوان ذي الرمة طبع أوربا ص ٥٤٤) . وفي سائر الأصول : « ما خبثها » وهو تحريف .

فقال له جرير: لا ! بل أَلْهاك البكاءُ فى دار ميّة حتى أُبيحت محارمُك . قال :
وكان قد بلغ جريرًا ميلُ ذى الرُّمّة عليه، فجعل يعتذر اليه ويحلف له . فقال له جرير:
اذهب الان فقل للمَرَئىّ :

يَعُدّ الناسبون الى تميم * بيوتَ المجد أربعةً كبارا
يَعُدّون الرِّباب وآلَ سَعْدٍ * وعَمْرًا ثم حَنْظلةَ الخيارا
ويَهْلِكُ بينها المَرَئىُّ لَغْوًا * كما ألغيتَ فى الدِّيَة الحُوارا (١)

فقال ذو الرمّة قصيدتَه التى أوّلها :

نَبَتْ عيناك عن طَلَلٍ بحُزْوَى (٢) * عَفَتْه الرِّيحُ وآمتنِحَ القِطارَا

وألحق فيها هذه الأبياتَ . فلما أنشدها وسمعها المَرَئىّ جعل يلطِم رأسَه ووجهه
ويدعو بوَيْله وحَرَبه ويقول : مالى ولجَرير ! فقيل له : وأين جريرٌ منك ! هذا
رجل يُهاجيك وتُهاجيه ! فقال : هيهات ! لا والله ما يُحْسِن ذو الرُّمّة أن يقول :

ويذهب بينها المَرَئىّ لَغْوًا * كما ألغيتَ فى الدِّيَة الحُوارَا

هذا والله كلام جرير ما تعدّاه قطّ . قال : ومرّ الفرزدق بذى الرُّمّة وهو يُنشد
هذه القصيدة ، فلما أنشد الأبياتَ الثلاثة فيها قال له الفرزدق : أعِدْ يا غَيْلان ،
فأعاد ، فقال له : أأنت تقول هذا ؟ قال : نعم يا أبا فِراس . قال : كذَب فُوكَ !
والله لقد تحلّكها أشدُّ لَحْيَيْنِ منك ، هذا شعر ابن الأَتان . قال : وجاء المَرَئيُّون
الى جرير فقالوا : يا أبا حَزْرة ، قد آستعلى علينا ذو الرمّة ، فأعِنّا على عادتك الجميلة .
فقال : هيهات ! قد والله ظلمتُ خالى لكم مرّةً وجاءنى فاعتذر وحلف ، وما كنتُ
لأُعينكم عليه بعدها . قال : ومات ذو الرُّمّة فى تلك الأيام .

(١) الحوار : ولد الناقة ، وقيل : هو الفصيل أوّل ما ينتج . يريد أن المرئى لا يؤبه له كما لا يؤبه لولد الناقة إذا تبع أمه وقد سيقت فى دية القتيل . (٢) حزوى : موضع فى ديار تميم .

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ قال حدّثنى العُمَرىّ عن لَقيط قال أبو بكر بن نَوْفَل قال حدّثنى من سأل النُّصَيْبَ قال : قلت له : يا أبا مِحْجَن قلته نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ ، فأُحِبّ أن تخبرنى أيّكم فيه أشعرُ ؟ قال : وما هو ؟ قلتُ قولُك :

أَضَرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها * أَكَبَّ عليها جازرٌ متعرِّقُ[1]

وقال جميل :

أَضَرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها * بقايَا سُلَالٍ[2] لم يَدَعْها سُلَالُهَا

وقال جرير :

إذا بلغوا المنازلَ لم تُقَيَّدْ * وفى طُول الكَلَالِ لها قيودُ

فقال نُصَيْب : قاتل الله ٱبنَ الخَطَفَى ! ما أشعرَه ! . قال : فقال له الرجل : أمّا أنت فقد فضلته ؛ فقال : هو ما أقول لك .

قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى عبد الرحمن بن القاسم العِجْلىّ قال حدّثنى الحسن بن على المِنْقَرىّ قال قال مسعود ٱبن بِشْر :

قلت لابن مُناذر بمكة : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : من اذا شئتَ لَعِبَ[3] ، واذا شئتَ جَدّ ؛ فاذا لعب أطمعك لَعِبُه فيه ، واذا رُمْتَه بَعُد عليك ؛ واذا جدّ فيما قصد له آياسك من نفسه . قلتُ : مثلُ مَنْ ؟ قال : مثل جرير حين يقول إذا لَعِب :

إنّ الّذين غَدَوْا بلُبّك غادروا * وَشَلًا بعينك ما يزال مَعِينَا

(١) المعرق : إزالة ما على العظم من اللحم . (٢) السلال : مثل السل ، وهو داء معروف . يهزل ويضنى ويقتل . (٣) فى ب ، س : «قال من إذا لعب شبب فاذا لعب أطمعك ... الخ» .

ثم قال حين جدّ :

إنّ الذى حَرَم المكارمَ تَغْلِبًا * جعل الخلافةَ والنبوّةَ فينا
مُضَرٌ أبى وأبو الملوكِ فهل لكم * يا آلَ تَغْلِبَ من أبٍ كأبينا
هذا ٱبنُ عمّى فى دِمَشْقَ خليفةً * لو شئتُ ساقكمُ الىَّ قَطِينا[1]

اعترض عليه عبد الملك بن مروان فى هذا الشعر

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ عن أبى عمرو قال :

لمّا بلغ عبدَ الملك قولُ جَرير :

هذا ٱبن عمّى فى دمشقَ خليفةً * لو شئتُ ساقكمُ الىّ قَطِينا

قال : ما زاد ٱبنُ المَرَاغة على أن جعلنى شُرْطيًّا ! أمَا إنّه لو قال :

* لو شاء ساقكم الىّ قطينا *

لسقتُهم اليه كما قال .

فضله بشار على الأخطل وعلى الفرزدق

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال :

سألت بَشّارًا العُقَيْلىّ عن الثلاثة فقال : لم يكن الأخطلُ مثلَهما ، ولكنّ رَبيعةَ تعصّبتْ له وأفرطتْ فيه . قلت : فجَريرٌ والفرزدقُ ؟ قال : كان جريرٌ يُحسِن ضروبًا من الشعر لا يُحسنها الفرزدق ، وفضّل جريرًا عليه .

مقارنة بينه وبين الأخطل والفرزدق

وقال ٱبن سَلّام : قال العَلاء بن جَرير — وكان قد أدرك الناسَ وسمع — : كان يقال : الأخطلُ اذا لم يَجِئْ سابقًا فهو سُكَّيْت[2] ، والفرزدق لا يجيء سابقا ولا سُكَّيتا فهو بمنزلة المصلِّى أبدا ، وجرير يجيء سابقا ومصلّيا وسُكَّيتا . قال ٱبن سَلّام : وتأويل قوله : إن للأخطل خمسًا أو ستًّا أو سبعًا طِوالًا روائعَ غُرَرًا جِيادًا هو بهنّ سابق ، وسائر شعره دون أشعارهما ، فهو فيما بقى بمنزلة السُّكَّيت — والسكّيت : آخر الخيل

(١) القطين : الخدم والحشم .
(٢) فى ب ، س : « اذا لم يجئ » وهو تحريف .

فى الرِّهان — والفرزدق دونَه فى هذه الروائع وفوقَه فى بقيّة شعره، فهو كالمصلِّى أبدا — وهو الذى يجىء بعد السابق وقبل السكّيت — وجرير له روائعُ هو بهنّ سابق، وأوساطٌ هو بهنّ مصلٍّ، وسَفْسَافاتٌ(١) هو بهنّ سُكَّيت .

مناقضة بينه وبين الفرزدق

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنى محمد بن سَلّام قال حدّثنى حاجب بن زيد بن شَيْبان بن عَلْقَمة بن زُرارة قال :

قال جرير بالكوفة :

لقد قادَنى من حُبِّ ماويَّةَ الهَوَى * وما كنتُ تَلْقَانى الجَنِيبةُ أَقْوَدَا(٢)

أُحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وبالغَوْرِ حاجةٌ * فغارَ الهَوَى يا عبدَ قَيْسٍ وأَنْجَدَا

أقول له يا عبدَ قَيْسٍ صَبابةً * بأىٍّ تَرَى مستوقد النارِ أَوْقَدا

فقال أَرَى نارًا يُشَبُّ وُقُودها * بحيثُ ٱستفاضَ الجِزْعِ شِيحًا وغَرْقَدَا(٣)

فأعجبت الناسَ وتناشدوها . قال : فحدّثنى جابر بن جَنْدل قال : فقال لنا جريرٌ: أعجبتْكم هذه الأبياتُ؟ قالوا : نعم . قال : كأنكم بٱبنِ القَيْن(٤) وقد قال :

أَعِدْ نظرًا يا عبدَ قَيْسٍ لعلّما * أضاءت لك النارُ الحِمَارَ(٥) المقيَّدا

قال : فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده :

حِمارٌ بمَرُّوتِ السَّحَامَةِ قاربتْ * وَظِيفَيْه حَوْلَ البيتِ حتى تَرَدَّدا(٦)

(١) سفساف الشعر: رديئه . (٢) كذا فى النقائض رواية أشار اليها الشارح . وفى الصلب : « وما كان يلقانى الجنيبة ... » . وفى الأصول : « وما كنت ألق للجنيبة » بالقاف ولعلها « ألفى » بالفاء . والجنيبة : التى تجنب معه . والأقود : المنقاد المطيع . (٣) الغرقد : كبار العوسج .
(٤) ابن القين : لقب كان ينبز به الفرزدق، وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٥ (٥) يريد حمارا من حمير بنى كليب وذلك أنهم أصحاب حمير، يهجوهم بذلك ويؤنبه ويضع من قدره، نسبه الى رعية الحمير . (راجع النقائض ص ٤٩١) . (٦) المروت : لبنى حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد . والسحامة : ماءة لبنى كليب باليمامة . وورد الشطر الأخير من هذا البيت فى النقائض هكذا : « كليبية قينيه حتى ترددا » . والقينان : الوظيفان أو موضع القيد منهما .

كُلَيْبِيَّةٌ لم يجعَــلِ اللهُ وجهَهــا * كريمًا ولم يَسْنَحْ بهــا الطيرُ أَسْعُدَا

قال : فتناشدها الناسُ . فقال الفرزدق : كأنكم بآبن المَرَاغة قد قال :

وما عِبْتَ من نارٍ أضــاءَ وُقُودُها * فِرَاسًا و بِسْــطَامَ بنَ قَيْسٍ مقيَّــدا[1]

قال فإذا بالبيت قد جاء لجريرٍ ومعه :

وأَوْقدتَ بالسِّيدَانِ نارًا ذَلِيــلةً * وأشْهدْتَ من سَوْءاتِ جِعْثِنَ مَشْهدَا[2] ٥

جرير والأخطل في حضرة عبد الملك ابن مروان

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفِىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم عن عمارة بن عُقَيل عن أبيه قال :

وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطلُ داخلٌ عنده ، وقد كانا تهاجيا ولم يرَ أحدٌ منهما صاحبَه ، فلما آستأذنوا عليــه لجرير أذِن له فدخل فسلّم ثم جلس وقد عرفه الأخطل ، فطَمَح طَرْفُ جريرٍ الى الأخطل وقــد رآه ينظر اليه ١٠ نظرا شديدا فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا الذى منعتُ نومَك وتهضَّمْتُ قومَك . فقال له جرير : ذلك أَشْقَى لك كائنًا من كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال : مَنْ هــذا يا أمير المؤمنيــن ؟ جعلنى الله فداءَك ! فضحك ثم قال : هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرة . فردّ عليــه بصرَه ثم قال : فلا حَيّاك الله يابنَ النصرانية ! أمّا منعُك نومى فلو نمتُ عنــك لكان خيرًا لك . وأما تهضُّمك قومى فكيف تَهَضَّمُهم ١٥ وأنت ممن ضُرِبتْ عليه الذِّلّة وباء بغضبٍ من الله وأدّى الجزيةَ عن يدٍ وهو صاغرٌ . وكيف تَهضَّم لا أُمّ لكَ قومًا فيهم النبوّة والخلافةُ وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه

٦٥ / ٧

(١) يريد فراس بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير وكان أسيرا مع بسطام بن قيس بن مســعود (عن النقائض) . (٢) قال أبو عبيدة : السيدان : موضع . وجعثن : أخت الفرزدق يريد بهذا البيت تعريضا بالفرزدق و بأخته (النقائض ص ٤٨٢) . ٢٠

لا حاكم. ثم أقبل على عبد الملك فقال: آئذنْ لى يا أميرَ المؤمنين فى آبنِ النَّصْرانية؟ فقال: لا يجوز أن يكون ذلك بحضْرتى.

تحاكم هو وبنو حمان الى ابراهيم بن عدى فى بئر فحكم له

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبو يحيى الضَّبّىّ قال: نازَع جريرٌ بَنِى حِمّانَ[1] فى رَكِيَّةٍ لهم؛ فصاروا الى إبراهيم بن عَدِىّ[2] باليَمامة يتحاكمون اليه؛ فقال جرير:

أَعُوذُ[3] بالأميرِ غيرِ الجَبّارْ * من ظُلْمِ حِمّانَ وتحويلِ الدّارْ
ما كان قبلَ حَفْرِنا من مِحْفارْ * وضَرْبِيَ المِنْقارَ[4] بعدَ المِنْقارْ
فى جبَلٍ أصمَّ غيرِ خَوّارْ * يَصيحُ بالجُبِّ[5] صِياحَ الصَّرّارْ[6]
له صَهِيلٌ كصَهِيلِ الأَمْهارْ[7] * فآسأل بنى صُحْبٍ[8] ورَهْطَ الجَزّارْ
والسَّلَمِيِّينَ[9] العِظَامَ الأَخْطَارْ * والجارُ قد يُخْبِرُ عن دارِ الجارْ

فقال الحِمّانِىّ[10]:

ما لِكُلَيْبٍ من حِمًى ولا دارْ * غيرُ مُقامِ أُتُنٍ[11] وأَعْيارْ
* قُعْسِ الظُّهورِ داميات الأَثْفارْ[12] *

---

(١) بنو حمان: حى من تميم أحد حى بنى سعد بن زيد مناة. (٢) فى ديوان جرير المخطوط: "المهاجر بن عبد الله الكلابى". (٣) راجع الديوان فبينه وبين ما هنا اختلاف كثير. (٤) المنقار: حديدة يحفر بها. (٥) كذا فى ديوانه، والجب: البئر. وفى الأصول: «الحب» بالحاء المهملة وهو تصحيف. (٦) الصرّار: ضرب من الخنافس يصوّت فى الصحارى من أوّل الليل الى الصبح. (٧) فى الأصول: «له صليل كصليل الأمهار». وفى الديوان: «يصهلن فى الجب صهيل الأمهار». (٨) كذا فى ديوانه. وبنو صحب: قبيلة من باهلة. وفى الأصول: «أبا عصم». (٩) السلميون: أولاد سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. (١٠) فى ديوانه: «فقال عبد لبنى حمان». (١١) الأتن: جمع أتان، وهى الحمارة. والأعيار: جمع عير، وهو الحمار. (١٢) القعس: جمع أقعس وقعساء. والقعس: خروج الصدر ودخول الظهر خلقة. والثفر (بالضم والفتح) لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب: كالحياء للناقة، وقد يستعار لغير ذلك.

قال فقال جرير : فعن مُقامِهنّ ، جُعِلتُ فِدَاك ، أُجادل . فقال آبن عدىّ للجّانىّ : قد أَقْررتَ لخَصْمك ، وحكم بها لجرير .

نزل ببنى مازن وبنى هلال فمدحهم بعد أن هجاهم

قال آبن سَلّام وأخبرنى أبو يحيى الضَّبِّىّ قال :

بينا جريرٌ يسير على راحلته إذ هجَم على أبياتٍ من مازن وهلال — وهما بطنان من ضَبّة — فخافهم ، لسوء أثَره فى ضَبّة ، فقال :

فلا خوفٌ عليكَ ولن تُراعِى * بِعَقْوةِ(1) مازِنٍ و بنى هِلَالِ

همـا الحيّانِ إن فزِعا يَطِيرَا * الى جُرْدٍ كأمثال السَّعالِى(2)

أمازِنُ يآبنَ كعبٍ إنّ قلبى * لكم طولَ الحيـاة لَغيرُ قالِى

غَطَارِيفٌ يَبِيتُ الجارُ فيهم * قريرَ العينِ فى أهـلٍ ومال

قال(3) : أَجَلْ يا أبا حَزْرة فلا خوف عليك .

وفد على عبد الملك فى دمشق وألتف الناس حوله فى المسجد دون الفرزدق

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال شُعَيب بن صخر حدّثنى هارون بن إبراهيم قال :

رأيت جريرا والفرزدق فى مسجد دمشق وقد قَدِما على الوليد بن عبد الملك والناسُ عُنُقٌ(4) واحد على جرير : [قيس وموالى بنى أميـة](5) يسلّمون عليـه و يسألونه كيف كنت يا أبا حَزْرة فى مَسيرك ، وكيف أهلُك وأسبابُك . وما يُطِيف بالفرزدق

(1) العقوة : ساحة الدار . (2) السعالى : جمع سعلاة ، وهى الغول ، وقيل : هى ساحرة الجن . (3) كذا فى الأصول . ولعل الصواب : « قالوا أجل ... الخ » .

(4) العنق : الجماعة الكثيرة . (5) الذى بين القوسين هو عبارة ابن سلام فى الطبقات وهو الذى يناسب ما يأتى من قوله : « لمدحه قيسا وقوله فى العجم الخ » . وفى ب ، س : « ... على جرير وكلهم من قريش وموالى قريش يسلمون عليه ... الخ » . وفى سائر الأصول : « والناس عنق واحدة يسألونه كيف كنت يا أبا حزرة الخ » .

إلّا نَفَرٌ من خِنْدِف جلوسٌ معه . قال شُعيبٌ : فقلت لهارون : ولِمَ ذلك ؟ قال: لمدحه قَيْسا وقولِه فى العجم :

فيجمعُنا والغُرَّ أولادَ سارَةٍ(١) * أبٌ لا نُبالِى بعدَه من تعذَّرا

قال شُعيب : بلغنى أنه أُهْدِيتْ له يومئذٍ مائةُ حُلَّة ، أهداها اليه الموالى سوى غيرهم .

٥ وأخبرنى بهذا الخبر أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام عن شُعيب بن صَخْر ، فذكر نحواً من حكاية أبى زيد ، إلا أنها أتمُّ من حكاية ٱبن سَلّام . وقال أبو خَليفة فى خبره : سمعت عُمارة بن عُقَيل بن بِلال يقول: وافته فى يومه ذلك مائةُ حُلّة من بنى الأحرار(٢) .

رأى الأحوص فى قباء فعرّض به لئلا يعين عليه

٦٦ / ٧

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى أحمد بن الهَيْثم الفِراسِىّ قال :

١٠ بينا جريرٌ بقُبَاءَ إذ طلع الأحوصُ وجريرٌ يُنْشِد قولَه :

لولا الحياءُ لعادنِى ٱستعبارُ * ولَزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

فلما نظر الى الأحوص قطع الشعرَ ورفع صوتَه يقول :

عوى(٣) الشعراءُ بعضُهمُ لبعضٍ * علىّ فقد أصابهمُ ٱنتقامُ

إذا أرسلتُ قافيةً شَرُودًا(٤) * رأَوْا أخرى تحرِّق فٱستداموا

١٥ (١) كذا فى ديوانه ، وهو الصحيح . وهى سارة زوجة ابراهيم الخليل صلوات الله عليه . وقد جاء عقب هذا البيت قوله :

أبونا خليل الله والله ربنا * رضينا بما أعطى الإله وقدرا

وفى الأصول : «سادة» بالدال المهملة ، وهو تحريف . (٢) بنو الأحرار : أبناء الموالى من الفرس .

(٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «عوى» بالغين المعجمة وهو تصحيف . وعواؤهم : المراد به

٢٠ تناصرهم وتعاونهم ، كما يعوى الذئب لأصحابه لتجتمع حوله . (٤) رواية الديوان ولسان العرب (مادة دوم) : « اذا أوقعت صاعقة عليهم » . ومعنى استداموا : انتظروا ، كقول الشاعر :

ترى الشعراء من صعق مصاب * بصكته وآخر مستديم .

فمُصطلَمُ[1] المَسامع أو خَصِىٌّ * وآخرُ عظمُ هامته حُطَامُ

ثم عاد من حيث قطَع . فلما فرَغ قيل له : ولم قلتَ هذا ؟ قال : قد نهيتُ الأحوصَ أن يُعين علىّ الفرزدقَ ، فأنا والله يابنى عمرو بن عَوْف ما تعوّذتُ من شاعرٍ قطُّ ، ولولا حقُّكم ما تعوّذت منه .

أوفده الحجاج على عبد الملك مع ابنه محمد وأوصاه به

أخبرنا على بن سليمان الأَخْفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكّرىّ قال قال عُمارة بن عُقَيل حدّثنى أبى عن أبيه : ٥

أن الحَجّاج أوفد ٱبنَه محمدَ بن الحَجاج الى عبد الملك وأوفد اليه جريراً معه ووصّاه به وأمره بمسئلة عبد الملك فى الاستماع منه ومعاونته عليه . فلما وردوا ٱستأذن له محمد على عبد الملك ، فلم يأذَنْ له ، وكان لا يسمع من شعراء مُضَر ولا يأذن لهم ، لأنهم كانوا زُبَيْرِيّةً . فلما ٱستأذن له محمد على عبد الملك ولم يأذَن له أعلمه أن أباه ١٠ الحجاج يسأله فى أمره ويقول : إنه لم يكن ممّن والَى ٱبنَ الزبير ولا نَصره بيده ولا لسانه ، وقال له محمد : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ العرب تتحدّث أن عبدَك وسيفَك الحَجّاجَ شفَع فى شاعرٍ قد لاذ به وجعله وسيلته ثم ردَدْتَه ؛ فأذِن له فدخل فاستأذن فى الإنشاد ، فقال له : وما عساكَ أن تقول فينا بعد قولك فى الحَجّاج ! ألستَ القائلَ : ١٥

من سَدَّ مُطّلَعَ النِّفَاقِ عليكُمُ * أم من يَصُول كصَوْلةِ الحجاجِ

إن الله لم ينصرنى بالحجّاج وانما نصر دينه وخليفته . أولست القائل :

أم مَنْ يَغَارُ على النساء حَفِيظةً * إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرةِ الأزواجِ

يا عاضّ كذا وكذا من أمّه ! والله لهَمَمْتُ أن أَطير بك طَيْرةً بطيئاً سُقوطُها ، اُخرُجْ عنّى ، فأُخْرِج بشَرٍّ . فلما كان بعدَ ثلاثٍ شفَع اليه محمدٌ لجرير وقال له : ٢٠

(١) الاصطلام : القطع .

يا أميرَ المؤمنين ، إنى أدّيت رسالةَ عبدِك الحجّاج وشفاعتَه فى جرير ، فلما أذِنْتَ له خاطبتَه بما أطار لُبَّه منه وأشْمَتَ به عدوَّه ، ولو لم تأذن له لكان خيراً له مما سمع . فإن رأيتَ أن تَهَب كلَّ ذنب له لعبدك الحجّاج وَلِى فٱفعلْ ، فأذِن له . فاستأذنه فى الإنشاد ، فقال : لا تُنْشِدنى إلّا فى الحجّاج ، فإنما أنت للحجّاج خاصّةً . فسأله أن يُنْشِده مديحَه فيه ، فأبى وأقْسم ألّا يُنْشِده إلّا من قوله فى ٱلحجّاج ، فأنشده وخرج بغير جائزة . فلما أزِف الرَّحيلُ قال جرير لمحمد : إن رحَلتُ عن أمير المؤمنين ولم يَسْمَع منّى ولم آخذ له جائزة سقطتُ آخرَ الدهر ، ولست بارحاً بابَه أو يأذنَ لى فى الإنشاد . وأمسك عبد الملك عن الإذن له . فقال جرير : ٱرحَلْ أنت وأقيم أنا . فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير وٱستأذنه له وسأله أن يسمع منه وقبّل يدَه ورجلَه ، فأذن له . فدخل فاستأذن فى الإنشاد ، فأمسك عبد الملك . فقال له محمد : أنشِدْ وَيْحَك ! فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

ألستُم خيرَ من ركب المطايا * وأنْدَى العالَمين بطونَ راحِ

فتبسَّم عبد الملك وقال : كذلك نحن وما زِلْنا كذلك . ثم ٱعتمد على ٱبن الزُّبير فقال :

دعوتَ المُلْحِدِينَ أبا خُبَيْبٍ[1] * جِماحًا هل شُفِيتَ من الجِماحِ

وقد وجدوا الخليفةَ هِبْرِزِيًّا[2] * أَلَفَّ[3] العِيصِ ليس من النَّواحى

وما شجراتُ عِيصِك فى قريشٍ * بعَشّاتِ[4] الفُروع ولا ضَواحى

(١) أبو خبيب : هو عبدالله بن الزبير ، وخبيب ابنه ، وبه كان يدعى . (٢) الهبرزىّ : الخالص . (٣) الألف : الملتف . والعيص : الأصل ، وهو أيضا الشجر . يريد أنه من وسط العز لا من نواحيه . (٤) العشة : الشجرة الدقيقة القضبان اللئيمة المنبت . والضواحى : البادية العيدان لا ورق عليها . وفى اللسان (مادة ضحى) بعد أن أورد هذا البيت « قال أبو منصور : أراد جرير بالضواحى فى بيته قريش الظواهر ، وهم الذين لا ينزلون شعب مكة وبطحاءها . أراد جرير أن عبد الملك من قريش الأباطح لا من قريش الظواهر ، وقريش الأباطح أشرف وأكرم من قريش الظواهر ؛ لأن البطحاويين من قريش حاضرة وهم قطان الحرم ، والظواهر أعراب بادية » .

قال : ثم أنشده إيّاها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال :

تَعَـزَّتْ أمُّ حَزْرَةَ ثم قالت * رأيتُ المُورِدِين ذوى لِقَـاحِ
تُعَـلِّلُ وهى ساغبـةٌ بَنِيهـا * بأنفـاسٍ[1] من الشَّـبِمِ القَرَاحِ

فقال عبد الملك : هل تُرْوِيها مائة لِقْحة ؟ فقال : إن لم يُرْوِها ذلك فلا أَرْواها الله ! فهل اليها ــ جعلنى الله فِدَاكَ يا أمير المؤمنين ــ من سبيل؟ فأمر له بمائة لِقْحة وثمانية من الرِّعاء . وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب ؛ فقال له جرير : يا أميرَ المؤمنين، تأمرُ لى بواحدة منهنّ تكون مِحْلَبا ؟ فضحك ونَدَس[2] اليه واحدةً منهنّ بالقضيب وقال : خذها لا نفعتْك ! فأخذها وقال : بَلَى والله يا أمير المؤمنين لَيَنفعنِّى كلُّ ما منحْتَنِيه ، وخرج من عنده . قال : وقد ذكر ذلك جريرٌ فى شعره فقال يمدح يزيدَ بنَ عبد الملك :

أعطَوْا هُنَيْدَةَ[3] يَحْدُوها ثمانيةٌ * ما فى عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

هجا سراقة البارق بأمر بشر بن مروان لأنه فضل الفرزدق عليه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا دَمَاذُ أبوغَسّانَ عن أبى عُبيدة قال : بذل محمد بن عُمَير بن عُطَارِد بن حاجب بن زُرَارةَ أربعةَ آلافِ درهم وفرسًا لمن فضّل من الشعراء الفرزدقَ على جرير ، فلم يُقْدِم عليه أحد منهم إلا سُرَاقة البارقىّ فانه قال يفضّل الفرزدق :

أَبْلِـغ تَمِيمًا غَثَّهـا وسَمِينَهـا * والحكم يَقْصِـد مرّةً ويَجُورُ
أنّ الفرزدقَ بَرَّزَتْ أعراقُـه * سَبْقًا وخُلِّفَ فى الغُبار جَرِيرُ

---

(١) الأنفاس : جمع نفس (كسبب) وهو جرعة المـاء . والشبم : البارد . والقراح : الخالص . يريد أنها تعللهم بالمـاء عند افتقاد اللبن . (٢) كذا فى ديوانه المخطوط ص ٢٠ والندس فى الأصل : الطعن الخفيف . يريد أنه دفع اليه جاما منها بعصا كانت فى يده . وفى بعض الأصول : «ودحس» . وفى بعضها : «ودس» وكلاهما تحريف . (٣) هنيدة : اسم للـائة من الإبل وغيرها .

ذهب الفرزدقُ بالفضائل والعُلَا[1] * وٱبن المَرَاغة مُخْلَفٌ محســـورُ

هــذا قضــاءُ البــارقيّ وإننى * بالمَيْــل فى ميزانهم لبَصــيرُ

قال أبو عُبَيدة فحدّثنى أيّوب بن كُسَيب قال حدّثنى أبى قال : كنتُ مــع جرير ، فأتاه رسول بِشْر بن مَرْوان فدفع اليه كتابه ، وقال له : إنه قد أمرنى أن أُوصــله اليك ولا أَبْرَحَ حتى تُجيب عن الشعر فى يومك إن لقيتُك نهاراً أو ليلتِــك إن لقيتُك ليلا ، وأَخْرج اليه كتابَ بِشْر وقد نسَخ له القصيدة وأمره بأن يُجيبَ عنها . فأخذها ومكث ليلتَه يجتهد أن يقول شيئا فلا يمكنه ؛ فهتَف به صاحبُه من الجنّ من زاوية البيت فقال له : أزعمتَ أنك تقول الشــعر ! ما هو إلّا أن غبتُ عنك ليلةً حتى لم تُحسِن أن تقول شيئا[2] ! فهلّا قلتَ :

يا بِشْرُ حَقّ لوجهك التبشــيرُ * هَلّا قضيتَ لنا وأنت أمــيرُ

فقال له جرير : حَسْبُك كُفِيتَك . قال : وسمع قائلا يقول لآخر : قد أنار الصبحُ ؛ فقال جرير :

ياصاحبيَّ هل الصــباحُ مُنِــيرُ * أم هـــل للومِ عواذلى تَفْتِــيرُ[3]

الى أن فرَغ منها . وفيها يقول :

قد كان حَقُّكَ أن تقول لبارقٍ * يا آلَ بارِقَ فِــيمَ سُبَّ جريرُ

يُعْطَى النســاءُ مهورَهنّ كَرامةً * ونســاءُ بارقَ مالهنّ مُهــورُ

فأخذها الرسول ومضى بهــا الى بِشْر ، فقُرِئتْ بالعراق وأُفْحِم سُرَاقةُ فلم ينطق بعدها بشىء من مُنَاقضته .

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « بالقصائد » .

(٢) فى ج : « حتى لم تحسن أن تجيب عنها » . (٣) الفتور والتفتير : السكون بعد الحدة واللين بعد الشدّة . وفتر (بالتضعيف) يتعدى و يلزم .

مناقضته عمر بن لجأ وسبب ذلك

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنى محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبو يحيى الضَّبِّىّ قال: كان الذى هاج الهجاءَ بين جرير وعمرَ بنِ لَجَأ أن عمر كان يُنْشِد أُرْجوزةً له يصف فيها إبلَه وجريرٌ حاضرٌ، فقال فيها :

قد وردتْ قبــل إِنَا ضَحائِها * تُفَــرِّسُ الحَيّاتِ فى خِرْشائِها (١)
[جَرّ العَجُوزِ الثِّنْىَ من رِدائِها] (٢)

فقال له جرير : أَخْفقتَ . فقال : كيف أقول ؟ قال تقول :

* جَرّ العَروسِ الثِّنْىَ من ردائها *

فقال له التَّيْمِىّ أنت أسوأُ قولًا منّى حيث تقول :

وأَوْثَقُ عند المُرْدَفاتِ عَشِيَّةً * لَحَاقًا اذا ما جَرّد السيفَ لامِعُ

جعلتَهنّ مُرْدَفاتٍ غُدْوةً ثم تداركتَهنّ عَشيّةً . فقال : كيف أقول ؟ قال تقول :

* وأَوْثَقُ عند المُرْهَفاتِ عَشِيّةً *

فقال جرير : والله لهذا البيتُ أحبُّ إلىّ من بِكْرِى حَزْرَةَ (٣)، ولكنك مُجْلِبٌ (٤) للفرزدق .

وقال فيه جرير :

هَـلّا سِـوَانا ٱدَّرأتم يا بَنِى لَجَأٍ * شيئًا يُقَارِبُ أو وَحْشًا لها غُرَرُ (٥)
أحينَ كنتُ سِمَـامًا يا بَنِى لَجَأٍ * وخاطرتْ بىَ عن أحسابها مُضَرُ!

(١) الأنا (بفتح الهمزة وكسرها) : الوقت . والضحاء : الضحى . وتفرس : تقتل . والخرشاء : جلد الحية . (٢) التكملة عن ابن سلام ص ١٠١ طبع أوروبا .

(٣) كذا فى حـ والمجلب : المعين . وفى سائر الأصول : «محلب» بالحاء المهملة وهو تصحيف .

(٤) يلاحظ أن فى هذا تنافيا مع ما تقدم فى حديثه مع الحجاج؛ إذ صرح فيا تقـدّم بأن عمر بن لجأ هو الذى عمد الى هذا التغيير تقبيحا للشعر . (راجع ص ١٨ من هذا الجزء) . (٥) ادرأتم : ختلتم . وغرر : غفلات ، واحدها غرة .

خَلِّ الطريقَ لمن يَبْنِي المَنارَ به * وٱبرُزْ ببَرْزَةَ[1] حيثُ ٱضطرَّكَ القَدَرُ
أنت ٱبنُ بَرْزَةَ منسوباً الى لجأٍ * عند العُصَارةِ والعيدانُ تُعْتَصَرُ

ويروى :

ألستَ نَزْوةَ خَــوّارٍ على أَمَةٍ * عند العُصَارةِ والعِيدانُ تُعْتَصَرُ

٥ فقال ٱبن لجأ يردّ عليه :

لقد كَذَبْتَ وشرُّ القولِ أَكْذَبُه * ما خاطرتْ بكَ عن أحسابها مُضَرُ
بل أنت[2] نَزْوةُ خَــوّارٍ على أَمَةٍ * لا يَسبِقُ الحَلَبَاتِ اللؤمُ والخَوَرُ
ما قلتَ مِن هذه إلا سأنقُضُها * يا ٱبنَ الأَتَانِ بمثلِ تُنْقَضُ المِرَرُ

وقال عمر بن لجأ[3] :

١٠ عجبتُ لما لاقتْ رِياحٌ[4] من الأَذَى * وما ٱقتبَسُوا مــنِّى وللشرِّ قابِسُ
غِضاباً لكلبٍ من كُلَيبٍ فَرَسْتُه * هَوَى ولشَدَّاتِ الأُسُودِ فَرَائسُ
إذا ما ٱبنُ يَرْبُوعٍ أتاكَ لمأكَلٍ * على مجلسٍ إن الأَكِيلَ مُجالِسُ
فقل لٱبنِ يَرْبوعٍ ألستَ براحِضٍ * سِــبَالَكَ عنّا إنهنّ نَجائسُ
تُمَسِّحُ يَرْبوعٌ سِــبَالاً لئيمةً * بها من مَنِيِّ العبدِ رَطْبٌ ويابِسُ[5]

١٥ قال : ثم اجتمع جرير وابن لجأ بالمدينة وقد ورَدها الوليدُ بن عبد الملك ، وكان يتألّه[6] في نفسه ، فقال : أتَقْذِفانِ المُحْصَناتِ وتُغْضِبانِهنّ ! ثم أمر أبا بكر محمد بن حَزْم

(١) برزة : أم عمر بن لجأ . (٢) فى الأصول : « ألست نزوة الخ » والتصحيح عن النقائض ص ٤٨٨ (٣) فى جميع الأصول : « وقال جرير » وهو خطأ إذ أن هـذا الشعر قاله ابن لجأ يهجو به جريرا . (انظر فى ترجمة الأخطل صفحة ١٨١ — ١٨٢ طبع بلا ق) .
٢٠ (٤) رياح هو ابن يربوع وهو أحد أجداد جرير . (٥) لهذا قصة بسطها أبو الفرج فى ترجمة الأخطل فى الصفحتين السابقتين . (٦) التأله : التنسك والتعبد .

الأنصارىّ — وكان واليًا له بالمدينة — بضربهما، فضربهما وأقامهما على البُلُس[1] مقرونين، والتَّيْمىُّ يومئذٍ أَشَبُّ من جرير، فجعل يَشُولُ[2] بجرير وجريرٌ يقول وهو المَشُولُ به :

فلستُ مُفارِقًا قَرَنَىَّ حتى * يَطُولَ تصعُّدى بكَ وآنحدارِى

٥ فقال آبن لَجَأ :

ولمّا أن قُرِنتُ الى جريرٍ * أَبَى ذو بَطْنِه[3] إلّا آنحدارَا

فقال له قُدَامةُ بنُ إبراهيمَ الجُمَحِىّ : وبِئْسَما قلتَ ! جعلت نفسَك المقرونَ اليه ! قال : فكيف أقول؟ قال تقول :

* ولمّا لُزَّ فى قَرَنِى جريرٌ *

١٠ فقال : جُزِيتَ خيرا، لا أقوله والله أبدا إلا هكذا .

هو والأخطل فى حضرة عبد الملك آبن مروان

حدّثنى محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفِىّ قال حدّثنا العَنَزِىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله العَبْدىّ قال حدّثنى عُمارة بن عُقَيل عن أبيه قال :

وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأَخْطل داخل عنده، وقد كانا تَهاجَيَا ولم يَلْقَ أحدُهما صاحبَه . فلما آستأذنوا لجرير أذِن له فسلَّم وجلس، وقد عرَفه الأخطل، فطَمَح بصرُ جرير اليه فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا الذى ١٥ منعتُ نومَك وهضَمتُ قومك . فقال له جريرٌ : ذاك أَشْقَى لك كائنًا مَنْ كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك فقال : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فضحك وقال : هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرَةَ . فردّ بصرَه اليه وقال : فلا حَيّاك الله يا بنَ النصرانية ! أمّا

(١) البلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .
(٢) يشول به : يرتفع به . (٣) ذو البطن : الرجيع .

منعُك نومى فلو نِمْتُ عنك لكان خيرًا لك . وأما تهضُّمُك قومى فكيف تَهَضَّمُهم وأنت ممن ضُرِبتْ عليهم الذِّلّة والمَسْكنة وباءوا بغضبٍ من الله ! . إيذَنْ لى يا أميرَ المؤمنين فى آبن النصرانيّة . فقال : لايكون ذلك بين يدىّ . فوثَب جريرٌ مُغْضَبًا . فقال عبد الملك : قم يا أَخْطَل واتبَعْ صاحبَك، فإنما قام غضبًا علينا فيك؛

٥ فنَهض الأخطلُ. فقال عبد الملك لخادم له : انظر ما يَصْنَعان إذا برَز له الأخطل. فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم اليه حِصَانًا له أَدْهَم فركبه وهـدَر والفرسُ يهتزّ من تحته، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتَوَارَى خَلْفَه، ولم يزل واقفًا حتى مضى جرير. فدخل الخادم الى عبد الملك فأخبره؛ فضحك وقال : قاتل الله جريرا ! ما أَفْحَله ! أمَا والله لو كان النصرانىّ برَز اليه لأكله .

سئل عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فأجاب

١٠ أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّيَاشِىّ قال حدّثنا الأصمعىّ عن أبى عمرو قال :

سُئل جرير أىُّ الثلاثة أشعرُ؟ فقال : أمّا الفرزدق فيتكلّف منِّى ما لا يُطيقه؛ وأمّا الأخطلُ فأشدُّنا اجتراءً وأَرْمانا للغرض ؛ وأما أنا فمدينةُ الشعر . وقد حدّثنى بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شَبّة عن الأصمعىّ فذكر نحو ماذكره الرِّياشىّ؛

١٥ وقال فى خبره : وأما الأخطل فأَنْعتُنا للخمر وأَمْدحُنا للملوك .

فضله أبو مهدى على جميع الشعراء

اخبرنا عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن عَطَاء بن مُصْعَب قال : قلت لأبى مَهْدىّ الباهلىّ وكان من علماء العرب : أيّما أشعرُ أجريرٌ أم الفرزدقُ؟ فغضب ثم قال : جريرٌ أشعرُ العربِ كلِّها ؛ ثم قال : لا يزال الشعراءُ موقوفين يوم القيامة حتى يجىء جريرٌ فيحكمَ بينهم .

$\frac{٧٠}{٧}$

لم يحفل بنو طهية بهجائه حتى هجاهم فى قصيدة الراعى فجزعوا

٢٠ أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى العباس بن مَيْمون قال سمعت أبا عثمان المازنىّ يقول :

قال جرير : هجوتُ بنى طُهيَّـــة أنواعَ الهجاءِ ، فلم يحفِلوا بقــولى حتى قلتُ فى قصيدة الراعى :

كأنّ بنى طُهَيَّةَ رهطَ سَــلْمَى * حجـارةُ خارئٍ يَرمِى كلابَا

فجزِعوا حينئذٍ ولاذُوا بى .

كان عاقا لأبيه وابنه عاق له

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المَدائنىّ قال :

كان جرير من أَعَقّ النـاس بأبيه [1] ، وكان بلالٌ ابنُـه أعقَّ الناس به . فراجع جريرٌ بلالًا الكلامَ يومًا ؛ فقال له بلال : الكاذب منّى ومنكَ ناك أُمَّه . فأقبلتْ أمّه عليه وقالت له : يا عدوّ الله ! أتقول هذا لأبيك ! فقال جرير : دَعِيه ، فوالله لكأنه سمِعها [2] منّى وأنا أقولها لأبى .

هجا عمر بن يزيد لتعصبه للفرزدق عليه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقيط قال :

كان عمر بن يزيد بن عُمَير الأَسَدىّ يتعصّب للفرزدق على جرير . فتزوّج امرأةً من بنى عُدُس بنِ زيد بن عبد الله بن دارم ؛ فقال جرير :

نكحتَ إلى بنى عُدُس بن زيدٍ * فقــد هَجَّنْتَ خيلَهمُ العِــرَابَا
أَتَنْسَى يومَ مَسْكِنَ [3] إذ تُنَـادِى * وقد أخطأْتَ بالقَــدَمِ الرِّكابا

وهى قصيدة ، فاجتمعوا على عمر بنِ يزيد . ولم يزالوا به حتى خلَعوا المرأةَ منه .

(١) كذا فى الأصول ولعله : «أعق الناس لأبيه ... أعق الناس له» . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «لكأنى أسمعها منى ...» . (٣) مسكن : موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير فى سنة ٧١ هـ ، وفيها قتل مصعب .

استشفع عنبسة ابن سعيد الى الحجاج ثم أنشده فأجازه

أخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنى محمد بن الهَيْثم قال حدّثنى عمّى أبو فِراس قال حدّثنى وَدْقَةُ بنُ معروف قال :

نزل جريرٌ على عَنْبَسَة[1] بن سَعيد بواسِط، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلا بإذن الحَجّاج. فلما دخل على عَنْبَسَة، قال له : وَيْحَك ! لقد غَرَّرتَ بنفسك ! فما حَمَلك على ما فعلتَ ؟ قال : شعرٌ قلتُه اعتلَجَ فى صدرى وجاشتْ به نفسى وأحببتُ أن يسمعه الأمير . قال : فعنَّفه وأدخله بيتًا فى جانب داره وقال : لا تُطْلِعنّ رأسَك حتى ننظرَ كيف تكونُ الحِيلة لك . قال : فأتاه رسول الحَجّاج من ساعته يدعوه فى يوم قائظ، وهو قاعدٌ فى الخَضْراء[2] وقد صُبّ فيها ماء استَنْقَع[3] فى أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسىٌّ موضوعٌ ناحيةً . قال عَنْبَسة : فقعدتُ على الكرسىّ، وأقبل علىّ الحَجّاج يحدّثنى . فلما رأيتُ تَطَلُّقَه وطِيبَ نفسه قلتُ : أصلح الله الأميرَ ! رجل من شعراء العرب قال فيك شعرًا أجاد فيه، فاستخفّه عُجْبُه به حتى دعاه الى أن رحَل اليك ودخل مدينتَك من غير أن يُسْتَأذنَ له . قال : ومن هو؟ قلتُ : ابن الخَطَفَى . قال : وأين هو ؟ قلت : فى المنزل . قال : يا غلام ! فأقبل الغِلْمانُ يتسارَعون . قال : صِفْ لهم موضعَه من دارك؛ فوصفتُ لهم البيتَ الذى هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به، فأُدخل عليه وهو مأخوذٌ بضَبْعَيْه حتى رُمِى به فى الخَضْراء، فوقع على وجهه فى الماء ثم قام يتنفَّش كما يتنفَّش الفَرْخ . فقال له : هِيه ! ما أقدمَك علينا بغير إذننا

(١) هو عنبسة بن سعيد بن العاص أحد أشراف بنى أمية، حبسه عبد الملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق . (انظر الطبرى ق ٢ ص ٧٩٢، ٨٦٩، ٨٧١ طبع أوروبا) .

(٢) المراد بها خضراء واسط، وتعرف بالقبة الخضراء، بناها الحجاج مع قصره والمسجد الجامع بهذه المدينة . (راجع المجلد السابع من المكتبة الجغرافية ص ٣٢٢ طبع أوروبا) .

(٣) استنقع الماء : اجتمع .

لا أمّ لك؟ قال : اصلح الله الأمير! قلت فى الأمير شعرًا لم يقل مثلَه أحدٌ، فجاش به صدرى وأحببتُ أن يسمعه منّى الأمير، فأقبلت به اليه . قال : فتطلّق الحجّاجُ وسكن، واستنشده فأنشده . ثم قال : يا غلام ! فجاءوا يسعَوْن . فقال : علىّ بالجارية التى بعث بها الينا عاملُ اليَمامة؛ فأُتى بجارية بيضاءَ مَديدةِ القامةِ . فقال : إنْ أصبتَ صفتَها فهى لك . فقال : ما ٱسمُها؟ قال : أُمامة، فأنشأ يقول :

وَدِّعْ أُمامةَ حانَ منك رحيلُ * إنّ الوَداعَ لمن تُحبّ قليلُ

مثلُ الكَثيبِ تميّلتْ أعطافُه * فالريحُ تَجْبُر مَتْنَه وتَهيلُ

تلك القلوبُ صواديًا تيَّمْتَها * وأَرَى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال : خذ بيدها . فبكت الجارية وٱنتَحَبَتْ . فقال : ادفعوها اليه بمتاعها و بغلها ورِحالها .

أمره الحجاج وأمر الفرزدق بأن يدخلا عليه بلباس آبائهما فى الجاهلية

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلام قال حدّثنى أبو الغَرّاف قال :

قال الحجّاج لجرير والفرزدق وهو فى قصره بجَزيز[1] البصرة : ائتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهليّة . فلبِس الفرزدقُ الدّيباجَ والخَزّ وقعد فى قُبّة . وشاور جريرٌ دهاة بنى يَرْبوع فقالوا له : ما لباسُ آبائنا إلّا الحديد ؛ فلبس جرير درْعًا وتقلّد سيفا وأخذ رُمحا وركب فرسا لعَبّاد بن الحُصَين يقال له المِنْحازُ[2] وأقبل فى أربعين فارسا من بنى يَرْبوع ، وجاء الفرزدقُ فى هيئته ؛ فقال جرير :

لبِستُ سلاحى والفرزدقُ لُعبةٌ * عليه وِشاحا كُرَّجٍ[3] وجَلاجِلُه[4]

(١) كذا فى جـ ومعجم ما استعجم للبكرى ومعجم ياقوت . وجزيز : موضع بالبصرة بين العقيق وأعلى المربد . وقد ورد محرّفا فى جميع الأصول . (٢) كذا فى شرح القاموس (مادة نحز) . وفى ب ، س : « المنجاز » . وفى سائر الأصول : « المنحار » ، وهما تصحيف . (٣) الكرج : شىء يتخذ بهيئة المهر يلعب عليه . (٤) كذا فى اللسان (مادة كرج) والنقائض (ص ٦٥٠) وفى الأصول : « وخلاخله » .

أَعَدُّوا مع الحَلْىِ[1] المَلَابَ[2] فإنما * جريرٌ لكم بَعْلٌ وأنتم حَلَائلُهْ

ثم رجعا ، فوقف جرير فى مَقْبُرة بنى حِصْن و وقف الفرزدق فى المِرْبَد . قال : فأخبرنى أبى عن محمد بن زِيَاد قال : كنتُ أختلف الى جرير والفرزدق، وكان جريرٌ يومئذ كأنه أصغرُهما فى عينى .

هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك

٥ أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنا أبو اليَقْظان عن جُوَيْرِيَةَ بنِ أسماء قال :

قدِم الفرزدقُ اليمامةَ وعليها المهاجِرُ بنُ عبد الله الكِلَابىّ فقال : لو دخلتُ على هذا فأصبتُ منه شيئا ولم يعلمْ بى جرير ! فلم تستقرَّ به الدارُ حتى قال جرير :

رأيتُك إذ لم يُغْنِكَ اللهُ بالغِنَى * رجعتَ الى قيسٍ وخَدُّك ضارِعُ

١٠ وما ذاك إن أَعْطَى الفرزدقُ بٱسْتِه * بأوّل ثَغْرٍ ضيّعَتْه مُجَاشِعُ

فلما بلَغ ذلك الفرزدقَ قال : لا جَرَمَ واللهِ لا أدخل عليه ولا أَرْزَؤُه شيئا ولا أُقيم باليمامة ، ثم رحَل .

انتصار الفرزدق له على التيمى ثم صلحه مع التيمى

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال قال أبو البَيْداء :

لقِى الفرزدقُ عمرَ بن عطيّة أخا جرير، وهو حينئذ يُهَاجِى ٱبنَ لَجَأ ، فقال له : ١٥ وَيْلَك ! قل لأخيك : ثَكِلَتْك أمُّك ! إيتِ التَّيْمِىَّ مِنْ عَلُ كما أصنع أنا بك . وكان الفرزدقُ قد أَنِفَ لجريرٍ وحَمِىَ من أن يتعلّق به التيمىُّ. قال ٱبن سَلّام: فأنشدنى له خَلَفُ الأحمرُ يقوله للتَّيْمِىّ :

وما أنت إن قَرْمَا تَميمٍ تَسَامَيَا * أخا التَّيْمِ إلا كالوَشِيظةِ[3] فى العَظْمِ

(١) كذا فى أكثر الأصول والنقائض . وفى ب ، س : « الخز » . (٢) كذا فى ج والنقائض . والملاب : ضرب من الطيب . وفى ب ، س : «الملاء» . وفى سائر الأصول : «الملاة» ٢٠ وهما تحريف . (٣) الوشيظة : قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم .

فلو كنتَ مَوْلَى العزّ أو فى ظلاله * ظُلِمْتَ ولكن لا يَدَىْ لك بالظلم

فقال له التَّيمى :

كذَبْتَ أنا القَرْمُ الذى دَقّ مالكًا * وأَفْناءَ يَرْبُوعٍ وما أنت بالقَرْمِ

قال ٱبن سَلّام فحدّثنى أبو الغَرّاف : أن رجال تَيم مشتْ بين جريرٍ والتَّيْمىّ وقالوا : والله ما شعراؤنا إلّا بَلَاءٌ علينا ينشُرون مساوينَا ويَهْجُون أحياءَنا ومَوْتانا ؛ فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلَّظة ألّا يعُودا فى هجاء . فكَفّ التَّيْمىّ ، وكان جريرٌ لا يزال يَسُلّ(١) الواحدةَ بعد الواحدة فيه ؛ فيقول التَّيْمِىّ : والله ما نَقَضْتُ هذه ولا سمعتُها ؛ فيقول جرير : هذه كانت قبل الصلح .

قال ٱبن سَلّام فحدّثنى عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حَرْملةَ قال : لمّا وَرَد علينا هجاءُ جريرٍ والتَّيْمىّ ، قال [لى](٢) سعيد بن المُسَيّب تَرَوَّ(٣) شيئًا ممّا قالا ؛ فأتيتُه وقد ٱستقبل القبلةَ يريد أن يكبّر ، فقال لى : أرَوَيْتَ ؟ قلتُ نعمْ . فأقبل علىّ بوجهه فأنشدتُه للتَّيْمىّ وهو يقول : هِيهِ هِيهِ ! ثم أنْشدتُه لجرير، فقال : أَكَلَه أَكَلَه ! .

لم يؤنـــر هجاؤه فى التيم للؤمهـــم

قال ٱبن سَلّام وحدّثنى الرازىّ عن حَجْنَاء بن جرير قال : قلتُ لأبى : يا أبتِ ، ما هجوتَ قومًا قطُّ إلا فضحتَهم إلّا التَّيْمَ . فقال : يابُنَىّ ، لم أجد بناءً أَهْدِمُه ولا شرفًا أَضَعُه . وكانت تَيمٌ رِعَاءَ غنم يَغْدُون فى غنمِهم ثم يَرُوحون ، وقد جاء كلُّ رجل منهم بأبيات فينتحلُها ٱبنُ لَجَأ . فقيل لجرير : ما صنعتَ فى التَّيْم شيئًا ؛ فقال : إنهم شعراءُ لِئامٌ .

(١) فى الأصول « يسأل » . والتصويب عن طبقات ابن سلام (ص ٦٢ نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٧ أدب ش) . ويريد بذلك أنه يرسل القصيدة تلو القصيدة خفية .

(٢) التكلة عن ابن سلام . (٣) فى الأصول : « تروى » والتصحيح عن ابن سلام ؛ يقال : تروى الحديث إذا نقله .

هو أشعر عند العامة والفرزدق عند الخاصة

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى ابن النطّاح قال حدّثنى أبو اليَقْظان قال :

قال جرير لرجل من بنى طُهَيّة : أيُّما أشعرُ أنا أم الفرزدقُ؟ فقال له : أنت عند العامة والفرزدقُ عند العلماء . فصاح جرير : أنا أبو حَزْرَة ! غلبتُه وربِّ الكعبة ! ٥ والله ما فى كل مائة رجل عالِمٌ واحد .

هو وعدىّ بن الرقاع فى حضرة الوليد بن عبد الملك

حدّثنا أحمد بن عَمّار قال حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى ابن النطّاح قال ، وحدّثنى أبو الأخضر لِمُخَارِق بن الأخْضَر القَيْسىّ قال(1) : إنّى كنتُ والله الذى لا إله إلا هو أخصَّ الناس بجرير ، وكان ينزل اذا قدم على الوليد بن عبد الملك عند سَعيد بن عبدالله بن خالد بن أَسِيد ، وكان عَدِىّ بن الرِّقاع خاصًّا ١٠ بالوليد مَدّاحا له ، فكان جريرٌ يجىء الى باب الوليد فلا يُجالس أحدًا من النِّزَاريّة ولا يجلس إلا الى رجل من اليَمَن بحيثُ يقرُب من مجلس ابن الرِّقَاع الى أن يأذَن الوليدُ للناس فيدخلَ . فقلت له : يا أبا حَزْرة ، اختصصْتَ عدوّك بمجلسك! فقال : إنى والله ما أجلس اليه إلا لأُنْشِدَه أشعارًا تُخْزِيه وتُخْزِى قومَه . قال : ولم يكن يُنْشِده شيئا من شعره ، وإنما كان يُنْشِدُه شعرَ غيره ليُذِلَّه ويخوّفَه نفسَه . فأذِن الوليدُ ١٥ للناس ذاتَ عشيّة فدخلوا ودخلْنا ، فأخذ الناسُ مجالسَهم ، وتخلّف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناسُ وأخذوا مجالسَهم واطمأنّوا فيها . فبيناهم كذلك اذا بجرير قد مَثَل بين السِّماطَيْن يقول : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله ، إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لى فى ابن الرِّقَاع المتفرِّقة أُؤلِّف بعضَها الى بعض ! — قال : وأنا جالسٌ أسمع — فقال الوليد : والله لهمَمْتُ أن أُخرِجَه على ظهرك الى الناس . ٢٠ فقال جرير وهو قائم كما هو :

(1) فى ب ، سـ : «قال قال» .

فإن تَنْهَنِى عنه فسمعًا وطاعةً * وإلا فإنّى عُرْضَةٌ للمَرَاجِمِ[1]

قال فقال له الوليد : لا كثّر اللهُ فى الناس أمثالك . فقال له جرير : يا أمير المؤمنين ، إنما أنا واحدٌ قد سَعَرْتُ[2] الأمّةَ ، فلو كثُر أمثالى لأكلوا الناس أكلا . قال : فنظرتُ والله الى الوليد تبسّم حتى بدتْ ثَنَايَاه تعجّبا من جرير وجَلَدِه . قال : ثم أمره فجلس .

٥ أخبرنى ٱبن عَمّار قال حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا ٱبن النطّاح عن أبى عُبَيدة قال :

٧٣/٧ كان جرير عند الوَليد وعَدِىُّ بن الرِّقَاع يُنْشِده . فقال الوليد لجرير : كيف تَسمع ؟ قال : ومن هو يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : عَدِىُّ بنُ الرِّقَاع . قال : فإن شَرّ الثيابِ الرِّقَاعُ ، ثم قال جرير : (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً[3]) ؛ فغضب الوليدُ وقال : يا ٱبنَ اللَّخْناء ! ما بقِى لك إلا أن تَتنَاول كتابَ الله ![4] والله لَيركبنّك ! ياغلام ١٠ أَوْكِفْه[5] حتى يركبَه . فغمَز عمرُ بن الوليد الغلامَ الذى أمره الوليدُ فأبطأ بالإكاف . فلما سكَن غضبُ الوليد قام اليه عمرُ فكلّمه وطلَب اليه وقال : هذا شاعرُ مُضَر ولسانُها ، فإن رأى أميرُ المؤمنين ألّا يَغُضّ منه ! ولم يزل به حتى أَعْفاه ، وقال له : والله لئن هجوتَه أو عرّضتَ به لأفعلنّ بك ولأفعلنّ ! . فقال فيه تلك القصيدة التى ١٥ يقول فيها :

أَقْصِرْ فإن نِزَارًا لن يفاخِرَها * فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروسِ

وذكر وقائعَ نِزَارٍ فى اليمن ، فعلِمنا أنّه عَنَاه . ولم يُجِبْه الآخر بشىء .

وصف شبة ابن عقال وخالد ابن صفوان له وللفرزدق والأخطل

حدّثنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانِىّ قال حدّثنا العُمَرِىّ عن العُتْبِىّ قال :

---

[1] يقال : فلان عرضة للكلام اذا كان كثيرا ما يعرضه كلام الناس و يقذف به . والمراجم : الكلم القبيحة .
[2] سعرت الأمة ، يريد أوقدت فيها الشر .
[3] يريد التعريض بعاملة ٢٠ قبيلة عدى بن الرقاع .
[4] ويحتمل أن تكون العبارة : « ... إلا أن تتأوّل كتاب الله » .
[5] أوكف الدابة : وضع عليها الإكاف ، وهو البرذعة .

قال هشام بن عبد الملك لشَبَّة بن عِقَال وعنده جرير والفرزدق والأخطل ، وهو يومئذ أميرٌ : أَلَا تخبرنى عن هؤلاء الذين قد مزّقوا أعراضَهم وهتكوا أستارَهم وأَغْرَوْا بين عَشائرهم فى غير خير ولا بِرّ ولا نفع أيُّهم أشعرُ ؟ فقال شَبّة : أما جرير فيَغْرِف من بحر ، وأما الفرزدق فيَنْحَت من صخر ، وأما الأخطل فيُجيد المدح والفخر . فقال هشام : ما فسَّرْتَ لنا شيئا نحصِّله . فقال ما عندى غيرُ ما قلت . فقال لخالد بن صَفْوان : صِفْهم لنا يآبنَ الأَهْتَم ؛ فقال : أما أعظمُهم فخرا ، وأبعدُهم ذكرا ، وأحسنُهم عذرا ، وأَسْيَرُهم[1] مَثَلا ، وأقلُّهم غَزَلا ، وأَحْلاهم عِلَلا ؛ الطامى إذا زَخر ، والحامى إذا زأَر ، والسامى إذا خطَر ؛ الذى إن هدَر قال ، وإن خطَر صال ؛ الفصيحُ اللسان ، الطويلُ العِنان ؛ فالفرزدق . وأما أحسنُهم نَعْتا ، وأمدحُهم بيْتا ، وأقلُّهم فَوْتا ؛ الذى إن هجا وضَع ، وإن مدح رفَع ، فالأَخْطَل . وأما أغزرُهم بَحْرا ، وأرقُّهم شِعْرا ، وأَهْتَكُهم لعدوِّه سِتْرا ؛ الأَغَرُّ الأَبْلَق ، الذى إن طَلَب لم يُسْبَق ، وإن طُلِب لم يُلْحَق ؛ فجَرير . وكلُّهم ذَكِىّ الفؤاد ، رَفيع العِماد ، وارِى الزِّناد . فقال له مَسْلَمةُ بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالدُ فى الأوّلين ولا رأينا فى الآخرين ؛ وأشهَد أنك أحسنُهم وصفا ، وألينُهم عِطْفا ، وأعفُّهم مَقالا ، وأكرمُهم فَعالا . فقال خالد : أَتمَّ اللهُ عليكم نِعَمَه ، وأَجْزَل لديكم قِسَمَه ، وآنَس بكم الغُرْبة ، وفرَّج بكم الكُرْبة . وأنت ، واللهِ ما علمتُ أيها الأميرُ ، كريمُ الغِرَاس ، عالمٌ بالناس ، جَوَادٌ فى المَحْل ، بَسّامٌ عند البَذْل ، حَليمٌ عند الطَّيْش ، فى ذِرْوة قُرَيْش ، ولُبَاب عبد شَمْس ، ويومُك خيرٌ من أَمْس . فضحك هشامٌ وقال : ما رأيتُ كتخلُّصك يآبنَ صَفْوان فى مدح هؤلاء ووصفِهم حتى أرضيتَهم[2] جميعًا وسلِمْتَ منهم .

(١) فى الأصول : « وأشدّهم مثلا » .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « عليهم » .

خبرنى محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينىّ قال حدّثنى مصعب الزُّبَيْرىّ قال حدّثنى إبراهيم بن عبد الله مَوْلَى بنى زُهْرةَ قال :

حضرتُ عمرَ بن لَجَأ وجرير بن الخَطَفَى موقوفَيْن للناس بسُوق المدينة لمّا تَهاجَيَا وتَقاذَفَا وقد أمر بهما عمرُ بن عبد العزيز فقُرِنا وأُقيما . قال : وعمرُ بن لَجَأ شابٌّ كأنه حِصانٌ ، وجريرٌ شيخٌ قد أَسَنّ وضَعُف . قال فيقول ابنُ لَجَأ :

رأَوْا قَمَـرًا بساحتهم مُنِيرًا * وكيف يُقَارِنُ القمـرُ الحِمَارَا

قال : ثم يَنْزُو به وهما مقرونانِ فى حَبْلٍ فيسقُطان الى الأرض ، فأمّا ابن لَجَأ فيقع قائما ، وأمّا جرير فَيخِرُّ لركبتيه ووجهه ، فاذا قام نفَضَ الغُبَارَ عنه . ثم قال بغُنّته قولا يُخْرِج الكلامَ به من أنفه — وكان كلامُه كأنّ فيه نُوناً — :

فلستُ مفارِقًا قَرَنِىَ حتّى * يَطُولَ تصعُّدى بكَ وانحدارى

قال فقال رجل من جُلَساء عمر له حين حضَر غَدَاؤه : لو دعا الأميرُ بأسيريْه فغدّاهما معه ! ففعل ذلك عمر . وإنما فعله بهما لأنهما تَقَاذَفَا ، وكان جريرٌ قال له :

تقول والعبدُ مِسْكِينٌ يُجرِّرُها * أُرْفُقْ فَدَيْتُكَ أنت الناكحُ الذَّكَرُ

قال : وهذه قصيدتُه التى يقول فيها :

يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِىّ لا أَبَا لكمُ * لا يُوقِعنّكُمُ فى سَوْءةٍ عمرُ

قال ابنه : أجود شعره قصيدته الدالية

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى على بن محمد النَّوْفلىّ قال حدّثنى أبى قال :

كنت باليَمامة وأنا وَالِيها فكان ابنٌ لجريرٍ يُكْثِر عندى [الدخولَ] (1) وكنت أُوثِرُه فلم أقل له قَطُّ أنشدْنى أجودَ شعرٍ لأبيك إلا أنشدنى الداليّةَ :

(1) التكلة عن ح .

أَهَوًى أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وُقُودَا(١) * أم بالجُنَيْنَةِ من مَدَافِعِ أُودَا(٢)

فأقولُ له : وَيْحَكَ ! لا تَزِيدُنى على هذه ! ؟ فيقولُ : سألتَنى عن أجود شعر أبى وهذه أجودُ شعره ، وقد كان يقدّمها على جميعه .

ذهب الى الشأم ونزل على نميرى فأكرمه

حدّثنى ٱبن عمّار قال حدّثنى النَّوْفلىّ قال حدّثنى على بن عبد الملك الكَعْبىّ من ولد كَعْب مَوْلَى الحجّاج قال حدّثنى فلانٌ العَلّامةُ التَّميمىّ يَرْوِيه عن جَرِير قال :

ما نَدِمْتُ على هجائى بنى نُمَيرٍ قَطُّ إلا مرّة واحدة ، فإنّى خرجت الى الشأم فنزلت بقوم نُزُولٍ فى قَصْرٍ لهم فى ضَيْعة من ضِيَاعهم ، وقد نظرتُ اليه من بين القصور مشيَّدا حَسَنًا ، وسألتُ عن صاحبه فقيل لى : هو رجل من بنى نُمَير . فقلت : هذا شَآمٍ وأنا بَدَوِىٌّ لا يعرفُنى ، فجئت فٱستضفتُ . فلما أَذِن لى ودخلتُ عليه عرَفنى فقَرانى أَحْسنَ القِرَى ليلتين ، فلما أصبحتُ جلستُ ، ودعا بُنَيَّةً له فضمّها اليه وتَرَشَّفَها ، فاذا هى أحسنُ الناس وجهًا ولها نَشْرٌ لم أَشَمَّ أطيبَ منه . فنظرتُ الى عينيها فقلتُ : تالله ما رأيتُ أحسنَ من عينىْ هذه الصبيّة ولا من حَوَرِها قَطّ ، وعَوَّذْتُها : فقال لى : يا أبا حَزْرَةَ ، أَسَوْداءُ المحَاجِرِ(٣) هى ؟ فذهبتُ أَصِفُ طِيبَ رائحتها . فقال : أَصَنٌّ وَبْرٍ(٣) هى ؟ فقلت : يَرْحَمُك الله ! إنّ الشاعر ليقولُ ،

(١) فى ب ، سـ : « وفودا » بالفاء وهو تصحيف . (٢) الجنينة : روضة نجدية بين ضرية وحزن بنى يربوع . والمدافع : مجارى السيول . وأود : موضع فى ديار تميم ثم لبنى يربوع منهم بنجد فى أرض الحزن . (٣) نشير إلى قول جرير فى القصيدة البائية التى هجا بها الراعى وذكر فيها نساء بنى نمير :

وخضراء المغابن من نمير * يشين سواد محجرها النقابا

ويشير بقوله « أصن وبرهى » الى قول جرير فى هذه القصيدة أيضا :

تطلى وهى سيئة المعرّى * بصنّ الوبر تحسبه ملابا

والوبر : دويبة على قدر السنور . وصنه بوله ، وهو منتن جدّا . والملاب : الطيب .

ووالله لقد ساءنى ما قلتُه، ولكن صاحبكم بَدَأَنى فآنتصرتُ، وذهبتُ أعتذر . فقال : دَعْ ذا عنك أبا حَزْرة، فوالله ما لك عندى إلا ما تحبّ . قال : وأَحْسَنَ والله إلىّ وزوّدنى وكَسَانى، فآنصرفتُ وأنا أندمُ الناس على ما سلَف منّى الى قومه .

كان المفضل من أنصار الفرزدق لحاجه محاج بقصيدته السينية

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال حدّثنى ابنُ أبى عَلْقَمَةَ الثَّقَفِىّ قال :

كان المفضَّل يقدِّم الفرزدقَ، فأنشدتُه قولَ جرير :

حَىِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَوَاعِيسِ * فالحِنْوُ أَصْبَحَ قَفْرًا غيرَ مأنوسِ (١)

٧٥/٧

وقلتُ أَنْشِدْنى لغيره مثلَها فسكَت . قال : وكان الفرزدق اذا أُنْشِدَها يقول : مِثْلَها فلْيَقُلِ آبنُ الخَنْناء .

رثاء الفرزدق ابن أخيه وجرير ابنه

أخبرنا أبو خليفة الفَضْــل بن الحُبَاب قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال حدّثنى عبد الجبّار بن سَعيد بن سُلَيمان المُسَاحِقِىّ عن المُحَرَّر (٢) بن أبى هُرَيرة قال :

إنّى لفى عسكرِ سليمانَ بن عبــد الملك وفيه جريرٌ والفرزدقُ فى غَزَاةٍ، إذ أتانا الفرزدقُ فى غَدَاةٍ، ثم قال، اشهدوا أنّ محمد ابن أخى، ثم أنشأ يقول : (٣)

فبِتُّ بدَيْرَىْ (٤) أَرْيَحَــاءَ (٥) بَلَيْــلةٍ * خُدَارِيَّةٍ يزدادُ طُـولًا تَمامُهــا

(١) الهــدملة والمواعيس والحنو مواضع . (٢) كذا فى حـ وشرح القاموس والخلاصة فى أسماء الرجال، وهو المحرر بن أبى هريرة الدوسى، تابعى . وفى الأصول : « المحرز » بالزاى وهو تصحيف . (٣) هكذا فى الأصول . وهنا يشعر القارئ بنقص فى الكلام لم نوفق لتكملته . (٤) كذا فى ديوان الفرزدق « طبع أوربا » . وفى الأصول : « بتنا » . وهذه الأبيات من قصيدة يرثى بها الفرزدق محمدا ابن أخيه الذى مات بالشأم . ومطلع القصيدة فى الديوان :

* سقى أريحاء الغيث وهى بغيضة *

البيت الآتى . (٥) أريحا (بفتح أوله وكسر ثانيه وسكون الياء مقصورا، وقد تحرك ياؤه ويمدّ فى الشعر) : مدينة فى الغور من أرض الأردن بالشام (راجع معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى) . وخدارية : شديدة الظلمة .

أكابِدُ فيها نفسَ أَقْربِ مَنْ مَشَى * أبوه بأمٍّ غاب عنها نِيامُها (١)

وكنّا نَرى من غالبٍ فى محمد * شمائلَ تَعْلُو الفاعلين كِرامُها

وكان اذا ما حلَّ أرضًا تزيَّنَتْ * بزينتها صحراؤها وإكامُها

سَقَى أَرْيَحَاءَ الغيثُ وهى بَغيضةٌ * الينا ولكن بى لتُسْقاه هامُها (٢)

٥ قال : ثم ٱنصرف . وجاء جرير فقال : قد رأيتُ هذا وسمعت ما قال فى ٱبن أخيه ؛ وما ٱبنُ أخيه فعَل اللهُ به وفعَل ! قال : ومضى جرير، فوالله ما لبثنا إلا جُمَعًا حتى جاءنا جريرٌ فقام مقامَه ونعَى ٱبنَه سَوَادةَ فقال :

أَوْدَى سَوادةُ يَجْلُو مُقْلتَىْ لَحِم * بازٍ يُصَرْصِرُ فوقَ المَرْبَأ العالِى

فارقتَنِى حين كَفَّ الدهرُ من بَصَرِى * وحينَ صِرْتُ كعَظْم الرِّمَّةِ البالِى

١٠ إلّا تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن باكيةٌ * فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْل مِعْوالِ

قالوا نَصِيبَك من أجرٍ فقلتُ لهم * كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أَشْبالِى

هجا الفرزدق لزواجه حدراء بنت زيق وجواب الفرزدق له

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى حاجب بن زيد وأبو الغَرّاف قالا :

تزوّج الفرزدقُ حَدْراءَ بنتَ زِيق بن بِسْطام بن قَيْس على حُكْم أبيها، فاحتكم مائةً ١٥ من الإبل . فدخل على الحَجّاج يسأله ذلك ؛ فعذله وقال له : أتتزوّج ٱمرأةً على حكمها ! . فقال عَنْبَسةُ بن سَعيد وأراد نفعَه : إنما هى من حَوَاشِى إبل الصَّدَقة، فأمر له الحَجّاج بها . فوثَب جريرٌ فقال :

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيْبانَ فى حَسَبٍ * يا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكحتَ يا زِيقُ

(١) يريد أكابد فيها نفس عزيز علىّ أبوه أقرب الناس إلىّ . وورد هذا الشطر فى الديوان :

٢٠ * أبوه لنفسى مات عنى نيامها *

(٢) كذا فى حـ والديوان . وفى سائر الأصول : « فى لتسقاه هامها » وهو تحريف .

أَنْكحتَ وَيْحَكَ قَيْناً باستِه حَمَمٌ * يازِيقُ وَيْحَكَ هل بارتْ بكَ السُّوقُ

غابَ المُثَنَّى[1] فلم يَشْهَدْ نَجِيَّكُمَا[2] * والحَوْفَزانُ[3] ولم يَشْهَدْكَ مَفْرُوقُ[4]

يا رُبَّ قائلةٍ بعدَ البِناء بها * لاالصِّهْرُ راضٍ ولا ٱبنُ القَيْنِ معشوقُ

أين الأُلَى ٱستنزَلُوا النُّعْمانَ ضاحيةً * أم أينَ أبناءُ شَيْبانَ الغَرانيقُ[5]

قال : فلم يُجِبْه الفرزدقُ عنها ، فقال جريرٌ أيضا : ٥

فلا أنا مُعْطِى الحكمِ عن شِفِّ[6] مَنْصِبٍ * ولا عن بَناتِ الحَنْظَلِيِّينَ راغبُ

وهُنَّ[7] كماءِ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى * وكانت مِلاحًا[8] غيرَهُنَّ المَشارِبُ

فلو كنتَ حُرًّا كان عَشْرًا سِياقُكم[9] * الى آلِ زِيقٍ والوَصيفُ المُقارِبُ[10]

٧٦/٧

فقال الفرزدق :

فنَلْ مثلَها[11] من مثلِهم ثم لُمْهُمُ * على دارِمِيٍّ بين لَيْلَى وغالِبِ ١٠

---

(١) يريد المثنى بن حارثة الشيبانى أحد قواد الإسلام وهو الذى فتح سواد العراق وقتل يوم الجسر فى وقعة بين المسلمين والعجم فى أيام عمر رضى الله عنه . (٢) كذا فى حـ والنقائض . وفى ب ، سـ : « بحبكما » وفى م ، ا ، ء : « محبكما » وكلاهما تحريف . (٣) الحوفزان : اسم الحارث بن شريك الشيبانى ، لقب بذلك لأن بسطام بن قيس طعنه فأعجله . وقال ابن سيدة : سمى بذلك لأن قيسا التيمىّ حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته فعرج من تلك الحفزة فسمى الحوفزان . ١٥
(٤) مفروق : هو النعمان بن عمرو الشيبانى . (٥) الغرانيق : جمع غرنوق — وفيه لغات أخرى — وهو الشاب الناعم الجميل . (٦) الشف هاهنا : النقصان ، وقد يكون الشف الفضل والزيادة . (٧) فى النقائض : « أراهنّ ماء المزن » . (٨) ملاح : جمع ملح وهو ضد العذب . وفى ب ، سـ : « بينهن المشارب » وهو تحريف . (٩) السياق : المهر . سمى المهر بذلك لأن العرب كانوا اذا تزوجوا ساقوا الابل والغنم مهرا لأنها كانت الغالبة على أموالهم . ٢٠
(١٠) المقارب : الدون ، وقيل : هو الوسط بين الجيد والردىء . (١١) الشطر الأول بيت والشطر الثانى عجز بيت آخر . والبيتان كما فى النقائض هما :

فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم * على دارمىّ بين ليلى وغالب

فنل مثلها من مثلهم ثم لمهم * بمالك من مال مراح وعازب

هـــمُ زوَّجوا قبلى لَقيطًا وأَنْكَحُوا * ضِرَارًا وهم أكفاؤنا فى المَنَاسِبِ
ولو قبِلوا مـــنّى عَطِيّةَ سُـــقْتُه * الى آل زِيقٍ من وَصِيفٍ مُقَارِبِ
ولو تُنْكِحُ الشمسُ النجومَ بَنَاتِها * إذًا لنكحناهنّ قبـــل الكواكبِ

قال ٱبن سَــلّام فحدّثنى الرّازِىّ عن أبيه قال : ما كانت ٱمرأة من بنى حَنْظلةَ إلّا
٥ ترفَعُ لجريرٍ اللَّوِيّة فى عظمها لتُطْرِفَه بها لقوله :

وهُنَّ كماءِ المُزْنِ يُشْــفَى به الصَّـــدَى * وكانت مِـــلَاحًا غيرَهنّ المَشَـــارِبُ

فقلتُ للرّازِىّ : ما اللَّوِيّة ؟ قال : الشَّرِيحة من اللحم ، أو الفِدْرة[1] من التمر ، أو الكُبّة من الشـــحم ، أو الحَفْنة من الأَقِط ؛ فإذا ذهب الألبـــانُ وضاقت المعيشةُ كانت طُرْفةً عندهم .

١٠ قال : وقال جرير أيضا فى شأن حَدْراءَ :

أثائرةٌ حَدْراءُ مَنْ جُرَّ بالنَّقَـــا * وهل لأبى حَدْراءَ فى الوِتْرِ طالبُ
أَتَثْأَرُ بِسْطامًا اذا ٱبتلّت ٱستُها * وقد بَوّلتْ فى مِسْمَعَيْه الثعالبُ[2]

قال ٱبن سَلّام : والنَّقَا الذى عَناه جريرٌ هو الموضع الذى قَتَلتْ فيه بنو ضَبّةَ بِسْطَامًا ، وهو بِسْطام بن قَيْس . قال : فكرهتْ بنو شَيْبانَ أن يَهْتِكَ جريرٌ أعراضَهم . فلما
١٥ أراد الفرزدقُ نقلَ حَدْراء اعتلُّوا عليه وقالوا له إنها ماتت . فقال جرير :

فأُقْسِمُ ما ماتتْ ولكنّما ٱلْتَـوَى * بحَدْراءَ قومٌ لم يَرَوْكَ لهـــا أهْلَا
رأَوْا أنّ صِهرَ القَيْنِ عارٌ عليهـــم * وأنّ لبِسْطَامٍ على غالبٍ فَضْلَا

---

(١) الفدرة : القطعة .
(٢) كناية عن أنه قتل ورمى به فالثعالب تبول عليه

مدح قوما عادوه فى مرضه

أخبرنى حَبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا ٱبن أبى سَعْد قال حدّثنا محمد ٱبن إدريس اليمَامِىّ قال حدّثنا علىّ بن عبد الله بن محمد بن مُهَاجِر عن أبيه عن جدّه قال :

دخلنا على جرير فى نَفَرٍ من قريش نَعُوده فى عِلّته التى مات فيها، فالتفت الينا فقال :

أهلًا وسهلًا بقوم زيّنوا حَسَبِى * وإن مَرِضْتُ فهم أهلى وعُوّادِى
إن تَجْرِ طَيْرٌ بأمرٍ فيه عافيةٌ * أو بالفراق فقد أحسنتمُ زادِى
لو أن ليثا أبا شِبْلَيْن أَوْعَدَنِى * لم يُسْلِمُونِى لليث الغابة العادِى

نعى الفرزدق اليه فشمت به ثم رثاه

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال حدّثنى أبو جَنَاح أحد بنى كَعْب بن عمرو بن تَمِيم قال :

نُعِى الفرزدقُ الى المهاجِر بن عبدالله وجريرٌ عنده فقال :

مات الفرزدقُ بعد ما جدّعتُه * ليت الفرزدقَ كان عاش قليلَا

فقال له المهاجر : بئسَ لَعَمْرُ اللهِ ما قلتَ فى ٱبن عمّك ! أتهجو ميّتا ! أمَا واللهِ لو رثيْتَه لكنتَ أكرمَ العرب وأشعرَها . فقال : إن رأى الأميرُ أن يكتُمَها علىّ فإنها سَوْءة ؛ ثم قال من وقتِه :

فلا وضَعَتْ بعد الفرزدقِ حاملٌ * ولا ذاتُ بَعْلٍ من نِفَاسٍ تَعلّتِ[1]
هو الوافدُ الميمونُ والراتِقُ الثأى[2] * اذا النعلُ يومًا بالعشيرة زلّتِ

(١) تعلت المرأة من نفاسها : برئت منه وخرجت .
(٢) الثأى : الفتق والفساد .

وفاته

قال : ثم بكى ثم قال : أمَا واللهِ إنّى لأعلم أنّى قليلُ البقاء بعـده ، ولقد كان نجُمنا واحدا ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلّمـا مات ضـدّ أو صديق إلّا تبعه صاحبه . فكان كذلك ، مات بعد سنة . وقد زاد الناس فى بيتىْ جريرٍ هذين أبياتا أُخَر ، ولم يقل غيرَهما وإنمـا أُضيف الى ماقاله .

٥

صــــوت

من المـائة المختارة من رواية على بن يحيى

رحَل الخليطُ بِجمالهم بسَـــوَادِ * وحَدَا على إثْرِ البَخيـلة حَادِى
ما إن شَعَرْتُ ولا علِمتُ بِبَيْنهم * حتى سمعتُ به الغرابَ يُنَادِى

الشـعر لجميل . والغناء لإبراهيمَ ، ولحنُه المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوُسْطَى .

١٠

نسب جميل وأخباره

هو جَميل بن عبد الله بن مَعْمَر[١] بن الحارث[٢] بن ظَبْيانَ وقيل ابن مَعْمَر بن حُنّ[٣] آبن ظَبْيان بن قَيْس بن جَزْء بن رَبيعة بن حَرَام بن ضِنَّة[٤] بن عَبْد بن كَثِير بن عُذْرة بن سَعْد — وهو هُذَيم، وسُمّى بذلك إضافة لآسمه الى عبدٍ لأبيه يقال له هُذَيم كان يحضُنه فغلَب عليه — ابن زيد بن سُود بن أَسْلَم بن الحاف بن قُضَاعة . والنسّابون مختلفون فى قُضَاعة، فمنهم من يزعُم أن قضاعة ابن مَعَدّ وهو أخو نِزَار بن مَعَدّ لأبيه وأمّه، وهى مُعَانة بنت جَوْشَم[٥] بن جُلْهُمة بن عامر بن عَوْف بن عَدِىّ بن دُبّ بن جُرْهُم؛ ومنهم من يزعُم أنهم من حِمْيَر . وقد ذكر جميل ذلك فى شعره فآنتسب مَعَدّيًّا فقال :

أنا جميلٌ فى السَّنَام من مَعَدّ * فى الأُسْرَة الحَصْداء[٦] والعِيص الأَشَدّ

وقال راجز من قُضَاعة ينسُبهم الى حِمْيَر :

قُضَاعةُ الأَثْرَوْنَ خيرُ مَعْشَر * قضاعةُ بنُ مالك بن حِمْيَر

ولهم فى هذا أراجيزُ كثيرةٌ . إلّا أنّ قُضَاعة اليومَ تُنسب كلُّها فى حِمْيَر، فتزعُم أن قضاعةَ ابنُ مالك بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب

---

(١) فى الشعر والشعراء : « وقد يقال فيه جميل بن معمر بن عبد الله » . (٢) فى تهذيب تاريخ ابن عساكر وابن خلكان وشرح القاموس (مادة صبح) : « صباح » بدل الحارث . (٣) كذا فى ابن خلكان : وفيه « ...ابن ظبيان بن حن بضم الحاء المهملة وتشديد النون ابن ربيعة بن حرام... الخ » . وفى حـ : « خيبرى » ويؤيده ما فى شرح القاموس (مادة خبر) حيث قال : « وجميل بن معمر بن خيبرى العذرى الشاعر المشهور » . وهو محرف فى سائر الأصول . (٤) كذا فى شرح القاموس (مادة ضن) . وفى الأصول « ضبة » بالباء الموحدة، وهو تصحيف . (٥) فى الطبرى ق ١ ص ٦٧٥ طبع أوروبا : « جرشم » وفى نسخة أشير اليها بهامشه : « جوشم » . (٦) الحصداء : القوية .

ابن قحطان . وقال القَحْذَمىّ : اسم سَبَأ عامر؛ وإنما قيل له سَبَأ لأنه أوّلُ من سَبَى النساءَ . وكان يقال له عَبُ الشمس[1] ، أى عَديل الشمس؛ سمّى بذلك لحسنه . ومَنْ زعم مِنْ هؤلاء أنّ قُضاعة ليس ٱبنَ مَعَدّ ذكَر أن أُمّه عُكْبُرة[2] (ٱمرأة من سبأ) كانت تحت مالك بن عمرو فمات عنها وهى حامل ، فخلَفه عليها مَعَدُّ بن عَدْنانَ ، فولَدت قُضاعةَ على فراشه . وقال : مُؤَرِّج بن عمرو : هذا قولٌ أحدثوه بعدُ وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصحِّحوا هذا القول ، وهو :

يأيُّها الدّاعِى ادْعُنا وأبشِرِ * وكُنْ قُضاعِيًّا ولا تَنَزَّرِ
قضاعةُ الأَثْرَوْنَ خيرُ معْشَرِ * قضاعةُ بنُ مالك بنِ حميرِ
* النسبُ المعروفُ غيرُ المُنْكَرِ *

٧٨ / ٧

قال مؤرِّج : وهذا شىء قيل فى آخر أيام بنى أُميّة . وشعراءُ قُضاعة فى الجاهليّة والإسلام كلها تنتمى الى مَعَدّ . قال جميل :

وأىُّ مَعَدٍّ كان فَىْءَ[3] رِماحِهِمْ * كما قد أَفَأْنا والمُفَاخِرُ مُنْصِفُ

وقال زِيادة بن زيد يهجو بنى عمّه بنى عامر رَهْطَ هُدْبةَ بنِ خَشْرَم :

وإذا مَعَدٌّ أَوْقدتْ نيرانَها * للمجدِ أَغْضَتْ عامرٌ وتضعضعوا

كان راوية هدبة بن خشرم وكان كثير راويته

وجميل شاعر فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية ، كان راوِيةَ هُدْبةَ بنِ خَشْرَم ، وكان هُدْبَةُ شاعرًا راويةً للحُطَيْئة ، وكان الحطيئةُ شاعرًا راويةً لزُهَيْر وٱبنه . وقال أبو مُحَلِّم : آخِرُ مَن ٱجتمع له الشعر والرواية كُثَيِّر ، وكان راويةَ جميل ، وجميلٌ راويةَ هُدْبةَ ، وهُدْبةُ راويةَ الحطيئة ، والحطيئة راويةَ زهير .

---

(١) عب الشمس (بالتخفيف والتشديد) : ضوءها . (٢) ورد فى صبح الأعشى للقلقشندى (ج ١ ص ٣١٥) بعد ما ذكر خلاف بعض النسابة فى قضاعة ما نصه : « قال السهيلى : إن أم قضاعة (وهى جكرة) مات عنها مالك بن حمير وهى حامل فتزوجها بعده معد بن عدنان فولدت قضاعة على فراشه فتبناه فنسب اليه » . (٣) الفىء : الغنيمة .

نسب بثينة عشيقته

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَمِىّ قال :
كان جميلٌ يهوَى بُثَيْنة بنت حَبأ بن ثَعْلَبة بن الهَوْذ بن عمرو بن الأَحَبّ بن حُنّ بن رَبيعة [تلتقى هى وجميل فى حنّ من ربيعة](١) فى النسب .

كان كثير راويته يقدمه على نفسه

حدّثنى أبو الحَسَن أحمد بن محمد الأَسَدِىّ وهاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزاعىّ قالا حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ عن ابن أبى الزِّناد قال :

كان كُثَيِّر راويةَ جميل ، وكان يقدّمه على نفسه ويتّخذه إماما ، وإذا سئل عنه قال : وهل عَلّم اللهُ عزّ وجلّ ما تَسمعون إلّا منه ! .

أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد عن أبيه عن صَبَاح بن خاقان عن عبد الله ابن معاوية الزُّبيرىّ قال :

كان كُثَيِّر إذا ذُكِر له جميلٌ قال : وهل علّم الله ما تسمعون إلا منه ! .

مر على جماعة بشعب سلع فاستنشدوه من شعره فأنشدهم فمدحوه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن المِسْوَر بن عبد الملك عن نُصَيْب مَوْلَى عبد العزيز بن مَرْوان قال :

قَدِمتُ المدينةَ فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر ، فقيل لى : الوليد بن سعيد بن أبى سِنَان الأسْلَمِىّ ، فوجدتُه بشِعْب سَلْع(٢) مع عبد الرحمن بن حَسّان وعبد الرحمن ابن أزْهَر . فإنّا لجلُوسٌ إذ طلَع علينا رجلٌ طويلُ بين المَنْكِبَيْن طُوَالٌ(٣) يقود راحلةً عليها بِزّةٌ حسنة . فقال عبد الرحمن بن حسّان لعبد الرحمن بن أَزْهر : يا أبا جُبيرٍ(٤) ، هذا جميلٌ ، فادعُه لعلّه أن يُنْشِدَنا . فصاح به عبد الرحمن : هَيَا جميلُ هَيَا جميل !

(١) التكملة عن تجريد الأغانى . (٢) سلع : موضع بقرب المدينة . (٣) هذه الكلمة «طوال» ساقطة فى ب ، س . (٤) كذا فى حـ والخلاصة فى أسماء الرجال . وفى سائر الأصول : «يا أبا حبتر» وهو تصحيف .

فالتفت فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا عبد الرحمن بن أزهر . فقال : قد علمتُ أنه لا يجترئ علىّ إلّا مثلُك . فأتاه فقال له أنشِدْنا ، فأنشدهم :

نحنُ مَنَعْنا يومَ أَوْلٍ(١) نساءَنا * و يومَ أُفَيٍّ(٢) والأسِنَّةُ تَرْعُفُ

و يومَ رَكَايا ذِى الجُذَاةِ(٣) ووقعةٍ * بِبَنْيانَ(٤) كانت بعضَ ما قد تَسَلَّفُوا

يُحبّ الغَوانِى البِيضُ ظِلَّ لِوائنا * اذا ما أتانا الصارخُ المُتَلَهِّفُ

٥ نَسيرُ أمامَ الناسِ والناسُ خَلْفَنا * فإن نحن أَوْمَأْنا الى الناس وَقَّفُوا

فأىُّ مَعَدٍّ كان فَىْءَ رِماحِه * كما قد أفأْنا والمُفاخِرُ يُنْصِفُ

وكُنّا إذا ما مَعْشَرٌ تَصَبَّوا لنا(٥) * ومرّتْ جَوارِى طَيْرِهم وتَعَيَّفُوا

وضَعْنا لهم صاعَ القِصاصِ رهينةً * بما سوف نُوفيها اذا الناسُ طَفَّفُوا

١٠ اذا آستبق الأقوامُ(٦) مجدًا وجدتَنا * لنا مِغْرَفًا مَجْدٍ وللناسِ مِغْرَفُ

قال : ثم قال له : أنشِدْنا هَزَجا . قال : وما الهَزَج؟ لعله هذا القصير؟ قال نعم ، فأنشده — قال الزُّبير : لم يُذكر فى هذا الخبر من هذه القصيدة الهَزَج سوى بيتين ، وأنشدَنا باقِيَها بُهْلُول بن سليمان بن قِرْضاب البَلَوِىّ — :

(١) أول : واد بين الغيل وأكمة على طريق اليمامة الى مكة (كما فى معجم البلدان لياقوت) . وفى ب ، سه : «يوم أرل» بالراء وهو تحريف . (٢) قال ياقوت : أفىّ : موضع فى شعر نصيب ، واستشهد بهذا البيت . (٣) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وذو الجذاة : موضع . وفى ب ، سه : «ذى الحداة» بالحاء والدال المهملتين . وفى سائر الأصول : «ذى الجداة» بالجيم ، وكلاهما تصحيف . وركايا : جمع ركية ، وهى البئر ذات الماء . (٤) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى فى الكلام على بيان ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . و بنيان : موضع . وقد ورد محرفا فى الأصول . (٥) فى منتهى الطلب فى أشعار العرب لمحمد بن المبارك (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٣ أدب ش) : «يحفوا بنا» . (٦) فى الكتاب السابق : «اذا انتهب الأقوام ... الخ» .

صـــــوت

رَسْـــمِ (1) دَارٍ وقفتُ فى طَـلَلِهْ * كِدتُ أقضِى الغَدَاةَ (2) من جَلَلِهْ

مُوحِشًـا ما تَرَى به أحدًا تَنْ * تَسِجُ الرِيحُ تُرْبَ مُعْتَـدِلِهْ

وصَرِيعًا من الثُّمَامِ تَرَى * عارِمَاتِ المَـدَبِّ فى أَسَـلِهْ (3)

بين عَلْيَاءِ وابِشٍ فَبُـلَيٍّ * فالغَمِـيمِ الذى الى جَبَـلِهْ (4)

واقفًـا فى ديار أُمِّ جُسَـيْرٍ (5) * من ضُحَى يومِـه الى أُصُـلِهْ

ياخليـلَىَّ إنّ أُمَّ جُسَـيْرٍ (5) * حين يدنو الضجِـيعُ من غَلَلِهْ (6)

روضـةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وخُزَامَى * جاد فيهـا الربيعُ من سَـبَلِهْ (7)

بينما هنّ بالأَرَاكِ معًـا * اذ بدا راكِبٌ على جَمَـلِهْ

فتأطَّـرْنَ ثم قلن لهـا * أَكْرِمِيـهِ حُيِّيتِ فى نُزُلِهْ (8)

فظَلِلْنَـا بنعمـةٍ واتّكأنا (9) * وشَرِبنـا الحـلالَ من قُلَلِهْ

---

(1) رسم دار أى رب رسم دار الخ . (2) فى ب ، س : « أقضى الحياة » . وهى رواية فى البيت . ومن جلله : من أجله ، أو من عظمه فى عينى .

(3) ورد هذا البيت فى جميع الأصول بصور مختلفة وكلها محرفة ، وقد صححناه عن شرح شواهد مغنى اللبيب للسيوطى طبع فارس . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص . والعارمات : القوية الشديدة . والمدب : مجرى السيل . والأسل : نبات له أغصان كثيرة ، واحده أسلة .

(4) كذا فى ح ومعجم ما استعجم وشرح شواهد المغنى . ووابش : واد أو جبل بين وادى القرى والشام . وفى سائر الأصول : « رانس » . وبلى : تل قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق . والغميم : موضع بالحجاز . (5) كذا فى ح . وأم جسير : أخت بثينة صاحبة جميل . وفى سائر الأصول : «أم حسن» وهو تحريف . (6) قال فى خزانة الأدب : والغلل داء . وقال العينى : هو الماء بين الأشجار . وفى اللسان أن من معانى الغلل العطش وحرارته . (7) الحنوة : نبات سهلى طيب الريح . والسبل : المطر . (8) التأطر : التثنى . والنزل (بضمتين) : ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه . (9) اتكأنا : قال ابن قتيبة : معناه طعمنا وأكلنا ، من قوله تعالى : «وأعتدت لهن متكأ» أى طعاما أو مجلس طعام ؛ فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ، ولذلك نهى عنه .

قد أَصُون الحديثَ دونَ خليلٍ(١) * لا أخاف الأذَاة من قِبَــلِهْ
غيرَ ما بِغْضَــةٍ ولا لاجتنابٍ * غير أنّى أَلَحْتُ من وَجَلِهْ(٢)
وخليــلٍ صاقَبْتُ(٣) مُرْتِضيًا(٤) * وخليلٍ فارقتُ من مَلَلِه

قال : فأنشده إياها حتى فرَغ منها ثم اقتاد راحلتَه مولّيًا . فقال ابن الأَزْهر : هذا أشعر أهل الاسلام . فقال ابن حَسّان : نعمْ واللهِ وأشعرُ أهلِ الجاهليّة ، والله ما لأحد منهم مثلُ هجائه ولا نَسيبه . فقال عبد الرحمن بن الأزهر : صدقتَ . قال نُصَيب : وأنشدتُ الوليد فقال لى : أنت أشعرُ أهل جِلْدتك ، والله ما زاد عليها . فقلت : يا أبا محْجَن ، أفَرَضِيتَ منــه بأن تكون أشعرَ السُّودان ؟ قال : وَدِدْتُ واللهِ يا ابنَ أخى أنه أعطانى أكثرَ من هذا ، ولكنه لم يفعل ، ولستُ بكاذِبك .

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال :

كان صادق الصبابة وكان كثير يتقول

كان لكثيِّر فى النَّسيب حظٌّ وافر ، وجميلٌ مقدَّم عليه وعلى أصحاب النسيب فى النسيب ، وكان كثيِّر راوية جميل ، وكان جميل صادقَ الصَّبابة والعشق ، ولم يكن كثيِّر بعاشق ولكنه كان يتقوّل . وكان الناس يستحسنون بيت كثيِّر فى النسيب :

أُريد لأَنْسَى ذكرَها فكأنَّما * تَمَثَّلُ لى لَيْــلَى بكلِّ سبيل

قال : ورأيت من يفضِّل عليه بيتَ جميل :

خليلَيّ فيما عِشْتُما هــل رأيتُما * قَتيلًا بَكَى من حبّ قاتله قَبْلِى

(١) فى خزانة الأدب للبغدادى وشرح شواهد المغنى : « دون أخ » . (٢) فى شرح شواهد المغنى وخزانة الأدب :

غــير بغض له ولا ملق * غير أنى أشحت من وجله

(٣) كذا فى حـ . وصاقبته : قاربته . وفى سائر الأصول : «صافيت» . (٤) كذا فى شرح شواهد المغنى . وفى الأصول : «مرتقبا» .

قال ٱبن سَلّام : وهذا البيت الذى لكثيّر أخذه من جميل حيث يقول :

أريد لأنْسَى ذِكْرَها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى على كلّ مَرْقَبِ

٨٠ / ٧

عرض الفرزدق بكثير بأنه سرق منه فردّ عليه بمثله

أخبرنى الحَرَمى بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن محمد بن عبد العزيز عن أبى شِهَاب عن طَلْحة بن عبد الله بن عَوْف قال :

لقِى الفرزدقُ كثيّرا بقارعة البَلَاط[1] وأنا وهو نمشى نريد المسجد، فقال له الفرزدق: يا أبا صَخْر، أنت أنْسَبُ العرب حين تقول :

أُريد لأَنْسَى ذِكْرَها فكأنما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى بكلّ سبيل

يعرّض له بسرقته من جميل . فقال له كثيّر : وأنت يا أبا فِرَاس أفخرُ الناس حين تقول :

تَرَى الناسَ ما سِرْنَا يَسيرون خَلْفَنا * وإن نحن أَوْمَأْنا الى الناس وَقَفُوا

— قال عبد العزيز : وهذا البيت أيضا لجميل سرقه الفرزدقُ — فقال الفرزدق لكثيّر: هل كانت أمُّك مَرّتْ بالبصرة؟ قال: لا! ولكن أبى، فكان نَزِيلًا لأمّك[2]. قال طَلْحَةُ بن عبد الله : فو الذى نَفْسِى بيده لَعَجِبْتُ من كثيّر وجوابه، وما رأيتُ أحدا قَطُّ أحمقَ منه، رأيْتُنى دخلتُ عليه يوما فى نَفَرٍ من قريش وكنّا كثيراً ما نتهزّأ به، فقلنا : كيف تجِدُك يا أبا صَخْر؟ قال : بخيرٍ، أمَا سمعتم الناسَ يقولون شيئا؟ قلنا : نعمْ، يتحدّثون أنك الدجّال . فقال : والله لئن قلتم ذاك إنى لأجد فى عينى هذه ضَعْفا منذ أيام .

(١) البلاط : موضع معروف بالمدينة . (٢) فى ح : « هل كانت أمك ترد البصرة ؟ قال لا ، ولكن أبى كان كثيرا ما يردها » .

كان كثيّر يفضله على نفسه ويبدأ بانشاد شعره

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال كتب الىّ أبو محمد إسحاقُ بن إبراهيم يقول حدّثنى أبو عُبيدة عن جُوَيرِيةَ بنِ أَسْماء قال :

كان أبو صَخْر كثيرٌ صديقًا لى ، وكان يأتينى كثيرًا ، فقلّما استنشدتُه إلّا بدأ بجَميل وأَنْشد له ثم أَنْشد لنفسه ، وكان يفضّله و يتّخذه إماما .

٥ قال الزبير وكتب إلىّ إسحاقُ يقول حدّثنى صَبَاح بن خَاقَانَ عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المُنْذِر بن الزُّبَير قال :

ذُكِر جميلٌ لكثيّر، فقالوا : ما تقول فيه؟ فقال : منه علّم اللهُ عزّ وجلّ .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنى أبو يحيى الزُّهْرِىّ عن إسحاق بن قَبِيصَةَ الكُوفىّ عن رجل ١٠ سمّاه قال :

سألت نُصَيبا : أجَميلٌ أَنْسَبُ أم كثيّر؟ فقال : أنا سألت كثيّرا عن ذاك فقال : وهل وَطّأ لنا النَّسيبَ الّا جَميل ! .

قال عمر بن شبّة وقال إسحاق حدّثنى السَّعِيدى عن أبى مالك النَّهْدىّ قال :

جلس إلينا نُصَيب فذكرنا جميلًا ، فقال : ذاك إمامُ المحبّين ، وهل هَدَى اللهُ ١٥ عزّ وجلّ لما تَرَى إلّا بجميل .

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا دَمَاذ عن أبى عُبَيدة عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال : ما ٱستنشدتُ كثيّرا قطّ إلا بدأ بجَميل وأنشدنى له ثم أنشدنى بعده لنفسه ، وكان يفضّله ويتخذه إماما .

أول عشقه بثينة

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى بُهْلُول ٢٠ ابن سليمانَ بن قِرْضَاب البَلَوِىّ قال :

كان جميل يَنْسُب بأمّ الجُسَير، وكان أوّلَ ما علِق بُثَينةَ أنه أقبل يومًا بإبله حتى أَوْردها واديًا يقال له بَغِيض (١)، فاضطجع وأرسل إبلَه مُصْعِدةً، وأهلُ بثينة بذَنَب الوادى، فأقبلتْ بثينةُ وجارةٌ لها واردتَيْن المـاءَ، فمرّتا على فِصَالٍ له بُرُوكٍ فعَرَمَتْهن (٢) بثينةُ — يقول: نَفَّرَتْهن — وهى إذ ذاك جُوَيْرِيةٌ صغيرة، فسبّها جميلٌ، فٱفترتْ عليه، فمَلُح اليه سِبَابُها فقال :

وأوّلُ (٣) ما قاد المـودّة بيننا * بِوَادِى بَغِيضٍ يابُثَيْنَ سِبَابُ
وقلنا لها قَوْلًا فجاءت بمثله * لكلّ كلامٍ يابُثَيْنَ جوابُ

قال الزُّبَير وحدّثنى محمد بن إسماعيل بن جعفر عن سـعيد بن نُبَيه بن الأسود العُذْرىّ — وكانت بثينةُ عند أبيه نُبَيه بن الأَسْود، وإياه يَعْنِى جَميلٌ بقوله :

لقـد أَنْكَحُوا جَهْلًا نُبَيهًـا ظَعِينةً * لَطِيفةَ طَىِّ الكَشْحِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ (٤)

— قال الزُّبَير وحدّثنى أيضا الأَسْباطُ بن عيسى بن عبد الجَبّار العُذْرىّ أن جميلَ بنَ مَعْمَر خرج فى يوم عيدٍ والنساء إذ ذاك يتزيَّنَّ ويَبْدُو بعضُهن لبعض ويَبْدُون للرجال، وأن جميلًا وقف على بُثينة وأختهـا أمِّ الجُسَير فى نساء من بنى الأَحَبّ وهنّ بناتُ عمّ عُبيدِ الله بن قُطْبة أخى أبيه لَحًّـا (٥)، فرأى منهن منظرا وأَعْجبنه وعشِق بُثَينةَ وقعد

(١) فى حـ : «بعيض» بالعين المهملة . (٢) كذا فى حـ . وعرمتهن : أصابتهن بشرّ وأذى . وفى أ ، ء ، م : « فعرفتهن » . وفى ب ، سـ : «فعزفتهن» وكلاهما تحريف .
(٣) فى حـ : « لأوّل » وفى ب هكذا : «الأول» وهو تحريف . (٤) كذا فى أ ، ء ، م والخدل : الممتلئ . وفى سائر الأصول : «جذل» وهو تصحيف . (٥) لحا : لازقا . يقال : هو ابن عم لحٍ بالكسر فى النكرة على الاتباع ، وهو ابن عمى لحا ، بالنصب فى المعرفة على الحال . والواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث فى ذلك سواء . وشرطه الاتحاد فى الذكورة أو الأنوثة . فلا يقال : هما ابنا خال لح ، ولا ابنا عمة لح لأنهما مفترقان اذ هما رجل وامرأة . واذا لم يكن العم لحا وكان رجلا من العشيرة قلت : هو ابن عم الكلالة وابن عم كلالة . (راجع لسان العرب مادّة لحح) .

معهنّ، ثم راح وقد كان معه فِتْيانٌ من بنى الأَحَبّ، فعلم أنّ القوم قد عرفوا فى نظره حبَّ بُثَينة ووجدوا عليه، فراح وهو يقول :

عَجِلَ الفِراقُ ولَيْتَه لم يَعْجَلِ * وجرتْ بوادرُ دَمْعِك المُتَهَلِّلِ
طَرَبًا وشاقكَ ما لَقِيتَ ولم تَخَفْ * بَيْنَ الحبيبِ غداةَ بُرْقةِ مِجْوَلِ[1]
وعرفتَ أنك حين رُحْتَ ولم يكن * بعدُ اليقينُ وليس ذاك بمُشْكِلِ
لن تستطيع الى بثينة رَجْعةً * بعد التفرّق دون عامٍ مُقبِلِ

قال : وإنّ بُثَينة لمّا أُخبرتْ أن جميلًا قد نَسَب بها حلفتْ بالله لا يأتيها على خَلاءٍ إلّا خَرَجتْ اليه ولا تَتوارى منه ، فكان يأتيها عند غَفَلاتِ الرجال فيتحدّث اليها ومع أخواتها ، حتى نُمِيَ إلى رجالها أنه يتحدّث اليها إذا خلا منهم، وكانوا أَصْلافًا غُيُرًا[2] — أو قال غَيَارَى — فرصدوه بجماعةٍ نحوٍ من بِضْعةَ عَشَرَ رجلًا وجاء على الصَّهباء ناقتِه حتى وقف على بُثَينةَ وأمّ الجُسَيرِ وهما يحدّثانه وهو يُنْشِدُهما يومئذٍ :

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ الى مِنًى * هُوِيَّ القَطَا يَجْتَزْنَ بطنَ دَفِينِ[3]
لقد ظَنّ هذا القلبُ أن ليس لاقيًا * سُلَيْمَى ولا أُمَّ الجُسَيْرِ لحِينِ
فليت رجالًا فيكِ قد نذَرُوا دَمِى * وهَمُّوا بقَتْلِى يابُثَينَ لَقُونِى

فبَيْنا هو على تلك الحال إذ وثَب عليه القومُ فرماهم بها فسبَقَتْ به وهو يقول :

إذا جمع الإثنان[4] جمعا رميتُهم * بأركانها حتى تُخَلِّى سبيلَها

فكان هذا أوّلَ سببِ المُهَاجاةِ بينه وبين عُبيد الله بن قُطْبة .

(١) كذا فى معجم البلدان لياقوت وشرح القاموس، وذكرشارح القاموس أنه موضع . وفى الأصول : « برقة محول » بالحاء المهملة . (٢) فى ج : « الشهباء » . (٣) دفين : آسم موضع كما فى شرح القاموس (مادة دفن) . (٤) وردت هذه الكلمة فى الأصول، ولعلها محرفة عن الشنآن وهو البغض والعداوة .

واعدته بثينة فمنعها أهلها فقرّعه نساء الحى، وشعره فى ذلك

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا بُهْلول بن سليمان عن مَشْيَخة من عُذْرة :

أنّ بُثَينة[1] واعدتْ جميلًا أن يلتقيا فى بعض المواضع فأتى لوعدها . وجاء أعرابىٌّ يستضيف القومَ فأنزلوه وقَرَوْه؛ فقال لهم : قد رأيتُ فى بطن هذا الوادى ثلاثةَ نَفَرٍ متفرّقين مُتَوارِين فى الشجر ، وأنا خائف عليكم أن يسلُبوا بعضَ إبلكم؛ فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحرَسوا بُثينة ومنعوها من الوفاء بوعده . فلما أَسْفر له الصبحُ انصرف كئيبًا سيِّئَ الظنّ بها ورجع الى أهله ؛ فجعل نساء الحىّ يُقَـرِّعْنه بذلك ويقلن له : إنما حصلتَ منها على الباطل والكذب والغَدْر ، وغيرُها أولى بوَصْلك منها، كما أنّ غيرَك يحظَى بها . فقال فى ذلك :

٨٢
―
٧

صـــــوت

أَبُثَيْنَ إنّكِ قد مَلَكْتِ فَأَسْجِحِى * وخُذِى بحظك من كريمٍ واصلِ
فأجبتُها فى القول بعد تَسَتُّرٍ[2] * حُبِّى بثينةَ عن وِصالكِ شاغلِى
فلربَّ عارضـةٍ علينا وَصْلَها * بالجِدّ تَخْلِطه بقول الهازل
لو كان فى صدرى كقَدْرِ قُلَامةٍ * فَضْلًا وصلتُكِ أو أتتك رسائلى

ــ الغناء ليحيى المكّى ثقيل أوّل بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه ــ :

---

(١) ورد هـذا الخبر فى أ ، ء ، م ، حـ هكذا : « ... عن مشيخة من عذرة وبلى أن رهط بثينة نذروا دم جميـل وسمعوا أنه قد أمسى بوادى القرى وهو يريد طريق مكة فخرج منهم ركبان فتقدموا فوجدوه على مضيق من الطريق بسـند الوادى فأخذوا جانبى القرى بأخذه السـيل وهو جهد ما تخرج منه الراحلة والشق بعض إبلكم ... الخ» وهو غير واضح .

(٢) كذا ورد ترتيب هذه الأبيات فى أكثر الأصول . وورد فى ب ، سـ تقديم البيت الثانى على الأول . على أن سياق الشعر يقتضى أن يكون البيت الثالث فى الوضع مكان الثانى والبيت الثانى مكان الثالث .

صـــوت

ويَقُلْنَ إنكَ قد رَضِيتَ بباطلٍ * منها فهل لكَ في ٱجتنابِ الباطلِ

ولَبَاطِلٌ ممّا أُحِبُّ حديثَه * أشهى إليّ من البَغيض الباذلِ

لِيَزِلْنَ عنك هوايَ ثم يَصِلْنَنِي * وإذا هَوِيتُ فما هوايَ بزائلِ

٥ — الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو، وذكر في نسخته الثانية أنه ليزيدِ حَوْراء. وروى حمّاد عن أبيه في أخبار ابن سُرَيج أنّ لابن سُرَيج فيه لحنا ولم يجنِّسه — :

صادتْ فؤادي يابُثَيْنَ حِبالُكم * يومَ الحَجُونِ وأخطأتْك حبائلي

مَنَّيْتِنِي فلَوَيْتِ ما مَنَّيْتِنِي * وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجلِ

وتثاقلتْ لمّا رأت كَلَفِي بها * أَحْبِبْ إليّ بذاكَ من متثاقلِ

١٠ وأطعتِ فيَّ عواذِلًا فهجرتِنِي * وعَصَيْتُ فيكِ وقد جَهَدْنَ عواذلي

حاولْنَنِي لأَبُتَّ حبلَ وِصالِكم * منِّي، ولستُ وإن جَهَدْنَ بفاعلِ

فرددتُهن وقد سَعَيْنَ بهجركم * لمّا سَعَيْنَ له بأفْوَقَ ناصِلِ (١)

يَعْضَضْنَ من غيظٍ عليّ أناملًا * ووَدِدْتُ لو يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنادِلِ

ويقلن إنكِ يابُثَيْنَ بخيلةٌ * نفسي فداؤكِ من ضَنِينٍ باخلِ

١٥ قالوا : وقال جميل في وَعْد بثينةَ بالتّلاقي وتأخُّرِها قصيدةً أوّلها :

ياصاحِ عن بعضِ المَلامةِ أَقْصِرِ * إنّ المُنَى لِلقاءُ أُمِّ المِسْوَرِ

فمما يغنّى فيه منها قوله :

صـــوت

وكأنّ طارقَها على عَلَلِ الكَرَى * والنجمُ وَهْنًا قد دنا لتَغَوُّرِ

٢٠ يَسْتافُ (٢) ريحَ مُدَامةٍ معجونةٍ * بذَكِيِّ مِسْكٍ أو سَحِيقِ العَنْبَرِ

(١) السهم الأفوق : الذي به ميل في فوقه أو انكسار في إحدى زنمتيه . والفوق (بالضم) : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر ، وحرفاه زنمتاه . وناصل : لا نصل له . وفي الأصول : « ناضل » بالصاد المعجمة . والتصويب عن تجريد الأغاني . (٢) يستاف : يشم .

الغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّل بالبنصر من رواية الهِشَامىّ . وذكر عمرو بن بانةَ أنه لابن المكىّ .

ومما يغنَّى فيه منها قوله :

صــــوت

٨٣/٧

إنّى لأحفَظُ غَيْبَكم ويسرُّنى * إذ تَذْكُرِينَ بصالح أن تَذْكُرِى

ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرْسَلاً * أو نَلْتَــقِى فيه علىّ كأشهُرِ

يا ليتنى ألقَى المنيَّــةَ بغتــةً * إن كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ

أو أستطيعُ تَجَلُّدًا عن ذكركم * فيُفِيقَ[1] بعضُ صبابتى وتفكُّرى

٥

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن الهِشَامىّ ، وفيه يقول :

لو قد تُجِنّ كما أُجِنّ من الهوى * لَعَذَرْتَ أو لظلمتَ إن لم تَعْــذِرِ

١٠

والله ما للقلبِ من علمٍ بهــا * غيرُ الظنون وغيرِ قول المُخْبِرِ

لا تحسَبِى أنّى هجرتُكِ طائعًــا * حَدَثٌ لعمرُكِ رائعٌ أن تُهْجَرِى

فَلْتَبْكِيَنَّ الباكياتُ وإن أَبُحْ * يومًا بسرِّكِ مُعْلِنًــا لم أُعْــذَرِ

يهواكِ ما عشتُ الفؤادُ فإن أَمُتْ * يَتْبَعْ صَدَاىَ صداكِ بين الأقْبُرِ

صــــوت

١٥

إنّى إليكِ بمــا وعدتِ لناظرٌ * نظرَ الفقــيرِ الى الغَنِىِّ المُكْثِرِ

يَعِدُ الديونَ وليس يُنْجِزُ موعدًا * هــذا الغريمُ لنــا وليس بمُعْسِرِ

ما أنتِ والوَعْدَ الذى تَعِــدِينَنِى * إلّا كبرق سحــابةٍ لم تُمْطِــرِ

قلبى نصحتُ له فردّ نصيحتى * فمَتَى هَجَرْتِيــهِ فمنــه تَكَثَّرِى[2]

(١) فى تزيين الأسواق (ص ٤٦) : « فأفيق بعد صبابتى » . (٢) أى تكثرى من الهجر واستزيدى .

٢٠

الغناء فى هذه الأبيات لسُلَيم رَمَلٌ عن الهشامىّ . وفيه قدحٌ طُنْبورىّ أظنّه لجَحْظة أو لعلىّ بن مودّة (١) . قالوا : وقال فى إخلافها إياه هذا الموعدَ :

صــــوت

أَلَا ليتَ رَيْعانَ الشبابِ جديدُ * ودهرًا تولَّى يا بُثَينَ يعُودُ

٥ فنَغْــنَى (٢) كما كنّا نكون وأنــتمُ * قريبٌ وإذ ما تَبْذُلِينَ زَهِيــدُ

ويروى .

* ومّما لا يَزيد (٣) بعيــدُ *

وهكذا يغنَّى فيه :

الغناء لسُلَيم خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . ومما يغنَّى فيه من هذه القصيدة :

١٠ صــــوت

أَلَا ليت شعرى هل أَبِيتَنّ ليلةً * بوادِى القُرَى إنّى اذًا لسَعِيدُ

وهــل أَلْقَيَنْ فَرْدًا بثينــةَ مرّةً * تجُود لنــا من ودّها ونجُــود

عَلِقْتُ الهوَى منها وليدًا فلم يَزَلْ * الى اليــوم يَنْمِى حُبُّهــا ويَزيد

وأفنيتُ عُمْرِى بآنتظارىَ وَعْدَهَا * وأبْلَيتُ فيها الدهرَ وهو جديدُ

١٥ فلا أنا مردودٌ بمــا جئتُ طالبًا * ولا حبُّهــا فيما يَبِيــدُ يَبِيــدُ

الغناء لَمْعبدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى . ومما يغنَّى فيه منها :

صــــوت

وما أَنْسَ مِ آلأشياءِ لا أَنْسَ قولَهَا * وقد قَرُبتْ بُصْرَى (٤) أمصرَ تُرِيدُ

(١) فى أ ، د ، م : « سودة » . (٢) فى تزيين الأسواق : « فنبقى » .

٢٠ (٣) كذا فى الأصول . ولعله « ومنا لا نزيد » ليستقيم المعنى . (٤) كذا فى الأمالى لأبى على القالى (ج ١ ص ٢٧٢ طبع مطبعة دار الكتب المصرية) . وفى الأصول : « وقد قربت نضوى » . وقد وردت هذه القصيدة فى الأمالى باختلاف فى تقديم الأبيات وتأخيرها وفى بعض الكلمات .

٨٤/٧

ولا قولَهَا لولا العيونُ التى تَرَى * لزُرْتُكَ فٱعذِرْنى فَدَتْك جُــدُودُ

خليـلىّ ما أَلْقَى من الوجـد قاتِلى * ودَمْعِى بمـا قلتُ الغَــداةَ شَهِيدُ

يقولون جاهِــدْ يا جميــلُ بغَزْوةٍ * وأىَّ جهـادٍ غيرَهـنّ أُرِيدُ

لكلِّ حــديثٍ بينهنّ بَشَاشــةٌ * وكلُّ قتيــلٍ عنـدهنّ شهيــدُ

الغناء للغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ من رواية حمّاد عن أبيه . وفى هذه القصيدة يقول : ٥

إذا قلتُ ما بى يابثينــةُ قاتِلى * من الحبّ قالت ثابتٌ ويَزِيــدُ

وإن قلتُ رُدِّى بعضَ عقلى أَعِشْ به * مع النـاس قالت ذاكَ منكَ بعيدُ

ألا قــد أَرَى واللهِ أن رُبَّ عَبْرةٍ * اذا الدّارُ شَطَّتْ بيننا ستَرُودُ [(١)]

إذا فكَّرتْ قالت قــد آدركتُ ودَّه * وما ضَرَّنِى بُخْلِى فكيف أَجُــود

فلو تُكْشَفُ الأَحْشاءُ صُودِفَ تحتَها * لبَثْنَــةَ حبٌّ طـارِفٌ وَتليــدُ ١٠

تُذَكِّرُنِيهـا كلُّ ريحٍ مَرِيضــةٍ * لها بالتِّــلاَعِ القاوياتِ وَئِيــدُ [(٢)]

وقــد تَلْتقِى الأَشْتاتُ بعــد تفرُّقٍ * وقد تُدْرَكُ الحاجاتُ وهى بعيــدُ

عاتبته بثينة لشعر قاله فيها

أخبرنى علىّ بن صالح قال حدّثنى عمر بن شبّة عن إسحاق قال :

لقى جميلٌ بثينةَ بعد تهاجُرٍ كان بينهما طالت مدّتُه، فتعاتبا طويلًا فقالت له :

وَيْحَكَ يا جميل ! أتزعم أنك تَهْوانى وأنت الذى تقول : ١٥

رمَى اللهُ فى عينَىْ بُثَينةَ بالقَــذَى * وفى الغُرّ من أَنْيابها بالقَوَادِحِ !

فأطْرق طويلًا يبكى ثم قال : بل أنا القائلُ :

ألا ليتَنِى أَعْمَى أصمُّ تَقُــودُنِى * بثينــةُ لا يَخْفَى علىّ كلامُهـا

---

(١) ترود أى تذهب وتجىء، يريد تحيرماء العين فيها . (٢) القاويات : الخاليات . والوئيد : الصوت العالى الشديد . ٢٠

فقالت له : وَيْحَك ! ما حملك على هـذه المُنَى ! أوَ ليس فى سعةِ العافية ما كفانا جميـعا ! .

تجسس أبوها وأخوها كلامه مع بثينة فلم يريا ريبة

قال إسحاق وحدّثنى أيُّوب بن عَبَايةَ قال :

سَعَتْ أَمَةٌ لبُثَينةَ بهـا الى أبيها وأخيها وقالت لهما : إن جميلًا عندها الليـلةَ ؛

٥ فأتياها مشتملَيْن على سيفين ، فرأياه جالسا حَجْرةً منها يحدّثها ويشكو اليها بَثّه ، ثم قال لها : يابُثَينة ، أرأيتِ وُدّى إياكِ وشَغَفِى بكِ ألَّا تَجْزِيِنيه؟ قالت : بماذا؟ قال : بما يكون بين المتحابّين . فقالت له : يا جميل ، أهذا تَبْغى ! والله لقد كنتَ عندى بعيدًا منه ، ولئن عاودْتَ تعريضًا بريبةٍ لا رأيتَ وجهى أبدًا . فضحك وقال : والله ما قلتُ لكِ هذا إلا لأعلمَ ما عندكِ فيه ، ولو علمتُ أنك تُجِيبِينَنِى اليه لعلمتُ

١٠ أنك تُجِيبين[1] غيرى ، ولو رأيتُ منكِ مساعدةً عليه لضربتُك بسيفى هذا ما آستمْسَكَ فى يدى ، ولو أطاعتْنى نفسى لهجرتُكِ هِجْرَةَ الأبَدِ ؛ أوَما سمعتِ قولى :

وإنّى لأَرْضَى من بُثَينـةَ بالذى * لوٱبْصَرَه الواشِى لقـرّتْ بَلَابِلُهْ
بلَا وبأن لا أسـتطيعَ وبالمُـنَى * وبالأملِ المرجوّ قـد خاب آمِلُهْ
وبالنَّظْرةِ العَجْلَى وبالحَوْل تَنْقضِى * أواخرُه لا نَلْتَـقِى وأوائـلُهْ

١٥ قال فقال أبوها لأخيها : قُمْ بنا ، فما ينبغى لنا بعد اليوم أن نمنع هـذا الرجل من لقائها ، فآنصرفا وتركاهما .

٨٥ / ٧

قابلها مرة بسعى صديق له

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيـه عن أيُّوبَ بن عَبَايةَ عن رجل من عُذْرة قال :

كنتُ تِرْبًا لجميـل وكان يألَفُنِى ، فقال لى ذاتَ يوم : هل تساعدنى على لقاء

٢٠ بُثَينة ؟ فمضيتُ معه ، فكَمَن لى فى الوادى وبعث بى الى راعى بُثَينة بخاتَمه ، فدفعتُه

(١) كانت هذه الكلمة في الأصول : « تحبين غيري » .

اليه ، فمضى به اليها ثم عاد بمَوْعِد منها اليه . فلما كان الليلُ جاءته فتحدّثا طويلا
حتى أَصْبحا ثم ودّعها وركب ناقته . فلما استوى فى غَرْزِها (١) وهى باركةٌ قالت له :
ادْنُ منّى يا جميل . (٢)

صـــوت

إنّ المنازل هيّجتْ أَطْـرابى * وٱستعجمَتْ آياتُها بجَوابى
قَفْرًا تَلُوح بذى اللُّجَين كأنها * أَنْضاءُ رَسْمٍ أو سُطورُ كتابِ
لما وَقَفْتُ بها القَلُوصَ تبادرتْ * منّى الدموعُ لفُرْقة الأحبابِ
وذكرتُ عصرًا يا بثينةُ شاقَنِى * وذكرتُ أيّامى وشَرْخَ شبابى

الغناء فى هذه الأبيات للهُذَلِىّ ثانى ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

أرسل كثيرا الى بثينة ليستجد منها موعدا

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق
الموصلىّ عن السَّعيدىّ ، وأخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال
حدّثنا أبو مالكٍ النَّهْدِىّ قال :

جلس إلينا كثيِّرٌ ذاتَ يوم فتذاكرْنا جميلًا ، فقال : لقينى مرّةً فقال لى :
من أين أقبلت؟ قلتُ : من عند أبى الحبيبة (أعنى بثينة) . فقال : والى أين تمضى ؟
قلت : الى الحبيبة (أعنى عَزّة) . فقال : لا بدّ من أن ترجع عَوْدك على بَدْئك فتستجدَّ
لى موعدًا من بُثَينة . فقلت : عهدى بها الساعةَ وأنا أستحيى أن أرجع . فقال :
لا بدّ من ذلك . فقلت له : فمتى عَهْدُك ببُثينة ؟ فقال : فى أوّل الصيد وقد وقعتْ
سحابةٌ بأسفل وادى الدَّوْم (٣) فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تَغْسِل ثيابَها (٤) ، فلما أبصرتْنى

---

(١) الغرز : ركاب الرحل من جلد ، فاذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب . (٢) الكلام هنا ناقص . (٣) وادى الدوم : واد معترض بن شمالى خيبر الى قبليها ، وهو يفصل بين خيبر والعوارض . (٤) فى ج : « ثيابا » .

أنكرتْنى ، فضربتْ بيديهـا الى ثوب فى المـاء فالتحفتْ به ، وعرَفتْنى الجارية ، فأعادت الثوب فى المـاء ، وتحدّثْنا حتى غابت الشمس . وسألتُها الموعد فقالت : أهلى سائرون ، وما وجدتُ أحدًا آمَنُه فأُرسلَه اليها . فقال له كُثَيِّر: فهل لك فى أن آتىَ الحىّ فأَنْزِعَ[1] بأبياتٍ من شعرٍ أذكُرُ فيها هذه العَلَامة إن لم أقدر على الخَلْوة بها؟ . قال: ذلك الصوابُ ، فأرسله اليها ؛ فقال له : انتظرْنى . ثم خرج كثيّر حتى أناخ بهم . فقال له أبوها : ما ردّكَ ؟ قال : ثلاثةُ أبياتٍ عرَضتْ لى فأحببتُ أن أَعْرِضها عليكَ . قال : هاتِها . قال كثيّر : فأنشدته وبُثَينةُ تسمَع :

فقلتُ لها ياعزّ أُرْسِـلُ صاحبِى * إليكِ[2] رسـولًا والمُوَكَّلُ مُرْسَـلُ
بأن تجعَـلى بَيْنِى وبَيْنَكِ موعِدًا * وأنْ تأمُرِينى ما ٱلّذى فيه أفعلُ
وآخِرُ عهـدى منـكِ يومَ لقيتِنى * بأسفلِ وادى الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَلُ

قال : فضربتْ بُثَينة جانبَ خِدْرها وقالت : اِخْسَأ اِخْسَأ ! فقال أبوها : مَهْيَم[3] يا بُثَينة؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نَوّم الناسُ من وراء الرّابية . ثم قالت للجارية : ابْغِينَا من الدَّوْماتِ حطبًا لنذبَحَ لكثيِّر شاةً ونشويَها له . فقال كثيّر : أنا أعجَلُ من ذلك . وراح الى جميلٍ فأخبره . فقال له جميل : الموعدُ الدَّوْماتُ . وقالت لأم الحسين ولَيْـلَى ونُجَيّـا بناتِ خالتِها وكانت قد أَنِسَتْ اليهنّ وٱطمأنّتْ بهنّ : إنى قد رأيتُ فى نحو نَشِيدِ كثيّرٍ أن جميلًا معه . وخرج كثيّر وجميلٌ حتى أتيَا الدَّوْماتِ ، وجاءت بُثَينة ومن معها ، فمـا برِحوا حتى بَرَق الصبحُ . فكان كثيّر يقول : ما رأيت مجلسا قطُّ أحسنَ من ذلك ولا مثلَ علمِ أحدهما بضمير الآخر! ما أَدْرى أيُّهما كان أَفْهمَ !

(١) نزع الشعر : تمثل به .

(٢) رواية الأمالى لأبى على القالى (ج ٣ ص ٢٣١ طبع دار الكتب المصرية) : * على نأى دار والرسول موكل *

(٣) مهيم : كلمة يمانية ومعناها : ما أمرك ، وما شأنك ، وما الذى أرى بك؟ ونحو هذا من الكلام .

وصف صالح بن حسان بيتا من شعره

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَد قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ، وأخبرنى عمّى عن الكُرانىّ عن العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال قال لى صالح بن حَسّان :

هل تعرف بيتا نصفُه أعرابىٌّ (١) فى شَمْلة وآخرُه مخنّثٌ من أهل العَقيق يتقصّف تقصّفا ؟ قلتُ : لا . قال : قد أجّلتُك حَوْلًا . قلتُ : لا أَدْرِى ما هو ! فقال قولُ جميل :

* ألا أيّها النُّوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا *

كأنه أعرابىّ فى شَمْلة . ثم أدركه ما يدرك العاشقَ فقال :

* أسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحبُّ *

كأنه من كلام مُخَنَّثِى العَقيق .

أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها وما كان منه بعد ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال أخبرنا عبد الله ابن أبى كَرِيم عن أبى عمرو و إسحاق بن مَرْوان قال (٢) :

عشق جميلٌ بثينة وهو غلام ، فلما بلغ خطَبها فمُنِع منها ، فكان يقول فيها الأشعارَ، حتى اشتهر وطُرِد، فكان يأتيها سِرًّا ثم تزوّجت فكان يزورها فى بيت زوجها [فى الحين] خُفْية الى أن استُعمل دَجَاجةُ بن رِبْعِىّ على وادى القُرَى فشكوْه اليه فتقدّم اليه ألّا يُلِمّ بأبياتها وأَهْدَر دمَه لهم إن عاود زيارتَها، فآحتبس حينئذ .

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثنا أحمد بن أبى العَلَاء قال حدّثنى إبراهيم الرَّمّاح قال حدّثنا جابر أبو العَلَاء التَّنُوخىّ قال :

(١) كذا وردت هذه العبارة فى الأغانى فيما يأتى فى هذه الترجمة (ص ١١٨) . ووردت فى ب ، س هنا : « هل تعرف نصف بيت أعرابى فى شملة ونصف مخنث ... الخ » وفى سائر الأصول : « ... بيت أعرابى فى شملة ونصفه مخنث ... الخ » . (٢) لعله « قالا » .

لما نذر أهلُ بُثَينة دمَ جميل وأهدَره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل ، فكان يَصْعَد بالليل على قُورِ رملٍ(١) يتنسّم الريحَ من نحو حَىّ بُثينة ويقول :

أيا ريحَ الشَّمالِ أما تَرَيْنِى * أَهيمُ وأنّنى بادِى النُّحُولِ
هَبِى لى نَسْمةً من ريح بَثْنٍ * ومُنِّى بالهُبُوب الى جَميـلِ
وقولى يا بُثَينةُ حَسْبُ نَفْسِى * قليلُكِ أو أقـلُّ من القليل

فاذا بدا وَضَحُ الصبح ٱنصرف . وكانت بثينة تقول لجَوَارٍ من الحىّ عندها : وَيْحَكُنّ ! إنى لأسمع أَنِينَ جميل من بعض القِيرَانِ ! فيقلن لها : اتّقِى الله ! فهذا شىء يخيّله لك الشيطانُ لا حقيقةَ له .

تذاكرهـو وكثير شعريهما فى العشق و بكيا

حدّثنى أحمد بن عَمّار قال حدّثنى يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنى أحمد بن يَعْلَى قال حدّثنى سُوَيد بن عِصَام قال حدّثنى رَوْح أبو نعيم(٢) قال :

ٱلتقى جميلٌ وكُثيِّرٌ فتذاكرا النَّسيب ، فقال كثيّر : يا جميل ، أترى بُثَينة لم تسمع بقولك :

يَقِيكِ جميـل كلَّ سُوءٍ ، أما له * لديكِ حديثٌ أو إليـكِ رسولُ
وقد قلتُ فى حبِّى لكم وصَبَابتى * محَاسِن شـعرٍ ذِكْرُهنّ يَطُول
فان لم يكن قولى رضاكِ فعلّمِى * هُبوبَ الصَّبَا يا بَثْنَ كيف أقولُ
فما غاب عن عينى خيالُكِ لحظةً * ولا زال عنها ، والخيـالُ يَزُول

٨٧ / ٧

فقال جميل : أترى عَزّة يا كثيّر لم تسمع بقولك :

يقول العِدَا يا عَزّ قد حال دونكم * شُجاعٌ على ظهـر الطريق مُصَمِّمُ
فقلتُ لها واللهِ لو كان دونكم * جهـنّمُ ما راعتْ فؤادِى جهنّمُ

(١) القور : الآكام العظيمة ، واحدها قارة . (٢) فى حـ : « روح بن نعيم » .

وكيف يَرُوع القلبَ يا عزّ رائعٌ * ووجهكِ فى الظَّلْمــاء للسَّفْر مَعْلَمُ

وماظلمتْكِ النفسُ ياعَزّ فى الهوى * فلا تَنْقِمى حبّى فما فيــه مَنْقَمُ

قال : فبكيا قطعةً من الليل ثم آنصرفا .

واعدت بثينة وعرف ذلك أهلها فلم تذهب

وقال الهيثم بن عدىّ ومن ذكر روايتَه معه من أصحابه :

زار جميلٌ بُثَينةَ ذاتَ يومٍ، فنزل قريباً من المــاء يترصّد أَمَةً لها أو راعية، فلم يكن نزولُه بعيدًا من ورود أَمَة حبشيّة معها قِرْبةٌ، وكانت به عارفةً وبمــا[(١)] بينها وبينه . فسلَّمتْ عليه وجلست معه، وجعل يحدّثها ويسألها عن أخبار بُثَينة ويحدّثها بخبره بعدها ويُحَمِّلُها رسائلَه . ثم أعطاها خاتَمه وسألها دَفْعَــه إلى بُثَينة وأخْذَ موعدٍ عليها، ففعلتْ وآنصرفتْ الى أهلها وقد أبطأتْ عليهم . فلقيها أبو بُثَينة وزوجُها وأخوها فسألوها عما أَبْطأ بهــا، فآلتوتْ عليهم ولم تُخبرهم وتعلَّلتْ، فضربوها ضربًا مبرّحا؛ فأعلمتْهم حالَها مع جميل ودفعتْ اليهم خاتَمه . ومرّ بها فى تلك الحال فَتَيانِ من بنى عُذْرة فسمعا القصّة كلَّها وعرَفا الموضعَ الذى فيه جميل، فأحبّا أن يُثَبِّطا عنه فقالا للقوم : إنكم إن لقيتم جميلًا وليست بُثَينة معه ثم قتلتموه لزمكم فى ذلك كلُّ مكروه؛ وأهلُ بُثَينة أعزُّ عُذْرة[(٢)]، فدَعُوا الأَمَةَ تُوَصِّل خاتَمه إلى بُثَينة، فاذا زارها بَيَّتُّموهما جميعا؛ قالوا : صدَقتما لعَمْرى إنّ هذا الرأىُ . فدفعوا الخاتم إلى الأَمَة وأمروها بإيصاله وحذَّرُوها أن[(٣)] تُخبر بثينةَ بأنهم علموا القصّة، ففعلتْ . ولم تعلم بثينةُ بما جَرَى . ومضى الفَتَيانِ فأنذرا جميلًا، فقال : واللهِ ما أَرْهَبهم، وإن فى كِنانتى ثلاثين سهمًا والله لا أخطأ كلُّ واحد منهــا رجلًا منهم، وهــذا سيفى والله ما أنا به رَعِشُ اليد ولا جَبَانُ الجَنَان . فناشداه اللهَ وقالا : البقيّة[(٤)] أصلح، فتُقيم عنــدنا فى بيوتنا حتى

(١) فى الأصول : « لما » باللام . (٢) كذا فى جميع الأصول . والأحرى بهذه الجملة أن تكون : « وأهل جميل الخ » . (٣) فى الأصول : «بأن» . (٤) البقية كالبقيا وهى أن تبقى على عدوّك ولا تستأصله .

يَهْدأ الطلب ، ثم نبعثُ اليها فتزورُك وتقْضِى من لقائها وَطَرًا وتنصرفُ سليماً غير مُؤَبَّن[1] . فقال أمّا الآنَ فابعثا اليها من يُنذرها ؛ فأتياه براعيةٍ لهما وقالا له : قُلْ بحاجتك ؛ فقال : ادخلى اليها وقُولِى لهـا : إنى أردتُ اقتناصَ ظبى فحَـذّره ذلك جمـاعةٌ اعْتَوَرُوه من القُنّاص ففاتَنِى الليلةَ . فمضتْ فأعلمتْها ما قال لهـا ؛ فعرَفتْ قصّتَه و بحثتْ عنها فعرفتْها ؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلةَ ورصَدوها فلم تَبْرَحْ مكانَها ومَضَوْا يَقْتَصُّون أثرَه فرأَوْا بعرَ ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم ، فقال جميل فى ذلك :

خليـلىّ عُوجَا اليـومَ حتى تسلِّما * على عَذْبةِ الأنيابِ طيِّبَـةِ النَّشْرِ
أَلِمَّا بها ثم ٱشـفَعا لى وَسـلِّما * عليها سـقاها اللهُ من سَبَلِ[2] القَطْرِ[3]

* * *

إذا ما دَنَتْ زِدْتُ اشتياقًا وإن نأتْ * جَزِعْتُ لنـأْىِ الدار منها وللبُعْدِ
أَبَى القلبُ إلا حبَّ بَثْنـةَ لم يُرِدْ * سِوَاها وحبُّ القلبِ بَثْنةَ لا يُجْدِى

قال : وقال أيضا : ومن النـاس من يُضيف هذه الأبيـاتَ الى هذه القصيدة ؛ وفيها أبياتٌ معادةُ القَوافِى تدلّ على أنها مفردةٌ عنها ، وهى :

أَلم تَسْأَل الدارَ القـديمةَ هل لهـا * بأُمِّ جُسَيْرٍ بعـد عهدكَ من عهد

وفيها يقول :

(١) غير مؤبن : غير معيب . يريد لم تصب بمكروه . وفى مختصر الأغانى : « غير موتور » .

(٢) فى ب ، سـ « من سائغ القطر » . (٣) كذا فى الأصـول التى بين أيدينـا . ويلاحظ أن الكلام ها هنا مقتضب ، اذ لا اتصال بين الشعر الذى قافيته راء والشعر الذى قافيته دال . وورد فى مختصر الأغانى بعد هذين البيتين اللذين قافيتهما راء ثلاثة الأبيات الآتية ، وهى من أبيات سيوردها المؤلف قريبا فى ص ١٥٠

و بوحا بذكرى عند بثنـة وانظرا * أترتاح يوما أم تهش الى ذكرى
هى البـدر حسنا والنساء كواكب * وشتان ما بين الكواكب والبـدر
لقد فضلت ليلى على الناس مثل ما * على ألف شهر فضلت ليلة القـدر

صــــوت

سَلِى الرَّكْبَ هل عُجْنَــا لِمَغْناكِ مَرّةً * صدورَ المطايا وهى مُوقَرةٌ تَخْدِى
وهل فاضتِ العينُ الشَّرُوقُ بمائهــا * مِنَ ٱجْلِكِ حتى اخْضَلَّ من دمعها بُرْدِى

— الغناء لأحمد بن المكىّ ثانى ثقيلٍ بالوسطى :—

وإنّى لأَسْتَجْرِى لكِ الطيرَ جاهدًا * لتجرِى بيُمْنٍ من لقائكِ من سعد[1]
وإنّى لأَسْتَبْكِى إذا الركبُ غَرَّدُوا * بذكراكِ أن يحيا بكِ الركبُ إذ يَخْدِى[2]
فهل تَجْــزِيَنِّى أُمُّ عمــرٍو بودِّها * فإنّ الذى أُخْفِى بها فوقَ ما أُبْدِى
وكُلُّ محبٍّ لم يَزِدْ فوقَ جَهْــدِه * وقد زدتُها فى الحبّ منّى على الجَهْدِ

قصته مع أم منظور وقد أبت عليه أن تريه إياها

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمر بن إبراهيم وغيره وبُهْلول بن سليمان البَلَوِىّ :

أنّ رهط بُثَينة ائتمنوا عليها عجوزًا منهم يَثِقُون بها يقال لها أُمّ منظور ، فجاءها جميل فقال لهــا : يا أُمّ منظور ، أَرِينى بثينةَ . فقالت : لا ! واللهِ لا أفعل ، قد ائتمنونى عليها . فقال : أمَا واللهِ لأَضُرَّنَّكِ ، فقالت : المَضَرَّةُ واللهِ فى أن أُرِيَكَها . فخرج من عندها وهو يقول :

ما أَنْسَ لا أَنْسَ منها نظرةً سَلَفَتْ * بالحِجْرِ[3] يومَ جَلَتْهــا أُمُّ منظــورِ
ولا ٱنْسِلَابَتَهــا[4] خُرْسًا جبائرُها * إلىّ من ساقِطِ الأَرْواقِ[5] مستورِ

---

(١) لعله «أو سعد» . (٢) فى حـ : «اذ تخدى» . وفى م ، ى : «أو تحدى» . وفى ب ، سـ : « اذ تحدى » . (٣) الحجر : اسم موضع . (٤) كذا فى حـ ومختصر الأغانى : وانسلب فى الأصل : أسرع ، كأنه لسرعته يخرج من جلده ، وهو فى الأصل أكثر ما يستعمل فى الناقة . والجبائر : الأساور ، يريد تسللها اليه خفية فى سرعة . وفى سائر الأصول : «استلابتها» .
(٥) كذا فى حـ . والأرواق : الفساطيط . يقال : ضرب فلان روقه بموضع كذا اذا نزل به كما يقال : ضرب خيمته . وفى سائر الأصول : « الأوراق » وهو تحريف .

قال : فما كان إلّا قليلٌ حتى انتهى اليهم هذان البيتان . قال : فتعلّقوا بأُمّ منظور فحلَفتْ لهم بكلّ يمينٍ فلم يقبلوا منها . هكذا ذكر الزُّبير بن بكّار فى خبر أمّ منظور، وقد ذُكر فيه غير ذلك .

استدعى مصعب أم منظور وسألها عن قصتها مع جميل و بثينة

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدّثنى العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ، وأخبرنى به ابنُ أبى الأزهر عن حمّاد عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِىّ :

أن رجلا أنْشد مُصْعَبَ بنَ الزُّبير قولَ جميل :

ما أَنْسَ لا أنسَ منها نظرةً سلَفتْ * بالحِجْــر يومَ جَلَتْها أُمّ منظورِ

فقال : لودِدْتُ أنّى عرفتُ كيف جَلَتْها . فقيل له : إنّ أم منظور هذه حيّة. فكتب فى حَمْلها إليه مكرَّمة فحُملتْ اليه . فقال لها : أخبرينى عن قول جميل :

ما أَنْسَ لا أَنْسَ منها نظرةً سلَفتْ * بالحِجْــر يومَ جَلَتْها أُمّ منظورِ

كيف كانت هذه الجَلْوة ؟ قالت[1] : ألبستُها قِلادةَ بَلَح ومُخْنَقةَ بَلَح واسطتُها تفّاحةٌ، وضفَرتُ شعرَها وجعلت فى فَرْقها شيئا من الخَلُوق . ومرّ بنا جميــلٌ راكبًا ناقتــه فجعل ينظر اليها بمُؤْخر عينه و يلتفت اليها حتى غاب عنا . فقال لها مُصْعَب : فإنّى أُقسِم عليكِ إلّا جَلَوْتِ عائشةَ بنت طَلْحة مثــلَ ما جَلَوْتِ بثينةَ ، ففعلتْ . وركب مُصْعَبٌ ناقتَه وأقبل عليهما وجعل ينظُر الى عائشــةَ بمُؤْخر عينه ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع .

٨٩ / ٧

زارها مرة متنكرا فى زى سائل

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى بُهْلول عن بعض مشايخه :

أنّ جميلًا جاء الى بُثَينة ليلةً وقد أخذ ثيابَ راعٍ لبعض الحَىّ ، فوجد عندها ضِيفانًا لها، فانْتَبذ ناحيةً، فسألته : من أنت ؟ فقال : مســكينٌ مُكَاتَبٌ[2] ، فجلس

(١) فى الأصول : «قال» وهو تحريف . (٢) المكاتبة : أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه اليه منجما، فاذا أداه صارحرا .

وحدَه ، فعَشَّتْ ضِيفانَها وعشّتْه وحدَه . ثم جلستْ هى و جاريةٌ لها على صِلائهما واْضطَجع القومُ مُنْتَحِين . فقال جميلٌ :

هل البائسُ المَقْرورُ دانٍ فمُصْطَلٍ * من النار أو مُعْطًى لِحافًا فلابسُ

واعـدته مرة وأحس أهلها فمنعوها فقال فى ذلك شعرا

فقالت لجاريتها : صوتُ جميلٍ والله! اذهبى فانظرى ! . فرجعتْ اليها فقالت : هو والله جميل ! فشهَقت شَهْقةً سمعها القومُ فأقبلوا يجرُون وقالوا مالكِ؟ فطرحتْ بُرْدًا لها من حِبَرةٍ فى النار وقالت : آحترق بُرْدِى ، فرجع القومُ . وأرسلتْ جاريتَها الى جميل، فجاءتها به ، فحبستْه عندها ثلاثَ ليالٍ، ثم سلّم عليها وخرج .

وقال الهَيْثَم وأصحابه فى أخبارهم :

كانت بُثَينة قد واعدتْ جميلًا للالتقاء فى بعض المواضع ، فأتَى لوَعْدها . وجاء أعرابىٌّ يَسْتضيف القومَ فأنْزلُوه وقَرَوْه ، فقال : لهم : إنى قد رأيت فى بطن هذا الوادى ثلاثةَ نَفَرٍ متفرّقين مُتَوارِينَ فى الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يَسُلُّوا[1] بعضَ إبلكم . فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحرَسوا بثينةَ ومنعوها من الوفاء بوعده . فلما أَسْفَر له الصبحُ آنصرف كئيبًا سَيِّءَ الظنّ بها و رجَع الى أهله ، فجعل نساءُ الحىِّ يُقرِّعْنَه بذلك ويقلن له : إنما حصَلتَ منها على الباطل والكذب والغدر، وغيرُها أولى بوَصْلك منها، كما أن غيرك يَحْظَى بها . فقال فى ذلك :

أبُثَين إنكِ قد مَلَكْتِ فأسْجِحى * وخُذى بحظّكِ من كريم واصلِ

٥

صــوت

فلرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها * بالجِدّ تَخْلِطُه بقول الهازلِ
فأجبتُها بالقول بعد تستُّرٍ * حُبِّى بثينةَ عن وصالكِ شاغلى

(١) السل : انتزاع الشيء واغتصابه .

لو كان في قلبي كقَدْر قُلامةٍ * فضلًا وصلتُك أو أتتْك رسائلي

— الغناء ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من رواية أحمد —

ويَقُلْنَ أنكَ قد رضيتَ بباطلٍ * منها فهل لكَ في اجتناب الباطلِ

ولباطلٌ ممّن أحبُّ حديثَه * أشهى إليّ من البَغيض الباذلِ

٥ الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر عمر أنه ليَزيدَ حَوراء.

قصته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها وما قيل في ذلك من الشعر

وذكر الهَيْثَم بن عَدِيّ وأصحابُه أن جماعةً من بني عُذْرةَ حدّثوا أن جميلا رَصَد بثينةَ ذاتَ ليلةٍ في نُجْعةٍ لهم، حتى إذا صادف منها خَلْوةً سكر ودنا منها وذلك في ليلةٍ ظلماءَ ذاتِ غَيم وريح ورعد، فحذفها بحَصاةٍ فأصابتْ بعضَ أترابها، ففزعتْ وقالت: والله ما حذَفَني في هذا الوقت بحصاةٍ إلا الجنُّ! فقالت لها بثينةُ وقد

١٠ فطنتْ: إن جميلا فعل ذلك فانصرفي ناحيةً إلى منزلكِ حتى ننام، فانصرفتْ وبقيتْ مع بُثَينةَ أمُّ الحُسَيْن وأمُّ منظور، فقامت إلى جميل فأدخلتْه الخِباءَ معها وتحدّثا طويلا، ثم اضطَجع واضطجعتْ إلى جَنْبه فذهَب النومُ بهما حتى أصبحا وجاءها غلامُ زوجِها بصَبُوح من اللبن بعث به إليها، فرآها نائمةً مع جَميل، فمضى لوجهِه حتى خبّرَ سيّدَه. ورأتْه لَيْلَى والصَّبُوحُ معه وقد عَرفتْ خبرَ جميلٍ وبُثَينة

١٥ فاستوقفتْه كأنها تسأله عن حاله وبعثتْ بجارية لها وقالت حذّري بثينةَ وجميلًا، فجاءت الجاريةُ فنبّهتْهما. فلما تبيّنَتْ بثينةُ الصبحَ قد أضاء والناسَ منتشرين ارتاعتْ وقالت: يا جميلُ! نفسَك نفسَك! فقد جاءني غلامُ نُبَيهٍ بصَبُوحي من اللبن فرآنا نائمَيْن! فقال لها جميل وهو غير مكترثٍ لما خوّفَتْه منه:

لعَمْرُكِ ما خوّفْتِني من مَخافةٍ * بُثَينَ ولا حذّرْتِني موضعَ الحَذَرْ

٢٠ فأُقسِمُ لا يُلْفَى ليَ اليومَ غِرّةٌ * وفي الكَفِّ منّي صارمٌ قاطعٌ ذَكَرْ

٩٠/٧

فأقسمتْ عليه أن يلْقِيَ نفسَه تحت النَّضَدِ(١) وقالت : إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسى من الفضيحة لا خوفا عليك، ففعل ذلك ونامت كما كانت، واْضطَجعتْ أُمّ الحُسَين إلى جانبها وذهبتْ خادمُ لَيْلَى إليها فأخبرتْها الخبرَ فتركت العبدَ يمضى إلى سيِّده فمضَى والصَّبُوح معه وقال له : إنى رأيتُ بُثَينة مُضْطَجِعةً وجميلٌ إلى جنبها. فجاء نُبَيه الى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرَّفهما الخبرَ وجاءوا بأجمعهم الى بُثينة وهى نائمة فكشَفوا عنها الثوبَ فاذا أمُّ الحُسَين الى جانبها نائمة . فخجِل زوجُها وسَبَّ عبدَه وقالت لَيْلَى لأخيها وأبيها : قبحكما اللهُ! أفى كلِّ يوم تَفْضَحان فَتاتَكما ويَلْقاكما هذا الأعور فيها بكلِّ قبيح ! قبحه اللهُ وإيّاكما ! وجعَلا يَسُبّان زوجَها ويقولان له كلَّ قول قبيح . وأقام جميلٌ عند بثينةَ حتى أَجَنَّه الليلُ ثم وَدّعها واْنصرف . وحَذِرَتْهم بُثَينةُ لِمَا جَرَى من لقائه إيّاها فتَحامَتْه مدّةً، فقال فى ذلك :

صوت

أأن هتفتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سَفاهةً * تُبَكِّى على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهْتِفُ

فلو كان لى بالصرم يا صاحِ طاقةٌ * صرَمتُ ولكنِّى عن الصرم أضعُفُ

للهُذَلىّ فى هذين البيتين لحنانِ أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالسّبابة فى مجرى البِنْصَر عن إسحاق ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وذكر غيرُه أنه لابن جامع . وفيه لبَذْل الكُبْرَى خفيف ثقيلٍ بالخنصر فى مجرى البنصر عن أحمد بن المكّى . ومما يغنَّى فيه من هذه القصيدة قولُه :

(١) النضد : متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض .

صــــوت

لهـا فى سَوَاد القلب بالحُبِّ مَيْعَـةٌ[(1)] * هى الموتُ أو كادتْ على الموت تُشْرِفُ

وما ذكرَتْكِ النفسُ يا بَثْنَ مرّةً * من الدهر إلا كادتِ النفسُ تَتْلَفُ

وإلّا اعــترتْنِى زَفْــرةٌ واستكانةٌ * وجاد لهـا سَجْـلٌ من الدمع يَذْرِفُ

٥ وما استطرفتْ نفسى حديثاً لخُـلّةٍ * أُسَرُّ به إلا حديثُــكِ أطْــرَفُ

الغناء لابراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى عن الهِشَامِىّ . وأوّل هذه القصيدة :

٩١/٧

أمِنْ منزلٍ قفْرٍ تعفّتْ رُسُومه * شَمَـالٌ تُغَادِيه ونَكْباءُ[(2)] حَرْجَفُ

فأصبح قَفْرًا بعــد ما كان آهِــلًا * وجُمْـلُ المُــنَى تَشْتُو به وتَصيفُ

ظَلِلتُ ومُسْتَنٌّ[(3)] من الدمع هامِلٌ * من العـينِ لمـا عُجْتُ بالدّار يَنْزِفُ

١٠ أمُنْصِفَتِى جُمْــلٌ فتَعْــدِلَ بيننـا * إذا حكمتْ والحاكمُ العَـدْلُ يُنْصِفُ

تعلّقتُهـا والجسمُ مِــنِّى مصحّحٌ * فما زال يَنْمِى حُبُّ جُمْـلٍ وأضْعُفُ

إلى اليومِ حتى سَلَّ جسمِى وشَفَّنِى * وأنكرتُ من نفسى الذى كنت أعرِفُ

قَنَاةٌ من المُرّانِ[(4)] ما فوقَ حَقْوِها * وما تحتَــه منها نَقًـا يتقصَّفُ

لهـا مُقْلَتَا رِيمٍ وجِيـــدُ جَــدَايةٍ[(5)] * وكَشْحٌ كطَىِّ السـابِرِيّةِ[(6)] أهْيَفُ

١٥ ولستُ بنـاسٍ أهلَهـا حينَ أقبلُوا * وجَالُوا علينـا بالســيوفِ وطَوّفُوا

---

(1) كذا فى منتهى الطلب فى أشعار العــرب نسخة مخطوطة بالدار (تحت رقم ٥٣ أدب ش) وفى الأصول : «منعة» بالنون . (2) النكباء : الريح التى انحرفت عن مهب الرياح القوم ووقعت بين مهب ريحين أو بين الصبا والشمال . والحرجف : الباردة الشديدة الهبوب .

(3) مستن : منصب . (4) رواية منتهى الطلب : «صيود كغصن البان ما فوق حقوها»

٢٠ والمران : الرماح . (5) الجداية : الذكر والأنثى من أولاد الظباء اذا بلغت ستة أشهر .

(6) السابرى : الرقيق من الثياب ، وهو أيضا الدرع الدقيقة النسج .

وقالوا جَمِيلٌ بات فى الحَىّ عندها * وقــد جَرّدوا أسـيافَهم ثم وَقّفُوا
وفى البيت لَيْثُ الغـابِ لولا مَخَافةٌ * على نفس جُمْــلٍ والالهِ لأُرْعِفُوا(١)
هَمَمْتُ وقد كادتْ مِرَارًا تطّاَعتْ * إلى حَرْبِهم نفسى وفى الكفِّ مُرْهَفُ
وما سَرّنى غيرُ الذى كان منهــمُ * ومنّى وقــد جاءوا الحىّ وأَوْجَفُوا
فكم مُرْتَجٍ أمرًا أُتِيح له الرّدَى * ومن خائفٍ لم يَنْتَقِصْــه التخوُّف ٥

له بيت كان نصفه أعرابى ونصفه مخنث

حدّثنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانِىّ قال حدّثنا العُمَرِىّ، وأخبرنا محمد بن العباس اليَزِيدىّ قال حدّثنا الخَلِيل بن أَسَـد قال حدّثنا العُمَرِىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال، قال لى صالح بن حَسان :

هل تعرف بيتا نصفُه أعرابىٌّ فى شَمْلة وآخِرُه مخنّث يتفكّكُ من مخنّثِى العَقِيق؟ فقلتُ : لا أَدْرى . قال : قد أجّلتُك فيه حَوْلًا . فقلت : لو أجّلتَنِى حولين ما علمتُ . قال : قولُ جميل : ١٠

* ألا أيُّها النُّــوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّــوا *

هذا أعرابىٌّ فى شَمْلة . ثم قال :

* نسائلُكم هل يقتُــل الرجلَ الحُبُّ *

كأنه واللهِ من مخنّثِى العَقِيق . فى هذا الشعر غناء، نسبتُه وشَرْحُه : ١٥

صــــوت

ألا أيُّها النُّــوّام وَيْحَكُمُ هُبُّوا * نسائلُكم هــل يقتُل الرجلَ الحُبُّ
ألا رُبَّ رَكْبٍ قد دفَعتُ وَجِيفَهم(٢) * إليك ولولا أنتِ لم يُوجِف الرَّكْبُ

(١) أرعفه : أعجله .
(٢) الوجيف : سرعة السير . ٢٠

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسَّبَّابة والوُسْـطَى عن يحيي المكى ، وذكره إسحاق فى هـذه الطريقة ولم يَنْسُبه إلى أحد . وفيه لسُلَيم ما خُورِىٌّ عن الهشامىّ . وفيه لمـالك ثانى ثقيلٍ بالسّبابة فى مَجْرَى الوسطَى عن إسحاق، وقيل : إنه لمَعْبَد . وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ من رواية ٱبن المعتزّ . وذكر عبـد الله بن موسى أن لحن مالك من الثقيل الأوّل وأن خفيف الرَّمَل لٱبن سُرَيج وأن الهزج لحَمْدونةَ بنتِ الرَّشيد . ٥

جفا بثينـة لمـا علقت جنة الهلالى

أخبرنا الحُسَين بن يحيى المِرْداسِىّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب ٱبن عَبَاية المُحْرِزىّ عن شيخ من رَهْطِ جميلٍ من عُذْرَةَ :

أن بُثَينة لمـا عَلِقتْ حُجْنـةَ الهلالِىّ جَفَاها جميلٌ . قال : وأنشـدنى لجميلٍ فى ذلك :

١٠ صـــوت ٩٢/٧

بَيْنا حِبـالٌ ذاتُ عَقْــدٍ لَبْثنةٍ * أُتِيحَ لهـا بعضُ الغُـواة فحَلَّها

فعُـدْنا كأنّا لم يكن بيننا هوًى * وصار الذى حَلّ الحبالَ هَوًى لها

وقالوا نَراها يا جميـــلُ تبدَّلتْ * وغـــيَّرها الواشى فقلتُ لعلَّها

الغناء للهُـذَلىّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى الوسـطى . وذكره إسحاق فى هـذه الطريقة والإصبَع ولم ينسُبْه الى أحد . ١٥

تمثل إفريق بشعر له يعرّض فيه بفتى من آل ع'ان

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا أبوعَوْف عن عبد الرحمن بن مُقَرِّن قال :

بعثَنى المنصور لأبتاع له جاريةً من المدينة وقال لى : اعمَلْ برأى ٱبن نُفَيْس؛ فكنت أفعل ذلك، وأغشى ٱبنَـه ، وكانت له جارية مغنِّية قد كَلِف بهـا فتًى من

آل عثمانَ بنِ عَفّان، فكان يبيع عُقْدةً[(١)] عقدة من ماله وينفق ثمنَها عليها . وآبتُلِى برجل من أهل إفْرِيقيَّة ومعه آبن له ، فغَشِىَ آبنُ الإفْرِيقِىّ بيتَ آبن نُفَيْس بخعل يكسو الجاريةَ وأهلَها ويَبَرُّهم حتى حَظِىَ عندهم وغلَب عليهم وتثاقلوا العثمانىَّ . فقُضِىَ أن آجتمعْنا عشيّةً عندها وحضر آبنُ الإفريقىّ والعثمانىُّ، فنزع آبنُ الإفريقىّ خُفَّه فتناثر المِسْكُ منه ، وأراد العثمانىُّ أن يَكِيدَه بفعله . فجلسنا ساعةً ، فقال لها آبن الإفريقىّ : غنِّى :

بَيْنَا حِبَالٌ ذاتُ عَقْدٍ لِبَثْنةٍ * أُتِيح لها بعضُ الغُواةِ فحَلَّهَا

يعرِّض بالعثمانىّ . فقال لها العثمانىّ : لا حاجة لنا فى هذا، ولكن غنِّى :

ومن يَرْعَ نَجْدًا يُلْفِنِى قد رَعَيْتُه * بِجَنْبَيْه[(٢)] الأُولى ويُورِدْ على وِرْدِى

قال : فنكَس آبنُ الإفريقىّ رأسَه وخرج العثمانىُّ فذهب ، وحَمِد أهلُ البيت فما آنتفعوا بقيّة يومهم .

شعره حين زوّجت بثينة نبيها

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمِّلى وبُهْلُول ابن سليمانَ البَلَوِىّ :

أن جميلا قال لما زُوِّجتْ بُثَيْنةُ نُبَيْهًا :

صـــــوت

أَلَا نَادِ عِـــيرًا[(٣)] من بُثَيْنــةَ تَرْتَعِى * نودِّعْ على شَحْط النَّـــوَى ونُوَدَّعِ

وحُثُّوا على جَمْع الرِّكَاب وقَرِّبُوا * جِمالًا ونُوقًا جِـلَّةً لم تَضَعْضَعِ

فى هذين البيتين رَمَلٌ لآبن سُرَيْج عن الهِشَامِىّ . ومما يغنَّى فيه من هذه القصيدة :

---

(١) العقدة : الضيعة .
(٢) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « بجنبه » .
(٣) العير : القافلة .

صـــوت

أَعِيذُكِ بالرحمن من عَيْشِ شِقْوةٍ * وأن تَطْمَعِي يومًا إلى غير مَطْمَعِ
اذا ما ٱبْنُ ملعونٍ تَحَـدَّرَ رَشْحُهُ * عليكِ فمُوتِى بعـد ذلك أودَعِى
مَلِلْنَ ولم أَمْلَلْ وما كنتُ سائمًا * لأجمال سُعْدَى ما أَنَخْنَ بجَعْجَعِ[(١)]
وحَثُّوا على جَمْعِ الرِّكاب وقرّبوا * جِمالًا ونُوقًا جِـلَّةً لم تَضَعْضَعِ
أَلَا قـد أَرَى إلّا بُثَينَـةَ هاهنا * لنـا بعد ذا المُصْطافِ والمتربَّعِ

لمَعْبد فى الثالث والرابع من هذه الأبيات ثقيلٌ أوّل بالخِنْصَر فى مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن سُرَيج فى الأوّل والثانى والخامس خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو . وللأَبْجَر فى الأوّل والخامس والثـالث والرابع رَمَلٌ بالبِنْصَر . وفى الأوّل والثـانى خفيفُ ثقيلٍ يُنْسَب الى معبد وغيره، ولم تُعْرَف صحّته من جهةٍ يُوثَق بها .

٩٣ / ٧

شعره لما أبعده السلطان عن بثينة

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال أنشدنا بُهْلُول بن سليمان لجميل لمـا بعُد عن بُثَينةَ وخاف السلطانَ، وكان بُهْلولٌ يُعجَب به، :

أَلَا قد أَرَى إلا بُثَينـةَ للقلبِ * بَوادِى بَدًّا لا بحِسْمَى ولا الشَّغْبِ[(٢)]
ولا ببُصَاقٍ[(٣)] قد تَيمَّمْتَ فاعترفْ * لمـا أنت لاقٍ أو تَنَكَّبْ عن الرَّكْبِ
أفى كلِّ يومٍ أنت مُحْدِثُ صَبْوةٍ * تموت لها بُدِّلْتَ غيرَك من قلبِ

---

(١) جعجع : موضع بعينه، وهو فى الأصل المتطامن من الأرض، وهو أيضا المكان الخشن الغليظ .

(٢) بدا : موضـع بوادى عذرة قرب الشام . وحسمى (بكسر أوله) : موضع وراء وادى القرى مما يلى بلاد فلسطين من أرض الشام . وشغب : ضيعة خلف وادى القرى .

(٣) كذا فى نسخة الشنقيطى مصححة بقلمـه وتقويم البلدان . وبصاق : موضع قريب من مكة، كما قال ابن دريد . وقال ابن حبيب : هو جبل بين أيلة والتيه . وفى جميع النسخ : « براق » .

حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها

أخبرنا الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا أبى عن يعقوب بن محمد الزُّهْرِىّ عن سليمانَ بن صَخْر الحَرَشِىّ قال حدّثنا سليمان بن زِياد الثَّقَفِى :

أن بُثَينة دخلتْ على عبد الملك بن مَرْوان . فرأى امرأةً خَلْفاءَ(١) مولِّية ، فقال لها : ما الذى رأَى فيكِ جميلٌ؟ قالت : الذى رأَى فيكَ الناسُ حين آستخلفوك . فضحك عبد الملك حتى بَدَتْ له سِنٌّ سَوْداءُ كان يسترُها .

شعره فى جمله "جديل"

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمر بن إبراهيم العُوَيْثِىّ :

أن جَمَل جميلٍ الذى كان يزور عليه بثينةَ يقال له "جَدِيل" وفيه يقول :

أَنَخْتُ جَدِيلًا عنـد بَثْنَةَ ليـلةً * ويومًا أطال اللهُ رَغْمَ جَـدِيلِ
أليس مُنَاخُ النِّضْـوِ يومًا وليـلةً * لبَثْنَـةَ فيما بيننـا بقليـلِ؟

مهاجاته قومها بنى الأحب وإهدار السلطان لهم دمه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعِىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أبو غَسّان محمد بن يحيى المَكّى :

أنّ جميلا لما آشتَهَرتْ بثينةُ بحبّه إياها اعترضه عُبَيد الله بن قُطْبةَ أحد بنى الأَحَبّ وهو من رَهْطِها الأَدْنَيْنَ فهجاه ، و بلغ ذلك جَميلًا فأجابه ، وتطاولا فغلَبه جميل وكَفّ عنه آبن قُطْبة ، وآعترضه عُمَير بن رَمْل (رجلٌ من بَنِى الأَحَبّ) فهجاه . و إياه عنَى جميلٌ بقوله :

إذا الناسُ هابُوا خِزْيَةً ذهبتْ(٢) بها * أَحَبُّ المَخَازِى كَهلُها ووَليدُها
لَعَمْرُ عَجُـوزٍ طَرَقتْ(٣) بكَ إننى * عُمَـير بنَ رَمْلٍ لآبنُ حَرْبٍ أَقُودُها
بنَفْسِى فلا تَقْطَعْ فؤادَك ضَـلَّةً * كذلك حَزْنِى وَعْثُها وصَعُودُها

(١) الخلفاء : الحمقاء . (٢) يريد : أخذتها واستمسكت بها . (٣) يريد : حملت بك . يقال : طرقت الناقة والمرأة وكل حامل بولدها اذا نشب فى بطنها ولم يسهل خروجه .

قال : فاستعدوا عليه عامر بن ربعي بن دجاجة، وكانت اليه بلاد عذرة، وقالوا : يهجونا ويغشى بيوتنا وينسب بنسائنا! فأباحهم دمه، وطلب فهرب منه. وغضبت بثينة لهجائه أهلها جميعا . فقال جميل :

وما صائب من نابل[1] قذفت به * يد وممر[2] العقدتين وثيق

٥ له من خوافي النسر حم نظائر[3] * ونصل كنصل الزاعبي[4] فتيق

على نبعة[5] زوراء أما خطامها * فمتن وأما عودها فعتيق

بأوشك قتلا منك يوم رميتني * نوافذ لم تظهر لهن خروق

تفرق أهلانا بثين فمنهم * فريق أقاموا واستمر فريق

فلو كنت خوارا لقد باح مضمري[6] * ولكنني صلب القناة عريق

١٠ كأن لم نحارب يا بثين لو انه * تكشف غماها وأنت صديق

قال ويدل على طلب عامر بن ربعي إياه قوله :

أضر بأخفاف البغيلة أنها * حذار ابن ربعي بهن رجوم[7]

لما أهدر دمه هرب الى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر الى الشأم

٩٤ / ٧

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن عبدالله الحزنبل الأصبهاني قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال حدثني بعض رواة عذرة :

---

١٥ (١) كذا في الكامل للبرد ص ٤٢ طبع أوربا . وفي الأصول : «نائل» . (٢) ممر العقدتين يعني وترا . والمر : الشديد الفتل . (٣) لعله يريد ريشات سودا متشابهة . وفي حـ : «جم نظائر» . وفي سائر الأصول : «جم تطاير» . (٤) الزاعبي من الرماح : الذي اذا هز تدافع كله كأن آخره يجرى في مقدمه . أو الى زاعب رجل أو بلد . والفتيق : الحاد الرقيق . (٥) النبع : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي؛ وأكرم القسي ما كان من النبع . وزوراء : معوجة؛

٢٠ وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى . وخطام القوس : وترها . ومتن : قوي . وعتيق : قديم . (٦) كذا في ب، س . وفي سائر الأصول : «ميسمي» بالياء المثناة . ولعله «مبسمي» بالباء الموحدة . (٧) الرجوم : اضطرام العدو أي شدة السير .

أن السلطان أَهدر دمَ جَميلٍ لرَهْط بُثَينة إن وجدوه قد غَشِى دُورَهم . فحذِرهم مدّة، ثم وجدوه عندها، فأَعْذَروا اليه وتوعّدوه وكرِهوا أن يَنْشَب بينهم وبين قومه حربٌ فى دمه، وكان قومُه أعزّ من قومها، فأعادوا شكواه إلى السلطان، فطلبه طلبا شديدا، فهرب الى اليمن فأقام بها مدّة . وأنشدنى له فى ذلك :

أَلَمّ خَيالٌ من بُثَينةَ طارقُ * على النَّأْيِ مُشْتاقٌ الىّ وشائقُ

سَرَتْ من تِلَاعِ الحِجْرِحتى تخلّصتْ * إلىّ ودُونى الأَشْعَرُون[1] وغافِقُ

كأنّ فَتِيتَ المسك خالط نَشْرَها * تُغَلُّ[2] به أَرْدانُها والمَرافِقُ

تقوم اذا قامت به عن فِراشها * ويَغْدُو به من حِضْنِها من تُعانِقُ

قال أبو عمرو وحدّثنى هذا العُذْرِىّ :

أنّ جميلا لم يزلْ باليمن حتى عُزِل ذلك الوالى عنهم، وانتجعوا ناحيةَ الشأم فرحَل اليهم . قال : فلَقِيتُه فسألتُه عما أَحْدث بعدى، فأنشدنى :

سقَى منزلَيْنا يا بُثَين بحاجرٍ * على الهَجْرِ منّا صَيِّفٌ ورَبِيعُ

ودُورَكِ يا لَيْلَى وإن كُنّ بَعْدنا * بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهُنّ رُبوعُ

وخَيْماتكِ اللّاتى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى * لقُمْرِيِّها بالمَشْرِقَيْن سَجِيعُ[3]

تُزَعْزِعُ[4] منها الريحُ كلَّ عشيَّةٍ * هَزِيمٌ بسُلّافِ الرياح رَجِيعُ

---

(١) الأشعرون : جمع أشعرى، نسبة الى الأشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، نخفف ياء النسب فتحذف فى الجمع . (راجع القاموس وشرحه مادة شعر) . وغافق : قبيلة . (٢) غل الدهن فى رأسه وفى ثوبه : أدخله فيه . (٣) لم يرد هذا المصدر فى معجمات اللغة التى بين أيدينا، مع أن "فعيلا" كثير وروده فى الأصوات . والموجود فى كتب اللغة "سجوع" جمع "سجع" بالفتح، كما قال ابن جنى . (راجع اللسان مادة سجع) . (٤) زعزعت الريح الشجر ونحوه : حركته . والهزيم : صوت الرعد، والمراد الصوت الشديد . وسلاف الرياح (كما وردت فى ب، س) : متقدماتها، والواحد سالف وسالفة . وقد وردت هذه الكلمة فى بعض الأصول الخطية : « بسدوف الرياح » وفى بعضها : «بسدف الرياح» . ورجيع : مردّد، وهو نعت لهزيم .

وإنِّى أن يَعْلَى بِكِ اللَّوْمُ أو تُرَى * بدارِ أَذًى من شامتٍ لَجَــزُوعُ
وإنِّى على الشىء الذى يُلْتَوَى به * وإنْ زَجَرَتْنِى زَجْرَةً لَوَرِيعُ[1]
فَقَــدْتُكِ من نَفْسٍ شَعَاعٍ فإنّنى * نَهيتُكِ عن هــذا وأنتِ جميــعُ
فقرَّبتِ لى غيرَ القريبِ وأشرفتْ * هناكَ ثَنَــايَا ما لهنّ طُــلُوعُ
٥ يقولون صَبٌّ بالغَوانِى مُوَكَّلٌ * وهل ذاك من فعل الرِّجال بَديعُ!
وقالوا رعيتَ اللَّهْوَ والمــالُ ضائعٌ * فكالناسِ فيهــم صالحٌ ومُضِيعُ

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشامىّ وابن خُرْدَاذْبَهْ وإبراهيم . وذكر حَبَشٌ أنّ فى هذه الأبيات لإسحاق لحنًا من الثقيل بالوسطى ؛ ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلا فى كتابه . ومن الناس من يُدخل هذه الأبيات
١٠ فى قصيدة المجنون التى على رَوِىّ وقافيةِ هذه القصيدة ، وليست له .

أنشد كثير من شعره وقال هو أشعر الناس

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمّلىّ[2] عن أبى عُبيدة عن أبيه قال :

٩٥ / ٧

دخل علينا كُثَيِّر يومًا وقد أخذ بطَرَف رَيْطَته وألقى طرَفَها الآخر وهو يقول: هو والله أشعرُ الناس حيث يقول :

١٥ وخَبَّرْ تُمانِى أنّ تَيْمــاء منزلٌ * لليــلَى اذا ما الصَّيْفُ ألقَى المَرَاسِيَا
فهذِى شهورُ الصيفِ عنِّى قد ٱنقضتْ * فما للنَّوَى ترمِى بليــلَى المَرَامِيَــا

ويَجُرّ رَيْطَتَه حتى يبلُغَ الينا ، ثم يولِّى عنّا ويَجُرّها ويقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :

---

(١) وريع : كاف . (٢) كذا فيا تقــدم فى جميع الأصول فى الجزء الرابع ص ١٢٣
٢٠ (راجع الحاشية رقم ١ فى هذه الصفحة) . وفى جميع الأصول هنا : « الموصلى » .

وأنتِ التى إن شئتِ كدّرْتِ عيشتِى * وإن شئتِ بعد الله أنْعمتِ باليَا
وأنتِ التى ما مِنْ صديقٍ ولا عِدًا * يَرَى نِضْوَ ما أبْقيتِ إلّا رَثَى لِيَا

ثم يرجع الينا ويقول : هو والله أشعر الناس . فقلنا : مَنْ تَعْنِى يا أبا صَخْر؟ فقال : ومَنْ أعنى سِوَى جميل! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا ! . وتَيْماءُ خاصّةً : منزلٌ لبنى عُذْرة، وليس من منازل عامر؛ وإنما يَرْويه عن المجنون مَنْ لا يعلمه .

وفى هذه القصيدة يقول جميل :

وما زِلْتُمُ يا بَثْنَ حتّى لَوَ انّنى * من الشوق أستبكى الحمامَ بَكَى ليا
إذا خَدِرتْ رجلى وقيل شفاؤها * دعاءُ حبيبٍ كنتِ أنتِ دُعَائيا
وما زادنى النّأْىُ المُفَرِّق بعدَكم * سُلُوًّا ولا طولُ التلاقى تَقَاليا[1]
ولا زادنى الواشون إلّا صَبابةً * ولا كثرةُ الناهين إلا تَمَاديا
ألم تعلمى يا عَذْبَةَ الرِّيق أنّنى * أَظَلُّ إذا لم أَلْقَ وجهَك صاديا
لقد خِفْتُ أنْ ألقَى المنيَّة بَغْتةً * وفى النفس حاجاتٌ اليك كما هيا

أخبرنا الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى بعض أصحابنا عن محمد بن مَعْن الغِفَارِىّ عن الأَصْبَغ بن عبد العزيز قال :

كنت عند طَلْحة بن عبد الله بن عَوْف؛ فدخل عليه كُثَيِّر؛ فلما دخل من الباب أخذ بِرِجْله فثنَاها ثم حَجَل حتى بلَغ الفِراشَ وهو يقول : جميلٌ والله أشعر العرب حيث يقول :

* وخَبّرْتُمَانى أنّ تَيْماءَ منزلٌ *

ثم ذكر باقىَ الخبر الذى رواه محمد بن مَزْيَد .

---

(١) فى منتهى الطلب : «ولا طول اجتماع تقاليا» .

يوم ذى ضال

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبير قال حدّثنى عمر بن إبراهيم السَّعْدىّ .
أنّ رهط بُثَينة قالوا إنما يَتْبع جميلٌ أمَةً لنا . فواعد جميلٌ بُثينةَ حين لقيها ببَرْقاء ذِى ضَال ، فتحادثا ليلًا طويلًا حتى أَسْحرا[1] . ثم قال لها : هل لكِ أن ترقُدى ؟ قالت : ما شئتَ ، وأنا خائفةٌ أن نكون قد أصبحْنا . فوسَّدها جانبَه ثم آضطجعا ونامت ، فآنسلّ وآستوى على راحلته فذهب ، وأصبحتْ فى مَضْجَعِها ، فلم يُرَع الحىُّ إلّا بها راقدةً عند مُناخ راحلة جميل . فقال جميل فى ذلك :

فمَنْ يَكُ فى حُبِّ بُثَيْنَةَ يَمْتَرِى * فبَرْقاءُ ذى ضالٍ علىَّ شهيدُ

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن شَبِيب عن الحِزَامى عن فُلَيْح بن إسماعيل بمثل هذه القصة ، وزاد فيها : فلما آنتبهتْ بثينةُ علمت ما أراده جميل بها ، فهجرتْه وآلتْ ألّا تَظْهَر له ، فقال :

ألَا هل إلى إلمامةٍ أن أُلِمَّها * بُثَيْنَةُ يوماً فى الحياة سبيلُ؟
فإن هى قالتْ لا سبيلَ فقُلْ لها * عَنَاءٌ على العُذْرِىّ منك طويلُ
على حين يسلو الناسُ عن طَلَب الصِّبَا * وينسَى آتِّبَاعَ الوصلِ منه خليلُ

٩٦ / ٧

شكاه أهلها الى قومه فلاموه، وشعره فى ذلك

وقال الهَيْثَم وأصحابُه فى أخبارهم :
تَشَكَّى زوج بُثَيْنَةَ الى أبيها وأخيها إلمامَ جميل بها . فوجّهوا الى جميل وأعذروا اليه وشَكَوْه إلى عَشيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعَّدوه ، وأتاهم فلامه أهلُه وعنّفوه وقالوا : إنّا نَسْتحلِفُ اليهم ونتبرأ منك ومن جَرِيرتك . فأقام مدّةً لا يُلِمّ بها ، ثم لقى آبنىْ عمِّه رَوْقًا ومسعودا ، فشكا اليهما ما به وأنشدهما قولَه :

وإنّى على الشىء الذى يُلْتَوَى به * وإنْ زَجَرَتْنِى زَجْرَةً لَوَرِيعُ

(١) فى الأصول : «أسحر» بدون ألف التثنية . والإسحار : الدخول فى وقت السحر .

فَقَدْتُك من نَفْسٍ شَعَاعٍ فإننى * نهيتُك عن هذا وأنتِ جميعُ
فقرّبتِ لى غيرَ القريب وأشرفتْ * هناك ثَنَايَا ما لهنّ طُلُوعُ
يقولون صَبٌّ بالغوانى مُوَكَّلٌ * وهل ذاك من فعل الرجال بديعُ
وقالوا رَعَيْتَ اللَّهْوَ والمالُ ضائعٌ * فكالنّاس فيهم صالحٌ ومُضِيعُ

تمثل محمد بن عبد الله بن حسن بشعره لزوجته

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنى مُصْعَب بن عبد الله قال :

كانت تحت محمد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزُّبَير يقال لها فُلَيْحة، وكانت لها صبيّةٌ يقال لها رخيّة، قد ربّتْها لغير رِشْدة، وكانت من أجمل النساء وجهًا . فرأتْ محمدًا وقد نظر اليها ذاتَ يوم نظرًا شديدا، ثم تمثّل قولَ جميل :

بُثَيْنَةُ من صِنْفٍ يُقَلِّبْنَ أيدىَ الرُّماة وما يَحْمِلْنَ قوسًا ولا نَبْلَا
ولكنّما يَظْفَرْنَ بالصيد كلّما * جَلَوْنَ الثّنايا الغُرَّ والأعيُنَ النُّجْلَا
يُخالِسْنَ ميعادًا يُرَعْنَ (١) لقولها * إذا نطقتْ كانت مقالتُها فَصْلَا
يَرَيْنَ قريبًا بيتَها وهى لا تَرَى * سوى بيتها بيتًا قريبًا ولا سَهْلَا

فقالت له فُلَيْحة : كأنك تريد رخيّة ! قال : إى والله ! قالت : إنّى أخشى أن تجىء منك بولد وهى لغير رِشْدة . فقال لها : إنّ الدَّنَس لا يَلْحَق الأعقاب ولا يضرّ الأحساب . فقالت له : فما يضرُّ إذًا ! والله ما يضرّ إلا الأعقاب والأحساب، وقد وهبتُها لك . فسُرّ بذلك وقال : أمَا والله لقد أعطيتُك خيرًا منها . قالت : وما هو ؟ قال : أبيات جميلٍ التى أنشدتُك إيّاها ؛ لقد مكثتُ أسعَى فى طلبها حَوْلَيْن . فضحكتْ وقالت : مالى ولأبياتِ جميلٍ ! والله ما ابتغيتُ إلا مَسَرّتك .

(١) هذا الشطر هكذا فى الأصول .

قال : فولدتْ منه غلامًا . وكانت فُلَيحةُ تدعو الله ألّا يُبقيَه . فبينا محمدٌ فى بعض هَرَبهِ من المنصور والجاريةُ وٱبنُها معه إذ رَهِقهما الطلبُ، فسقط الصبىّ من الجبل فتقطَّع . فكان محمد بعد ذلك يقول : أُجيب فى هذا الصبى دعاءُ فُلَيحة .

نصح أبوه له فردّ عليه ردا أبكاه وأبكى الحاضرين، وشعره فى ذلك

٩٧ / ٧

وقال الهَيْثَم بن عَدِىّ وأصحابُه فى أخبارهم :

٥ لمّا نذَر أهلُ بُثَيْنة دمَ جميل وأباحهم السلطانُ قتْلَه ، أَعْذَروا الى أهله . وكانت منازلهم متجاورة ، إنما هم بُيُوتاتٌ يفترقون كما يفترق البطونُ والأفخاذ والقبائل غيرَ متباعدين؛ ألم تَرَ الى قول جميل :

أَبِيتُ مع الهُلّاك[1] ضَيْفًا لأهلها * وأَهْلِى قريبٌ مُوسعونَ أُولُو فَضْلِ

فمشتْ مَشْيَخةُ الحىّ الى أبيه — وكان يُلَقَّب صُبَاحا وكان ذا مالٍ وفضل وقَدْر فى أهله — فشكَوْه اليه وناشدوه اللهَ والرَّحِمَ وسألوه كَفَّ ٱبنِه عمّا يتعرّض له ١٠ ويفضَحهم به فى فَتاتِهم ؛ فوعدهم كَفَّه ومَنْعَه ما ٱستطاع، ثم ٱنصرفوا . فدعا به فقال له : يا بُنَىّ ! حتى متى أنت عَمِهٌ فى ضلالك، لا تأنف من أن تتعلّق بذات بَعْل يخلو بها ويَنْكِحها وأنت عنها بمَعْزِل ثم تقوم من تحته إليك فتَغُرُّك بخداعها وتُرِيك الصفاءَ والمودّة وهى مُضْمِرةٌ لبعلها ما تُضمِره الحُرّة لمن مَلَكها ، فيكون قولُها لك تعليلًا وغرورا ، فاذا ٱنصرفتَ عنها عادتْ الى بَعْلها على حالتها المبذولة؛ إن هذا ١٥ لَذُلٌّ وضَيْمٌ ! ماأعرف أخْيَبَ سَهْمًا ولا أضْيَعَ عُمْرًا منك . فأَنْشُدُك اللهَ إلّا كففتَ وتأملتَ أمرَك؛ فإنك تعلم أنّ ما قلتُه حقٌّ، ولو كان اليها سبيلٌ لبذلتُ ما أملكه فيها، ولكنّ هذا أمر قد فات وٱستَبَدَّ به مَنْ قُدِّر له، وفى النساء عِوَضٌ . فقال له جميل : الرأىُ ما رأيتَ ، والقولُ كما قلتَ؛ فهل رأيتَ قبلى أحدًا قدَر أن يدفع عن

٢٠ (١) الهلاك : الصعاليك .

قلبه هَواه ، أو مَلَك أن يُسْلِيَ نفسه ، أو آستطاع أن يَدْفَع ما قُضِى عليه ! والله لو قَدَرتُ أن أَمْحُوَ ذكرَها من قلبى أو أُزيلَ شخصها عن عينى لفعلتُ ، ولكن لا سبيلَ الى ذلك ، وإنما هو بلاءٌ بُليتُ به لحَيْنٍ قد أُتيح لى ، وأنا أمتنع من طُروق هذا الحىّ والإلمام بهم ولو متّ كَمَدًا ، وهذا جَهْدى ومبلغُ ما أقدر عليه . وقام وهو يبكى ، فبكى أبوه ومَنْ حضر جَزَعًا لما رأوْا منه . فذلك حين يقول جميل : ٥

صــــوت

أَلَا مَنْ لقلبٍ لا يَمَلُّ فيَذْهَلُ * أَفِقْ فالتَّعزِّى عن بُثَيْنةَ أجملُ

سَلَا كُلُّ ذى ودٍّ علمتُ مكانَه * وأنتَ بها حتى المماتِ مُوَكَّلُ

فما هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلها * ولا هكذا فيما مضَى كنتَ تفعلُ

ــ الغناء لمالك ثقيلٌ أوّلُ بالسّبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ــ ١٠

فيا قلبُ دَعْ ذِكْرَى بُثَينَةَ إنّها * وإن كنتَ تَهْواها تَضَنّ وتبخلُ

وقد أيأستْ من نَيْلها وتجهّمتْ * ولَلْيأسُ إن لم يُقْدَرِ النَّيلُ أمثلُ

وإلّا فسَلْهَا نائلًا قبلَ بَيْنها * وأَبْخِلْ بها مسئولةً حين تُسألُ

وكيف تُرَجِّى وصلَها بعد بُعْدها * وقد جُذَّ حبلُ الوصلِ ممن تؤمِّلُ

وإنّ التى أحببتَ قد حِيل دونها * فكُنْ حازمًا ، والحازمُ المُتَحَوِّلُ ١٥

ففى اليأسِ ما يُسْلِي وفى الناس خُلّةٌ * وفى الأرض عمّن لا يُوَاتِيك مَعْزِلُ

بدا كَلَفٌ منّى بها فتثاقلتْ * وما لا يُرَى من غائبِ الوجدِ أفضلُ

هَبِينى بريئًا نِلْتِهِ بظُلَامةٍ * عفَاها لكم أو مُذْنِبًا يتنصّلُ

قَنَاةٌ[1] من المُرّانِ ما فوق حَقْوِها * وما تحته منها نَقًا يتهيَّلُ

(١) فى أكثر الأصول : «فتاة» . وفى حـ «قذاة» وهما تحريف . ٢٠

٩٨/٧

قال وقال أيضا فى هذه الحال :

صـــوت

أَعَنْ ظُعُنِ الحىّ الأُلَى كنتَ تَسأَلُ * بليــلٍ فردُّوا عِيرَهم وتحمَّــلوا

فأمسَوْا وهم أهلُ الديار وأصبحوا * ومن أهلها الغِربانُ بالدارِ تَحْجُلُ

٥ — فى هذين البيتين لِسِيَاطٍ خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لابن جامع ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو —

على حينَ ولّى الأمرُ عنّا وأَسْمَحتْ (١) * عَصا البَيْنِ وانبتَّ الرجاءُ المؤمَّلُ

فما هو إلّا أن أَهيمَ بذكرِها * ويحظَى بجَدْوَاها سواىَ ويَجْذَلُ

وقد أبقتِ الأيّامُ منّى على العِدَا * حُسَامًا اذا مَسَّ الضريبةَ يَفصِلُ

١٠ ولستُ كمن إن سِيمَ ضَيْمًا أطاعَه * ولا كامرئٍ إن عضّه الدهرُ يَنْكُلُ

لعمرى لقد أَبْدَى لِىَ البينُ صَفْحَه (٢) * وبيّن لى ما شئتُ لو كنت أعقلُ

وآخرُ عهدِى من بُثَينةَ نظرةٌ * على موقفٍ كادت من البين تَقتُلُ

فلِلّه عَيْنَا مَنْ رأى مثــلَ حاجةٍ * كَتَمْتُكَهَا والنفسُ منها تَمَلْمَلُ

وإنى لأَسْتبكى إذا ذُكِر الهَـوَى * إليكِ وإنّى من هــواكِ لأوجَلُ

١٥ نظرتِ بِبِشْرٍ نظرةً ظَلْتُ أَمْتَرِى * بهـا عَبْرةً والعينُ بالدمع تُكْحَلُ

إذا ما كرَرْتُ الطَّرْفَ نَحْوَكِ ردّه * من البعد فيّاضٌ من الدمع يَهْمِلُ (٣)

ودع بثينة حين خروجه الى الشأم

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيـه عن أيّوب بن عَبَايَةَ قال :

---

(١) أسمحت : سهلت ودلت . (٢) الصفح : الجانب . (٣) فى الأصول «مهمل» . والذى فى كتب اللغة : همل الدمع اذا سال .

٢٠

لمّا أراد جميلٌ الخروج الى الشأم ، هجم ليلًا على بُثَيْنة وقد وجد غفلةً . فقالت له : أهلكتَنى والله وأهلكتَ نفسك! وَيْحَكَ! أمَا تخاف! . فقال لها : هذا وجهى الى الشأم ، إنما جئتك مودِّعا . فحادثها طويلًا ثم ودّعها، وقال : يا بُثينة، ما أُرانا نلتقى بعد هذا، وبكيا طويلًا . ثم قال لها وهو يبكى :

ألَا لا أُبالِى جفوةَ الناسِ ما بَدَا * لنا منك رأىٌ يابُثَيْنَ جميلُ
ومالم تُطيعى كاشحًا أو تبَدَّلِى * بنا بَدَلًا أو كان منك ذُهولُ
وإنّى وتَكْرارِى الزيارةَ نحوَكم * بُثَيْنَ بذى هجرٍ بُثَيْنَ يطولُ (١)
وإن صَبَاباتِى بكم لكثيرةٌ * بُثَيْنَ ونِسْيانِيكمُ لقليلُ

أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالا شعرا فى الفخر

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثنى شيوخٌ من عُذْرة :

أنّ مَرْوان بن الحَكَم خرج مسافرًا فى نفرٍ من قريش ومعه جميلُ بن مَعْمَر وجَوّاسُ بن قُطْبة أخو عُبيد الله بن قُطْبة . فقال مروان لجَوّاس : انزل فَارْجُزْ بنا، وهو يريد أن يمدحه . فنزل جوّاس وقال :

يقول أميرِى هل تَسُوق رِكَابَنا * فقلت له حادٍ لهنّ سَوَائيَا
تكَرّمتُ عن سَوْقِ المَطِىِّ ولم يكن * سِيَاقُ (٢) المطىِّ همّتى ورَجائيا
جعلتَ أبى رَهْنًا وعِرْضِىَ سادرًا * الى أهل بيت لم يكونوا كِفائيا
إلى شرِّ بيتٍ من قُضَاعةَ مَنْصِبًا * وفى شرِّ قومٍ منهمُ قد بَدَا لِيا (٣)

(١) كذا ورد هذا البيت فى الأصول . (٢) فى حـ : «سياق» .
(٣) كذا فى ترجمة جواس (فى الجزء التاسع عشر من الأغانى طبع بلاق ص ١١٣) . وفى الأصول هنا : « إلى خير بيت فيهم قد بداليا » .

فقال مروان : اركَبْ لا رَكِبْتَ ! . ثم قال لجميـل : انزل فآرجُزْ بنا ، وهو يريد أن يمدحه . فنزل جميل فقال :

أنا جميـلٌ فى السَّنامِ الأعظمِ * الفارعِ النـاسَ الأعزِّ الأكرمِ
أَحْمِى ذِمَارِى ووجدتُ أَقْرُمِى * كانوا على غاربِ طَـوْدٍ خِضْرِمِ
٥ * أعيا على النّـاس فلم يُهَـدَّمِ *

فقال : عَدِّ عن هذا . فقال جميل :

لَهْفًا على البيت المَعَدِّى لهفا * من بعدِ ما كان قد آستكفَّا
ولو دعا الله ومَـدّ الكَفَّا * لَرَجَفَتْ منه الجبـالُ رَجْفَا

فقال له اركَبْ لاركبتَ ! .

أمره الوليد بالحداء ليمدحه فقال شعرا فى الفخر، ولم يمدح أحدا قط

١٠ قال الزُّبير وحدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمِّلىّ قال :

كان جميـلٌ مع الوليد بن عبـد الملك فى سـفر والوليدُ على نجيب؛ فرجَز به مَكِين العُذْرِىّ فقال :

يا بَكْرُ هل تعلَم مَنْ عَلَاكَا * خليفــةُ الله على ذُرَاكَا

فقال الوليد لجميل : انزل فآرْجُز، وظنّ الوليد أنه يمدَحه . فنزل فقال :

١٥ أنا جميــلٌ فى السَّنَام من مَعَدّْ * فى الذِّرْوةِ العَلْياء والرُّكْنِ الأَشَـدّْ
والبيتِ من سَعْدِ بن زيد والعَدَدْ * ما يَبْتَـغِى الأعداءُ مِنِّى ولقَـدْ
أُضْرِىَ(١) بالشَّـتْمِ لِسـانى ومَرَدْ * أقودُ مَنْ شِئتُ وصَعْبٌ لم أُقَدْ

فقال له الوليد : اركب لاحَمَلَك الله ! . قال : وما مدَح جميل أحدًا قطّ .

هـدده الحزين الديلى فهجاه

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا يونس بن عبد(٢) الله بن سالم قال :

٢٠ (١) فى كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب : «أغرم» . وفى الأصول : «أضر» . وضرى بالشىء (من باب فرح) لهج به ، وأضراه بالشىء ألهجه به . (٢) فى جـ : «عبيد الله» .

وقف جميلٌ على الحزين الدِّيلىّ والحزينُ يُنشد الناسَ . فقال له الحزين وهو لا يعرفه : كيف تَسْمع شعرى ؟ قال : صالحٌ وَسَط . فغضب الحزين وقال له : ممّن أنت ؟ فوالله لأهجونَّك وعشيرتَك ! . فقال جميل : إذًا تَنْدَم . فأقبل الحزين يُهمْهِم يريد هجاءه . فقال جميل :

الدِّيلُ أذنابُ بَكْرٍ حين تنسُبهم * وكلُّ قومٍ لهم من قومِهم ذَنَبُ

فقامت له بنو الدِّيل وناشدوه اللهَ إلّا كَفّ عنهم ، ولم يزالوا به حتى أمْسك وانصرف .

راجز جوّاس بن قطبة حين ذكر أخته فغلبه

أخبرنى الحرمىّ ومحمد بن مَزْيَد — واللفظ له — قالا حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى محمد بن الضحّاك عن أبيه قال :

لمّا هاجى عُبَيدُ الله بنُ قُطْبة جميلًا واستعلَى عليه جميلٌ ، أعرض عنه ، واعترضه أخوه جَوّاس بن قُطْبة فهجاه وذكر أختًا لجميل . وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا يَنْصِب له [1] ، حتى هجا أُخْتَه فقال فيما ذكرها به من شعره :

إلى خَذَيْها العَبْلتَيْنِ وكانتا * بعَهْدِىَ لَفّاوَيْنِ [2] أُرْدِفتا ثِقْلَا

فغضب جميلٌ حينئذ فواعده للراجزة . قال الزُّبير فحدّثنى بعضُ آلِ العبّاس بن سَهْل ابن سعد عن عبّاس قال :

قَدِمتُ من عند عبد الملك بن مَرْوان وقد أجازنى وكسانى بُرْدًا ، كان ذلك البردُ أفضلَ جائزتى ، فنزلتُ وادىَ القُرَى فوافقتُ الجمعةَ بها فاستخرجتُ بردِى الذى من عند عبد الملك وقلت أُصلِّى مع الناس ؛ فلقينى جميلٌ ، وكان صديقا لى ، فسلَّم بعضُنا على بعضٍ وتساءلْنا ثم افترقنا . فلما أمسيتُ اذا هو قد أتانى فى رَحْلِى

(١) كذا فى ء ، ا ، م . ونصب له : عاداه وتجرد له . وفى سائر الأصول «ولا ينصت له» .
(٢) لفاوان : ضخمتان مكتنزتا اللحم .

فقال: البُرْد الذى رأيتَه عليك تُعيرُنيه حتى أتجمّل به، فإنّ بينى و بين جوّاس مُرَاجَزةً، وتحضُر فتسمعُ. قال قلت: لا! بل هو لكَ كُسْوة، فكسوتُه إيّاه، وقلت لأصحابى: ما من شىء أحَبُّ الىّ من أن أسمع مُرَاجزتهما . فلمّا أصبحْنا جعل الأعاريبُ يأتون أَرْسالًا حتى آجتمع منهم بَشَرٌ كثيرٌ، وحضرتُ وأصحابى، فإذا بجميل قد جاء وعليه حُلّتان ما رأيت مثلَهما على أحد قطُّ، و إذا بُرْدِى الذى كسوتُه إيّاه قد جعله جُلًّا لجمله، فتَرَاجَزا فرجَز جميل، وكانت بُثَينة تُكْنَى أُمّ عبد الملك، فقال:

يا أُمّ عبد الملك آصْرِمِينِى * فبَيِّنِى صَرمَى أو صِلِينى
أَبْكِى وما يُدْرِيكِ ما يُبْكِينى * أبكى حِذَارَ أنْ تُفَارِقينى
وتجعلى أبعَدَ منِّى دُونِى * إنّ بنى عمِّك أَوْعدونى
أن يقطعوا رأسِى إذا لَقُونِى * ويقتلونى ثم لا يَدُونى (١)
كلّا وربِّ البيتِ لو لَقُونِى * شَفْعًا ووَتْرًا لتَوَاكَلُونى (٢)
قد علِم الأعداءُ أنّ دُونِى * ضَرْبًا كإيزاغ المخاض الجُون (٣)
أَلَا أَسُبُّ القومَ إذ سَبُّونى * بلَى وما مَرّ على دَفِين (٤)
وسابحاتٍ بِلِوَى الحَجُونِ (٥) * قد جَرَّبُونى ثم جرّبونى
حتى إذا شابوا وشيّبونى * أخزاهمُ الله ولا يُخْزِينِى
أشباهُ أعْيَارٍ على مَعِينِ (٦) * أَحْسَسْنَ حِسَّ أسَدٍ حَرُونِ
فهنّ يَضْرِطْنَ من اليقينِ * أنا جميلٌ فتَعَرّفونى

---

(١) وداه بديه : دفع ديته . (٢) أى وكلنى بعضهم الى بعض خوفا منى وجبنا .
(٣) الإيزاغ : إخراج البول دفعة واحدة . والحوامل توزغ بأبوالها، والطعنة توزغ بالدم .
(٤) دفين : موضع . (٥) الحجون : جبل بأعلى مكة . (٦) الأعيار : الحمر . والمعين : الماء العذب الغزير .

وما تَقَنّعتُ فتُنْكِرونى * وما أُعَنّيكم لتسألونى
أَنْمِى الى عاديّةٍ طَحُونِ * يَنْشقّ عنها السَّيلُ ذو الشؤونِ
غَمْرٍ يَدُقّ رُجَّحَ السَّفينِ(١) * ذو حَدَبٍ(٢) إذا يُرَى حَجُونِ
* تَنْحَلّ أحقادُ الرجالِ دُونِى *

٥

قال : ورجز جميل أيضا :

* أنا جميلٌ فى السَّنام من مَعَدّ *

وقد تقدّمت هذه الأُرْجوزة . ثم رجز بعده جَوّاسٌ فلم يصنع شيئا . قال : فما رأيتُ غَلَبةً مثلَها قطّ .

هجا خوّاتا العذرى وبنى الأحب

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا بُهْلول بن سليمان عن العَلاء بن سعيد البَلَوِىّ وجماعةٍ غيره من قومه :

١٠

أنّ رجلًا من بنى عُذْرة كان يقال له خَوّاتٌ ، أُمّه بَلَوِيّة ، وكان شاعرا ، وكان جميل ابنَ جُذاميّة . فخرج جميل الى أخواله بجُذام وهو يقول :

جُذامُ سيوفُ الله فى كلّ موطنٍ * اذا أَزَمَتْ يومَ اللّقاء أَزَامِ(٣)
هُمُ منعوا ما بين مِصْرَ فذى القُرَى * الى الشأم مِنْ حِلٍّ به وحَرَامِ
بضربٍ يُزيل الهامَ عن سَكِنَاته(٤) * وطَعْنٍ كإيزاغ المَخاضِ تُؤَامِ
إذا قَصُرتْ يومًا أَكُفُّ قبيلةٍ * عن المجد نالته أَكُفُّ جُذَامِ

١٥

١٠١/٧

فأعطَوْه مائة بَكْرة . قال : وخرج خَوّاتٌ الى أخواله من بَلِىّ وهو يقول :

إنّ بَلِيًّا غُرّةٌ يُهْتَدَى بها * كما يَهْتدى السارى بمَطْلَع النجمِ
هُمُ ولدوا أُمّى وكنتُ ابنَ أُخْتِهم * ولم أَتَخَوَّلْ(٥) جِذْمَ قومٍ بلا عِلْمِ

---

(١) الرجح من السفن : الثقيلة الموقرة . (٢) حدب السيل : ارتفاعه . وحجون : بعيد .
(٣) أزام : شدّة ، وهو مبنى على الكسر . (٤) السكنة (بفتح فكسر) : مقر الرأس من العنق .
(٥) تخوّل : اتخذ خالا . وفى الأصول : «أتحوّل» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . والجذم : الأصل .

٢٠

قال : فأعطَوْه مائة غُرَّة ما بين فرس الى وَليدة ؛ ففخَر على صاحبه ، وذكر أن الغُرّة الواحدة ممّا أتى به ممّا معه تَعْدل كلَّ شيء أتى به جميل . فقال عُبَيْد الله ابن قُطْبة :

سَتَقْضِى بيننا حكّامُ سَعْدٍ * أقُطْبَةُ كان خيرًا أم صُبَاحُ

٥ قال : وكان عبد الله بن مَعْمَر أبو جميلٍ يلقَّب صُبَاحا ، وكان عُبَيد الله بن قُطْبة يلقَّب حماظا[1] . فقال النَّخّار العُذْرِىّ أحد بنى الحارث بن سعد[2] : قُطْبةُ كان خيرًا من صُبَاح . فقال جميل يهجو بنى الأَحَبّ رهطَ قُطْبة ويهجو النَّخّار :

إنّ أحبَّ سُفَّلٌ[3] أشرارُ * حُثَالةٌ عُودُهم خَوّارُ

أذَلُّ قومٍ حين يُدْعَى الجارُ * كما أذَلَّ الحارثَ النَّخّارُ

١٠ وقال الأُبَيْرِق العُتْبِى[4] : قُطْبة كان خيرا من صُبَاح . فقال جميل :

يا بنَ الأُبَيْرِق وَطْبٌ بِتَّ مُسْنِدَه[5] * الى وِسَادِك من حُمِّ الذُّرى جُونِ

وأكلتان اذا ما شئت مرتفقًا * بالسير من نغل الدفين مدهون[6]

أُذكُرْ[7] وأُمُّك منِّى حين تَنْكُبُنى[8] * جِنِّى فيَغْلِب جِنِّى كلَّ مجنون

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول « حلماطا » . وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين .

١٥ (٢) فى الأصول « ... الحارث بن سعد بن قطبة ... الخ » وهو تحريف . (٣) كذا فى أكثر الأصول ، والسفل : جمع سافل وهو الدنىء ، و يقال لأسافل الناس وغوغائهم : سفلة (بفتح فكسر) وسفلة (بكسر فسكون) والعامة تقول رجل سفلة (بفتح فكسر) من قوم سفل (بفتح فكسر) قال ابن الأثير وليس بعربىّ . وفى حـ : « قزم أشرار » والقزم (بفتحتين أو بضمتين) : اللئام . (٤) فى ب ، س : « القينى » . (٥) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « أنت مسنده » .

٢٠ (٦) لم نهتد الى وجه الصواب فى هذا البيت وقد أثبتنا صورته كما وردت فى الأصول ، فهو هكذا فى ب ، س . وفى حـ هكذا : «من نعل الدى فين» . وفى م ، أ ، ء هكذا : «من بغل الذى نين» . (٧) فى ب ، س ، حـ : « أزكى وأمك ... » . وهو تحريف . (٨) فى م ، أ ، ء : « تنكثني » .

وقال جماعةٌ من شعراء سَعْد فى تفضيل قُطْبة على صُبَاح أقوالًا أجابهم عنها جميل فأفحمهم؛ حتى قال له جعفر بن سُرَاقة أحدُ بنى قُرّة :

نحن مَنَعْنا ذَا القُرَى من عَدُوِّنا * وعُذْرَةَ اذ نلقى يَهُـوداً و يعشرا (١)
مَنَعْناه من عُلْيَا مَعَـدٍّ وأنتمُ * سَفَاسِيفُ رَوْحٍ بين قُرْحٍ وخَيْبَرَا (٢)
فريقانِ رُهْبانٌ بأسفلِ ذى القُرَى * و بالشأم عَرَّافون فيمن تَنَصَّرَا

فلمّا بلغتْ جميلًا ٱتّقاه وعلِم أنه سيعلو عليه؛ فقال جميل :

بَنى عامرٍ أنَّى ٱنتجعـتمْ وكنتمُ * إذا حُصِّلَ الأقوامُ كالخُصْيةِ الفَرْدِ
فأنتم ولَأْىٌ موضعَ الذُّلِّ حَجْرةً * وقُرّةُ أَوْلَى بالعَـلَاء و بالمجـدِ

فأعرض عنه جعفر — قال الزبير : بنو عامر بن ثَعْلَبَـةَ بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سعد رهطُ هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم بن كُرْز بن أبى حَيّة بن الكاهن وهو سَلَمة ابن أَشْحَم بن عامر بن ثَعْلبـة بن عبد الله بن ذُبْيان بن سـعد هُذَيم بن زيد . وزِيادَةُ ابن زيد بن مالك بن عامر بن قُرّة بن خِنْيِس بن عمـرو بن ثعلبـة بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سَعْد هُذَيم . ولَأْى ابن عبد مَنَاة بن الحارث بن سعد (٣) هُذَيم — قال : فدخل جميل على هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم السجنَ وهو محبوسٌ بدم زِيَادة ابنِ زيد، وأهدى له بُرْدين من ثياب كساه إيّاهما سعيد بن العاصى، وجاءه بنفقة؛ فلما دخل عليه عرَض ذلك عليه؛ فقال هُدْبة : أنت يٱبنَ قَمِيئةٍ (٤) الذى تقول :

بَنى عامرٍ أنَّى ٱنتجعـتم وكنتمُ * إذا عُدِّد الأقوامُ كالخصْية الفَرْد

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « و بعثرا » . ولم نهتد الى وجه الصواب فيـه .
(٢) السفساف : التراب الدقيق . والروح : الريح . وقرح : سوق وادى القرى وقصبتها .
(٣) فى الأصـول : « ابن عمرو بن عبـد الله بن ثعلبـة بن ذبيان الخ » . (٤) القميئة : الذليـلة .

١٠٢ / ٧

أمَا والله لئن خَلّص الله لى ساقَىَّ لأمُدّنّ لك مضمارَك ، خذ بُرْدَيْك ونفقتَك . فخرج جميل ، فلما بلغ بابَ السجن خارجا قال : اللهمّ أغْنِ عنّى أَجْدَعَ بنى عامر ! . وكانت بنو عامر قد قَلّوا فحالفوا لَأْياً .

لقى عمر بن أبى ربيعة وتناشدا الشعر وفضله على نفسه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء ومحمد بن مَزْيَد بن أبى الأَزْهر قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المَخْزُومىّ قال حدّثنى شيخ من أهلى عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المُغيرة الذى يقول له عمر بن أبى ربيعة :

* يا أبا الحارثِ قلبى طائرٌ *

قال : شهدتُ عمرَ بن أبى رَبيعة وجميلَ بن عبد الله بن مَعْمَر وقد اجتمعا بالأبْطَح ، فأنشد جميلٌ قصيدته :

لقد فَرِح الواشون أن صَرَمتْ حَبْلِى * بُثَيْنةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ

يقولون مَهْلًا يا جميلُ وإننى * لأُقسم ما بى عن بُثَيْنة من مَهْلِ

أحِلْمًا فقبل اليوم كان أوانُه * أمَ اخْشَى فقبل اليومِ أُوعِدتُ بالقتلِ

لقد أَنْكَحُوا حَرْبى نُبَيْهًا ظَعينةً * لطيفةَ طَىِّ البَطْنِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ

وكم قد رأينا ساعيًا بنَميمةٍ * لآخَرَ لم يَعْمِدْ بكفٍّ ولا رِجلِ

إذا ما تراجعْنا الذى كان بيننا * جَرى الدمعُ من عينَىْ بُثَيْنةَ بالكُحلِ

صوت

كلانا بكَى أو كاد يَبْكِى صَبابةً * إلى إلْفِه واستعجلتْ عَبْرةٌ قبلِى

فلو تركتْ عَقْلِى معى ما طلبتُها * ولكنْ طِلَابِيها لِمَا فات من عقلى

فياوَيْحَ نفسى حَسْبُ نفسِى الذى بها * ويا وَيْحَ أهلى ما أُصيب به أهلى

وقالت لأتراب لها لا زعانف * قصار ولا كس الثنايا ولا ثعل (١)

إذا حميت شمس النهار اتقينها * بأكسية الديباج والخز ذى الخمل

تداعين فاستعجمن مشيا بذى الغضا * دبيب القطا الكدرى فى الدمث السهل

إذا ارتعن أو فزعن قمن حوالها * قيام بنات الماء فى جانب الضحل (٢)

أجدى لا ألقى بثينة مرة * من الدهر إلا خائفا أو على رجل (٣)

خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

قال : وأنشده عمر قوله :

جرى ناصح بالود بينى وبينها * فقربنى يوم الحصاب الى قتلى

فما أنس م الأشياء لا أنس موقفى * وموقفها وهنا بقارعة النخل (٤)

فلما تواقفنا عرفت الذى بها * كمثل الذى بى حذوك النعل بالنعل

فقلن لها هذا عشاء وأهلنا * قريب ألما تسأمى مركب البغل

فقالت فما شئتن قلن لها انزلى * فللأرض خير من وقوف على رحل

فأقبلن أمثال الدمى فاكتنفنها * وكل يفدى بالمودة والأهل

نجوم دراري تكنفن صورة * من البدر وافت غير هوج ولا نجل (٥)

فسلمت واستأنست خيفة أن يرى * عدو مكانى أو يرى كاشح فعلى

فقالت وألقت جانب الستر إنما * معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى

(١) الزعانف : جمع زعنفة وهى القصيرة . والكس : جمع كساء . والكسس : قصر الأسنان وصغرها . والثعل : جمع ثعلاء . والثعل : زيادة سن أو دخول سن تحت أخرى . (٢) بنات الماء : الطيور التى تلازم الماء . والضحل : الماء القليل . (٣) الرجل : الخوف أو الفزع من فوت الشىء ، يقال أنا من أمرى على رجل أى على خوف من فوته . وفى ب ، س : « على رحل » بالحاء المهملة .
(٤) كذا فى أكثر الأصول وديوان عمر بن أبى ربيعة (طبع أوربا) . وفى ب ، س : « يوما بفارعة النخل » .
(٥) نجل : جمع نجلاء ، وصف من النجل وهو عظم البطن واسترخاؤه ، ويروى : «ولا عجل» .

فقلتُ لهـا ما بى لهم من ترقُّبٍ * ولكنّ سِرِّى ليس يحمـلُه مثـلى
فلمـا ٱقتصرْنا دونهن حديثَنـا * وهُنّ طَبيباتٌ بحاجة ذى التَّبْـل (١)
عرَفْنَ الذى نَهْوَى (٢) فقُلْنَ ٱئذَنِى لنـا * نَطُفْ ساعةً فى بَرْدِ ليلٍ وفى سَهْـلِ
فقالت فـلا تَلْبَثْنَ قُلْنَ تحدَّثِى * أتيناكِ وٱنْسَبْنَ ٱنسـياب مَهَا الرملِ
٥ وقُمْنَ وقـد أَفْهَمْنَ ذا اللُّبِّ أنمـا * أَتَيْنَ الذى يَأْتِينَ من ذاك من أَجْلِى

فقال جميـلٌ : هيهاتَ يا أبا الخَطّـاب : لا أقولُ واللهِ مثلَ هذا سَجِيسَ (٣) الليالى ! وما خاطب النساءَ مخاطبتَك أحدٌ؛ وقام مشمِّرا .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صـــوت

١٠ خليـلىّ فيما عشتُما هـل رأيتُمـا * قتيلاً بكَى من حبّ قاتله قبـلى
أَبِيتُ مع الهُـلّاك ضـيفًا لأهلها * وأهلى قريبٌ مُوسِعُون ذوو فَضْل
فلو تركتْ عقـلِى معى ما طلبتُها * ولكن طِلَابِيها لِمَـا فات من عقلى

الغناء للغَرِيض ثانى ثقيـلٍ بالوسطى عن عمـرو . وذكر حَمّاد والهشامىّ أن فيـه لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر لحنا من الثقيل الأوّل .

١٥ ومنهـا :

صـــوت

أَلَا أيّها البيتُ الذى حِيـلَ دونَه * بنا أنت من بيتٍ (٤) وأَهْلُكَ من أهلِ

(١) كذا فى ديوانه . والتبل : أن يسقم الهوى الأنسان . وفى الأصول : «ذى الشكل» .
(٢) فى ديوانه : «تهوى» بالتاء .   (٣) سجيس الليالى : طول الليالى .
٢٠ (٤) فى ب ، س :   * بنا أنت من بيتى وأهلك من أهلى *

ثــلاثةُ أبيـاتٍ فبَيْتٌ أُحِبُّــه * وبيتانِ ليسا من هوایَ ولا شكلى

كِلَانا بَكَى أو كاد يَبْكِى صَـبابةً * إلى إلْفِه وآستَعْجَلتْ عَبْرةً قبــلى

الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلِ الثانى بالبنصر .

ومنهــا :

صــــوت

٥

لقد فرِح الواشُونَ أن صَرَمَتْ حبلِى * بثينةُ أو أَبْدَتْ لنـا جانبَ البخل

يقولون مَهْــلًا يا جميــلُ وإننى * لأُقْسِمُ ما بى عن بُثَينـةَ من مَهْلِ

الغناء لآبن مُحْـرِز من كتاب يونُسَ ولم يجنِّسْه، وذكر إسحاقُ أنه مما ينسَب الى آبن مُحْرِز وآبن مِسْجَح، ولم يصحّ عنده لأيِّهما هو ولا ذكر طريقتَه .

غنى نافـع الخـبر يزيد بن معـاوية من شعره

١٠

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيـه قال حدّثنى غير واحد من الرواة عن صالح بن حَسّان قال أخبرنى نافعٌ مولى عبد الله بن جعفر — وما رأيت أحدا قطُّ كان أشكلَ ظَرْفا ولا أزينَ فى مجلسٍ ولا أحسنَ غناءً منه — قال :

قدِمْنا مع عبد الله بن جعفر مرّة على معاوية ؛ فأرسل الىّ يزيدُ يَدْعونى ليلا ؛ فقلت : أكرَه أن يعـلم أمير المؤمنين مكانى عندك فيشكُوَنى الى آبن جعفر . قال فآمْهَلْ حتى اذا سَمَر أميرُ المؤمنين فإن آبن جعفر يكون معه فلا يَفْتَقِدُكَ ونَخْلُو نحن

١٥

بما نريد قبل قيامهما . فأتيتُه فغنّيتُه ؛ فوالله ما رأيتُ فتًى أشرفَ أَرْيحيّةً منه ؛ والله لألْقَى علىّ من الكُسَا الخزّ والوَشْى وغيرِه ما لم أستطعْ حملَه ، ثم أمر لى بخمسمائة دينار . قال : وذهب بنا الحديث وما كنّا فيه ، حتى قام معاويةُ ونَهض آبنُ جعفر معه ، وكان باب يزيدَ فى سَـقيفة معاوية ؛ فسمع صوتى ، فقال لآبن جعفر : ما هــذا يآبنَ جعفر؟ قال : هذا والله صوتُ نافع . فدخل علينا ؛ فلما أحسّ به يزيدُ تناوم .

١٠٤ / ٧

٢٠

فقال له معاوية : مالك يابُنَيّ؟ قال: صُدِعْتُ فرجوتُ أن يَسْكُنَ عنّى بصوتِ هذا . قال : فتبسّم معاويةُ وقال: يا نافع، ما كان أَغْنانا عن قُدومك! . فقال له آبن جعفر: يا أميرَ المؤمنين، إن هذا فى بعض الأحَايين يُذْكِى[1] القلبَ . قال : فضحك معاويةُ وآنصرف . فقال لى آبن جعفر: وَيْلَك ! هل شرِب شيئًا؟ قلت: لا والله . قال : والله إنّى لأرجو أن يكون من فِتْيانِ بنى عبـد مَنَاف الذين يُنتفع بهم . قال نافع : ثم قدِمْنا على يزيدَ مع عبد الله بن جعفر بعد ما آستُخْلِف ، فأجلسه معه على سريره ودخلتْ حاشيتُه تسلّم عليه ودخلتُ معهم . فلما نظَر إلىّ تبسّم . ثم نَهَض آبنُ جعفر وتبِعْنَاه . فقيل له : نظَر الى نافعٍ وتبسّم . فقال آبنُ جعفر : هذا تأويلُ تلك الليلة . فقضى حوائجَ آبن جعفر وأَضْعف ما كان يَصِلُه به معاويةُ . فلما أراد الانصراف أتاه يودّعه ونحن معـه، فأرسل إلىّ يزيدُ فدخلتُ عليه . قال : وَيْحَك يا نافع ! ما أخّرْتُك إلا لأتفرّغَ لك . هاتِ لَحْنَك :

خليـلَىَّ فيما عشتُما هـل رأيتُما * قتيلًا بكَى من حبِّ قاتلِه قبلى

فأسمعتُه ، فقـال : أعِدْ وَيْلَك ! فأعدتُه ، ثم قال : أعدْ فأعدْتُه ثلاثا . فقال : أحسنتَ ، فسَلْ حاجتَك . فما سألتُه فى ذلك اليوم شيئًا إلا أَعْطَانِيه . ثم قال : إن يَصْلُحْ لنا هذا الأمرُ من قِبَل آبن الزُّبير فلعلّنا أن نَحُجّ فتَلْقَانا بالمدينة ! فإنّ هذا الأمرَ لا يصلُح إلّا هناك . قال نافع : فمنَعَنا والله من ذلك شُؤْمُ ابنِ الزُّبير .

سأله عمر بن أبى ربيعة عن بثينة فذهب اليها وحدثها

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجَعْفَرىّ قال حدّثنا القاسم بن أبى الزِّناد قال :

(١) فى ب، س : «يذكر» .

خرج عمرُ بن أبى ربيعة يريد الشأمَ، فلما كان بالجَنَاب[1] لقيه جميلٌ؛ فقال له عمرُ : أنشِدْنى، فأنشده :

خليلىّ فيما عشتُما هل رأيتُما * قتيلًا بكَى من حبِّ قاتله قبلى

ثم قال جميل : أنشِدْنى يا أبا الخطّاب، فأنشده :

ألم تَسْألِ الأطلالَ والمُتَرَبَّعَا * ببطن حُلَيّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقَعَا ٥

فلما بلغ إلى قوله :

فلما تواقفْنا وسلّمتُ أَشْرقتْ * وجوهٌ زَهَاها الحسنُ أن تتقنَّعا
تَبَالَهْنَ بالعِرْفان لمّا عرفْنَنِى[2] * وقُلْنَ آمرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعَا
وقرّبْنَ أسبابَ الهوى لمتيَّمٍ * يَقِيسُ ذِراعًا كلّما قِسْنَ إصْبَعا

قال : فصاح جميلٌ وآستخْذَى وقال : ألَا إن النَّسيب أُخذ من هذا، وما أنشده ١٠ حرفًا . فقال له عمر : اذهبْ بنا إلى بُثينة حتى نسلِّم عليها . فقال له جميل : قد أَهْدر لهم السلطانُ دَمِى إن وجدونى عندها، وهاتيكَ أبياتُها . فأتاها عمرُ حتى وقف على أبياتها وتأنّس حتى كُلِّم؛ فقال : يا جارية، أنا عمرُ بن أبى ربيعة، فأعْلِمِى بثينة مكانى . فخرجتْ اليه بثينةُ فى مَبَاذِلها وقالت : والله يا عمرُ لا أكونُ من نسائك اللّاتِى يزعُمْنَ أن قد قتلهنّ الوجدُ بك؛ فآنكسر عمر؛ قال واذا آمرأةٌ ١٥ أَدْماءُ طُوَالَةٌ .

١٠٥ / ٧

وأخبرنى بهذا الخبر علىّ بن صالح عن أبى هِفّان عن إسحاق عن المسيَّبىّ والزُّبَير فذكر مثلَ ما ذكره الزبير وزاد فيه قال : فقال لها قولَ جميل :

(١) الجناب : موضع فى أرض كلب فى السماوة بين العراق والشام .
(٢) فى ب، سـ : « رأيننى » . ٢٠

وهُمَا قالتا لَوَ آنَّ جميلًا * عرَض اليومَ نَظْرةً فرآنا
بَيْنَما ذاك منهما وإذا بِى (١) * أَعْمِلُ النَّصَّ (٢) سَيْرةً زَفَيانَا
نظرتْ نحوَ تِرْبِها ثم قالت * قد أتانا ـ وما علمنا ـ مُنَانَا

فقالت : إنه آستَمْلَى منك فما أَفْلح ؛ وقد قيل : اربِطِ الحمار مع الفرس ، فان لم يتعلّم من جَرْيه تعلّم من خُلُقه .

لقى بثينة ورصده أهلها فهددهم ثم هجرته بثينة وشعره فى ذلك

وذكر الهَيْثَم بن عَدِىّ وأصحابه فى أخبارهم : أن جميلًا طال مُقامُه بالشأم ثم قدِم ، وبلغ بثينةَ خبرُه فراسلتْه مع بعض نساء الحىّ تذكُر شوقَها اليه ووَجْدَها به وطلبَها للحيلةِ فى لقائه ، وواعدتْه لموضع يلتقيان فيه ؛ فسار اليها وحدّثها طويلا وأخبرها خبره بعدها . وقد كان أهلُها رصَدوها ، فلما فَقَدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما ، فوثب جميلٌ فآنتَضَى سيفَه وشَدّ عليهما فآتّقياه بالهرب ؛ وناشدتْه بثينةُ اللهَ إلّا آنصرف ، وقالت له : إن أقمتَ فضَحْتَنى ، ولعل الحَىّ أن يَلْحقوك . فأبَى وقال : أنا مقيمٌ وآمْضِى أنتِ ولْيَصْنَعوا ما أحبُّوا . فلم تزل تُناشده حتى آنصرف . وقال فى ذلك وقد هجرتْه وآنقطع التلاقِى بينهما مدّة :

ألم تَسْألِ الربعَ الخلاءَ فينطقُ * وهل تُخبِرنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلَقُ (٣)
وقفتُ بها حتى تجلّتْ عَمَايتِى * ومَلّ الوقوفَ الأَرْحَبِىُّ (٤) المنوَّقُ
تَعَزَّ وإن كانت عليك كريمةً * لعلّك من رِقٍّ لبَثْنَةَ تَعْتِقُ
لَعَمْرُكُمُ إنّ البِعاد لشائقى * وبعضُ بِعاد البَيْنِ والنأْىِ أَشْوَقُ

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وأتانى » وهو تحريف . (٢) النص : السير الشديد . وزفيانا : سريعا . (٣) سملق : مقفرة لا نبات بها . وقد وردت هذه القصيدة فى « منتهى الطلب من أشعار العرب » مختلفة الألفاظ عما هنا . (٤) الأرحبىّ : النجيب من الإبل ، ينسب الى قبيلة بنى أرحب . والمنوّق : الذلول .

لعلّكَ محـزونٌ ومُبدٍ صَبابةً * ومُظهِرُ شكوى من أُناسٍ تفرّقوا

وبيضٍ غَريراتٍ تُثَنّى خُصورَها * إذا قُمْنَ أعجازٌ ثِقالٌ وأَسْؤُقُ

غَرائرَ لم يَلْقَيْنَ بؤسَ معيشةٍ * يُجَنُّ بهنّ الناظرُ المتنوِّقُ (١)

وغَلْغَلْتُ من وَجْدٍ اليهنّ بعدما * سرَيْتُ وأحشائى من الخوف تخفِقُ (٢)

معى صارمٌ قد أَخلص القَيْنُ صَقْلَه * له حين أُغشيه الضَّريبةَ رَوْنَقُ

فلولا احتيالى ضِقْنَ ذَرْعًا بزائرٍ * به من صَباباتِ اليهنّ أَوْلَقُ (٣)

تَسُوكُ بقُضبانِ الأَراكِ مفلَّجًا * يُشَعْشِعُ فيه الفارسىُّ المروَّقُ (٤)

أبثْنةُ للوَصْلُ الذى كان بيننا * نَضَا مثلَ ما يَنْضُو الخِضابُ فيَخْلُقُ

أبثْنةُ ما تَنْأَيْنَ إلّا كأنّنى * بنجم الثُّرَيَّا ما نأيتِ مُعلَّقُ

أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره فى العتاب

١٠٦ / ٧

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الرشيد يومًا فقال لى: يا إسحاق، أَنْشِدْنى أحسنَ ما تعرف فى عِتاب محبٍّ وهو ظالم مُتعتِّب (٥). فقلت: يا أمير المؤمنين قول جميل:

رِدِ الماءَ ما جاءتْ بصَفْوٍ ذَنائبُهْ (٦) * ودَعْهُ اذا خِيضَتْ بطَرْقٍ مَشارِبُهْ (٧)

أُعاتبُ مَنْ يحلو لدىّ عتابُه * وأترك مَنْ لا أشتهى وأُجانبُهْ

ومن لذّة الدنيا وإن كنتَ ظالمًا * عِناقُك مظلومًا وأنت تُعاتبُهْ

---

(١) تنوّق فى أموره: جوّد وبالغ. (٢) غلغل الرجل: دخل فى تعب وشدّة. وفى ديوان منتهى الطلب من أشعار العرب: «تنضيت» ومعناها: هزلت. (٣) الأولق: الجنون. (٤) الفارسىّ: من أسماء الخمر. (٥) متعتب: متجنّ. (٦) الذنائب: جمع ذنوب وهى الدلو العظيمة. (٧) الطرق: أن تبول الإبل فى الماء وتبعر فتكدره. ويقال للماء الذى تخوّضته الإبل فبالت فيه وبعرت: مطروق وطرق.

فقال : أَحْسنَ والله ! أعِدْها علىّ ؛ فأعدتُها حتى حفظها ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم وتركنى وقام فدخل الى دار الحُرَم .

ذهب معه صديق له الى بثينة فطارده أهلها فرجع

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن السَّعِيدىّ [1] قال : حدّثنى رجلٌ كان يصحَب جميلاً من أهل تَيْمَاء قال :

٥ كنتُ يومًا جالسًا مع جميل وهو يحدّثنى وأُحدّثه ، إذ ثار وتربّد وجهُه ، فأنكرتُه ورأيتُ منه غيرَ ما كنتُ أرى ، ووثب نافراً مُقْشَعِرَّ الشعر متغيِّر اللون ، حتى أَتى بناقة له قريبةٍ من الأرض مُجْتَمِعةٍ مُوَثَّقةِ الخَلْق فشَدّ عليها رَحْلَه ، ثم أَتى بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربه ، ثم ثنّى فشربت حتى رَويت ؛ ثم قال لى : اشْدُدْ أداة رَحْلك وٱشرَبْ وٱسْقِ جَمَلك فإنى ذاهبٌ بك الى بعض مَذَاهِبى ، ففعلتُ . فجال فى ظهر ناقته وركبتُ ناقتى ،

١٠ فسِرْنا بياضَ يومنا وسوادَ ليلتنا ، ثم أصبحنا فسِرْنا يومَنا كلَّه ، لا والله ما نزلنا إلا للصَّلاة ، فلما كان اليومُ الثالثُ دَفَعْنا الى نسوةٍ فمال اليهنّ ، ووجدنا الرجال خُلُوفًا [2] ، وإذا قِدْرُ لبنٍ ثَمَّ وقد جُهِدتُ جوعًا وعَطَشًا . فلما رأيتُ القِدْرَ ٱقتحمتُ عن بعيرى وتركتُه جانبًا ، ثم أدخلتُ رأسى فى القِدْر ما يَثْنِينى حَرُّها حتى رَويت ؛ فذهبتُ أُخْرِجُ رأسى من القِدْر فضاقت علىّ وإذا هى على رأسى قَلَنْسِية ، فضَحِكْن منّى وغَسَلْنَ

١٥ ما أصابنى . وأُتِى جميلٌ بقِرًى فوالله ما ٱلتفتَ اليه . فبينا هو يحدّثهنّ إذا رَوَاعِى [3] الإبلِ ، وقد كان السلطان أحلَّ لهم دمَه إن وجدوه فى بلادهم ؛ وجاء الناسُ فقالوا له : وَيْحَكَ ! ٱنْجُ وتَقدَّمْ ! فوالله ما أكْبَرَهم كلَّ الإكبار . وغَشِيه الرجالُ فجعلوا يرمُونه ويطرُدونه ، فإذا قَرُبوا منه قاتلهم ورمَى فيهم . وهامَ بِى جَمَلى ، فقال لى يَسِّرْ :

(١) فى ب ، سـ : « السعدى » . (٢) خلوفا : غيبا . (٣) المراد هنا الإبل الراعية لا الرعاة الذين يرعونها فان جمع الراعى رعاة ورعاء ورعيان .

٢٠

لنفسك مَرْكَبًا خلفى، فأَرْدَفَنِى خَلْفَه . ولا والله ما ٱنكسر ولا ٱنحلّ عن فِرْصَته[1] حتى رجع الى أهله، وقد سار ستّ ليال وستة أيّام وما ٱلتفت إلى طعام .

لامه فيها روق ابن عمه ولما رأى ما به احتال فى زيارته لها وشعره فى ذلك

وشكا زوجُ بُثَينة الى أبيها وأخيها إلمْـامَ جميلٍ بها ؛ فوجّهوا الى جميلٍ فأَعْذَروا اليه وشَكَوْه الى عَشيرته وأَعْذَروا اليهم وتوعّدوه وإيّاهم . فلامه أهلُه وعنّفوه وقالوا : اسْتَخْلِصْ اليهم ونبرأ منك ومن جَريرتك . فأقام مدّةً لا يُلِمّ بها . ثم لقى ٱبنى عمِّه رَوْقًا ومسعدة، فشكا اليهما ما به وأنشدهما قوله : ٥

صـــوت

زُورَا بُثَيْنَـةَ فالحبيبُ مَزُورُ * إنّ الزيارةَ للمحبِّ يسيرُ
إنّ الترحُّلَ ، إن تلبّس أمرُنا * وٱعتاقَنا قَـدَرٌ أُحِمَّ ، بكور

— الغناءُ لعَرِيبَ رَمَلٌ بالوسطى — ١٠

صـــوت

إنِّى عشيّةَ رُحْتُ وهى حزينةٌ * تشـكو إلىّ صـبابةً لَصَبُورُ
وتقول بِتْ عندى فَدَيْتُكَ ليلةً * أشكو إليكَ فإنّ ذاك يسيرُ

١٠٧/٧

— الغناء لسُلَيْم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه ثقيلٌ أوّل بالبنصر ذكر الهشامىّ أنه لمُخَارِق، وذكر حبش أنه لإبراهيم . وذكر حبش أن لحن مخارق خفيفُ رمـلٍ — ١٥

غَرّاءُ مِبْسامٌ كأنّ حديثَها * دُرٌّ تَحَـدّرَ نَظْمُـه منثـورُ
محطوطةُ المَتْنَيْنِ[2] مُضْمَرةُ الحَشَى * رَيّا الروادفِ خَلْقُها ممكور

(١) الفرصة : القطعة من الصوف والقطن . ولعله يريد ما وضعه على رحل بعيره وجعله تحته .

(٢) محطوطة المتنين : ممدودتهما . وفى الأصول : «مخطوطة المتنين» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف . ٢٠

لا حُسْنها حُسْنٌ ولا كَدَلَالها * دَلٌّ ولا كَوقارها توقيرُ
إنّ اللسانَ بذكرها لَمُوَكَّلٌ * والقلب صادٍ والخواطر صُورُ[1]
ولئن جَزَيْتِ الودَّ منّى مثلَه * إنى بذلك يا بُثَيْنَ جديرُ

فقال له رَوْق : إنك لعاجزٌ ضعيف فى ٱستكانتك لهذه المرأة وتَرْكِكَ الاستبدالَ بها مع كثرة النساء ووجود مَنْ هو أجملُ منها ، وإنّك منها بين بجفورٍ أرفَعُك عنه ، أو ذُلٍّ لا أُحِبّه لك ، أو كَمَدٍ يُؤَدِّيك الى التَّلَف ، أو مخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تَعَرّضتَ[2] لها بعد إعذارهم إليك . وإن صرفتَ نفسَك عنها وغلبتَ هواك فيها وتجرّعتَ مرارةَ الحَزْم حتى تألَفَها وتَصْبِر نفسك عليها طائعةً أو كارهة أَلِفْتَ ذلك وسَلَوْتَ . فبكى جميل وقال : يا أخى ، لو ملكتُ ٱختيارى لكان ما قلتَ صوابًا ، ولكنى لا أملك الاختيار ولا أنا إلّا كالأسير لا يملك لنفسه نفعا ، وقد جئتُك لأمرٍ أسألك ألّا تكدر ما رجوتُه عندك فيه بلَوْم ، وأن تَحمِلَ على نفسك فى مساعدتى . فقال له : فإن كنتَ لا بدّ مُهلِكًا نفسَك فٱعمَلْ على زيارتها ليلًا ؛ فإنها تخرج مع بنات عمٍّ لها الى مَلْعَب لهنّ ، فأجىءُ معك حينئذ سرًّا ، ولى أخٌ من رَهْط بُثَيْنة من بنى الأَحَبّ ، نأوِى عنده نهارًا ، وأسأله مساعدتكَ على هذا ، فتقيم عنده أيّاما نهارَك وتجتمع معها بالليل إلى أن تَقْضِىَ أَرَبَك ؛ فشكره . ومضى رَوْق الى الرجل الذى من رهط بُثَينة ، فأخبره الخبرَ وٱستعهده كتمانَه وسأله مساعدتَه فيه . فقال له : لقد جئتَنى بإحدى العظائم ، وَيْحَك ! إن فى هذا مُعاداتى الحىَّ جميعًا إن فُطِن به . فقال : أنا أتحرّز فى أمره من أن يَظْهر ، فواعَدَه فى ذلك ؛ ومضى إلى جميل فأخبره بالقصة ، فأتَيا الرجلَ ليلًا فأقاما عنده . وأرسل الى بُثَينة بوليدةٍ له بخاتم جميل فدفعتْه إليها ؛ فلما رأته عرفتْ ، فتَبِعتْها وجاءته فتحدّثا ليلتَهما . وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودّعها ،

(١) صور : مائلات . (٢) فى الأصول : «تعدرت» وليس لها معنى مناسب .

وقال لها : عن غيرِ قِلى والله ولا مَلَلٍ يا بُثَينة كان وَدَاعِى لكِ، ولكنّى قد تذمّمت من هـذا الرجل الكريم وتعريضه نفسَه لقومه ، وأقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك، ثم آنصرف . وقال فى عَذْل رَوْقٍ آبنِ عمه إيّاه :

لقد لامنى فيها أخٌ ذو قـرابةٍ * حبيبٌ اليه فى مَلَامته رُشْـدِى
وقال أَفِقْ حتى متى أنت هائمٌ * ببَثْنَةَ فيها قد تُعيدُ وقد تُبْدِى
فقلت له فيها قضَى اللهُ ما ترى * علىّ وهل فيما قضَى الله من رَدِّ
فإن يك رُشْـدًا حُبُّها أو غَوَايةً * فقد جئتُه ما كان منّى على عَمْدِ

١٠٨ / ٧

صـــوت

لقد لَجّ ميثاقٌ مِن الله بيننا * وليس لمن لم يُوفِ لله من عَهْد
فلا وأبيها الخيرِ ما خُنْتُ عهدَها * ولا لِىَ علمٌ بالذى فعلتْ بعدى
وما زادها الواشـون إلا كرامةً * علىّ وما زالت مودّتُها عندى

ـــ الغناء لمتيَّم ثقيلٌ أوّل عن الهشـامىّ ، وذكر آبن المعتزّ أنه لشارية ، وذكر آبن خُرْدَاذبه أنه لقَلَم الصالحيّة ـــ

أفى النـاس أمثالى أحَبَّ فحـالُهم * كحالِىَ أمْ أحببتُ من بينهم وحدى
وهل هكذا يلقَى المحبُّون مثـلَ ما * لَقِيتُ بها أم لم يَجِدْ أحدٌ وَجْدِى

وقال جميل فيها :

خليـلىّ عُوجَا اليومَ حتى تُسَلِّمـا * على عَذْبةِ الأنياب طَيِّبـةِ النَّشْرِ
أَلِمَّا بهـا ثم آشـفَعا لى وسَلِّمَـا * عليها سَـقَاها الله من سائغ القطر
وبُوحَا بذكرى عند بَثْنَـةَ وآنظُرَا * أترتاح يومًا أم تَهَشُّ الى ذكرى
فإن لم تكُنْ تَقْطَعْ قُوَى الودِّ بيننا * ولم تَنْسَ ما أسلفتُ فى سالف الدهر

فسوف يُرَى[1] منها آشتياقٌ ولَوْعةٌ * ببَيْنٍ وغَرْبٌ من مدامعِها يجرى

وإن تكُ قد حالتْ عن العهد بَعْدَنا * وأصغتْ الى قول المُؤَنِّبِ والمُزْرِى

فسوف يُرَى منها صدودٌ ولم تكن * بنَفْسِيَ من أهل الخيانة والغَدْرِ

أعوذُ بك اللّهمَّ أن تَشْحَطَ النَّوَى * ببثنةَ فى أدنى حياتى ولا حَشْرِى

٥ وجَاوِرْ اذا ما متُّ بينى وبينها * فيا حَبَّذا موتِى اذا جاورتْ قبرِى

عَدِمتُكَ من حبٍّ أمَا منك راحةٌ * وما بك عنِّى من توانٍ ولا فَتْرِ

ألَا أيّها الحبُّ المبرِّح هل ترى * أخا كَلَفٍ يُغْرَى بحبٍّ كما أُغْرِى

أجِدَّكَ لا تَبْلَى وقد بَلِيَ الهوى * ولا ينتهى حبِّى بُثَيْنَةَ للزَّجْرِ

صوت

١٠ هى البدرُ حسنًا والنساءُ كواكبٌ * وشَتّانَ ما بين الكواكبِ والبدرِ

لقد فُضِّلتْ حسنًا على الناس مثلما * على ألفِ شهر فُضِّلتْ ليلةُ القَدْرِ

غَنّتْ شاريةُ فى هذين البيتين خفيفَ رملٍ من رواية آبن المعتزّ .

تهاجرا مدّة ثم اصطلحا

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرنا إسحاق بن محمد بن أَبَان قال حدّثنى الرحّال بن سعد المازنىّ قال :

١٥ وقع بين جميل وبُثَينة هجرٌ فى غَيْرةٍ كان غارها عليها من فتًى كان يتحدّث اليها من بنى عمها ، فكان جميل يتحدّث الى غيرها ، فيَشُقّ ذلك على بُثَينة وعلى جميل ، وجعل كلُّ واحدٍ منهما يَكْرَه أن يُبْدِىَ لصاحبه شأنَه . فدخل جميلٌ يومًا وقد غلَبه الأمرُ الى البيت الذى كان يجتمع فيه مع بُثينة . فلما رأته بُثينة جاءت الى البيت ولم تبرُز له ؛ فجزِع لذلك جميل ؛ وجعل كلُّ واحد منهما يُطالع صاحبَه ؛ وقد بلَغ الأمر

٢٠ من جميل كلَّ مبلغ ، فأنشأ يقول :

١٠٩ / ٧

(١) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : «فكيف» .

لقد خِفتُ أن يغتالنى الموتُ عَنْوةً * وفى النفس حاجاتٌ اليك كما هِيَا
وإنى لتَثْنِينِى الحَفِيظــةُ كلّمــا * لَقِيتُك يومًا أنْ أَبُثَّك ما بِيــا
ألم تعلمى يا عــذبةَ الرِّيقِ أنّنى * أَظَلّ اذا لم أُسْــقَ رِيقَكِ صَادِيا

قال : فرَقَّتْ له بُثينة، وقالت لمولاةٍ لهــا كانت معها : ما أحسنَ الصدقَ بأهله ! ثم آصطلحا . فقالت له بُثينة : أَنشِدْنى قولَك :

تَظَلُّ وراء السِّــتْرِ تَرْنُو بَلحْظِها * إذا مرّ من أترابهــا مَنْ يَرُوقُها

فأنشدها إيّاها، فبكت وقالت : كلّا يا جميل ! ومَنْ ترى أنه يَرُوقُنى غيرُك ! .

نعى جميل وحزن بثينة عليه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نَصْر المهلّبى قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكَرَ أيوب بن عبَاية قال :

خرجتُ من تَيْمَــاء فى أَغْبَاشِ السَّحَر[1] ، فرأيت عجوزًا على أَتَان ، فتكلّمتْ فإذا أعرابيةٌ فصيحة . فقلت : ممن أنتِ؟ فقالت : عُذْرِيّة . فأجريتُ ذكر جميلٍ وبُثينة ؛ فقالت : والله إنّا لعلى ماءٍ لنا بالجَنَاب وقد تنكّبْنا الجــادّةَ[2] لجيوشٍ كانت تأتينا من قِبَل الشأم تُريد الحجاز، وقد خرج رجالُنا لسَفَرٍ وخلّفوا معنا أحداثا ، فآنحدروا ذاتَ عشيّة الى صِرْمٍ[3] قريبٍ منا يتحدّثون إلى جَوَارٍ منهم ، فلم يبقَ غيرى وغيرُ بثينة ، إذ آنحدر علينا منحدرٌ من هَضْبةٍ تِلْقاءنا ، فسلّم ونحن مُستوحشون وَجِلون . فتأمّلتُه ورددتُ السلامَ فإذا جميلٌ . فقلت : أجميل؟ قال : إى والله ؛ واذا به لا يتماسك جوعا ، فقمت الى قَعْبٍ لنا فيه أَقِطٌ[4] مطحون والى عُكَّةٍ[5] فيها سَمْن ورُبٌّ[6] ، فعصَرْتها على الأَقِط

(١) الغبش : ظلمة آخر الليل . (٢) الجادة : الطريق . (٣) الصرم : الجماعة من الناس ليسوا بالكثير . (٤) الأقط (بفتح فكسر) ؛ وفيه لغات أخرى هــذه أفصحها : لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به . (٥) العكة : رقيق صغير للسمن . (٦) الرب : ما يطبخ من التمر .

ثم أدنيتُها منه وقلت : أَصِبْ من هذا ، فأصاب منه ؛ وقمتُ الى سِقَاءٍ فيه لبنٌ فصَبَبْتُ عليه ماءً باردًا فشرب منه وتراجعتْ نفسُه . فقلت له : لقد بلغتَ ولقيتَ شرًّا ، فما أمرُك ؟ قال : أنا والله فى هذه الهَضْبةِ التى تَرَيْن منذ ثلاثٍ ما أَرِيمُها أنتظر أن أرى فُرْجةً ، فلما رأيتُ مُنْحَدَرَ فِتْيانكم أتيتكم لأُوَدِّعكم وأنا عامدٌ الى مِصْر . فتحدّثنا ساعةً ثم ودّعنا وشَخَص ؛ فلم تَطُلْ غيبتُه أن جاءنا نَعْيُه . فزعموا أنه قال حين حضرتْه الوفاة :

صَدَعَ[1] النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ * وثَوَى بمِصْرَ ثَوَاءَ غيرِ قُفولِ
ولقد أَجُرّ الذَّيْلَ فى وادى القُرَى * نَشْوانَ بين مزارعٍ ونخيلِ
قُومِى بُثَينةُ فَٱنْدُبِى بعَوِيلِ * وٱبْكِى خليلَكِ دون كلِّ خليلِ

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم عن الأصمعىّ قال : حدّثنى رجلٌ شهِد جميلًا لمّا حضرتْه الوفاة بمِصْر أنه دعاه فقال : هل لك فى أن أُعطيَك كلَّ ما أُخَلِّفه على أن تفعل شيئا أعهَده اليك ؟ فقال قلت : اللهم نعم . قال : إذا أنا متُّ فخُذْ حُلَّتى هذه التى فى عَيْبَتى فٱعْزِلْها جانباً ثم كلُّ شىء سواها لك ، وٱرْحَلْ الى رَهْط بنى الأَحَبّ من عُذْرة — وهم رَهْط بُثينة — فاذا صرتَ اليهم فٱرتحل ناقتى هذه وٱرْكَبْها ، ثم ٱلبَسْ حُلَّتى هذه وٱشْقُقْها ثم ٱعْلُ على شَرَفٍ وصِحْ بهذه الأبيات وخَلَاك ذَمٌّ . ثم أنشدنى هذه الأبيات :

صَدَعَ النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ * وثوى بمِصْرَ ثَوَاءَ غيرِ قُفولِ

— وذكر الأبيات المتقدّمة — فلما قَضَى وواريتُه أتيتُ رَهْطَ بُثينة ففعلتُ ما أمرنى به جميل ، فما ٱستتممْتُ الأبيات حتى بَرَزتْ إلىَّ ٱمرأةٌ يتبعها نسوةٌ قد فَرَعَتْهن

(١) صدع : جاهر وصرح .

طُولًا و بَرَزَتْ أمامهن كأنها بدرٌ قد بَرز فى دُجُنَّةٍ وهى تتعثّر فى مِرْطِها[1] حتى أتتنى، فقالت : يا هذا، والله لئن كنتَ صادقًا لقد قتلتَنى، ولئن كنتَ كاذبًا لقد فضحتَنى. قلت : والله ما أنا إلّا صادق، وأخرجتُ حُلَّتَه . فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصَكَّتْ وجهها، واجتمع نساءُ الحىِّ يبكين معها ويَنْدُبْنَه حتى صَعِقتْ فمكثتْ مَغشيًّا عليها ساعةً، ثم قامت وهى تقول :

وإنّ سُلُوِّى عن جميلٍ لَساعةٌ * من الدَّهْرِ ما حانتْ ولا حان حِينُها

سواءٌ علينا يا جميلُ بن مَعْمَرٍ * اذا مُتَّ بأساءُ الحياةِ ولِينُها

قال : فلم أرَ يومًا كان أكثر باكيًا وباكيةً منه يومئذ .

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة عن أصحابه

أمسى الشبابُ مُوَدَّعًا محمودا * والشيبُ مُؤْتَنِفُ[2] المحلِّ جديدَا

وتغيَّر البِيضُ الأوانسُ بعد ما * حَمَّلْتُهُنَّ مَوَاثِقًا وعُهودا

عروضه من الكامل . الشعر ليزيد بن الطَّثْرِيّة، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار مَن الثقيل الأوّل بالبنصر . وفيه لبابويه خفيف ثقيل بالوسطى، كلاهما من رواية عمرو بن بانة .

(١) المرط : كساء من صوف .

(٢) ائتنف الشىء واستأنفه : استقبله، أو أخذ أوّله وابتدأه .

ذكر يزيد بن الطَّثْرِيّة[(1)] وأخباره ونسبه

نسبه ونسب أمه

ذكر ٱبن الكلبيّ أنّ ٱسمه يزيد بن الصِّمَّة أحد بنى سَلَمَة الخَيْر بن قُشَيْر. وذكر البصريّون أنه من ولد الأَعْوَر بن قُشَـيْر. وقال أبو عمرو الشَّيْبانىّ: اسمه يزيد بن سَلَمة بن سَمُرَة بن سَلَمة الخير بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة. وإنمـا قيل له سَلَمةُ الخَيْر لأنه كان لقُشَـيرٍ ٱبنٌ آخر يقال له سَلَمةُ الشَّرّ. قال: وقد قيل: إنه يزيد بن المنتشِر بن سَلَمة.

والطَّثْرية أمّه، فيما أخبرنى به علىّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّرىّ عن محمـد ٱبن حَبِيبَ، امرأةٌ من طَثْر، وهم حىٌّ من اليمن عِدادُهم فى جَرْم. وقال غيره: إن طَثْراً من عنْز[(2)] بن وائل إخوةِ بَكْر بن وائل بن قاسِـط بن هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلة بن أَسَـد بن رَبيعـة بن نِزَار. وكان أبو جَرَاد أحدُ بنى المنتفق بن عامر بن عُقَيْل أسر طَثْراً فمكث عنده زماناً ثم خَلّاه وأخذ عليـه إصْراً[(3)] لَيَبْعَثَنَّ إليـه بفدائه أو لَيَأْتِيَنَّه بنفسه وأهله فلم يجد فِدَاءً، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبى جَرَاد فوسَمه

---

(١) كذا ضبطه ابن خلكان بالعبارة فقال: «والطثرية بفتح الطاء وإسكان الثاء وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء وهى أمه ينسب يزيد المذكور اليها، وهى من بنى طثر بن عنز بن وائل. والطثر: الخصب وكثرة اللبن، يقال: إن أمه كانت مولعة بإخراج زبد اللبن». وفى القاموس وشرحه (مادة طثر): «وطثرية محركة أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيرى». وقد ضبط بالقلم فى الحماسة للتبريزى والأمالى لأبى على القالى والشعر والشعراء باسكان الثاء. (٢) كذا فى تجريد الأغانى وابن خلكان والمعارف لابن قتيبة والاشتقاق لابن دريد والقاموس (مادة عنز). وعنز هذا وبكر وتغلب جميعا أبناء وائل بن قاسط وأمهم هند بنت تميم بن مر. وفى الأصول: «عبد» وهو تحريف.

(٣) الإصر: العهد.

سِمَةَ إبله ، فهم حُلَفاء لبنى المُنْتَفِق الى اليوم نَحْوٌ من خمسمائة رجلٍ متفرقين فى بنى عُقَيْل يُوالُون[(١)] بنى المنتفق ، وهم يُعيَّرون ذلك الوَسْمَ[(٢)] . وقال بعضُ مَنْ يهجوهم :

* عليه الوَسْمُ وسمُ أبى جَرَادِ *

وفيهم يقول يزيد بن الطَّثْرِيّة :

أَلَا بئسما أن تَجْرِمُونى[(٣)] وتغضَبوا * علىّ اذا عاتبتُكم يا بنى طَـثْرِ

١١١ / ٧

وزعم بعض البصريين : أن الطَّثْرِيّة أُمّ يزيدَ كانت مُولَعةً بإخراج زُبْد اللّبن ، فسُمِّيت الطَّثْرِيّة . وطَثْرةُ اللبن : زبدته .

كان يلقب مودّقا لجماله ، وكان كثير التحدث الى النساء

ويُكْنى يزيدُ أبا المَكْشوح[(٤)] . وكان يلقَّب مُوَدِّقًا ، سُمِّى بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه ، فكانوا يقولون : إنه اذا جلس بين النساء ودّقهنّ[(٥)] .

أخبرنى محمد بن خَلَف عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان يزيد بن الطَّثْرِيّة يقول : من أُفْحِم عند النساء فليُنْشِدْ من شعرى . قال : وكان كثيرًا ما يتحدّث الى النساء ، وكان يقال : إنه عِنِّين .

ما جرى بين جرم وقشير وما كان من مياد الجرمى ويزيد بن الطثرية

وروى عنه[(٦)] عبد الله بن عمر عن يحيى بن جابر أحد بنى عمرو بن كِلَاب عن سُعاد بنت يزيد بن زُرَيق[(٧)] امرأةٍ منهم :

---

(١) فى أكثر الأصول «يولون بنى المنتفق» . ووالاه وتولاه : دخل فى ولائه . وفى ب ، س : «يولون الى بنى المنتفق» . (٢) فى الأصول : «يعيرون بذلك» . والفصيح الكثير أن يقال : يعيرون ذلك ، حتى قيل : إن تعدية «عير» الى مفعوله الثانى بالباء ممنوعة . (٣) كذا فى ب ، س . والجرم : القطع والصرم . وفى سائر الأصول : «تحرمونى» بالحاء المهملة وهو تصحيف .
(٤) كنى بذلك لأنه كان على كشحه (خاصرته) كى نار . (٥) كذا فى أكثر الأصول . يريد أنه فتنهن بجماله وحلاوة حديثه . يقال : ودقت المرأة واستودقت وأودقت اذا مالت الى الفحل . والأصل فيه لذوات الحافر ثم نقل الى الانسان . وفى ب ، س : «أودق» . (٦) مرجع الضمير فى «عنه» غير واضح ، على أنه يحتمل أن تكون كلمة «عنه» زيدت سهوا . (٧) فى م : «رزيق» بتقديم الزاى على الراء .

أنّ يزيد بن الطَّثْرِيّة كان من أحسن مَنْ مضَى وجهًا وأَطْيَبِه حديثًا ، وأنّ النساء كانت مفتونةً به ، وذكر الناسُ أنه كان عِنِّينا ، وذلك أنه لا عَقِبَ له ، وأنّ الناس أَمْحَلُوا[1] حتى ذهبت الدقيقةُ من المال ونُهِكت[2] الجليلةُ ؛ فأقبل صِرْمٌ[3] من جَرْم ساقته السَّنَةُ والجَدْبُ من بلاده الى بلاد بنى قُشَيْر ، وكان بينهم وبين بنى قُشَيْر حربٌ عظيمة ؛ فلم يجدوا بُدًّا من رَمْيِ قشيرٍ بأنفسهم لِمَا قد ساقهم من الجَدْب ٥
والمَجَاعة ودِقّة الأموال وما أَشْرفوا عليه من الهَلَكة . ووقع الربيعُ فى بلاد بنى قُشَيْرٍ فانتجعها الناسُ وطلبوها ؛ فلم يَعْدُ أنْ لقيتْ جَرْمٌ قُشيرًا ، فنَصَبتْ قشيرٌ لهم الحربَ . فقالت جَرْم : إنما جئنا مُستجيرين غيرَ محاربين . قالوا : مما ذا ؟ قالوا : من السَّنَة والجَدْب والهَلَكة التى لا باقيةَ لها . فأجارتْهم قشيرٌ وسالمتْهم وأَرْعَتْهم طَرَفًا
١٠ من بلادها . وكان فى جَرْمٍ فتًى يقال له مَيّاد ، وكان غَزِلًا حسنَ الوجه تامَّ القامة آخذًا بقلوب النساء . والغزلُ فى جَرْمٍ جائزٌ حسن ، وهو فى قُشَيْرٍ نائرة[4] . فلمّا نازلتْ جَرْمٌ قشيرًا وجاورتْها أصبح مَيّادٌ الجَرْمِيّ فغدا الى القُشَيْرِيّات يطلبُ منهنّ الغَزَلَ والصِّبَا والحديثَ واستبرازَ الفَتَيات[5] عند غَيْبة الرّجال واشتغالهم بالسَّقْى والرِّعْية وما أشبه ذلك ؛ فدفَعْنَه عنهنّ وأسمعنَه ما يكره . وراحت رجالُهنّ عليهنّ وهنّ
١٥ مُغْضَبات ؛ فقال عجائزُ منهنّ : والله ما ندرى أَأَرْعَيْتُمْ جَرْمًا المَرْعَى أم أَرْعيتموهم نساءَكم ! فآشتدّ ذلك عليهم فقالوا : وما أَدْراكُنّه[6] ؟ قُلْنَ : رجلٌ منذُ اليوم ظلّ مجحرًا[7] لنا

---

(١) فى ب ، س : «محلوا» ، وهو تحريف ، إذ يقال : محلت الأرض (من باب كرم ومنع) وأمحلت ، ويقال : أمحل القوم ليس غير . (٢) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : « وتهتكت الجليلة » . (٣) الصرم (بالكسر) : الجماعة من الناس . (٤) كذا فى الأصول . والنائرة :
٢٠ العداوة والشحناء ؛ أى أن الغزل فى قشير سبب العداوة والتباغض . وفى تجريد الأغانى : « مكروه » . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « الفتيان » بالنون ، وهو تصحيف . (٦) فى تجريد الأغانى : « ... ماذا كنه » . (٧) كذا فى الأصول : « محجرا » (بحاء مهملة فجيم) والأرجح أن تكون (بجيم معجمة بعدها حاء) وهو مأخوذ من أجحره اذا ألجأه الى أن يدخل جحره . ومجاحر القوم : أماكنهم .

ما يطلُع منا(١) رأسُ واحدة، يدُور بين بيوتنا . فقال بعضهم : بيّتوا جَرْمًا فاصْطَلِموها(٢).
وقال بعضهم : قبيح! قومٌ قد سقيتموهم مياهكم وأرعيتموهم مَراعيكم وخلطتموهم
بأنفسكم وأجرتموهم من القحط والسَّنَة تفتاتون عليهم هـذا الافتيات! لا تفعلوا،
ولكن تُصْبِحوا(٣) وتقدّموا الى هؤلاء القوم فى هـذا الرجل ، فانه سفيهٌ من سُفَهائهم
فليأخذوا على يديه . فإن يفعلوا فأتمّوا لهم إحسانكم، وإن يمتنعوا و يُقِرّوا ما كان منه ٥
يَحِلّ لكم البَسْطُ عليهم وتخْرُجوا من ذِمّتهم ؛ فأجْمعوا على ذلك . فلما أصبحوا غدا
نفرٌ منهم الى جَرْم فقالوا : ما هـذه البِدْعة التى قد جاورتمونا بها! إن كانت هـذه
البدعة سجيّةً لكم فليس لكم عندنا إرعاءٌ ولا إسقاء، فبرّزوا عنّا أنفسكم وأْذَنوا بحرب.
و إن كان افتياتًا فغيّروا(٤) على مَنْ فعله . وإنهـم لم يعْدُوا أن قالوا لجَرْم ذلك . فقام
رجالٌ من جَرْم وقالوا : ما هـذا الذى نالكم؟ قالوا : رجلٌ منكم أمس ظـلّ يجُرّ ١٠
أذياله بين أبياتنا ما ندرى علامَ كان أمرُه! فقهقهتْ جرمٌ من جَفَاء القُشَيريّين
وعَجْرَفيّتها وقالوا : إنكم لتَحسُّون من نسائكم ببلاء؛ ألا فابعثوا الى بيوتنا رجلًا ورجلًا.
فقالوا : والله ما نُحِسّ من نسائنا ببلاء، وما نعرف منهنّ إلا العفّـة والكرم، ولكن
فيكم الذى قلتم . قالوا : فإنّا نبعث رجلًا الى بيوتكم يا بنى قُشَـيرْ اذا غدت الرجالُ
وأُخْلِف النساء، وتبعثون رجلًا الى البيوت ، ونتحالف أنّه لا يتقـدّم رجلٌ منّا ١٥
الى زوجةٍ ولا أخت ولا بنت ولا يُعْلمها بشىء ممـا دار بين القوم ؛ فيَظَلّ كلاهما
فى بيوت أصحابه حتى يَرِدَا علينا عَشِيًّا المـاءَ وتُخْلَى لهما البيوت(٥)، ولا تبرُز عليهما آمرأةٌ
ولا تُصادِق منهما واحدًا فيُقْبَلُ منهما صَرْفٌ ولا عَدْلٌ(٦) إلا بمَوْثِق يأخذه عليها وعلامة

١١٢ / ٧

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « ما يطلع بنا » . (٢) اصطلمه : استأصله .
(٣) أى لتصبحوا ، فالفعل مجزوم بلام محذوفة . (٤) أى ازجروه وأنكروا عليه ما فعله واصرفوه عنه . ٢٠
(٥) هذه العبارة : « وتخلى لهما البيوت » ساقطة من جميع الأصول ماعدا ب ، س . (٦) فى الأصول :
« فيقبل منهما صرفا ولا عدلا » وقد جعلناها (صرف ولا عدل) بالرفع على أنه نائب الفاعل وهو الفصيح الكثير .

تكون معه منها . قالوا : اللّهمّ نعمْ . فظَلّوا يومَهم ذلك وباتوا ليلتهم، حتى إذا كان من الغد غَدَوْا[1] الى المـاء وتحالفوا أنّه لا يعود الى البيوت منهم أحد دون الليل . وغدا مَيّاد الجَرْمىّ الى القُشَيْرِيّات ، وغدا يزيد بن الطَّثْرِيّة القُشَيرىّ الى الجَرْمِيّات ؛ فظل عندهنّ بأكرم مَظَلٍّ لا يصير الى واحدةٍ منهنّ إلا ٱفْتَتَنَتْ به وتابعتْه الى المودّة والإخاء وقَبَض منها رَهْنًا وسألتْه ألّا يدخل من بيوت جَرْمٍ إلّا بيتَها، فيقول لها : وأىَّ شىء تخافين وقد أخذْتِ منّى المواثيقَ والعهود وليس لأحدٍ فى قلبى نصيبٌ غيرَكِ ؛ حتى صُلِّيت العصرُ . فانصرف يزيد بفَتَخٍ[2] كثيرٍ [وذَبْلٍ[3]] وبَرَاقِعَ وٱنصرف مَكحولًا مدهونًا شبعانَ رَيّانَ مُرَجَّلَ اللِّمَّةِ[4] . وظلّ مَيّادُ الجَرْمِىّ يدور بين بيوت القُشَيْرِيّات مرجومًا مُقْصًى لا يتقرّب الى بيت إلا استقبلتْه الولائدُ بالعَمَدِ[5] والجَنْدَل، فتهالك لهنّ وظنّ أنه ٱرتيادٌ[6] منهنّ له ، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجندل ورأى البأسَ[7] منهنّ وجَهَده العطشُ، فانصرف حتى جاء الى سَمُرةٍ[8] قريبًا الى نصف النهار، فتوسّد يدَه ونام تحتها نُوَيْمةً حتى أَفْرجتْ عنه الظَّهيرةُ وفاءت الأظلالُ وسكن بعضُ ما به من ألم الضرب وبَرَد عطشُه قليلًا ، ثم قَرُب الى المـاء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد، فوجد أَمَةً تَذُود غنمًا فى بعض الظَّعْن[9] ، فأخذ بُرْقُعَها فقال : هـذا برقعُ واحدةٍ من

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول وتجريد الأغانى : «تواعدوا المـاء» . (٢) الفتخ (كسبب) : واحده فتخة ، وهى حلقة من فضة لا فص لها ، فاذا كان فيها فص فهى الخاتم . (٣) هذه الكلمة ساقطة من ب ، س . والذبل : جلد السلحفاة البرّية ، وقيل : البحرية ، وقيل : عظام ظهر دابة من دواب البحر تتخذ النساء منه الأسورة والأمشاط . (٤) فى تجريد الأغانى : «الجمة» . واللمة (بالكسر) : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، فاذا بلغ المنكبين فهو الجمة . (٥) العمد (بفتحتين وبضمتين أيضا) : قضبان الحديد . والجندل : الحجارة . (٦) الارتياد : الطلب . (٧) فى ح ، ء ، م : «اليأس» بالياء المثناة التحتية . (٨) السمرة : شجرة من العضاه . (٩) كذا فى أكثر الأصول . والظعن : سير البادية لنجعة أو حضور ماء أو طلب مربع أو تحوّل من ماء الى ماء أو من بلد الى بلد . وفى ح ، أ وتجريد الأغانى : «تذود عنها فى العطن» . والعطن : المناخ حول الورد ، فأما فى مكان آخر فمراح ومأوى .

نسائكم ، فطرحه بين يدى القوم ؛ وجاءت الأَمَةُ تعدو فتعلّقت ببُرقعها فردّ عليها ونجل ميّادٌ خجلا شديدا . وجاء يزيد مُمسيًا وقد كاد القوم أن يتفرّقوا ، فنثر كُمّه بين أيديهم ملآنَ براقعَ [وذُبلًا] وفتخًا ، وقد حلف القومُ ألّا يعرف رجلٌ شيئا إلّا رفعه . فلما نثر ما معه آسودّت وجوهُ جَرْمٍ وأَمسكوا بأيديهم (١) إمساكةً (٢) . فقالت قُشَير : أنتم تعرفون ما كان بيننا أمس من العهود والمواثيق وتحرُّج الأموال والأهل ، فمن شاء أن ينصرف الى حرام فليمسك يده ؛ فبسط كلُّ رجل يده الى ما عرف فأخذه ، وتفرّقوا عن حرب ، وقالوا : هذه مكيدةٌ يا قُشَير . فقال فى ذلك يزيد بن الطَّثْرِيّة :

فإنْ شئتَ يا ميّادُ زُرْنا وزُرْتُمُ * ولم ننفسِ (٣) الدّنيا على من يُصيبُها

أيذهب ميّادٌ بألْبابِ نِسْوتى * ونسوةُ ميّادٍ صحيحٌ قُلوبُها

وقال ميّاد الجَرْمىّ :

لَعَمْرُكَ إنّ جَمْعَ بنى قُشَيْرٍ * لِجَرْمٍ فى يزيدَ لظالمونا

أليس الظلمُ أنّ أباك منّا * وأنك فى كتيبةِ آخرينا

أحالفةٌ عليك بنو قُشَيْرٍ * يمينَ الصبرِ (٤) أم متحرّجونا

أحب وحشية ومرض لبعدها وأعانه ابن عمه على رؤيتها فبرئ

قال : وبُلِى يزيدُ بعشق جاريةٍ من جَرْم فى ذلك اليوم يقال لها وَحْشيّة ، وكانت من أحسن النساء . ونافرتْهم جَرْمٌ فلم يجد اليها سبيلا ، فصار من العشق الى أن أشرف على الموت وآشتدّ به الجَهْد ، فجاء إلى آبن عمّ له يقال له خَليفة بن بوزل (٥) ، بعد آختلاف الأطبّاء اليه ويأسهم منه ، فقال [له] (٦) : يآبنَ عمّ ، قد تعلم أنه ليس إلى هذه المرأة سبيل ،

(١) يريد أنهم قبضوا أيديهم ، ولم يمدوها الى شىء مما نثر أمامهم . (٢) كذا فى حـ وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : « فقال » . (٣) كذا فى تجريد الأغانى . ونفس عليه الشىء (من باب علم) : لم يره أهلا له . وفى جميع الأصول : « تنفس » بالتاء المثناة . (٤) يمين الصبر : هى التى يحبس المرء حتى يحلفها . (٥) فى أ ، وتجريد الأغانى : « خليفة بن بورك » . (٦) زيادة عن تجريد الأغانى .

وأنّ التعزِّىَ أجمل، فما أَرَبُك فى أن تقتل نفسَك وتأثم بربِّك! . قال : وما هَمِّى يابنَ عَمِّ بنفسى وما لى فيها أمر ولا نهىٌ، ولا هَمِّى إلا نفسُ الجَرْمِيّة؛ فإن كنتَ تريد حياتى فأَرِنيها . قال : كيف الحيلة ؟ قال : تحملنى اليها . فحمله اليها وهو لا يطمع فى الجرمية، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك الى وَحْشِيّة أَبَلّ قليلًا وراجعَ وطَمِع، وإذا أَيِس منها اشتدّ به الوجع . فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلَّل به اليمنَ، حتى إذا دخل فى قبيلةٍ انتسب الى أُخرى ويخبر أنه طالبُ حاجة . وأَبَلّ حتى صلح بعضَ الصَّلاح، وطَمِع فيه ابنُ عمّه، وصارا[1] بعد زمانٍ إلى حىّ وَحْشِيّة فلقيا الرُّعْيان وكَمَنا فى جبل من الجبال . فجعل خليفةُ ينزل فيتعرّض لرُعيان الشّاء فيسألهم عن راعى وحشيّة[2]، حتى لقى غلامَها وغنمَها؛ فواعدهم موعدًا وسألهم ما حالُ وحشيّة ؟ فقال غلامها : هى والله بشرٍّ! لا حفظ الله بنى قُشَيْر ولا يومًا رأيناهم فيه! فما زالت عَليلةً منذ رأيناهم — وكان بها طَرَفٌ مما بابن الطَّثْرِيّة — فقال : وَيْحك ! فإنّ هاهنا إنسانًا يداويها ، فلا تقل لأحدٍ غيرِها . قال : نعم إن شاء الله تعالى . فأعلمها الراعى ما قال له الرجل حين صار اليها . فقالت له : وَيْحَك ! جِئْ به . ثم إنه خرج فلقيه بالغد فأعلمه، وظلّ عنده يرعى غنمَه، وتأخّر عن الشاء حتى تقدمتْه الشاء وجنَح الليلُ، وانحدر بين يدىْ غَنَمه حتى أراحها[3] . ومشى فيها يزيد حتى قَرُبَتْ[4] من البيت على أربع وتجلّل شَمْلةً سوداءَ بلون شاةٍ من الغنم؛ فصار الى وَحْشية، فسُرّتْ به سرورًا شديدًا، وأدخلته سِتْرًا لها وجمعتْ عليه من الغد مَنْ تَثِق به من صَوَاحِباتها وأترابها . وقد كان عَهِد الى ابن عمّه أن يُقيم

---

(١) فى الأصول : « وصار بعد زمان الى حىّ وحشية فلقى ... » بدون ألف التثنية فى الفعلين .

(٢) فى ب، س، حـ : « عن راعى وحشية وحالها حتى لقى الخ » . (٣) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « حتى أراحوا » . (٤) كذا فى الأصول ولعله : «حين» .

فى الجبل ثلاثَ ليال، فإن لم يَرَه فلينصرِفْ . فأقام يزيدُ عندها ثلاثَ ليال ورجع الى أصحِّ ما كان عليه، ثم آنصرف فصار الى صاحبه . فقال : ما وراءك يا يزيد؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سرّه . فقال :

أَوَ آنّكَ شاهدتَ الصِّبَا يآبنَ بَوْزَلٍ * بفَرْعِ الغَضَى إذ راجعتْنى غَيَاطِلُهْ (١)

لشاهدتَ لهوًا بعد شَحْطٍ من النَّوَى * على سَخَطِ الأعداء حُلْوًا شمائــلُه ٥

صـــوت

ويومًا كإبهامِ القَطَــاةِ مُزَيَّنًا (٢) * لِعينى ضُحَــاهُ غالبًــا لِىَ باطــلُه

غنّى فى البيت الثالث وبعده البيت الثانى، وروايته :

* تُشاهد لهوًا بعد شحطٍ من النوى *

مُخَارِقٌ ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش . ١٠

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثنى علىّ بن الصبّاح قال :

قال أبو محضة الأعرابىّ (٣) وأُنْشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْرِية، فلمّا بلغ الى قوله : ١١٤ / ٧

بِنَفْسِيَ مَنْ لو مَرّ بَرْدُ بَنَــانِه * على كَبِدِى كانت شِفاءً أَنامِلُهْ ١٥

ومَنْ هابنى فى كل أمرٍ وهِبْتُــه * فلا هــو يُعطينى ولا أنا سائلُهْ

طَرِبَ (٤) لذلك وقال : هذا والله من مغنج الكلام .

(١) الغياطل : جمع غيطلة وهى الظلمة المتراكمة، استعارها هنا لجهالات الصبا . (٢) يضرب المثل فى القصر بإبهام القطا وكذلك بإبهام الحبارى والضب . (٣) فى تجريد الأغانى : « أبو محيصة » . (٤) فى الأصول : « فطرب » بالفاء . ٢٠

كتب الى وحشية شعرا فأجابته

ونسختُ من كتاب الحسن بن عليّ: حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثنى هشام ابن محمد بن موسى قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الطائىّ قال حدّثنى عبد الله بن رَوْح الغَنَوىّ قال حدّثتنى ظَبْية[1] بنت وزير الباهليّة قالت :

كتب يزيد بن الطَّثْرِيّة الى وحشيّة :

أُحِبُّـــكِ أطرافَ النهـارِ بشاشةً * وباللّيلِ يدعونى الهـوى فأجيبُ

لئن أصبحتْ ريحُ المودّةِ بيننا * شَمَـالًا لَقِدْمًا كنتِ وهى جَنُوبُ

فأجابته بقولها :

أُحِبّكَ حبَّ اليأس إن نفع الحيا[2] * وإن لم يكن لى من هواك طبيبُ

يزيد بن الطثرية وابن بوزل برملة حائل

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى هانئ ابن سعد :

أنّ ابن الطَّثْرِيّة وابن بَوْزَل، وهو قَطَرِىّ[3] بن بوزل، خرجا يسـيران حتى نزلا برَمْلة حائل[4] بين قِفَار المِلْح؛ فقال يزيد لابن بوزل : اذهَبْ فاسقِ راحلتَك واسْقِنا . فلمّـا جاوز أوْفَى يزيدُ على أجْرَعٍ[5]، فرأى أشباحًا فأتاها . فقيل له : هذه والله فلانة وأهلها عجيبةٌ بها (أى مُعْجَبون بها) . فأتاها فظَلّ عشيّتَه وبات ليلتَه وأقام الغدَ حتى راح عَشِيًّا وقد لَقِىَ ابنُ بوزل كلَّ شرٍّ ومات غيظًا . فلما دنا منه قال :

لَوَ انّكَ شاهدتَ الصِّبَا يابنَ بوزلٍ * بجِزْعِ الغَضَى إذ راجعتْنى غَيَاطِلُهْ

---

(١) فى الأصـول : « قال » وهو تحريف . (٢) كذا فى الأصـول . ولعـله : « أحبك حب الناس أن يقع الحيا ... الخ » . (٣) الذى تقـدم ذكره هو خليفة بن بوزل . ولعل قطريا هذا أخ لخليفة . (٤) حائل : موضع فى أرض اليمامة لبنى قشير . (٥) الأجرع : الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

بأسفلِ خَلِّ[1] المِلْح إذ دَيْنُ ذى الهَوى * مُؤَدًّى وإذ خيرُ الوصال[2] أوائلُهْ

لشاهدْتَ يومًا بعد شَحْطٍ من النَّوى * وبعــد تَنَائى الدارِ حُلْوًا شَمائلُه

— وقد رُوِى :

* وغيمُ[3] الصِّبا إذ راجعتْنى غَيَاطِلُهْ *

فاخترط[4] سيفَه ٱبنُ بَوْزَل ، وحَاوَطه[5] يزيدُ بعَصاه[6] ، ثم اعتذر اليه وأخبره خبرَه فقبِل منه . وقد روَى هــذه الأبياتَ أبو عمرو الشَّيْبانىّ وغيرُه فزاد فيها على إسحاقَ هــذه الأبياتَ :

ألَا حَبَّــذَا عيناكِ يا أُمَّ شَــنْبَلٍ * إذا الكُحْلُ فى جَفْنَيْهما جال جائلُهْ

فَدَاكِ من الخُلَّانِ كلُّ مُمَـزِّجٍ[7] * تكون لأدنى مَنْ يُلَاقِى وسائلُهْ[8]

فَــرُحْنا[9] تَلَقَّانا به أُمُّ شَــنْبَلٍ * ضُحَيًّــا وأبكتْنا عَشِــيًّا أصائلُهْ

وكنتُ كأنِّى حين كان كلامُها * وَدَاعًا وخَلَّى مَوْثِقَ العهــدِ حامِلُه

رَهِينٌ[10] بنفسٍ لم تُفَــكَّ كُبُولُه * عن الساقِ حتى جَرِد السيفَ قاتلُه

فقال دَعُونِى سَجْــدَتَيْنِ وأُرْعِدَتْ * حِذَارَ الرَّدَى أحشاؤه ومَفَاصِــلُهْ[11]

---

(١) كذا فى معجم البلدان لياقوت عنــد الكلام على « خل » وهو موضع . وفى الأصــول : « حل الملح » بالحاء المهملة وهو تصحيف . (٢) فى معجم البلدان : « وإذ خير القضاء » .

(٣) فى ب ، س : « وغنم الصــبا » . (٤) اخترط السيف : استله من غمده .

(٥) حاوطه : داوره . (٦) كذا فى ى ، م . وفى سائر الأصول : « بغضاة » والغضاة : خشبة من أصلب الخشب . (٧) الممزج : المخلط الكذاب ، والذى لا يثبت على خلق .

(٨) فى حـ : « رسائله » بالراء . (٩) فى ب ، س : « فرحبا » .

(١٠) فى ب ، س : « رهينا » وهو تحريف . (١١) فى حـ : « وخصائله » . والخصيلة : كل لحمة استطالت وخالطت عصبا ، أو كل عصبة فيها لحم غليظ .

بنو سدرة ويزيد ابن الطثرية

قال إسحاق وقال أبو عثمان سَعيد بن طارق :

نزلتْ ساريةٌ[(١)] من بنى سِـدْرةَ على بنى قُشير بمالهم ؛ فجعلتْ فِتْيانُ قُشـير تترجّل وتتزيّن وتزور بيوتَ سِـدْرة . فآستنهوهم[(٢)] ؛ فقال يزيد بن الطَّثْرِيّة : وما فى هـذا عليكم! زُورُوا بيوتنا كما نزور بيوتكم ، وقال :

١١٥ / ٧

٥ دعوهنّ يَتْبَعْنَ الصِّـبَا وتبادلوا * بنـا ليس بأسٌ بيننـا بالتَّبـادُلِ

ثم إنّ بنى سِـدْرة قالوا لنسائهم : وَيْحكُنّ فضَحْتُنَّنا ! نأتى نساءَ هؤلاء فلا نقـدر عليهنّ ويأتونكنّ فلا تحتجبْنَ عنهم . فقالت كَهْلةٌ منهنّ : مُرُوا نسـاءَكم يجتمعْنَ إلى بيتى ، فاذا جاءوا لم يجـدوا آمرأة إلا عندى ، فإنْ يزيدُ أتانى لم يَعْدُ فى بيوتكم ففعلوا . فجاء يزيدُ فقال :

١٠ سـلام عليكنّ الغَـداةَ فمالنـا * إليكنّ إلا أن تَشَأْنَ سـبيلُ

فقالت الكهلةُ : ومن أنت؟ فقال :

أنا الهائم الصَّبُّ الذى قاده الهوى * إليـكِ فأَمْسَى فى حبالكِ مُسْلَمَـا
بَرَتْه دَوَاعِى الحبّ حـتى تركْنَه * سقيما ولم يَتْرُكْنَ لحمًـا ولا دَمَا

فقالت : اخترْ إحدى ثلاثِ خِصال : إمّا أن تمضى ثم ترجعَ علينا فإنّا نرقُب عيونَ

١٥ الرجال فإنهم قد سَبُّونا فيك ؛ وإمّا أن تختار أَحَبَّنا اليك ، وأن تطلب آمرأةً واحدةً خيرٌ من أن يَشْهَرَك الناسُ ، ونسى الثالثة . فقال : سآخذ إحداهن ، فاختارى أنت إحدى ثلاثِ خصال . قالت : وما هنّ؟ قال : إما أن أحملكِ على مَرْضُوفٍ[(٣)] من أمرى فتركبيه ، وإما أن تحمليني على مَشْروج[(٤)] من أمركِ فأركبَه ، وإما أن تلزّى بَكْرِى

(١) السارية : الجماعة تسرى . (٢) استنهاه : قال له انته . وقد وردت هـذه الكلمة

٢٠ فى الأصول محرفة . (٣) المرضوف : المحمى ، من رضف الحجارة إذا أحماها ، والكناية فيه ظاهرة .
(٤) المشروج : المشقوق .

بين قَلُوصَيْك . قالت : لو وقع بَكْرُك بين قَلُوصَىّ لَطَمَرتا[1] به طَمْرةً يتطامن عنقـه[2] منها . قال : كلّا ! إنه شديد الوَجِيف[3] ، عارِمُ الوَظيف[4] ، فغلَبها . فلما أتاها القوم قالت لهم : إنه أتانى رجلٌ لاتمتنع عليه امرأةٌ . فإمّا أن تُغْمِضوا له ، و إمّا أن تَرْحَلوا عن مكانكم هذا ؛ فرحَلوا وذهبوا . فقال حَكِيم بن أبى الخلَاف السِّدْرىّ فى قصيدة له يذكر أنه إنمـا آرتحلوا عنهم لأنهم آذوْهم بكثرة ما يصنعون بهم :

فكان الذى تُهْدُون للجـار منكم * بخـاتج حبّاتٍ[5] كثيرًا سُــعَالُها

يزيد بن الطثرية وأسماء الجعفرية

قال إسحاق فأخبرنى الفَزَارِىّ : أنّ قوماً من بنى نُمَيْر وقومًا من بنى جَعْفَر تزاوروا ؛ فزار شُبّانٌ من بنى جعفر بيوتَ بنى نُمَير ، فقُبِلوا وحُدِّثوا ، وزار بنو نُمَير بنى جعفر فلم يُقْبَلوا ؛ فاستنجَدوا آبنَ الطَّثْرِيّة فزارمعهم بيوتَ بنى جعفر ، فأنشدهنّ وحدّثهنّ فأُعْجِبْنَ به وآجتمعْنَ اليـه من البيوت . فتوعّد[6] بنو جعفـر آبنَ الطَّثْرِيّة ، فتتاركوا وأمسك بعضُهم عن بعض . فأرسلتْ أسماءُ الجَعْفَرِيّة الى آبن الطَّثْرِيّة أن لا تَقْطَعْنى ، و إن مُنِعتُ فإنّى سأتخلّص الى لقائك . فأنشأ يقول :

خَليــلَىَّ بين المُنْحَنَى من مُخَمَّـرٍ[7] * و بين اللِّوَى من عَرْجَاءَ[8] المُقَابِلِ

قِفَا بين أعنـاقِ اللِّـوَى لِمُـرِّيَّةٍ[9] * جَنُوبٍ تُداوِى غُلَّ شَوْقٍ مُماطِلِ

(١) طمر الشىء : دفنه وخبأه . (٢) فى الأصول : «تتطامن» بالتـاء . والعنق يذكر و يؤنث والتذكير فيه أكثر . (٣) الوجيف : سرعة السير . (٤) العارم : القوىّ الشديد . والوظيف لكل ذى أربع : ما فوق الرسغ الى مفصل الساق . (٥) كذا فى أكثر الأصول . والبخاتج : جمع بختج (بالضم) وهو العصير المطبوخ . وفى ب ، س : «بخانج حبان» وفى م . « مخاتج حبات » . (٦) فى الأصول : «فتواعد» . (٧) مخمر (بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الميم مشدّدة ، كما فى معجم ما استعجم . وقد ضـبطه ياقوت فى معجمه بفتح الميم مشـدّدة) : واد لبنى قشـير . (٨) قال أبو زياد : عرجاء : ماء لبنى قشير وقال فى موضع آخر : لبنى جعفر بن كلاب مطوية فى غربىّ الحمى . (٩) كذا فى ياقوت فى الكلام على مخمـر . وفى الأصول : « أعناق الهـوى » .

لكيما أرى أسماءَ أو لِتَمَسَّنِى * رياحٌ بِـرَيَّاها لِذَاذُ الشمائـلِ
لقد حادَلتْ[١] أسماءُ دونَك باللِّوَى * عيـونَ العِدَا سَقْيًا لها من مُحَادِلِ
ودسَّتْ رسولًا أنّ حَوْلِى عِصابةً * هُمُ الحَرْبُ[٢] فاستَبْطِنْ سلاحَ المُقَاتِلِ
عشـيّةَ مالى من نصـيرٍ بأرضها * سوى السَّـيْفِ ضَمَّتْهُ إلىَّ حَمَائلى
فيأيُّهـا الواشـون بالغِشِّ بيننا * فُرَادَى ومَثْنَى من عدوٍّ وعاذلِ
دَعُوهنّ يَتْبَعْنَ الهـوى وتبادَلوا * بنـا، ليس بأسٌ بيننـا بالتَّبَادُلِ
تَرَوْا حين نأتيهنّ نحنُ وأنتمُ * لِمَنْ وعلى مَنْ وَطْأَةُ المُتَثاقِلِ
ومَنْ عُرِّيَتْ للّهـو قِدْمًا رِكَابُه * وشاعت قَوَافِى شـعره فى القبائلِ
تُـبَرِّزْ وجوهُ السابقين ويَخْتَلِطْ * على المُقْرِفِ[٣] الكافى غبارُ القنابلِ
فإنْ تمنعـوا أسمـاءَ أو يَكُ نَفْعُها * لكم أو تَدِبُّوا بيننـا بالغـوائلِ
فلن تمنعونى[٤] أنْ أُعَلِّلَ صُحْبَتى * على كلِّ شىءٍ[٥] من مدى العين قابلِ[٦]

١١٦/٧

حبسه لديون لزمته وما وقع فى ذلك بينه وبين عقبة ابن شريك

قال إسحاق وحدّثنى أبو زِيَاد الكِلَابىّ :

أن يزيد بن الطَّثْرِيّة كان شريفًا مِتْلافًا يغشاه الدَّيْن؛ فإذا أُخِذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَوْر؛ ثم إنه كَثُرَ عليه دَيْنٌ لمولًى لعُقْبَةَ بن شَرِيك الحَرَشىّ يقال له البربرىّ فحبسه له عُقْبة بالعَقِيق من بلاد بنى عُقَيْل، وعُقْبةُ عليها يومئذ أميرٌ. وقال المُفَضَّل ابن سَلَمة قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : كان يزيد قد هَرَب منه ، فرجع اليه من حبِّ

(١) كذا فى معجم البلـدان لياقوت فى الكلام على «مخمـر» . وحادل : راوغ . وفى الأصول : «... جادلت... من مجادل» بالجيم . (٢) كذا فى مهذب الأغانى . وفى الأصول : «الحوت» .
(٣) المقرف : النذل . والكافى : الخادم . والقنابل : جمع قنبلة وهى الطائفة من الناس أو الخيل .
(٤) فى الأصول : «فان تمنعوا» . والمراد فى هـذا البيت غامض . (٥) فى ب ، س : «على كل شر» . (٦) فى أ ، ء ، م : «قاتل» .

أسماء، وكانت جارةَ البربرىّ، فأخذه البربرىّ. ويقال : إنه أعطاه بعيراً من إبل ثَوْر أخيه . فقال يزيد فى السجن :

قضى غُرَمائى حبُّ أسماءَ بعد ما * تَخَوَّنَنى ظُلمٌ لهم وفُجورُ[1]

فلو قَلَّ دَيْنُ البربرىّ قضيتُه * ولكنّ دَيْنَ البربرىّ كثيرُ

وكنتُ إذا حَلّتْ علىّ ديونُهم * أضُمّ جَنَاحِى منهمُ فأطيرُ

علىّ لهم فى كل شهرٍ أَدِيَّةٌ[2] * ثمانون وافٍ نَقْدُها وجَزورُ

نَجىءُ[3] إلى ثَوْرٍ ففيم رحيلُنا * وثَوْرٌ علينا فى الحياة صَبورُ

أشُدّ على ثَوْرٍ وثورٌ إذا رأى * بنا خَلّةً جَزْلُ العطاء غفورُ

فذلك دأبى ما بَقِيتُ وما مَشَى * لثَوْرٍ على ظهر البلاد بعيرُ

ويُروى : «فهذا له ما دمتُ حيّاً» ثم إن عُقْبة حَجّ على جمل له يقال له آبن الكُمَيْت أنجب ما ركب الناسُ، وثبت آبنُ الطَّثْرِيّة فى السجن حتى آنصرف عُقْبة بن شَرِيك من مكة، فأرسل آبنَ الكميت فى مخاضه[4] مستقبِلةَ الرَّبيع وهى حاضرة العَقيق، تأكل الغَضَى وتشرب بأَحْسائه[5]، وانحدر عُقْبة نحو اليمامة وعليها المُهَاجِر بن عبد الله الكلابىّ. فلمّا ضاقت بآبن الطَّثْرِيّة المَخَارِج قال له صاحبٌ له : لا أعلم لك أنجى إن قَدَرتَ على الخروج من السجن إلا أن تركَب آبن الكُمَيْت فيُنجيك نحو بلد من البلاد . فلم يزل حتى جعل للحَدّاد[6]، على أن يُرسله ليلةً الى آبن عمّه، جُعْلا، فشكا اليه وَجْدَه

(١) كذا فى الكامل للمبرد (ص ٣٣٤ طبع أوربا) وبه يستقيم روىّ القافية . قال فى أساس البلاغة : وتحوّن فلان حق اذا تنقصه كأنه خانه شيئا فشيئا . وكل ما غيرك عن حالك فقد تحوّنك . قال لبيد : * تخوّنها نزولى وارتحالى * وفى الأصول : * تجردت من مطل لهم وغرور * .

(٢) الأدية فى اللغة : المال القليل . (٣) فى ب، س : « نحن » . (٤) المخاض : الحوامل من النوق . (٥) الأحساء جمع واحده الحسى وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء .

(٦) الحدّاد : السجان .

بها فأرسله . فمضى يزيدُ نحوَ الإبل عشاءً فاحتكم ابنَ الكُمَيْت حتى جلس عليه فوجّهه قَصْدَ اليَمامة يريد عُقْبة بن شَريك، وقال فى طريقه :

لَعَمْرِى إن ابنَ الكُمَيْت على الوَجَا[1] * وسَيْرِى خِمْسًا بعد خِمْسٍ مُكَمَّلُ
لَطَلْقُ الهَوَادِى بالوَجِيف إذا وَنَى * ذواتُ البَقَايا[2] والعَتيقُ الهَمَرْجَلُ

١١٧ / ٧

٥ فورد اليَمَامةَ فأناخ بابنِ الكُمَيت على باب المهاجر[3]، فكان أول مَنْ خرج عليه عُقْبة ابن شريك . فلما نظر اليه عرفه وعرف الجمل فقال : وَيْحَك! أيزيدُ أنت ؟ قال نعم . وهذا ابن الكُمَيت ؟ قال نعم . قال : ويحك! فما شأنك ؟ قال : يا عقبة، فارٌّ منك اليك، وأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

يا عُقْبُ قد شُذِبَ اللِّحاءُ عن العصا * عنّى وكنتُ مُؤَزَّرًا محمودا
١٠ صِلْ لى جَناحِى وٱتَّخِذْنِى[4] عُدَّةً * ترمِى بى المُتَعَاشِىَ الصِّنْدِيدا

فقال له عقبة — وكانت من خير فَعْلةٍ علمناه فعلها — : أُشهدكم أنّى قد أبرأته من دَيْن البربرىّ وأن له ابنَ الكُمَيْت، وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله .
وهذان البيتان من القصيدة التى أوّلها :

* أمسى الشبابُ مُوَدَّعًا محمودا *

١٥ وهى من جيِّد شعره، يقول فيها :

ومُدِلَّةٍ[5] عند التبذُّل[6] يفْتَرِى[7] * منها الوِشَاحُ[8] مُخَصَّرًا أُمْلودا

---

(١) الوجا : أن يشتكى البعير باطن خفه . (٢) ذوات البقايا من الخيل : التى يبقى جريها بعد انقطاع جرى الخيل . والعتيق : الرائع . والهمرجل : السريع . (٣) فى الأصول : «على باب ابن المهاجر» . (٤) فى الأصول : «واتخذ لى» . (٥) فى ب، س : «ومدله» . وفى سائر الأصول : «ومذلة» .
٢٠ وكلاهما تصحيف . (٦) كذا فى أ، ى، م . والتبذل : ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة . وفى سائر الأصول : «التبدل» . بالدال المهملة، وهو تصحيف . (٧) يفترى : يريد به يكسو، والأصل فى معنى الافتراء : لبس الفروة . (٨) الوشاح : شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها مخالفا بينهما . والمخصر : الدقيق الضامر . والأملود : الناعم الغض ،

نازعتُها غُنْمَ الصِّبَا إنّ الصِّبا * قد كان منّى للكواعب عِيدا
يا للرِّجالِ وإنما يشكو الفتى * مَرَّ الحوادث أو يكونَ جليدا
بكَرَتْ نَوَارُ تجُدُّ(١) باقيةَ القُوَى * يومَ الفِراق وتُخْلِف الموعودا
ولَرُبَّ أمرٍ هَوًى يكون نَدامةً * وسبيلِ مَكْرَهةٍ يكون رشيدا
ثم قال يفتخر :

٥

لا أتّقِى حَسَكَ(٢) الضَّغائنِ بالرُّقَى * فِعْلَ الذَّليلِ وإن بَقِيتُ وحيدا
لكِنْ أُجَرِّد للضغائن مثلَها * حتى تموتَ وللحُقود حُقودا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصَّبّاح قال :

١٠

قال أبو محضة الأعرابىّ وأَنْشد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْرِيّة : هى والله من مغنج الكلام :

بِنَفْسِيَ مَنْ لو مَرّ بَرْدُ بَنَانِه * على كبدى كانت شِفاءً أنامِلُهْ
ومَنْ هابَنِى فى كلّ شىء وهِبْتُهُ * فلا هو يُعطينى ولا أنا سائلُهْ

وهذه الأبيات من قصيدته التى قالها فى وَحْشِيّةَ الجَرْمِيّة التى مضى ذكرها .

تبعه أعداء له فترك راحلته وفر ، وشعره فى ذلك

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثتنى ظَبْيَة قالت :

١٥

مرّ يزيد بن الطَّثْرِيّة بأعداء له ، فأرادوه وهو على راحلته فركَضها وركَضوا الإبلَ على أثره ، فخشى أن يُدركوه وكانت نفسُه عنده أوثقَ من الراحلة(٣) ، فنزل فسبقهم عَدْوًا ، وأدركوا الراحلةَ فعقَروها . فقال فى ذلك :

(١) تجدّ : تقطع . (٢) المراد بحسك الضغائن : الحقد والعداوة . (٣) المراد من هذه الجملة واضح وهو أن ثقته بنفسه فى الجرى أكثر من ثقته براحلته ، وكان ينبغى لتأدية هذا المعنى أن يقول : « وكان بنفسه أوثق منه بالراحلة » .

٢٠

ألَا هل أتى ليلَى على نَأْيِ دارِها * بأن لم أُقاتِلْ يومَ صَخْـرٍ(١) مُذَوَّدا
وأنِّى أسلمتُ الرِّكابَ فعُقِّرتْ * وقد كنتُ مِقْداماً بسيفى مُفْرَدا
أثرتُ فلم أسْطِعْ قتالًا ولا ترى * أخا شيعةٍ يوماً كآخر أوحدا(٢)
فهل تَصْرِمَنّ الغانياتُ مودّتى * إذا قيل قد هاب المنونَ فعرّدا(٣)

١١٨ / ٧

هاجى فديكا الجرمى لأنه عذب وحشية بالنار ليصدّها عنه

٥ أخبرنى يحيى إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى زياد قال :

كان يزيد بن الطَّثْرِيّة يتحدّث الى نساء فُدَيْك بن حَنْظَلة الجَرْمِىّ، ومنزلها بالفَلَج(٤). فبلغ ذلك فُدَيْكا فشَقّ عليه فزجر نساءه عن ذلك، فأبَيْنَ إلّا أن يدخل عليهنّ يزيد. فدخل عليهنّ فُدَيْك ذاتَ يوم وقد جمعهنّ جميعاً أخَواته وبناتِ عمّه وغيرَهن من حُرَمه، ثم قال لهنّ : قد بلغنى أنّ يزيد دخل عليكنّ وقد نُهيتُكنّ عنه، وإن لله علىّ

١٠ نَذْرًا واجبًا — وآخترط سيفَه — إن لم أضرب أعناقكنّ به . فلما ملأهنّ رُعْبًا ضرب عنقَ غلامٍ له مُوَلَّد يقال له عِصام فقتله، ثم أنشأ يقول :

جعلتُ عصامًا عِبْرةً حين رابَنى * أُناسِىٌّ من أهلِي مِراضٌ قلوبُها

ثم إنّ فُدَيكا رأى يزيدَ قائمًا عند باب أهله، فظنّ أنه يُواعد بعض نسائه، فأرتَصده على طريقه(٥) وأمر بزُبْيةٍ(٦) فحُفِرتْ على الطريق ثم أوْقد فيها نارًا ليّنةً ثم آختبأ فى مكان

١٥ ومعه عبدان له وقال لهما : تَبَصَّرا هل تَرَيانِ أحدا؛ فلم يَلْبَثا إلّا قليلًا حتى خرجتْ بنت أخى فُدَيْك، وكان يقال لها وَحْشِيّة، تتهادى فى بُرودها لميعاد يزيد؛ فأيقظه

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « يوم صحرا مذودا » . وفى ب، س : « يوم صحراء مذودا » . ومذوّدا : ذائدا . (٢) هـذا البيت ساقط فى جميع الأصـول عدا ب، س . (٣) عرّد : هرب . (٤) الفلج (بالتحريك) : مدينـة بأرض اليمامة لبنى جعـدة وقشير .

٢٠ (٥) فى الأصول : « على طريقته » . (٦) الزبية : الحفرة يصاد بها الأسد والذئب .

العبدان ؛ ومضت حتى وقعتْ على الزُّبْيـة فاحترق بعضُها ، وأمَر بهـا فأُخرجتْ ، واحتملها العبدان فانطلقا بها الى داره . فقال فُدَيْك :

شفى النفسَ من وَحْشِيّة اليومَ أنّها * تهادَى وقد كانت سريعًا عَنيقُها(١)

فإلّا تدعْ خَبْطَ المَوارِدِ فى الدُّجى * تكُنْ قَمَنًا(٢) من غَشْيةٍ لا تُفيقُها

دواءُ طبيبٍ كان يعلم أنّه * يُداوى المجانينَ المُخَـلّى طريقُها

فبلغ ذلك يزيدَ فقال :

سَتَبرأُ من بعدِ الضَّمَانةِ(٣) رجلُها * وتأتى الذى تَهْوَى مُخَلًّى طريقُها

علىّ هَدَايا البُدْنِ إن لم أُلاقِها * وإن لم يكن إلا فُدَيْكٌ يسوقها

يُحَصِّنها منّى فديكٌ سَـفَاهةً * وقد ذهبتْ فيها الكُجَاسُ(٤) وحُوقُها

تُذيقونها شيئًا من النّار كلّمـا * رأتْ من بنى كعبٍ غلامًا يَروقُها

قال : وإنمـا كانت وضعت رجلَها فأحرقتْها النار .

وقال يزيد أيضا :

يا سُخْنةَ العين(٥) للجَرْمىّ إذ جمعتْ * بينى وبين نَوَارٍ وحشـةُ الدارِ

خُبّرتُهمْ عذّبوا بالنـار جارتَهم * ومَنْ يُعَـذِّبُ غيرَ الله بالنـار

فبلغ ذلك فُدَيْكا فقال :

أحالفـةٌ عليك بنو قُشَـيرٍ * يمينَ الصَّـبْرِ(٦) أم متحرّجـونا

---

(١) العنيق : السير المنبسط . (٢) هو قَمن بكذا وقمن منه (بفتح الميم) وقمِن (بكسر الميم) وقمين أى حرىّ وخليق وجدير . فمن فتح الميم لم يثن ولا جمع ولا أنث لأنه مصدر ، ومن كسرها أو زاد الياء فقال قمين ثنى وجمع وأنث لأنه وصف . (٣) الضمانة : الزمانة والعاهة . أراد احتراق رجلها . (٤) الكجاس : الكمرة الضخمة . والحوق : ما استدار من حروفها . (٥) سخنت عينه سخنا وسخونة وسخنة : نقيض قرّت . (٦) يمين الصبر : هى التى يلزم بها المرء و يحبس عليها حتى يحلف بها ؛ فلو حلف من غير إحلاف لم يكن قد حلف صبرا .

ـــ ويروى : يمين الله ـــ

فإنْ تَنْكُلْ قُشَيرُ تَقْضِ جَرْمٌ * وتقض لها[1] مع الشبه اليقينا

أليس الجَوْرُ أنّ أباك منّا * وأنك فى قبيلة آخرينا

لَعَمْرُ اللهِ إنّ بنى قُشَيْرٍ * لِجَرْمٍ فى يزيدَ لظالمونا

فإلّا يحلفوا فعليك شَكْلٌ[2] * ونَجْرٌ[3] ليس مما يعرفونا

وأعرِفُ فيك سِيمَا آلِ صَقْرٍ * ومِشْيَتَهم إذا يتخيّلونا

قال : وكانت جَرْمٌ تدّعيه، وقُشَيرٌ تدّعيه؛ فأراد أن يُخبر أنه دَعِىّ .

وقال فُدَيْك بن حَنْظلة يهجوه :

وإنّا لسيّارون بالسُّنّة التى * أُحِلّتْ[4] وفينا جَفْوةٌ حين نُظْلَمُ

ومنّا الذى لاقتْه أُمُّك خاليًا * فلم تدرِ ما أىّ الشهورِ المحرَّمُ

فقال يزيد يهجو فُدَيكا :

أنعَتُ عَيْرًا من عُيورِ القَهْرِ * أَقْمَرَ من شرِّ حَمِيرٍ قُمْرِ[5]

صبّح أبياتَ فُدَيْك يجرى * منزلةَ اللُّؤم ودارَ الغَدْرِ

فلقِيَتْهُ عند بابِ العَقْرِ[6] * يَنْشِطُها والدِّرْعُ عند الصَّدرِ

* نَشْطَكَ بالدَّلْوِ قَراحَ الجَفْرِ[7] *

أخبرنا يحيى بن علىّ إجازةً عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا أبو الحارث هانئ بن سَعْد الخَفَاجىّ قال :

حاور حسناء عرفته من حديثه

١١٩ / ٧

---

(١) فى أ ، ى : « بها » . (٢) فى ب ، س : « ثكل » وهو تحريف .

(٣) كذا فى حـ . والنجر : اللون . وفى سائر الأصول : « نحر » وهو تصحيف .

(٤) فى حـ : «أجلت» بالجيم . (٥) القهر : موضع . والقمرة : لون الى الخضرة ، وقيل : بياض فيه كدرة . (٦) العقر : موضع . وينشطها : يرفعها . (٧) الجفر : البئر .

ذُكِرتْ ليزيد بن الطَّثْرِيّة آمرأةٌ حَدَثَةٌ جميـلةٌ ، فخرج حتى يَدْفَعَ اليها ، فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدّثان ، فسلّم عليهم ، فأَوْجستْ أنه يزيد ولم تَتَثَبَّتْ(١) ، ورأتْ عليـه مَسْحة . فقالت : أىُّ ريح جاءت بك يا رجل؟ قال : الجَنُوبُ . قالت : فأىّ طيرٍ جرتْ لكَ الغَـداة؟ قال : عنزٌ زَنِمةٌ(٢) رأيتُها يُدَاوِرُها ثَعْلَبانِ؛ فآنقضَّ عليها سِرْحَانٌ(٣) فراغ الثعلبانِ . قال : فطَفَرتْ وراء سِترِها ، وعرفتْ أنه يزيد . ٥

ذهب معه قطرىّ لرؤية نساء يحتجبن عنه ، وشعره فى ذلك

قال إسحاق وحدّثنى عَطَرَّد قال :

قال قَطَرِىّ بن بَوْزَل ليزيد بن الطَّثْرِيّة : انْطَلِقْ معى الى فلانةَ وفلانة فانهنّ يَبرُزْنَ لك ويستترْنَ عنّى ، عسى أن أراهنّ اليوم على وجهك . فذهب به معه ، فخرج عليهما النِّسوةُ وظَلَّا يتحدّثان عندهن حتّى تَرَوّحا . وقال يزيد فى ذلك :

على قَطَـرِىٍّ نعمـةٌ إن جزى بها * يزيدَ وإلّا يَجْـزِهِ اللهُ لى أجْـــرا ١٠

دنوتُ به حتّى رَمَى الوحشَ بعدما * رأى قَطَـــرِىٌّ من أوائلها نَفْـــرا

قصته مع رجل من صداء أحب خثعمية فأعانه عليها

أخبرنا يحيى إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عَطَرَّد قال :

نزل نَفَرٌ من صُداءَ(٤) بناحية العَقِيق ، وهو منزلُ آبن الطَّثْرِيّة ، نصفَ النهار فلم يأتهم أحد ، فأبصرهم آبن الطَّثْرِيّة فمرّ عليهـم وهو منصرفٌ وليسوا قريباً من أهله . فلما رآهم مُرْمِلِين(٥) أَنْفَذَ اليهم هديّةً ومضَى على حِيَاله ولم يراجعْهم . فسألوا عنه بعدُ حتى ١٥ عرفوه ، فخَلا عنـدهم وأَعْجَبهم . ثم إنّ فتًى منهم وادّه فآخاه فأهدى له بُرْدًا وجُبَّـة

(١) فى الأصول : « يثبت » بالياء . (٢) عنزنمة : لها لحمتان متدليتان من حلقها .

(٣) السرحان : الذئب . (٤) كذا فى حـ ، ب ، س . وصـداء : مخلاف باليمن ، بينه وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخا . وفى سائر الأصول : « كداء » وهو موضع بأعلى مكة .

(٥) المرمل : الذى نفـد زاده . ٢٠

ونَعْلَين . ثم اغار المقدَّمُ بن عمرو بن هَمَّام بن مُطَرِّف بن الأعلم بن رَبيعة بن عُقَيْل على ناس من خَثْعَم . وفى ذلك يقول الشاعر :

* مُغَار ٱبن هَمَّامٍ على حَىّ خَثْعَمَا *

فأخذ منهم إبلًا ورَقيقا، وكانت فيهنّ جاريةٌ من حِسان الوجوه، وكان يهواها الذى آخَى يزيدَ ، فأصابه عليهــا بلاءٌ عظيم حتى نحِل جسمُه وتغيّرتْ حالُه ؛ فأقبل الفتى حتّى نزل العَقِيقَ متنكّرًا؛ فشكا الى يزيد ما أصابه فى تلك الجارية . فقال: أفيك خير؟ قال نعم . قال : فإنى أدفعها اليك . فخَبَأه فى عَرِيشٍ له أيّامًا حتى خَطِف الجارية فدفعها اليه . فبعث إليها قَطَرِىَّ بن بَوْزَل، فاعترض لها بين أهلها و بين السوق فذهب بها حتى دفعها اليه وقد وطّن له ناقةً مُفَاجَّةً(١) فقال: النَّجَاةَ فإنك لن تُصْبِح حتى تخرجَ من بلاد قُشَيْرٍ وتصــيرَ الى دار نَهْد فقد نجوتَ؛ وأنا أُخْفِى أثرَك فعفّى أثرَه ، وقال لآبنة خَمّارة كان يشرب عندها : اسْحَبِى ذيلكِ على أثره ففعلتْ . ثم بُحِث على ذلك حتى قيــل : قد كان قَطَرِىٌّ أحْدَثَ الناسِ بها عهدًا؛ فٱســتُعْدِىَ عليه فظُفر بيزيد فأُخذ مكانَه فحُبِس بحُجْر(٢)، حبسه المُهَاجِر . ففى ذلك يقول يزيد :

ألَا لا أُبَالِى إن نجا لى ٱبنُ بَوْزَلٍ * ثَوَائِى وتَقْيِيــدِى بِحُجْرٍ لَيَالِيَا

إذا حُمّ أمرٌ فهــو لا بدّ واقعٌ * له لا أُبالِى ما علىّ ولا لِيَــا

هو العَسَلُ المــاذِىُّ طورًا وتارةً * هو السّمُّ والذّيفانُ(٣) واللّيْث عاديا

أخبرنى أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب عن محمد بن سَلّام الجُمَحِىّ قال حدّثنى أبو الغَرّاف قال :

نحــر ناقة من إبل أخيه لنسوة فسبه فقال شعرا

(١) المفاجة : التى تفرّج فى المشى بين رجليها . (٢) حجر (بالضم) : قرية باليمن .

(٣) الماذىّ : العسل الأبيض . والذيفان (بالفتح ويكسر) : السم الناقع .

كان يزيد بن الطَّثْرِيّة صاحب غَزَلٍ ومُحادثةٍ للنساء، وكان ظريفًا جميلًا من أحسن الناس كلِّهم شعرًا، وكان أخوه ثَوْرٌ سيِّدًا كثيرَ المال والنَّخل والرَّقيق، وكان متنسِّكا كثير الحجّ والصَّدقة كثيرَ المُلازمة لإبله ونخله، فلا يكاد يُلِمّ بالحىّ إلا الفَلْتة[1] والوَقْعة، وكانت إبلُه تَرِدُ مع الرِّعاء على أخيه يزيد بن الطَّثْرِيّة فتُسْقَى على عَيْنه. فبينا يزيدُ مارٌّ[2] فى الابل وقد صدَر عن الماء إذ مرّ بخِباءٍ فيه نسوةٌ من الحاضر؛ فلما رأيْنَه قلن: يا يزيد، أطْعِمْنا لحمًا. فقال: أعطِينَنِى سكِّينًا فأعطينه، ونحر لهنّ ناقةً من إبل أخيه. وبلغ الخبرُ أخاه، فلما جاءه أخذ بشَعْره وفسَّقه وشتَمَه. فأنشأ يزيد يقول:

يا ثَوْرُ لا تشتُمَنْ عِرْضى فداك أبى * فإنما الشتمُ للقوم العَواوِيرِ[3]

ما عَقْرُ نابٍ لأمثال الدُّمَى خُرُدٍ[4] * عِينٍ كِرامٍ وأبكارٍ مَعاصِيرِ

عَطَفْنَ حَوْلِىَ يسألْنَ القِرَى أُصُلًا * وليس يَرْضَيْنَ منّى بالمَعاذيرِ

هَبِهِنّ ضيفًا عَراكم بعد هَجْعَتِكم * فى قِطْقِطٍ[5] من سَقِيطِ[6] الليل منثورِ[7]

وليس قُرْبَكُمُ شاةٌ ولا لبنٌ * أيرحَلُ الضيفُ عنكم غيرَ مجبورِ

ما خيرُ واردةٍ للماء صادرةٍ * لا تخلِى عن عَقِيرِ[8] الرِّجْلِ[9] منحورِ

---

(١) يريد الوقت بعد الوقت. (٢) فى الأصول: «مارّا» وهو ظاهر الخطأ. (٣) العواوير: الجبناء. (٤) الخرد: جمع خريدة وهى المرأة الحيية، والبكر التى لم تمس. والعين: جمع عيناء وهى الواسعة العين. والمعاصير: جمع معصر وهى الجارية التى بلغت شبابها أو أدركت.

(٥) القطقط (كزبرج): المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر، وقيل: هو دون الرذاذ.

(٦) كذا فى طبقات الشعراء لابن سلام. والسقيط: الندى والثلج. وفى الأصول: «سواد الليل».

(٧) كذا فى حـ وطبقات الشعراء ومهذب الأغانى. وفى سائر الأصول: «منشور». (٨) كذا فى حـ ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه. وفى سائر الأصول: «عقيل» باللام وهو تحريف.

(٩) كذا فى نسخة الشنقيطى مصححة بقلمه. وفى الأصول: «الرحل» وهو تصحيف.

أحب امرأة وعلم أن سبعة يحبونها فقال شعرا

أخبرني أبو خَليفة قال قال ابن سَلّام :

كان يزيد بن الطَّثْرِيّة يتحدّث الى امرأة ويُعْجَب بها . فبينما هو عندها إذ حدَث لها شابٌّ سواه قد طلع عليه ، ثم جاء آخرُ ثم آخر، فلم يزالوا كذلك حتى تمُّوا سبعةً وهو الثامن ؛ فقال :

٥ أرى سبعةً يَسْعَوْنَ للوصل كلُّهم * له عند ليلَى دِينةٌ يستدينُها

فألقيتُ سهمي وسْطَهم حين أَوْخَشُوا[(١)] * فما صار لى من ذاك إلّا ثَمِينُها

وكنتُ عَزُوفَ النَّفْسِ أَشْنأُ أن أرَى * على الشِّرْك من وَرْهاء طَوْعٌ قرينُها[(٢)]

فيومًا تراها بالعهود وَفِيّةً * ويومًا على دِين ابن خَاقَانَ دِينُها

يَدًا بِيَدٍ مَنْ جاء بالعَين منهمُ * ومَنْ لم يجئ بالعين حِيزَتْ رُهونُها

١٢١/٧

١٠ وقال فيها وقد صارمها :

ألَا بِأبِي مَنْ قد بَرَى الجسمَ حُبُّهُ * ومَنْ هو موموقٌ الىّ حبيبُ

ومن هو لا يزداد إلا تَشَوُّقًا * وليس يُرَى إلّا عليه رقيبُ

وإنّى وإن أَحْمَوْا[(٣)] علىَّ كلامَها * وحالت أعادٍ دونها وحُروبُ

لَمُثْنٍ على ليلَى ثناءً يزيدها * قَوافٍ بأفواه الرُّواة تَطِيبُ

١٥ أليلَ احْذَرِى نَقْضَ القُوَى لا يَزَلْ لنا * على النأْيِ والهِجْرانِ منكِ نصيبُ

وكُونى على الواشين لَدّاءَ شَغْبَةً * كما أنا للواشى أَلَدُّ شَغُوبُ

فإنْ خفتِ أَلّا تُحْكِمِى مِرَّةَ القُوَى * فرُدِّى فؤادى والمَزارُ قريبُ

(١) أوخشوا : خلطوا وصاروا الى الوخاشة أى الرذالة ، يقال : وخش الشيء (بالضم) وخاشة ووخوشة ووحوشا أى رذل وصار رديئا . وفى الأصول : «أوحشوا» بالحاء المهملة ، والتصويب عن

٢٠ اللسان (مادة وخش) . (٢) الورهاء : الحمقاء . وطوع قرينها أى أن قرينها يطيعها ، ولا تخضع هى لقرين ، لأنها تستبدل بكل قرين من شاءت متى شاءت ، فقرينها يطيعها وهى لا تطيع قرينا .

(٣) أحمى : حرّم ومنع .

كتب والى اليمامة الى أخيه ليؤدبه لحلق لمته فقال شعرا

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا عبد الرحمن آبن أخى الأصمعىّ عن عمه عن رجل من بنى عامر ثم من بنى خَفَاجة قال :

استعدت جَرْمٌ على ابن الطَّثْرِيّة فى وَحْشِيّة (امرأةٍ منهم كان يشبِّب بها) فكتب بها صاحبُ اليمامة الى ثَوْر أخى يزيد بن الطَّثْرِيّة وأمره بأدبه ، فجعل عقوبته حَلْق لِمّته فحلقها ، فقال يزيد :

أقــول لِثَــوْرٍ وهو يَحْلِقُ لِمّتِى * بَجَنْجَاءَ[1] مردودٍ عليها نِصَابُهــا

— قال عبد الرحمن : كان عمّى يحتجّ فى تأنيث المُوسَى بهذا البيت —

تَرَفَّــقْ بهــا ياثورُ ليس ثوابُهــا * بهذا ولكن غيرُ هــذا ثوابُها
أَلَا رُبّمــا ياثورُ قــد غَلَّ[2] وَسْطَها * أَنَامِلُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضَابُهــا
وتَسْلُكُ[3] مِدْرَى العــاجِ فى مُدْلَهِمّةٍ * إذا لم تُفَــرَّجْ مات غَمًّا صُؤَابُهــا
فراح بهــا ثَــوْرٌ تَرِفُّ[4] كــأنها * سلاسِــلُ دِرْعٍ خِيرُها[5] وانسكابُهــا
مُنعمةٌ كالشَّرْيَةِ[6] الفَــرْدِ جادَها * نِجَــاءُ الــثُّرَيّا هَطْلُها وذِهَابُهــا

(١) فى الكامل للبرد : «بعقفاء» . والعقفاء والجنجاء بمعنى ، وهى كل حديدة لوى طرفها .
(٢) غل شعره بالطيب : أدخله فى أصوله . وفى ب ، س : « عل » بالعين المهملة وهو تصحيف . وفى الكامل (ص ٣٤٣ طبع أوربا): «... يا ثور فرّق بينها» . (٣) فى الكامل : «فيهلك» . ويهلك : يضل . والمدرى : شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ، ويستعمله من لم يكن له مشط . ومدلهمة : سوداء . (٤) كذا فى الكامل . وفى الأصول : «تزف» . وهو تصحيف : ورف لونه : برق وتلألأ . وفيه أيضا : «بجاء بها» بدل «فراح بها» . (٥) الخير : الهيئة . وفى ب ، س : «خبؤها» . ورواية هذا الشطر فى الكامل : «سلاسل برق لينها وانسكابها» . وسلاسل البرق هى ما استطال فى عرض السحاب ، ترى فيه هيئة انثناء والتواء . (٦) الشرية : شجرة الحنظل ، تشبه اللم بها لحسنها لأنها جعدة . والنجاء : جمع نجو كبحر وبحار ، وهو السحاب الذى هراق ماءه . والذهاب : جمع ذهبة (بالكسر) وهى المطرة الضعيفة ، وقيل : الجود . ورواية هذا البيت فى الكامل :

خدارية كالشرية الفرد جادها * من الصيف أنواء مطير سحابها

والخدارية : وصف للمة ، أى شديدة السواد .

فأصبح رأسى كالصُّخَيْرة أشرفتْ * عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابُها

ونظير هذا الخبر أخبار مَنْ حُلِقَتْ جُمّتُه فرثاها ، وليس من هذا الباب، ولكن يُذكر الشىء بمثله :

أخبار من حلقت رءوسهم

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنى عبد الرحمن عن عمه قال :

٥ شَرِب طُخَيْمٌ الأَسَدىّ بالحِيرة ، فأخذه العبّاس بن مَعْبَد المُرِّىّ، وكان على شُرَط يوسف بن عمر، فحلَق رأسَه، فقال :

وبالحِيرةِ البيضاء شيخٌ مُسَلَّطٌ * إذا حلَف الأيمانَ بالله بَرَّتِ

لقد حَلَقُوا منّا غُدَافًا كأنها * عناقيدُ كَرْمٍ أَيْنعتْ فاسْبَطَرَّتِ[1]

يَظَلّ العَذَارَى حين تُحْلَقُ لِمَّتِى * على عَجَلٍ يَلْقُطْنَها حين جُزَّتِ

١٠ أخبرنى محمد[2] عن عبد الرحمن عن عمه عن بعض بنى كِلَاب قال :

أُخِذَ فتًى منّا مع بعض فَتَيَاتِ الحىّ، فحُلِق رأسُه فقال :

يا لِمَّتِى ولقد خُلِقْتِ[3] جميلةً * وكُمْتِ حين أصابك الجَلَمَانِ

أمستْ تَرُوق[5] الناظرين وأصبحتْ * قَصَصًا[4] تكون فواصلَ المَرْجان

١٢٢/٧

أخبرنى وَكيع قال حدّثنى علىّ بن الحسين بن عبد الأعلى قال حدّثنا

شعره فى أخيه ثور

١٥ أبو مُحَلِّم قال :

كان ليزيد بن الطَّثْرِيّة أخٌ يقال له ثَوْر أكبرُ منه ، فكان يزيد يُغِير على ماله ويُتْلفه، فيتحمّله ثَوْر لمحبته إيّاه . فقال يزيد فى ذلك :

---

(١) اسبطرت : طالت وامتدت . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « محمد بن عبد الرحمن » وهو تحريف . إذ أن محمدا هذا هو محمد بن الحسن بن دريد ، وقد تقدّمت روايته فى السند

٢٠ السابق وفى غيره عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « حلقت » بالحاء المهملة . (٤) القصص (بالتحريك) : ما قص من الشعر .

(٥) فى ب ، س : « تفوق » .

نُغِيرُ على ثَوْرٍ وثورٌ يَسُرُّنا * وثورٌ علينا فى الحياة صَبُورُ
وذلك دَأْبِى ما حَيِيتُ وما مَشَى * لثورٍ على عَفْرِ التُّراب بعيرُ

وقُتِل يزيد بن الطَّثْرِيّة فى خلافة بنى العبّاس(١)، قتلته بنو حَنيفة .

الحرب بين عقيل وبنى حنيفة ومقتل يزيد وما رثاه به الشعراء

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكّرىّ عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابىّ عن المُفَضَّل بن سَلَمَة عن أبى عُبيدة وابن الكَلْبىّ ، وأخبرنا يحيى بن علىّ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى الجَرّاح العُقَيْلىّ قال :

أغارتْ بنو حَنيفة على طائفة من بنى عُقَيْل ومعهم رجلٌ من بنى قُشَيْر جارٌ لهم ؛ فقُتِل القُشَيْرىّ ورجلٌ من بنى عُقَيْل واطَّرَدتْ(٢) إبلٌ من العُقَيْليّين ؛ فأتى الصَّرِيخُ(٣) عقيلاً فلحِقوا القومَ فقاتلوهم فقتَلوا من بنى حَنيفَةَ رجلاً وعقَروا أفراسًا ثلاثةً من خيل حنيفة وانصرفوا، فلبِثوا سنة . ثم إن عُقَيلاً انحدرتْ منتجعةً من بلادها الى بلاد بنى تَميم ، فَذُكِر لحَنيفةَ وهم بالكُوكُبة والقيضاف(٤)، فغزتْهم حَنيفةُ ، وحَذِر العُقَيْليّون وأتتْهم النُّذُرُ من نُمَير فانكشفوا فلم يقدِروا عليهم ؛ فبلَغ ذلك من بنى عُقَيْل وتلهّفوا على بنى حنيفة ، فجمعوا جمعًا ليَغْزُوا حنيفة ، ثم تَشاوروا . فقال بعضهم : لا تغزوا قومًا

(١) قال ابن خلكان فى ترجمة يزيد بن الطثرية : « وقال أبو بكر بن يحيى بن جابر البلاذرى فى كتاب أنساب الأشراف ، بعد ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموى الحكمىّ ووقائع جرت فى سنة ست وعشرين ومائة ، وكان فى أثناء ذلك وقعة قتل فيها المندلف بن إدريس الحنفى وقتل معه يزيد بن الطثرية المذكور على قرية يقال لها الفلج » ثم قال : « وذكر أبو الحسن الطوسىّ المذكور فى هذه الواقعة أن الراية كانت مع يزيد بن الطثرية ، فلما قتل المندلف وهرب أصحابه ثبت يزيد بن الطثرية ، وكان عليه جبة خز فتشبثت فى عشرة (بضم العين وفتح الشين والراء) فعثر فضربه بنو حنيفة حتى قتلوه » . ثم استنبط ابن خلكان أن قتل يزيد بن الطثرية كان فى هذه السنة عقب مقتل الوليد ابن يزيد . ثم نقل عن أبى الفرج قوله فى أوّل ديوان يزيد الذى جمعه من شعره أنه قتل فى خلافة بنى العباس ، وقال : والأوّل أصح . (٢) طرد الابل : ساقها ، والمطاوع له اطردت الإبل .
(٣) الصريخ : الاستغاثة . (٤) لم نجد هذين الموضعين فى معجمات البلدان .

فى مَنَازلِهم ودُورهم فيتحصَّنُوا دونكم ويمتنعوا منكم، ولا نأمَنُ أن يفضحوكم، فأقاموا بالعَقيق . وجاءت حنيفةُ غازيةً كَعْبًا لا تتعدّاها حتى وقعت بالفَلَج، فتطاير الناسُ، ورأسُ حَنيفةَ يومئذ المُنْدَلِفُ، وجاء صَرِيخُ كَعْب الى أبى لَطِيفَةَ بنِ مُسْلم العُقَيْلىّ وهو بالعَقيق أميرٌ عليها، فضاق بالرسول ذَرْعًا وأتاه هولٌ شديد، فأرسل فى عُقَيْل يستمدّها، فأتته ربيعةُ بنُ عُقَيْل وقُشَيْرُ بن كعب والحَرِيشُ بن كعب وأَفْنَاءُ خَفَاجةَ، وجاش اليه الناس[1]، فقال : إنى قد أرسلتُ طَليعةً فانتظروها حتى تجىء ونعلمَ ما تُشيرُ به[2] . قال أبو الجَرّاح : فأصبح صُبْحَ ثالثةٍ على فرس له يَهْتِف : أعزّ الله نصرَكم وأمتعَنا بكم ! انصرِفوا راشدين فلم يكن بأسٌ ؛ فانصرف الناسُ، وصار فى بنى عمّه ورَهْطه دِنْيةً . وإنما فعل ذلك لتكون له السُّمْعةُ والذِّكر . فكان فيمن سار معه القُحَيْف بنُ حُمَيِّر[3] ويزيد بنُ الطَّثْرِيّة الشاعران، فساروا حتى واجهوا القومَ، فواقعوهم فقتلوا المُنْدَلِف، رَمَوْه فى عينه، وسَبَوْا وأسَروا ومَثَّلوا بهم وقطعوا أيدىَ اثنين منهم وأرسلوهما الى اليَمامة وصَنعوا ما أرادوا[4] . ولم يُقتل ممن كان مع أبى لَطِيفةَ غيرُ يزيدَ بنِ الطَّثْرِيّة، نَشِب ثوبُه فى جِذْلٍ من عُشَرَةٍ[5] فانقلب، وخبَطه القومُ فقُتل . فقال القُحَيْف يرثيه :

أَلَا تَبْكِى سَرَاةُ بنى قُشَيْرٍ * على صِنْدِيدِها وعلى فَتَاها

فإنْ يُقْتَلْ يزيدُ فقد قَتَلْنا * سَرَاتَهُمُ الكهولَ على لِحَاها

أبَا المَكْشوحِ بَعْدَكَ مَنْ يُحَامِى * ومَنْ يُزْجِى المَطِىَّ على وَجَاها

(١) جاش اليه الناس : ساروا اليه ليلا . (٢) كانت العبارة فى الأصل « ما تشير » .
(٣) كذا فى شرح القاموس (مادة قحف) . وفى ب، س : « القحيف بن حمير » . بالحاء المهملة، وهو تصحيف . وفى سائر الأصول « المحف بن حمير » وهو تحريف . (٤) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « وتصنعوا ما أرادوا » وهو تحريف . (٥) الجذل : أصل الشجرة . والعشرة : شجرة من العضاه وهى من كبار الشجر ذات صمغ حلو وورق عريض .

وقال القُحَيْف أيضا يرثيه :

إن تقتُلوا منّا شهيدًا صابرَا * فقــد تركنا منكُمُ مُجَــازِرَا
عشرين لمّــا يدخُلوا المقابرا * قَتْــلَى أصيبتْ قَعَصًا[1] نحائرا
* نعجا ترَى[2] أرجُلَها شَوَاغِرَا *

وهذه من رواية ٱبن حَبِيبَ وحده. وقال القُحَيْف أيضا ولم يَرْوِها إلا ٱبن حبيبَ :

يَا عينُ بَكِّى هَمَــلًا على هَمَلْ * على يَزيد ويزيدَ بنِ حَمَــلْ
* قتّال أبطالٍ وجَرّار حُلَلْ *

قال : ويزيد بن حَمَل قُشَــيْرىّ قُتِل يومئذ أيضا . وقالت زينب بنت الطَّــثْرِيّة ترثى أخاها يزيد ـ وعن أبى عمرو الشَّيْبانىّ أنّ الأبيات لأُمّ يزيد، قال : وهى من الأَزْد . ويقال : إنها لوَحْشيّة الجَرْميّة ـــ :

أرَى الأَثْلَ من بطن العَقِيق مُجَاوِرى * مُقِــيماً وقــد غالت يزيدَ غــوائلُهْ
فتًى قَــدَّ قَدَّ السَّــيْف لا مُتَضَائلٌ * ولا رَهِــلٌ لَبّــاتُه وبآدِلُــــهْ[3]
فتًى لا تَرى قَــدَّ القميص بخَصْره * ولكنّما تُوهِى القميصَ كواهــلُهْ
إذا نزل الضِّيفانُ كان عَذَوَّراً[4] * على الحىّ حتى تَسْــتَقِلَّ مَراجِلُه
يَسُرُّك[5] مظلومًا ويُرضِــيك ظالمــا * وكلُّ الذى حَمَّلتَــه فهو حامِــلُه

(١) القعص (بالفتح وبالتحريك) : القتل المعجل والموت الوحىّ، يقال : مات فلان قعصا إذا أصابته ضربة أو رمية فات مكانه . (٢) كذا فى أكثر الأصول ولعله : «نعجى» جمع نعج كزمن وزمنى . ونعج الرجل ربا وانتفخ، وذلك ملحوظ فى الميت نجلاء . وفى ب، س : « نمجا » بالفاء . وشواغر : مرفوعات . (٣) البآدل : جمع بأدلة وهى اللحمة بين العنق والترقوة .

(٤) العذوّر : السيئ الخلق القليل الصبر عما يريده وما يهم به . والمراجل : جمع مرجل وهو القدر . واستقلالها : انتصابها على الأثافى . وصفه بسوء الخلق والتشدّد فى الأمر والنهى حتى تنصب المراجل وتهيأ المطاعم للصيفان ثم يعود الى خلقه الأوّل . (٥) فى اللسان : * يعينك مظلوما وينجيك ظالما * ويريد بقوله : « رضيك ظالما » أنك إن ظلمت فطولبت بظلمك حماك ومنع منك .

إذا جَدّ عند الجِدّ[1] أرضاك جِدُّه * وذو باطلٍ إن شئتَ أَلْهاكَ باطلُهْ
إذا القومُ أَمُّوا بيتَه فهو عامدٌ * لأفضلِ ما أَمُّوا له فهو فاعلُهْ[2]
مضى ووَرِثْناه دَرِيسَ مُفَاضَةٍ[3] * وأبيضَ هِنْدِيًّا طويلًا حمائلُهْ
وقد كان يَحْمِى المَحْجِرين[4] بسيفه * ويبلغُ أَقْصَى حَجْرةِ[5] الحىِّ نائلُهْ
٥ فتًى ليس لابن العمِّ كالذئب إن رأى * بصاحبه يومًا دمًا فهو آكلُهْ
سيَبْكيه مولاه إذا ما ترفَّعت * عن الساق عند الرَّوْع يوما ذَلَاذِلُهْ

الذَّلْذُل[6] : هُدْب الثياب .

وقد أخبرنا الحَرَمىّ عن الزُّبَير عن عمر بن إبراهيم السَّعْدىّ عن عباس بن عبد الصمد قال :

١٠ قال هشام بن عبد الملك للعُجَيْر السَّلُولىّ : أصدقتَ فيما قلتَ فى ابن عمِّك[7] ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين، ألَا إنِّى قلتُ :

فتًى قُدَّ قَدَّ السيفِ لا متضائلٌ * ولا رَهِلٌ لَبّاتُه وأَبَاجِلُهْ[8]

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « عند الظلم » . (٢) رواية ديوان الحماسة : «لأحسن ما ظنوا به ... الخ» . (٣) الدريس : الخلق من الدروع وغيرها . والمفاضة : ١٥ الدرع الواسعة . وأبيض يعنى سيفا . وجعله طويل الحمائل لطول قوامه . يريد : أنه أنفق ماله فيما نشر له حمدا فلم يكن إرثه إلا ما ذكر من السلاح .

(٤) المحجر : الحرم وما يمنعه القوم . ورواية هذا الشطر فى الحماسة :

* وقد كان يروى المشرفىّ بكفه *

يريد أنه كان شديد النكاية فى الأعداء . (٥) الحجرة (بالفتح) : الناحية .

٢٠ (٦) فى الأصول : « الدلدال » بزيادة ألف ولم نقف عليها فى كتب اللغة ، وإنما واحد الدلاذل ذلذل وذلذلة . (٧) كذا فى ترجمة العجير السلولى (ج ١١ ص ١٥٣ طبع بلاق) . وفى الأصول : «فى ابن عمر» وهو تحريف . (٨) الأباجل : جمع أبجل، وهو عرق غليظ فى الرجل، وقيل : هو فى باطن الذراع .

فذكر هذا البيتَ وحدَه ونسبه الى العُجَيْر السَّلُولىّ من الأبيات المنسوبة الى أخت يزيد بن الطَّثْرِيّة أو إلى أمّه وأتى بأبياتٍ أخَر ليست منها، وسيُذكر ذلك فى أخبار العُجَيْر مشروحًا إن شاء الله تعالى .

وممّا يُغنَّى فيه من شعر يزيد بن الطَّثْرِيّة قولُه :

صـــوت ٥

بنفسىَ مَن لا بدّ أنّىَ هاجِرُهْ * ومن أنا فى الميسور والعُسْرِ ذاكِرُهْ

ومن قد رماه الناسُ بى فٱتّقاهمُ * ببغضىَ إلّا ما تُجِنُّ ضمائرُهْ ١٢٤/٧

عروضُه من الطويل . غنّى فى هذين البيتين عبد الله بن العباس الرَّبيعىّ لحنا من خفيف الثقيل بالبنصر . وغنّتْ فيه عَرِيبُ وفى أبيات أضافتْها اليها لحنًا من خفيف الثقيل الأوّل آخَر . وغنّت عُلَيَّةُ بنت المهدىّ فيها خفيفَ رَمَلٍ . وذكر الهِشَامىّ ١٠ أن لإبراهيم فيها لحنًا ماخُورِيًّا . والأبياتُ المُضَافةُ :

بنفسىَ من لا أُخْبِرُ الناسَ بٱسمه * وإن حَمَلَتْ حِقْدًا علىّ عشائرُهْ

بأهلى ومالى من جلَبتُ له الأَذَى * ومَنْ ذِكْرُه منّى قريبٌ أسامرُه

ومَنْ لو جرت شَحْناءُ بينى وبينهُ * وحاوَرَنى لم أدرِ كيف أُحاوِرُهْ

صـــوت ١٥

من المـائة المختـارة

شأتْكَ المنـازلُ بالأَبْرَقِ * دوارسَ كالعين فى المُهْرَقِ

لآلِ جَميـلةَ قد أَخْلَقتْ * ومهما يَطُلْ عهدُه يُخْلِقِ

فإن يَقُلِ الناسُ لى عاشقٌ * فأين الذى هو لم يَعْشَقِ

ولم يَبْـكِ نُؤْيًا على عَـبْرةٍ * بداء الصَّبابة والمَعْـلَقِ ٢٠

شأتك : بعُدتْ عنك . والشأو : البعد . يقال: جرى الفرسُ شَأْوًا، يريد طَلَقًا .
والمُهْـرَق : الصحيفة ، والجمـع المَهَارق . يريد أنّ الدار قد بَقِيتْ منها طـرائقُ
كالصّحف وما فيها .

الشعر للأحوص . والغناءُ لجَميلة ، ولحنُها المختار خفيفُ رملٍ بالوسـطى[1] عن
إسحاق . وفيه لعَطَرَّد ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر فى مجرى الوسطى . وفيه لمعبـد خفيفُ
ثقيلٍ عن حَبَش . وفيه رمل يقال : إنه لفَريدة، و يقال : إنه لمـالك . وقيل:
إن الثقيلَ الأوّل لابن عائشة . وذكر عمرو بن بانة أن خفيف الرمل لعَطَرَّد أيضا .

(١) فى ب، س : «بالوسطى فى مجراها عن إسحاق» .

ذكر جميلة وأخبارها

ولاء جميلة وشعر عبد الرحمن بن أرطاة فيها

هى جميلة مولاةُ بنى سُلَيْم ثم مولاةُ بطن منهم يقال لهم بنو بَهْز، وكان لها زوج من موالى بنى الحارث بن الخَزْرَج، وكانت تنزِل فيهم، فغلَب عليها ولاءُ زوجها، فقيل: إنها مولاة للأنصار، تنْزِل بالسُّنُح[1] وهو الموضع الذى كان ينزله أبو بكر الصِّدِّيق؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زِيَاد الأنصارى الأمَوىّ السَّعيدى. وذكر عبد العزيز بن عِمْران أنها مولاةٌ للحجّاج بن عِلاَط السُّلَمِىّ. وهى أصل من أصول الغناء، وعنها أخذ معبدٌ وابن عائشة وحَبَابَةُ وسَلاّمة وعقيلة العَقيقية والشَّمّاسِيَّتان خُلَيْدة ورُبَيْحة. وفيها يقول عبد الرحمن بن أَرْطاة:

صوت

إنّ الدَّلاَل وحسنَ الغنا * ءِ وَسْطَ بيوت بنى الخَزْرج

وتلكم جميلةُ زينُ النساء * اذا هى تَزْدانُ للمَخْرَج

إذا جئتَها بذَلَتْ وُدَّها * بوجه مُنيرٍ لها أَبْلَجِ

١٢٥ / ٧

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطاة. والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أول مطلق فى مجرى الوسطى، ويقال: فيه للدَّلال وجَميلة لحنان.

كانت أعلم خلق الله بالغناء

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى جعفر القُرَشىّ عن المُحْرِزىّ[2] قال:

كانت جميلة أعلمَ خلق الله بالغناء؛ وكان معبد يقول: أصلُ الغناء جَميلة وفرعُه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مُغَنّين.

(١) السنح (بالضم وبضمتين): موضع قرب المدينة. (٢) فى حـ: «المخرزى» بالخاء المعجمة.

كيف تعلمت الغناء

قال إسحاق وحدّثنى أيّوب بن عَبَاية قال حدّثنى رجل من الأنصار قال :

سُئلت جميلة : أنّى لكِ هذا الغناء؟ قالت : والله ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكنّ أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جارًا وكنتُ أسمعه يغنّى ويضرب بالعود فلا أفهمه ، فأخذتُ تلك النَّغَمات فبنيتُ عليها غنائى ، فجاءت أجودَ من تأليف ذلك الغناء ، فعلمتُ وألقيتُ ، فسمعنى مَوَالِيَاتِى[1] يومًا وأنا أغنّى سرًّا ففهمْنَنِى ودخلْنَ علىّ وقُلْنَ : قد علمنا فما تَكْتُمينا . فأقسمْنَ علىّ ، فرفعتُ صوتى وغنّيتهنّ بشعر زُهَير بن أبى سُلْمَى :

وما ذكرتُكِ إلّا هِجْتِ لى طَرَبًا * إنّ المحبَّ ببعض الأمر معذورُ
ليس المحبّ بمن إن شَطَّ غيَّره[2] * هجرُ الحبيب وفى الهجران تغييرُ

صــــوت

نام الخلىّ فنومُ العين تَعْذيرُ[3] * ممّا ٱدّكرتُ وهمُّ النفس مذكورُ
ذكرتُ سَلْمَى وما ذِكْرى براجعها * ودونها سَبْسَبٌ يَهْوِى به المُورُ[4]

ـــ الشعر لزُهَير . والغناء فى هذين البيتين لجميلة فقط رملٌ بالوسطى عن حَبَش ـــ

فحينئذ ظهر أمرى وشاع ذكرى ، فقَصَدنى الناسُ وجلستُ للتعليم ؛ فكان الجوارى يتكاوَسْنَنِى[5] ، فربما ٱنصرف أكثرهنّ ولم يأخُذْنَ شيئا سوى ما يَعْنَنِى أطارحُ لغيرهنّ ، ولقد كسبتُ لمَوَالِيَّ ما لم يخطِر لهنّ ببال ، وأهلُ ذلك كانوا وكنتُ .

---

(١) مواليـاتى : هو جمع الجمع ، كصواحبات . (٢) فى ب ، س : «كمن» .
(٣) تعذير : قليل . وفى ب ، س : «تقرير» وهو تحريف . (٤) المور : الغبار المتردد ، وقيـل : التراب تثيره الريح . (٥) يتكاوسننى ، تريد : يتكنفننى ويتزاحمن حولى . ضمن «تكاوس» معنى «تكنف» فتعدى تعديته ؛ إذ الموجود فى كتب اللغة أن التكاوس التزاحم والتراكم ، فهو فعـل لازم ؛ يقال : تكاوس النخل والشـجر والعشب اذا كثر والتف ، وتكاوس النبت اذا التف وسقط بعضه على بعض .

إجماع الناس على تقدمها فى الغناء

وحدّثنى أبو خليفة قال حدّثنى آبن سلّام قال حدّثنى مَسْلَمة بن محمد بن مَسْلَمة الثَّقَفِىّ قال :

كانت جميلةُ ممّن لا يُشَكّ فى فَضيلتها فى الغناء، ولم يَدّعِ أحدٌ مقارَبَتَها(١) فى ذلك، وكلّ مدنىّ ومكىّ يشهد لها بالفضل .

وصف مجلس من مجالسها غنت فيه وغنى فيه مغنو مكة والمدينة

قال إسحاق وحدّثنى هشام بن المُرِّيّة المدنىّ قال حدّثنى جرير المدنىّ — قال ٥ إسحاق : وكانا جميعا مغنِّيَيْن حاذقين شيخين جليلين عالمين ظريفين، وكانا قد أسنّا، فأمّا هشام فبلغ الثمانين، وأمّا جرير فلا أدرى — قال جرير :

وفد آبنُ سُرَيج والغريض وسَعيد بن مِسْجَح ومُسْلِم بن مُحرِز المدينةَ لبعض من وفَدوا عليه، فأجمع رأيُهم على النزول على جَميلة مولاة بَهْز، فنزلوا عليها. فخرجوا يوما الى العَقيق متنزِّهين، فوردوا على مَعْبَد وآبن عائشة فجلسوا اليهما فتحدّثوا ساعةً، ثم ١٠ سأل معبدٌ آبنَ سُرَيج وأصحابَه أن يَعْرِضوا عليهم بعضَ ما ألّفوا . فقال ابن عائشة : إنّ للقوم أعمالًا كثيرةً حسنةً ولك أيضا يا أبا عَبّاد، ولكن قد آجتمع علماء مكة، وأنا وأنت من أهل المدينة، فليَعْمَل كلُّ واحد منّا صوتًا ساعتَه ثم يغنِّ به . قال معبد : يا آبنَ عائشة، قد أعجبتْك نفسُك حتى بلّغتْك هذه المرتبةَ! . قال آبن عائشة : ١٢٦/٧ أوَ غَضِبْتَ يا أبا عَبّاد ! إنّى لم أقل هذا وأنا أريد أن أتنقّصك فإنك لأنت المُفَادُ ١٥ منه . قال معبدٌ : أمّا إذ قد آختلفْنا وأصحابُنا المكّيّون سكوتٌ فلنجعل بيننا حَكَمًا . قال آبن عائشة : إنّ أصحابنا شركاءُ فى الحكومة . قال آبن سُرَيج : على شَريطةٍ ؛ قال(٢) : على أن يكون ما نُغَنِّى به من الشعر ما حُكِّمت فيه آمرأةٌ . قال آبن عائشة

(١) فى حـ، أ : « مقارنتها » بالنون . (٢) كلمة « قال » هنا ظاهرة الزيادة .

ومَعْبَد : رَضينا، وهى أمّ جُنْدَب . فأجمع رأيُهم على الآجتماع فى منزل جَميلة من غدٍ.
فلما حضروا قال آبن عائشة : ما تَرى يا أبا عبّاد ؟ قال : أرى أن يبتدئ أصحابُنا
أو أحدُهم . قال آبن سُرَيج : بل أنتما أَوْلى . قالا : لم نكن لنفعلَ . فأقبل آبن
سُرَيج على سَعيد بن مِسْجَح فسأله أن يبتدئ فأبَى . فأَجْمع رأىُ المكيّين على أن
٥ يبتدئ آبنُ سُرَيج . فغنّى آبن سريج :

صــــوت

ذهبتَ من الهِجْران فى غير مَذْهبِ * ولم يَكُ حقًّا كلُّ هــذا التجنُّبِ
خليـلىّ مُرّا بى على أمّ جُنْدَب * أُقَضِّ[1] لُبانات الفــؤاد المُعَذَّبِ
فإنّــكما إن تُنْظِرانىَ ساعةً * من الدّهر تَنْفَعْنى لدى أمّ جُنْدَبِ
١٠ ألم تَرَيانِى كلّما جئتُ طارقًا * وجدتُ بها طِيبًا وإن لم تَطَيَّبِ

ــ الشعر لآمرئ القيس[2] . ولابن سُرَيج فيه لحنان ثانى ثقيلٍ بالسّبّابة فى مجرى
الوسطى، وخفيفُ رملٍ بالسّبّابة فى مجرى الوسطى جميعا عن إسحاق ــ
وغنّى مَعْبَد :

صــــوت

١٥ فَلِلّه عينا مَنْ رأى مِنْ تَفَرُّقٍ * أَشَتَّ وأَنْأَى من فِراق المُحَصَّبِ[3]
عَلَوْنَ[4] بأَنْطاكيّةٍ فوق عِقْمَةٍ * بِجِرْمَةِ نخلٍ أو بجَنّة يَثْرِبِ

---

(١) فى الأصول هنا : «أقضى» . وفى شرح ديوانه : «لنقضى حاجات» . (٢) يلاحظ أن البيت الأول من هذه الأبيات من شعر علقمة الفحل وهو مطلع قصيدة له . (٣) المحصب : موضع رمى الجمار بمكة . (٤) علون : يعنى الظعائن . وإنما يريد الإبل التى تحمل الظعائن؛ يعنى
٢٠ علون بالخدور التى فيها ثياب أنطاكية أى عملت بأنطاكية . والعقمة : ضرب من الوشى . والجرمة : ما جرم من البسر . شبه ما على الإبل من الألوان بالبسر الأحمر والأصفر . والجنة : البستان . يريد نخل المدينة .

فريقانِ منهم سالكٌ بطنَ نَخْـلَةٍ * وآخَرُ منهم جازِعٌ نَجْـدَ كَبْكَبِ (١)

فَعَيْناكَ غَرْبَا جَدْوَلٍ فى مُفَاضَـةٍ * كَمَرِّ خَلِيـجٍ فى سَـنِيحٍ مُثَقَّبِ (٢)

وغنّى ابن مِسْجَح :

صـــوت

وقالت فإن يُبْخَـلْ عليكَ ويُعْتَلَلْ * يَسُؤْكَ وإن يُكْشَفْ غرامُكَ تَدْرَبِ (٣)

وإنّك لم يَفْخَـرْ عليـكَ كفاخِرٍ (٤) * ضعيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مثـلُ مُغَلَّبِ

وإنك لم تَقْطَـعْ لُبَانةَ عاشـقٍ * بمثـلِ بُكُورٍ أو رَوَاحٍ مُـؤَوِّبِ (٥)

---

(١) بطن نخلة : موضع على ليلة من مكة . والجازع : القاطع ، يقال : جزعت الوادى أى قطعته . وكبكب هو الجبل الأحمر الذى تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الامام بعرفة .

(٢) كذا فى ديوان امرئ القيس (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥ أدب ش) . وفى الأصول : «مصوب» وهو تحريف . والغرب : الدلو الضخمة . والمفاضة هاهنا : الأرض الواسعة . والخليج : الخيط الذى يتناثر منه اللؤلؤ . والسنيح : اللؤلؤ . شبه ما يسيل من عينيه بالغربين ، وما يسيل من الغربين باللؤلؤ المتناثر . (عن شرح الديوان) .

(٣) كل الشعر الماضى ، ما عدا البيت الأوّل كما تقدّم ، من قصيدة امرئ القيس . وقد اختلف فى هذا البيت أهو من قصيدة امرئ القيس أم من قصيدة علقمة . (راجع كتاب المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية للامام العينى فقد فصل الكلام فى ذلك) . وتدرب : من الدربة وهى التجربة . ومعنى البيت أنه إن بخل عليك بالوصال واعتل ساءك ذلك ، وإن وصلت وكشف غرامك كان ذلك عادة لك ودربة . وإنما يريد أنها كانت لا تقطع وصاله كل القطع فيحمله ذلك على اليأس والسلو ، ولا تصله كل الوصل فيتعود ذلك ويستكثر منه حتى يدعوه الى الملل . (عن شواهد العينى) . وفى الأصول : « تذرب » بالذال المعجمة وهو تصحيف .

(٤) فى ب ، س : كعاجز» . والمغلب (بصيغة المفعول) : الذى من عادته أن يغلب .

(٥) المؤوب : المردّد المتكرر . ويصح أن يكون بالكسر باعتبار أن صاحبه يؤوب فيه أى يرده مع الليل بعد سير النهار كله . وهذا البيت من شعر علقمة .

بأَدْمَاءَ حُرْجُوجٍ كأنّ قُتُودَها * على أَبْلَقِ الكَشْحَين ليس بمُغْرِبِ[١]

يغرِّد بالأَسْحارِ فى كلّ سُدْفةٍ * تَغَرُّدَ مَيّاحِ النَّدامَى المُطَرِّبِ[٢]

وغنّى ٱبنُ عائشة :

صوت

٥ وقد أغتدِى والطيرُ فى وُكُنَاتِها * وماءُ النَّدَى يَجْرِى على كل مِذْنَبِ[٣]

بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ لاحَهُ * طِرادُ الهَوادِى كلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ[٤]

١٢٧ / ٧

إذا ما جَرَى شَأْوَيْنِ وٱبتلّ عِطْفُه * تقولُ هَزِيزُ الرِّيحِ مَرّتْ بأَثْأَبِ[٥]

له أَيْطَلَا ظَبْيٍ وساقَا نَعامةٍ[٦] * وصَهْوةُ عَيْرٍ قائمٍ فوقَ مَرْقَبِ

---

(١) الأدماء : الناقة البيضاء . والحرجوج : الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . والقتود : جمع قتد
١٠ وهو أداة الرحل . وأبلق الكشحين : أبيض الخاصرتين . والإغراب : بياض الأشفار والوجه ؛ فالمغرب : الذى تتسع غرته حتى تأخذ عينيه وأشفاره . وقيل : الإغراب : بياض الأرفاغ مما يلى الخاصرة ؛ أو المغرب الذى كل شىء منه أبيض وهو أقبح البياض . أى ليس بلقه باغراب . يريد : كأن قتود هذه الناقة على حمار وحشى موصوف بما ذكره بهذا البيت وما بعده لشدّة نشاطها . وفى الشطر الأوّل رواية أخرى أشار اليها شارح الديوان وهى : «بمجفرة حرف...الخ» . والمجفرة : المنتفخة . والحرف :
١٥ الضامرة . (٢) يغرد : يطرّب . وسدفة : طائفة من الليل . ومياح : وصف من ماح فى مشيته يميح ميحا وميحوحة إذا تبختر . والندامى : الفتيان الذين يتنادمون ؛ الواحد ندمان ونديم . يصف الحمار بانه يرفع بالأسحار صوته كأنه يطرّب نفسه . (٣) المذنب : مسيل الماء الى الروضة .
(٤) المنجرد : القصير الشعر . والأوابد : الوحش . ولاحه : غيره وأهزله وأضناه . والطراد : المطاردة . والهوادى : السوابق المتقدّمات . والشأو : الطلق وهو جرى مرة الى الغاية . والمغرّب : البعيد المدى .
٢٠ (٥) عطفه : ناحيته . وهزيز الريح : صوتها . والأثأب : شجر للريح فى أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدّة صوت . (٦) الأيطل : الخاصرة . والصهوة : الظهر . والعير : حمار الوحش . وليس فى الدواب أحسن موضع لبد من حمار الوحش . وإنما قال : «قائم» لأنه إذا قام تمدد وإذا عدا اضطرب . والمرقب : المكان المرتفع من الأرض .

وغنّى ٱبن مُحْرِز :

صـــوت

فلِلسَّوْطِ أُلْهُــوبٌ وللسـاق دِرّةٌ * وللزَّجْرِ منـه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ(١)

فأَدْرَك لم يُجْهَدْ ولم يُبْــلِ شَــدَّه * يمرّ كخُــذْرُوفِ الوَليــد المُثقَّبِ(٢)

تَذُبُّ به طَــوْرًا وطَوْرًا تُمِــرُّه * كَذَبِّ البَشــير بالرِّداء المُهَــدَّبِ(٣)

إذا ماضربتُ الدَّفَّ أوصُلْتُ صَوْلةً * تَرَقَّبُ مــنّى غــيرَ أَدْنَى تَرَقُّبِ(٤)

وغنّى الغريض :

صـــوت

أخائفــةٍ لا يَلْعَنُ الحىُّ شخصَه * صبورًا على العِــلّاتِ غيرَ مُسَبَّبِ(٥)

رأينـا شِــياهًا يَرْتَعِينَ خَمِيــلةً * كَمَشْى العَذَارَى فى المُلاءِ المُجَوَّبِ(٦)

---

(١) الإلهاب والألهوب : شــدّة العدو الذى يثير اللهب وهو الغبار الساطع كالدخان المرتفــع من النــار . وللساق درة أى إن حرك بالساق درّ على ذلك وزاد فى عدوه . والأخرج : الذكر من النعام الذى اختلف ريشه فى لونه . والمهذب : الشديد العدو . أى اذا زجر أخرج منه الزجر عدوا كعدو الظليم .

(٢) يريد أنه يدرك طريدته من غير جهد ولا مشقة . والخذروف : الدوّارة التى يلعب بها الصبيان .

(٣) هذا البيت والذى بعده من شعر علقمة وهما فى وصف ناقته . ويرجع الضمير فى « به » الى ذنبها الذى وصفه فى البيت الذى قبل هذا البيت وهو :

كأن بحاذيها إذا ما تشذرت * عثاكيل قنو من سميحة مرطب

وذب البشير أن يلمع للقوم بردائه إذا جاءهم بخبر خير . والمهدب : ذو الهدب . شبه خطران الناقة بذنبها بلمع البشــير برداء ذى هدب . (٤) الدف : الجنب . وترقب : تلحظ السوط بمؤخر عينها من الخوف . وعير أدنى ترقب أى ترقبا شديدا . (٥) هذا البيت والأبيات التى بعده فى ديوان علقمة . وغير مسبب : غير مسبوب . (٦) شياه : بقر من الوحش . والخميلة : رملة فيها شجر قد صار لها كالخمل فى الثوب . والمجوّب : المصنوع له جيب .

وما أنتَ أَمْ مَا ذِكْرُها رَبَعِيَّةً * تَحُلُّ بإيرٍ أو بأكناف شُرْبُبِ[1]
أطعتُ الوُشَاةَ والمُشَاةَ بصُرْمِها * فقد أنْهَجَتْ حِبَالُها للتقضُّبِ[2]

فقالت جميلةُ : كلُّكم مُحسنٌ وكلّكم مُجيد فى معناه ومذهبه . قال ابن عائشة : ليس هذا بمُقْنِع دون التفضيل . فقالت : أمّا أنت يا أبا يحيى[3] فتُضْحك الثَّكْلَى بحُسْن صوتك ومشاكلته للنفوس . وأمّا أنت يا أبا عَبّاد فنَسِيجُ وَحْدِك[4] بجودة تأليفك وحسن نَظْمك مع عذوبة غِنائك . وأمّا أنت يا أبا عثمان فلك أوّليّةُ هذا الأمر وفضيلتُه . وأمّا أنت يا أبا جعفر فمع الخُلفاء تصلُح . وأمّا أنت يا أبا الخطّاب فلو قدّمتُ أحدًا على نفسي لقدّمتُك . وأمّا أنت يا مَوْلَى العَبَلات فلو ٱبتدأتَ لقدّمتُك عليهم . ثم سألوها جميعا أن تغنّيهم لحنًا كما غَنَّوْا ، فغنّتْهم بيتًا لأمرئ القيس وأربعة أبيات لعَلْقمة وهى :

خَليليّ مُرّا بى على أُمّ جُنْدَبِ * أُقَضِّ لُبانات الفؤاد المُعَذَّبِ
لَيَالِيَ لا تَبْلَى[5] نصيحةُ بيْننا * ليالىَ حَلُّوا بالسِّتارِ[6] فغُرَّبِ

(١) قوله : وما أنت أم ما ذكرها : يوبخ نفسه وينكر عليها تتبع هذه المرأة مع بعد دارها . وإير : جبل لبنى غطفان غربىّ جبلى طيئ . وشربب : واد فى ديار بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فى شمال اليمامة . والأكناف : النواحى . (٢) أنهجت : خلقت وبليت . والتقضب : التقطع . (٣) أبو يحيى كنية ابن سريج ، وأبو عباد كنية معبد ، وأبو عثمان كنية سعيد بن مسجح ، وأبو جعفر كنية ابن عائشة ، وأبو الخطاب كنية ابن محرز ، ومولى العبلات لقب الغريض . (٤) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « فنسيج وحده » وهو تحريف . (٥) كذا فى ديوان علقمة . وفى الأصول : « ليلى فلا تبلى » وهو تحريف . (٦) الستار (على وزن كتاب) : جبل بعالية الحجاز . وغرب موضع تلقاءه . وهذا البيت واقع فى ديوان علقمة بعد قوله :

ذهبت من الهجران فى غير مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

وهو مطلع القصيدة . يقول لنفسه : ذهبت من هجران هذه المرأة لك فى غير مذهب يجب ، أى لم تهجرك لريبة رابتك بها لكن إدلالا وتجنيا ، ولم يكن تجنبها حقا ، إذ لم تأت اليها ما يوجب التجنب . وقوله : ليالى لا تبلى أى فعلت هذا بك زمن المرتبع إذ كان حيها وحيك متجاورين ، فكنا نجدد النصائح ونقرب الوسائل . (راجع شرح ديوان علقمة الفحل للأعلم الشنتمرى) .

مُبتَّلةٌ[(١)] كأنّ أنْضاءَ حَلْيِها * على شادنٍ من صَاحَةٍ مُتَربَّب

مَحَالٌ[(٢)] كأَجْواز الجَراد ولؤلؤٌ * من القَلَقِيّ والكَبِيس المُلَوَّب

إذا أَلْحَمَ[(٣)] الواشون للشرّ بيننا * تبلّغ رَسُّ الحبّ غيرُ المُكَذَّبِ

فكلُّهم أقرُّوا لها وفضَّلوها . فقالت لهم : أَلَا أحدِّثكم بحديث يتمُّ به حسنُ غنائكم[(٤)] وتمامُ اختيارِكم ؟ قالوا : بلَى والله . قال الغريض : قد والله فهمتُه يا سيِّدتى . قالت : لعنك الله يا مخنَّث ! ما أجودَ فهمَك وأحسنَ وجهَك ! وما يُلام فيك أبو يحيى إذ عرفتَه ؛ فهاته حدِّثنا . قال : يا سيّدتى وسيّدةَ مَنْ حضر، والله لا نطقتُ بحرف منه وأنت حاضرةٌ، ولكِ الفضلُ والعُتْبَى . قالت : نازع آمرؤ القيس عَلْقَمَةَ بنَ عَبَدَة الفحلَ الشعرَ ؛ فقال له : قد حَكَّمْتُ[(٥)] بيني وبينك آمرأتَك أُمَّ جُنْدَب ؛ قال : قد رَضِيتُ . فقالت لهما : قُولَا شعرًا على رَوِيٍّ واحد وقافيةٍ واحدةٍ صِفا فيه الخيلَ .

فقال آمرؤ القيس :

خَليلَيّ مُرَّا بى على أمّ جُنْدَبِ * أُقَضِّ لُبانات الفؤادِ المُعَذَّبِ

---

(١) المبتلة : المكتنزة اللحم الصامرة الكشح . وأنضاء الحلى : ما دق منه ولطف . يعنى قرطيها وقلائدها ولم يعن سوارا ولا خلخالا ، لأنه إنما قصد الى تشبيه جيدها وما عليه من الحلى بجيد الشادن . وصاحة : جبل أحمر بين الركاء والدخول ، وقيل : صاحة هضبتان عظيمتان لهما زيادات وأطراف كثيرة ، وهى من عماية (جبل بالبحرين ضخم) تلى مغرب الشمس بينهما فرسخ . (عن معجم ما استعجم للبكرى) . ومتربب : مربى . (٢) المحال : ضرب من الحلى يصاغ مفقرا (أى محززا) على تفقير وسط الجراد . والجوز : وسط الشىء . والقلق : ضرب من القلائد المنظومة من اللؤلؤ . قال صاحب اللسان : والظاهر أنها سميت بذلك لقلقها (أى اضطرابها) . والكبيس : حلى يصاغ مجوفا ثم يحشى طيبا ثم يكبس . والملوب : المعطر بالملاب ، وهو نوع من العطر ، وقيل : الملاب كل عطر مائع . (٣) ألحم : أدخل . يقال : ألحم بين بنى فلان شرا اذا جناه لهم . وقوله : تبلغ رس الحب أى تبلغ فى القلب وثبت فيه . والرس : الثابت الراسخ . وغير المكذب أى غير المنقطع الزائل . (٤) فى ب ، س : «غضارتكم» . (٥) فى الأصول : «حاكمت» .

وقال عَلْقَمة :

ذهبتَ من الهِجْرانِ في غير مَذْهبِ * ولم يَكُ حقًّا كلُّ هذا التجنُّبِ

وأنشداها، فغلَّبتْ عَلْقمةَ. فقال لها زوجُها : بأيّ شيء غلَّبته؟ قالت : لأنك قلت :

فللسَّوْط أُلْهوبٌ وللساق دِرَّةٌ * وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ[1]

فجَهَدْتَ فرسَك بسَوْطك، ومَرَيْتَه[2] بساقك وزَجْرك، وأتعبتَه بجَهْدك. وقال علقمةُ :

فولَّى على آثارهنَّ بحاصِبٍ * وغَيْبَةِ شُؤْبُوبٍ من الشَّدِّ مُلْهِبِ[3]

فأدركهنّ ثانيًا من عِنَانه * يَمُرّ كمَرِّ الرائح المُتَحلِّبِ[4]

فلم يضرب فرسَه بسوط، ولم يَمْرِه بساق، ولم يُتْعبْه بزَجْر. فقال ٱبن عائشة : جُعلتُ فِداكِ ! أتأذنين أن أُحدِّث ؟ قالت : هِيه . قال : إنما تزوج أُمَّ جُنْدَب حين هرَب من المُنْذِر بن ماء السماء فأتى جَبَلَيْ طيِّئ، وكان مُفَرَّكًا[5] . فبينا هو معها ذاتَ ليلةٍ إذ قالت له : قُمْ يا خيرَ الفتيان فقد أصبحتَ ، فلم يقم؛ فكرّرتْ عليه فقام فوجد الفجرَ لم يطلُع، فرجع فقال لها : ما حملكِ على ما صَنَعتِ ؟ فأمسكتْ . وألحّ عليها فقالت : حملني أنك ثقيلُ الصدر، خفيفُ العَجيزة، سريعُ الإراقة ، بطيءُ الإفاقة . فعرف تصديقَ قولها وسكتَ . فلما أَصْبح أتى علقمةَ وهو في خَيْمته وخَلْفَه أُمّ جُنْدَب، فتذاكروا الشعر، فقال ٱمرؤ القيس : أنا أشعر منك، وقال عَلْقمة مثلَ ذلك ، فتحاكما الى أمّ جُنْدَب، ففضّلت أمُّ جنـدب عَلْقمةَ على ٱمرئ القيس .

(١) المنعب : الأحمق المصوت ، كذا في اللسان واستشهد بالبيت . والمنعب أيضا : الذي يمد عنقه في العدو . (٢) مرى الفرس : استخرج جريه . (٣) على آثارهنّ : يعني البقر . وبحاصب : يعني بعدو شديد كالحاصب من المطر وهو العظيم القطر . والغبية : المطرة التي تجيء شديدة . والشؤبوب : أول كل شيء وحدّته . وملهب : مثير للهب من شدة جريه . واللهب : الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار . (٤) الرائح : يعني السحاب الذي يأتي بالعشيّ ، والسحاب أغزر ما يكون بالعشيّ . والمتحلب : المتساقط المتتابع . (٥) المفرّك : الذي تبغضه النساء .

فقال لها : بم فضّلته علىّ؟ قالت : فرسُ ابن عَبَدَةَ أجودُ من فرسك ، زجرتَ وضربتَ وحرّكت ساقيْك ، وابنُ عَبَدَةَ جامدٌ لا مقتدر[1] . فغضب من قولها وطلّقها ، وخلَف عليها عَلْقمةُ . فقالت جميلة : ما أحسنَ مجلسَنا لو دام اجتماعُنا ! . ثم دعتْ بالغَداء فأُتى بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة . ثم قالت : لولا شَناعةُ[2] مجلسنا لكان الشراب مُعَدًّا ولكنّ الليل بيننا . فلم يزالوا يومَهم ذلك بأطيب مجلس وأحسن حديث . فلما جَنّهم الليلُ دعتْ بالشراب ودعت لكل رجلٍ منهم بعود ، وأخذتْ هى عُودًا فضربتْ ، ثم قالت : اضربوا فضربوا عليها بضربٍ واحد ، وغنّتْ بشعر امرئ القيس :

أأذْكَرْتَ نفسَكَ ما لن يَعُودَا * فهاج التّذَكُّرُ قلبًا عَميدَا

تَذَكَّرتَ هندًا وأترابَها * وأيّامَ كنتَ لها مُستقيدا[3]

ويُعجِبك اللّهْوُ والمُسْمِعاتُ * فأصبحتَ أزمعتَ منها صُدودا

ونادمتُ قَيْصَرَ فى مُلكه * فأوجهَنى[4] ورَكِبتُ البَريدا

فما سمع السامعون بشىء أحسنَ من ذلك . ثم قالت : تَغَنَّوْا جميعًا بلحنٍ واحد ؛ فغَنَّوْها هذا الشعر والصوتَ بعينه كما غنّتْه . وعلم القوم ما أرادتْ بهذا الشعر ؛ فقال ابن عائشة : جُعِلتُ فِداكِ ! نرجو أن يدوم مجلسنا ، ويُؤْثِرَ أصحابنا المُقامَ بالمدينة فنُواسيَهم من كل ما نَملكه . قال أبو عَبّاد : وكيف بذاك ! . فباتوا بأنعمِ ليلةٍ وأحسنها . قال إسحاق قال أبى قال لى يونس : قال أبو عبّاد : لا أعرف يومًا واحدًا منذُ عقَلتُ ولا ليلةً عند خليفة ولا غيرِه مثلَ ذلك اليوم ، ولا أحسَبه

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « مغتدر » بالغين المعجمة . وكلاهما غير واضح .

(٢) تريد : لولا شهرة مجلسنا وقبح الأحدوثة عنه .

(٣) استقاد له : أعطاه مقادته أى أطاعه وذل له .

(٤) أوجهه : شرفه وجعله وجيها .

يكون بعدُ . قال يونس : ولا أدركْنا نحن مثلَ ذلك اليوم ولا بلَغْنا . قال إسحاق : ولا أنا، ولا أحسب ذلك اليومَ يكون بعدُ .

زارها عبد الله بن جعفر فصرفت من عندها وأقبلت عليه تلاطفه

وحدّثنى أبى قال حدّثنا يونس قال قال لى أبو عبّاد :

أتيتُ جميلةَ يومًا وكان لى موعدٌ ظننتُ[1] أنّى سبقْتُ الناسَ اليها، فاذا مجلسُها غاصٌّ؛ فسألتُها أن تُعلّمنى شيئا؛ فقالت لى : إنّ غيرَك قد سبقك ولا يجمُلُ تقديمُك على مَن سواك . فقلتُ : جُعلتُ فِداكِ ! إلى متى[2] تفْرُغِينَ ممّن سبقَنى ! قالت : هو ذاك، الحقُّ يسَعُك ويسَعُهم . فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبدُ الله بن جعفر — وإنه لأوّل يومٍ رأيتُه وآخرُه وكنت صغيرًا كيِّسًا ، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح — فقامت وقام الناس، فتلقَّتْه وقبّلتْ رجليْه ويديْه، وجلس فى صدر المجلس على كَوْمٍ لها وتحـوّقَ[3] أصحابُه حَوْلَه، وأشارت الى من عندها بالآنصراف، وتفـرّق الناسُ، وغمَزَتْنِى أن لا أبرحُ فأقمتُ. وقالت : يا سيّدى وسيّدَ آبائى ومَوالىَّ، كيف نَشِطْتَ الى أن تنقل قدميك الى أَمَتِك؟ قال : يا جَميلة، قد علمتُ ما آليتِ على نفسِك ألّا تغنّى أحدًا إلّا فى منزلِك، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك طـريقًا مادًّا فَسِيحا . قالت : جُعلتُ فداكَ ! فأنا أَصِـيرُ اليكَ وأُكفِّر . قال : لا أُكلِّفك ذلك، وبلغـنى أنك تُغنِّـين بيتين لآمرئ القيس تُجِيدين الغناءَ فيهما، وكان اللهُ أَنْقَـذ بهما جماعةً من المسلمين من الموت . قالت : يا سيّدى نعم ! فآندفعتْ تغنّى فغنّتْ بعُودها، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعـدُ الى أن ماتت مثلَ ذلك الغناء؛ فسبَّح عبـدُ الله بن جعفر والقوم معه . وهما :

(١) جملة ظننت وما بعدها حال من فاعل أتيت، وليس من الضرورى فى مثل هذا المقام أن تقترن بالواو أو قد أو بهما . (٢) هكذا فى الأصول . وكلمة « الى » فى هذا المقام ظاهرة الزيادة .

(٣) تحوّقوا حوله : استداروا حوله وأحاطوا به .

ولما رأت أن الشريعة همها * وأن البياض من فرائصها دامى[1]

تيممت العين التى عند ضارج * يفىء عليها الظل عرمضها طامى[2]

حديث عبد الله بن جعفر عن جماعة ضلوا الطريق فأنقذهم الله بشعر آمرئ القيس

— ولابن مسجح فى هذا الشعر صوت وهذا أحسنهما — فلما فرغت قالت جميلة: أى سيدى أزيدك ؟ قال : حسبى . فقال بعض من كان معه : بأبى جعلت فداك! وكيف أنقذ الله من المسلمين جماعة بهذين البيتين؟ قال: نعم، أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبى صلى الله عليه وسلم فضلوا[3] الطريق ووقعوا على غيرها ومكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء، وجعل الرجل منهم يستذرى[4] بفىء السمر والطلح يائسا من الحياة، إذ أقبل راكب على بعير له، وأنشد بعض القوم هذين البيتين فقال :

ولما رأت أن الشريعة همها * وأن البياض من فرائصها دامى

تيممت العين التى عند ضارج * يفىء عليها الظل عرمضها طامى

فقال الراكب : من يقول هذا؟ قال : آمرؤ القيس . قال : والله ما كذب، هذا ضارج عندكم، وأشار لهم اليه؛ فحبوا على الركب فإذا ماء عذب[5] وإذا عليه العرمض والظل يفىء عليه، فشربوا منه ريهم وحملوا ما آكتفوا به حتى بلغوا الماء، فأتوا

(١) الشريعة : مورد الماء الذى تشرع فيه الدواب . وهمها : طلبها . والفريصة : اللحم الذى بين الكتف والصدر . والفرائص أيضا : العروق . والضمير فى رأت للحمر . يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدمى فرائصها من سهامهم فعدلت الى «ضارج» لعدم الرماة على العين التى فيها . و« ضارج » : موضع فى بلاد بنى عبس . والعرمض: الطحلب . وطام : مرتفع . (عن اللسان مادة ضرج) . (٢) ورد فى اللسان (مادة ضرج) بعد إيراد هذه الرواية : « قال ابن برى : ذكر النحاس أن الرواية فى البيت : يفىء عليها الطلح» . (٣) فى الأصول : « فأضلوا » . ولا يقال : أضللت الشىء إلا إذا ضاع منك . وأما إذا أخطأت موضع الشىء الثابت مثل الدار والمكان قلت : ضللته ، ولا تقل : أضللته . (٤) يستذرى : يستظل . (٥) فى أ ، م : « عد » . والماء العد : الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر .

١٣٠ / ٧

النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله، أحيانا الله عزّ وجلّ ببيتين من شعر ٱمرئ القيس، وأنشدوه الشعرَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ذلك رجلٌ مذكور فى الدنيا شريفٌ فيها، منسيٌّ فى الآخرة خاملٌ فيها، يجيءُ يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء الى النار» . فكلٌّ استحسن الحديثَ . ونَهض عبدُ الله ابن جعفر ونَهض القومُ معه . فما رأيتُ مجلسا كان أحسنَ منه .

قال إسحاق : حدّثنى بعض أهل العلم عن ابن عَيّاش عن الشَّعْبيّ قال :

سئل عمر بن الخطاب عن الشعراء فقدّم آمرأ القيس

رأيت دَغْفَلًا النّسّابةَ يحدِّث أنه رأى العباسَ بنَ عبد المطّلب سأل عمرَ بنَ الخطّاب عن الشعراء، فقال : امرؤ القيس سابقُهم خسَفَ لهم عينَ الشعر فافتقر عن معانٍ[1] عُورٍ أصحَّ بَصَرًا[2] . قال إسحاق : معنى خسَف : ٱحتفر، وهو من كِنْدَة من اليمن، وليست لهم فصاحةُ مُضَر، ولا شعرُهم بجيِّد . فجعَل معانىَ اليمن معانىَ عُورًا وما قاله : أصحَّ بصرًا[2] أى أجودَ شعرًا . ومعنى ٱفتقر : ٱحتفر . والفَقِيرة : الحَفِيرة تُحفر للفَسيلة لتُغْرَس . وكل ما ٱبتدأتَ حَفْرَه فهو فَقِير . والمعنى أنه قال شعرا جيّدا وليس هو فى معنى شعر مُضَر .

وقال عُمارة بن عُقيل بن بِلال بن جَرير بن الخَطَفَى :

حديث جرير عن طرفة وامرئ القيس وزهير وذى الرمة

سمعت أبى يقول : دخل جدّى على بعض ملوك بنى أمية، فقال : ألَا تخبرُنى عن الشعراء؟ قال بَلَى . قال : مَنْ أشعرُ الناس؟ قال : ٱبنُ العشرين (يعنى طَرَفة) . قال : فما تقول فى ٱمرئ القَيْس ؟ قال : اتخذ الخبيثُ الشعرَ نعلين، فأُقسِم بالله لو أدركتُه لرفعتُ له ذَلاذِلَه[3] . قال : فما رأيُك فى ٱبن أبى سُلْمَى؟ قال : كان يَبْرِى

(١) كذا فى لسان العرب (مادة فقر) . وفى الأصول : «من معان» . (٢) فى جميع الأصول واللسان : «أصح بصر» ولم يظهر له عندنا وجه . (٣) كذا فى حـ . والذلاذل : أسافل القميص الطويل، الواحد ذلذل . وفى سائر الأصول : «زلازله» براءين، وهو خطأ .

الشعرَ . قال : فما رأيُك فى ذى الرُّمّة؟ قال : قدَر من طريف الكلام وغَريبه وحَسَنِه على مالم يقدِر عليه أحد حتى صنَّف الشعرَ .

زيارة معبد ومالك لجميلة وغناء معبد وجميلة على طريقة واحدة ثم غناء كل منهم وحده

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدّثنى أيّوب بن عَبَايَة عن رجل من الأنصار قال :

زار معبدٌ مالكَ بنَ أبى السَّمْح؛ فقال له : هل لك أن نصير الى جَميلة؟ فمضيا جميعا فقصداها؛ فأذِنتْ لهما فدخلا، فأخرجتْ اليهما رُقْعة فيها أبيات، فقالت لمعبد: بَعث بهذه الرقعة الىّ فلان أغنّى فيها[1] . فقال مَعْبد: فآبتدئى؛ فآبتدأتْ جميلةُ فغنّت:

صوت

إنما الذَّلْفاءُ همِّى * فليَدَعْنِى من يَلُومُ

فغنّى معبد :

أحسنُ الناسِ جميعا * حين تمشى وتقومُ

فغنّت جميلة :

حبّب الذَّلْفاءَ عندى * مَنْطِقٌ منها رَخيمُ

فغنّى معبد :

أَصِلُ الحبلَ لترضَى * وهى للحبل صَرُومُ

فغنّت جميلة :

حبُّها فى القلب داءٌ * مستكنٌّ لا يَريمُ

طريقةً واحدة ــ الشعر للأحْوَص . وذكر آبن النّطاح أنه للبَخْتَرِىّ[2] العِبَادىّ . والغِناء لمَعْبد، وله فيه لحنان خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة فى مجرى البِنْصر عن ابن

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «بها» . (٢) فى ب ، س : «للبحترى العبادى» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

المكىّ ، وثقيل أوّل بالوسطى عن عَمْرو . وذكر أحمدُ بن سَعيد المالكىّ أن له فيه خفيفَ ثقيلٍ آخَر . وذكر حَمّاد بن إسحاق أن فيه لمالكٍ وجَميلةَ لحنين — وقالت لمَعْبد ولمالك : يغنّى كُلُّ واحد منكما لحنًا مما عمله . فغنّاها مَعْبَد بشعر قاله فيها الأحوصُ يصفها به ، وكان مُعْجَبا بها ، وكانت هى له مُكْرِمة ، وهو قوله :

١٣١ / ٧

شَأَتْكَ المنازلُ بالأَبْرَقِ * دوارسَ كالعين فى المُهْرَقِ
لآلِ جَميلةَ قد أَخْلقتْ * وَمهما يَطُلْ عهدُه يُخْلِقِ
فإن يقلِ الناسُ لى عاشقٌ * فأين الذى هو لم يَعْشَقِ
ولم يَبْكِ نُؤْيًا على عَبْرةٍ * بداء الصَّبابة والمَعْلَقِ

— فى هذه الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر فى مجرى الوسطى ، ذكر إسحاق أنه لعَطَرّد ، وذكر ابن المكىّ أنه لجَميلة . وفيها خفيفُ رملٍ بالوسطى فى مَجْراها ، ذكر إسحاق أنه لعَطَرّد أيضا وعمرو ، وذكر الهشامىّ أنّ الثقيل الأوّل لابن عائشة . وذكر حَبَش أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمَعْبد وأن خفيفَ الرَّمَل لمالك — قال معبد : فسُرَّتْ جميلةُ بما غنّيتُها به وتبسّمت وقالت : حَسْبُك يا أبا عَبّاد ! ولم تَكْنِنى قبلها ولا بعدها . ثم قالت لمالك : يا أخا طيّئ هاتِ ما عندك وجنِّبْنا مثلَ قول عَبْد ابن قَطَن[1] ؛ فاندفع وغنّى بلحنٍ لها ، وقد تغنّى به أيضا معبدٌ لها . واللحنُ :

أَلَا مَنْ لقلبٍ لا يَمَلّ فيَذْهَلُ * أَفِقْ فالتعزّى عن بُثينةَ أجملُ
فما هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلها * ولا هكذا فيما مضى كنت تفعلُ
فإنّ التى أَحْببتَ قد حيلَ دونها * فكن حازمًا والحازم المتحوِّلُ

— لحنُ جَميلة هكذا ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه ألحان عِدّةٌ مع أبيات أُخَر من القصيدة ، وهى لجميل — فقالت جميلة : أحسنتَ والله فى غنائك وفى الأداء عنّى .

(١) تعنى معبدا ، اذ هو مولى ابن قطن .

أمّا قوله : «شَأَتْك» فأراد بَعُدتْ عنك . والشَّأْوُ : البعد ، يقال : جَرَى الفرس شَأْوًا أو شأوين أى طَلَقًا أو طَلَقين . والمُهْرَق : الصحيفة بما فيها من الكتّاب ، والجمع مَهَارِق ؛ قال ذو الرمّة :

كمُسْتَعْبِرٍ فى رَسْم دارٍ كأنّها * بوَعْساءَ تَنْضُوها الجماهيرُ مُهْرَقُ[1]

نماء التى شبب بها الأحوص

والعين أن تتعيَّن الإداوة أو القِرْبةُ التى تُخْرَز ويَسِيل الماء عن عيون الخَرْز . فشبَّه ما بقى من الدار بتعيُّن القربة وطرائق خروقها التى ينزل منها الماء شيئا بعد شىء .
فأما الذَّلْفاء التى ذُكِرت فيها فهى التى فُتِن بها أهلُ المدينة . وقال بعض من كانت عنده بعد ما طلّقها :

لا بارَكَ اللهُ فى دار عَدَدْتُ بها * طلاقَ ذَلْفاءَ من دارٍ ومن بلدِ
فلا يقولَنْ ثلاثاً قائلٌ أبدًا * إنى وجدتُ ثلاثاً أنكَد العددِ

فكان إذا عَدّ شيئا يقول : واحدٌ اثنان أربعةٌ ولا يقول ثلاثة .

حديث بثينة لها عن عفة جميل وعن حالها لما سمعت نعيه

وقالت جميلة : حدّثتْنى بُثَينة — وكانت صَدُوقةَ[2] اللسان جميلةَ الوجه حسنةَ البيان عفيفةَ البطن والفرج — قالت : والله ما أرادنى جَميلٌ رحمةُ الله عليه بريبة قطّ ولا حَدّثت أنا نفسى بذلك منه . وإنّ الحىّ انتجعوا موضعا ، وإنى لفى هَوْدج لى أسيرُ إذا أنا بهاتِفٍ يُنْشِد أبياتاً ، فلم أتمالكْ أن رميتُ بنفسى وأهلُ الحىّ ينظرون ، فبقيت أطلب المُنْشِدَ فلم أقف عليه ، فناديتُ : أيها الهاتف بشعر جميل ما وراءَك منه؟ وأنا أحسَبه قد قضَى نَحْبَه ومضَى لسبيله ، فلم يُجِبْنى مُجيب ؛ فناديت ثلاثًا ، وفى كل ذلك لا يردُّ علىّ أحدٌ شيئا . فقال صَوَاحِباتى : أصابك يابُثَينة طائفٌ

(١) الوعساء : الرملة اللينة . والجمهور : الرمل الكثير المتراكم الواسع . (٢) التاء فى «صدوقة اللسان» لتوكيد المبالغة ؛ فان «فعولا» بمعنى الفاعل لا تلحقه التاء الفارقة بين المؤنث والمذكر.

١٣٢
٧

من الشيطان؟ فقلت: كَلّا ! لقد سمعتُ قائلا يقول! قُلْنَ : نحن معكِ ولم نسمعْ! فرجعتُ فركبت مطيّتى وأنا حَيْرَى والهةُ العقل كاسفةُ البال، ثم سِرْنا . فلما كان فى الليل إذا ذلك الهاتفُ يهتِف بذلك الشعر بعينه، فرميتُ بنفسى وسعيتُ الى الصوت، فلما قَرُبت منه ٱنقطع؛ فقلت : أيها الهاتف، ارحمْ حَيْرتى وسكّن عَبْرتى بخبر هذه الأبيات؛ فإن لها شأنا! فلم يردّ علىّ شيئا . فرجعتُ الى رَحْلى فركبت

٥ وسِرْتُ وأنا ذاهبة العقل؛ وفى كل ذلك لا يُخْبِرنى صَوَاحِبَاتى أنهنّ سمِعْنَ شيئا . فلما كانت الليلةُ القابلةُ نزلنا وأخذ الحىُّ مضاجعَهم ونامت كلُّ عين، فإذا الهاتف يهتِف بى ويقول : يا بُثَينة، أقْبِلِى الىّ أُنْبِئْك عمّا تريدين . فأقبلتُ نحوَ الصوت، فإذا شيخٌ كأنه من رجال الحىّ، فسألتُه عن ٱسمه وبَيْتِه . فقال : دَعِى هذا وخُذِى

١٠ فيما هو أهمُّ عليكِ(١) . فقلتُ له : وإن هذا لَمِمَّا يَهُمُّنِى . قال : اقنَعِى بما قلتُ لك . قلت له : أنت المنشِدُ الأبياتَ؟ قال نعمْ . قلتُ : فما خبرُ جميل؟ قال : نعمْ فارقتُه وقد قَضَى نَحْبَه وصار إلى حُفْرته رحمة الله عليه . فصرَختُ صَرْخةً آذنتُ(٢) منها الحىَّ، وسقطتُ لوجهى فأُغْمِى علىّ، فكأنّ صوتى لم يسمَعْه أحد، وبقيتُ سائرَ ليلتى، ثم أَفَقْتُ عند طلوع الفجر وأهلى يطلبوننى فلا يقفون على موضعى،

١٥ ورفعتُ صوتى بالعَوِيل والبكاء ورجعتُ الى مكانى . فقال لى أهلى : ما خبرُكِ وما شأنُكِ؟ فقصَصْتُ عليهم القصّة . فقالوا : يَرْحَم الله جميلا . وٱجتمع نساءُ الحىّ وأنشدْتُهنّ الأبياتَ فأسعدْنَنى بالبكاء، فأقَمْنَ(٣) كذلك لا يفارِقْنَنى ثلاثًا، وتحزّن الرجالُ أيضا وبَكَوْا ورثَوْه وقالوا كلُّهم : يَرْحمُه الله، فإنه كان عفيفًا صَدُوقا! فلم أكتحلْ بعده بإثْمِد ولا فَرَقتُ رأسى بَخِيط(٤) ولا مُشْط ولا دَهَنْتُه إلا من صُدَاع خِفْتُ على

(١) يريد : فيما هو أجدى عليك . (٢) فى ب، س : «آذيت» وهو تصحيف .

٢٠ (٣) كذا فى أ، م . وفى سائر الأصول : «فلم نزل كذلك الخ» . (٤) لعله : «بخيط» .

بصَرى منــه ولا لبستُ خِمــارًا مصبوغا ولا إزارًا ولا أزال أَبْكيه الى الممـات .

قالت جميلة : فأنشدتْنى الشعرَكلَّه وهذا الغناء بعضُه، وهو :

ألا مَنْ لقلبٍ لا يَمَلُّ فيَذْهَلُ * أَفِقْ فالتعزّى عن بُثَينةَ أجمـلُ

مدحها ابن سريج فردت عليه مدحه ثم غنت وغنى هو ومعبد ومالك بشعر حاتم الطائى

قال ابن سَلّام حدّثنى جرير قال :

زار ٱبنُ سُرَيج جميلةَ ليسمعَ منها ويأخذَ عنها . فلما قدِم عليها أنزلتْه وأكرمتْه وسألتْه عن أخبار مكة فأخبرها . وبلغ معبدًا الخبرُ[١] . [وكانت تُطارِحه وتسأله عن أخبار مكة فيخبرها] . وكانت عندها جاريةٌ مُحْسِنةٌ لَبِقةٌ ظريفةٌ، فٱبتدأتْ تُطارِحها . فقال ٱبن سُرَيج : سبحانَ الله ! نحن كنّا أحقَّ بٱلابتداء . قالت جميلة : كلُّ إنسانٍ فى بيتــه أمير وليس للداخل أن يتأمّر عليــه . فقال ٱبنُ سُرَيج : صدقتِ جُعلت فداءكِ ! وما أَدْرى أيُّهما أحسنُ أدبُكِ أم غناؤكِ ! . فقالت له : كُفَّ يا عُبَيد، فإنّ النبيّ صـلى الله عليه وسـلم قال : « احْثُوا فى وجوه المَدّاحين التراب[٢] » . فسكت ٱبنُ سُرَيج . وطارحت الجاريةَ بشعر حاتم الطائى :

أتعـــرفُ آثارَ الديار توهُّمــا[٣] * كخَطِّك فى رَقٍّ كتابا مُنَمْنَما

أذاعتْ به الأرواحُ[٤] بعد أَنيسها * شهورًا وأيّامًا وحَوْلًا مجـــرَّما[٥]

فأصبحْنَ[٦] قد غيَّرْنَ ظاهرَ تُرْبِه * وغيَّرتِ الأنواءُ ما كان مَعْلَمــا

(١) هذه الجملة المحصورة بين قوسين وردت فى ب ، س ، حـ . وفى سائر الأصول : « وبلغ معبدا الخبر فوجد عندها جارية الخ » . (٢) المراد بالمداحين هنا الذين عادتهم مدح الناس لغرض من الأغراض كتحصيل المال أو الجاه، وأما المدح على الفعل الحسن للتحريض على عمل الخير فليس منه . وحثو التراب فى وجوههم يراد به تجنبهم وترك التحفى بهم . (٣) رواية هذا الشطر فى ديوانه : « أتعـرف أطلالا ونؤيا مهـدّما » . (٤) الأرواح : جمع ريح . وأذاعت به الأرواح أى أذهبته وطمست معالمه ؛ ومنه قول الراعى :

* ربع قواء أذاع المعصرات به *

(٥) حولا مجرّما : تاما كاملا . (٦) رواية الديوان : « دوارج قد غيرن الخ » .

وغيّرها طـولُ التقادُم والبِـلَى * فما أعرف الأطلالَ إلا توهُّمَا

قال : فحُدِّثْتُ[1] أنه حضر ذلك المجلسَ جماعةٌ من حُذّاق أهـل الغناء، فكلُّهم قال : مَزاميرُ داود ! . قال ابنُ سُرَيج لها : أفأُسْمِعُكِ صوتاً لى فى هذا الشعر ؟ قالت : هاته؛ فغنّى :

٥

ديار التى قامت تُرِيكَ وقد عَفَتْ * وأَقوتْ من الزُّوّار كَفًّا ومِعْصَمَا

تَهادَى عليها حَلْيُها ذاتَ بهجة * وكَشْـحًا كطَىِّ السابرِيّةِ أَهْضَمَا[2]

فبـانتْ لِطِيّاتٍ[3] لهـا وتبدَّلتْ * به بَدَلًا مَرَّتْ به الطيرُ أَشْؤُما

وعاذلتانِ هَبّتا بعـد هَجْعةٍ * تَلُومانِ مِتْلافاً مُفِيـدًا ملوَّما

قالت جميلةُ : أحسنتَ يا عُبيد، وقد غفرْنا لك زَلَّتك لحسن غنائك . قال مَعْبد : جُعلت فداءَكِ ! أفلا أُسْمِعُكِ أنا أيضا لحنًا عملتُه فى هذا الشعر؟ قالت : هاتِ وإنّى لأعلم أنك تُحْسِن . فاندفع فغنّى :

١٠

فقلتُ وقد طال العتاب عليهما * وأَوْعَدتانى أن تَبِينَـا وتَصْرِما

ألا لا تَلُومانى على ما تَقَـدَّما * كَفَى بصُرُوف الدّهر للمرء مُحْكِما

تَلُومانِ لمـا غَوّر النجمُ ضَـلّةً * فَتًى لا يَرَى الإنفاقَ فى الحقّ مَغْرَما[4]

١٥

قالت جميلةُ : ما عدوتَ الظنَّ بك ولا تجاوزتَ الطريقـةَ التى أنت عليها . قال : مالكٌ : أفلا أغنّيكِ أنا أيضا ؟ قالت : ما علمتُكَ إلّا تُجيد الغناء وتُحْسِن، فهات، فآندفع فغنّى فى هذا الشعر :

يضىءُ لنا البيتُ الظَّليلُ[5] خَصَاصُه[6] * إذا هى ليـلًا حاولتْ أن تَبَسَّمَا

---

(١) فى الأصول : « قالت » . (٢) السابرية : الثياب الرقيقة . والأهضم : اللطيف الكشح . (٣) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «فبانت لآيات به ... الخ» . (٤) يقع هذا البيت فى الديوان قبل البيتين السابقين . (٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصـول : « يضىء لها البيت القليل الخ» . (٦) الخصاص : المنافذ .

٢٠

إذا ٱنقلبتْ(١) فوقَ الحَشِيّة مَرّةً * تَرَنَّمَ وَسْواسُ الحُلِىِّ ترنُّما
ونَحْراً كفَاثُورِ(٢) اللُّجَيْنِ يَزِينه * توقُّدُ ياقوتٍ وشَذْرٍ(٣) منظَّما
بِجَمْرِ الغَضَى هَبَّتْ به(٤) بعد هَجْعةٍ * من الليل أَرْواحُ الصَّبَا فتنسَّما(٥)

فقالت : جميلٌ ما قلتَ وحَسَنٌ ما نظَمْتَ ، وإنّ صوتَك يا مالكُ لِمَّا يَزيد العقلَ قوّةً والنفسَ طِيباً والطبيعةَ سُهولة ، وما أحسَب أن مجلسَنا هذا إلّا سيكون عَلَماً وفى آخر الزمان متواصَفاً ؛ والخبرُ ليس كالمشاهدة ، والواصف ليس كالمعاين وخاصّة فى الغناء .

زارها ابن أبى عتيق وابن أبى ربيعة والأحوص فغنتهم

وحدّثنى الحسن بن عُتْبة اللَّهَبِىّ قال حدّثنى من رأى ٱبنَ أبى عَتيق وٱبنَ أبى ربيعة والأحوصَ بنَ محمد الأنصارىّ وقد أتَوْا منزلَ جميلة فاستأذنوا عليها فأذِنتْ لهم ، فلما جلسوا سألت عمَر وأَحْفتْ ؛ فقال لها : إنّى قصدتُك من مكة للسلام عليك . فقالت له : أهلُ الفضل أنتَ . قال : وقد أحببتُ أن تُفرِّغى لنا نفسَك اليومَ وتُخْلِى لنا مجلسَك ؛ قالت : أفعل . قال لها الأحوص : أُحبُّ ألّا تغنِّى إلا ما أسألكِ . قالت : ليس المجلس لكَ ، والقوم شركاؤكَ فيه . قال : أَجَلْ . قال عمر : إن تُرِدْ أن تفعل ذلك بك يكُنْ . قال الأحوص : كَلّا ! . قال عمر : فإنّى أَرَى أن نجعل الخيارَ اليها . قال ٱبنُ أبى عَتيق : وفّقَك الله . فدعتْ بالعود وغنّتْ :

---

(١) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «انصرفت» وهو تحريف . (٢) الفاثور : الخوان الذى يتخذ من فضة ، وبه يشبه الصدر الواسع . (٣) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «وشذرا» والسياق يقتضى أن يكون معطوفا على ياقوت . وهذا البيت فى ديوانه بعد قوله : «وكشحا كطىّ السابرية أهضما» . والشذر : اللؤلؤ الصغير والخرز يفصل به بين الجواهر فى النظم . (٤) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «له» . (٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «فتبسما» وهو تصحيف .

تَمْشي الهُوَيْنَى إذا مشتْ فُضُلًا[1] * مَشْيَ النَّزِيفِ المخمورِ في الصُّعُدِ
تَظَلُّ من زَوْرِ[2] بيت جارتها * واضعةً كفَّها على الكبدِ
يا من لقلبٍ متيَّمٍ سَدِمٍ[3] * عانٍ رهينٍ مكلَّمٍ كمدِ
أزجُره وهو غيرُ مُزْدَجرٍ * عنها وطَرْفي مكحَّلُ السَّهدِ

١٣٤
٧

فلقد سُمِعتْ للبيت زَلْزَلةٌ وللدار هَمْهمةٌ . فقال عمر: لله دَرُّكِ يا جَميلة! ماذا أُعْطِيتِ! أنت أوّلُ الغناء وآخره !. ثم سكتتْ ساعة وأخذوا في الحديث ، ثم أخذت العودَ وغنَّتْ :

شَطَّتْ سُعادُ وأمْسَى البَيْنُ قد أَفِدَا * وأَوْرَثوكَ سَقامًا يَصْدَع الكَبِدا
لا أستطيع لها هَجْرًا ولا تِرَةً * ولا تَزال أحاديثي بها جُدُدا

— الغناء فيه لِسيَاطٍ خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطَى عن إسحاق . ولم يذكر حبش لحن جَميلة . وذكر إبراهيمُ أن فيه لحنا لحَكَمٍ الوادِي . وذكر الهِشَامىّ وآبن خُرْداذبه أنه من ألحان عمرَ بن عبد العزيز بن مَرْوان في سُعاد[4] وأن طريقته من الثقيل الثاني بالوسطى . وذكر ابراهيمُ أن لآبن جامع فيه أيضا صَنْعةً — فآستَخفَّ[5] القومَ أجمعين ، وصفّقُوا بأيديهم وفَحَصوا بأرجلهم وحرَّكوا رُءوسَهم ، وقالوا : نحن فِداؤُكِ من السوء ووِقاؤُكِ من المكروه ، ما أحسنَ ما غنَّيتِ وأجملَ ما قلتِ! . وأُحْضِر الغَداءُ فتغدّى القومُ بأنواع من الأطعمة الحارّة والباردة ومن الفاكهة الرَّطْبة واليابسة ، ثم دعتْ بأنواعٍ من الأشربة . فقال عمر : لا أشرب ، وقال آبن أبي عَتيق مثلَ ذلك ، فقال الأحوص : لكنّني أشرب ، وما جزاءُ جَميلة أن يُمتنع

(١) تمشي فضلا أي تمشي متبذلة في ثوب واحد . والنزيف : السكران . والصعد : الصعود والارتفاع ويريد هنا المكان العالي . (٢) الزور : مصدر كالزيارة . (٣) السدم : الشديد العشق المهموم الحزين . والمكلم : المجرح . (٤) راجع هذه الألحان في ج ٨ ص١٥٨ من الأغاني طبع بلاق . (٥) مرجع الضمير في « استخف » الغناء المفهوم من قوله : « وغنت » .

من شرابها ! . قال عمر : ليس ذلك كما ظننته . قالت جميلة : من شاء أن يَحْمِلَنى بنفسه ويَخْلِطَ رُوحى بروحه شكرناه، ومن أَبى ذلك عذرناه، ولم يمنعْه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأُنْس بمحادثته . قال آبن أبى عَتيق : ما يحسُن بنا إلا مساعدتُك . قال عمرُ : لا أكون أخسَّكم ، افعلوا ما شئتم تجدونى سميعا مطيعا. فشرب القوم أجمعون . فغنَّت صوتا بشعر لعُمَر :

ولقد قالت لجاراتٍ لها * كالمَهَا يلعبْنَ فى حُجْرتِها
خُذْنَ عنّى الظّلّ لا يتبعُنى * ومضتْ تَسْعَى الى قُبّتها
لم تُعَانِقْ[1] رجلًا فيما مضَى * طَفْلةٌ غَيْداءُ فى حُلّتها
لم يَطِشْ قطُّ لها سَهْمٌ ومَنْ * تَرْمِه لا يَنْجُ من رَمْيتها

— لم يذكر طريقة لحنها فى هذا الصوت . وذكر الهِشَامىّ أنّ فيه لآبن المكّىّ رَمَلا بالبنصر . وذكر علىّ بن يحيى أنّ فيه لآبن سُرَيج رَمَلا بالوسطى — فصاح عمر : وَيْلَاه! ويلاه! ثلاثا ثم عَمَد الى جَيْب قميصه فشقّه الى أسفلِه فصار قَبَاءً، ثم آب اليه عقلُه فندِم وآعتذر وقال : لم أملكْ من نفسى شيئا . قال القوم : قد أصابنا كالّذى[2] اصابكَ وأُغمى علينا، غيرأنّا فارقْناك فى تخريق الثياب . فدعت جميلةُ بثيابٍ نخلَعتْها على عمرَ، فقبِلها ولبسها، وآنصرف القومُ الى منازلهم . وكان عمر نازلًا على آبن أبى عَتيق ، فوجّه عمر الى جَميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معه، فقبِلتْها جميلةُ . وآنصرف عمرُ الى مكة جَذْلانَ مَسْرورا .

حجت ومعها الشعراء والمغنون والمغنيات ووصف ركبها فى مكة وفى المدينة حين آبت من الحج

قال إسحاقُ وحدّثنى أبى عن سِياط وآبنُ جامع عن يونس قالا[3] : حَجّتْ جميلةُ ، وأخبرنى إسماعيلُ بن يونُس قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق

(١) فى ا ، م ، ى : « لم تعاين » . (٢) فى ح : « كل الذى أصابك » .
(٣) فى الأصول : « قال » .

ابن إبراهيم قال حدّثني أبي عن سِيَاطٍ وٱبنُ جامع عن يونُس الكاتب ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقِيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مُصْعَب قالوا جميعا :

إنّ جَميلة حَجّتْ — وقد جمعتُ رواياتهم لتقارُبها ، وأحسَب الخبر كلّه مصنوعا وذلك بيّنٌ فيه — فخرج معها من المغنّين مشيّعين حتى وافَوْا مكةَ ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحُذّاقِ بالغناء هِيتٌ(١) وطُوَيْسٌ والدّلال وبَرْدُ الفؤاد ونَوْمةُ الضُّحى وفِنْدٌ ورحمةُ(٢) وهِبَةُ الله — هؤلاء مَشَايخُ وكلّهم طيّب الغناء — ومَعْبَدٌ ومالكٌ وٱبنُ عائشة ونافعُ بنُ طُنْبورَةَ وبُدَيحُ المَليح ونافعُ الخير ، ومن المغنّيات الفَرِهَةُ [و](٣) عَزّةُ المَيْلاء وحَبَابَةُ وسَلّامةُ وخُلَيدة وعُقَيلة والشَّمّاسيّة وفَرْعةُ وبُلْبُلةُ(٤) ولَذّةُ العيش وسُعَيدة والزّرقاء ، ومن غير المغنّين ٱبنُ أبي عَتيق والأَحْوَص وكثيّر عَزّةَ ونُصَيب وجماعةٌ من الأشراف ، وكذلك من النساء من مَواليها وغيرِهنّ(٥) . وأما سِيَاطٌ فذكَر أنه حَجّ معها من القِيَانِ مشيّعاتٍ لها ومعظّماتٍ لقَدْرها ولحقّها زُهَاءُ خمسين قَيْنةً ، وجّه بهنّ مَوَاليهنّ معها فأعطَوْهنّ النفقاتِ وحَملوهنّ على الإبل في الهوادج والقِبَابِ وغيرِ ذلك ، فأبتْ جميلةُ أن تنفق واحدةٌ منهنّ درهما فما فوقَه حتى رجَعْنَ . وأما يونُس فذكر أنه حجّ معها من الرجال المغنين مع من سمّينا زُهَاءُ ثلاثين رجلا ، وتخايروا في اتخاذ أنواع اللّباس العَجيب الظّريف وكذلك في الهوادج والقِباب . وقيل ، فما

(١) كذا في الأصول والمشتبه في أسماء الرجال ، وذهب جماعة الى أنه "هنب" (بالنون والباء) . وقد رجّح الأزهريّ أنه بالياء والتاء ، واحتج برواية الشافعي له هكذا . (راجع القاموس وشرحه واللسان مادتي هنب وهيت) . (٢) كذا في ب ، سه . وفي سائر الأصول : « رحة » .

(٣) التكملة عن نهاية الأرب (ج ٥ ص ٤٤ من الطبعة الأولى) . (٤) في نهاية الأرب : « نبيلة » . (٥) في الأصول : « وغيرهم » ومرجع الضمير جمع مؤنث .

قال أهلُ المدينة ، : إنهم ما رأوْا مثلَ(١) ذلك الجَمْع سَفَرًا طِيبًا وحُسْنًا ومَلَاحةً . قالوا : ولما قارَبُوا مكةَ تلقّاهم سَعِيدُ بن مِسْجَح وابنُ سُرَيج والغَرِيض وابنُ مُحْرِز والهُذَليُّون و جماعةٌ من المغنِّين من أهل مكة وقِيَانٌ كثيرٌ لم يُسَمَّيْن لنا ، ومن غير المغنِّين عمرُ بن أبى رَبيعة والحارثُ بن خالد المَخْزُومىّ والعَرْجىّ وجماعةٌ من الأشراف . فدخلتْ جَميلةُ مكةَ وما بالحجاز مُغَنٍّ حاذقٌ ولا مغنِّيةٌ إلا وهو معها وجماعةٌ ٥ من الأشراف ممن سمَّينا وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهلِ مكةَ من الرجال والنساء ينظُرون الى جَمْعها وحُسْنِ هيئتهم . فلما قضتْ حجَّها سألها المكيّون أن تجعل لهم مجلسا . فقالت : للغناءِ أم للحديث؟ قالوا : لهما جميعا . قالت : ما كنت لأخلِطَ جِدًّا بهَزْل ، وأبتْ أن تجلس للغناء . فقال عمرُ بن أبى ربيعة : أَقْسمتُ على من كان فى قلبه حبٌّ لاستماع غنائها إلّا خرج معها إلى المدينة ، فإنى ١٠ خارج . فعزَم القومُ الذين سمَّيناهم كلُّهم على الخروج ومعهم جماعةٌ ممّن نشِط ، فخرجتْ فى جَمْع أكثرَ من جَمْعِها بالمدينة . فلما قَدِمتِ المدينةَ تلقّاها أهلُها وأشرافُهم من الرجال والنساء ، فدخلتْ أحسنَ مما خرجتْ به منها ، وخرج الرجالُ والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دُورِهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها . فلما دخلتْ منزلَها وتفرّق الجمعُ الى منازلهم ونزل أهلُ مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها ١٥ الناس مسلِّمين ، وما استَنْكَف من ذلك كبيرٌ ولا صغير . فلما مضى لمَقْدَمِها عشرةُ أيام جلستْ للغناء ، فقالت لعمرَ بنِ أبى رَبيعة : إنى جالسةٌ لك ولأصحابك ، وإذا شئتَ فعِدِ الناسَ لذلك اليوم ، فغَصَّتِ الدارُ بالأشراف من الرجال والنساء . فابتدأتْ جميلةُ فغنّتْ صوتا بشعر عمر :

وصف مجلس غنائها بالمدينة بعد عودها من الحج
١٣٦/٧

---

(١) فى جـ : « قبل ذلك الجمع » .

هيهاتَ من أَمَةِ الوَهّابِ منزِلُنـا * إذا حَلَلْنا بسِيفِ البحر من عَدَنِ
واحتـلَّ أَهْلُكِ أَجْيادًا[1] فليس لنا * إلا التذكُّر أو حَظٌّ من الحَـزَنِ
لو أنها أَبْصرتْ بالجِـزْعِ عَبْرتَه * وقد تَغرّد قُمْـرِىٌّ على فَنَنِ
إذًا رأتْ غيرَ ما ظَنّتْ بصاحبها * وأَيْقنتْ أن عَكًّا[2] ليس من وَطَنِى
٥ ما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ الخَيْفِ موقفَها * ومَوْقِـفِى وكِلانا ثَمّ ذو شَجَنِ
وقولَهـا للـثُّرَيّا وهى باكِيَةٌ[3] * والدمعُ منها على الخدّين ذو سَنَنِ
بٱلله قُـولِى له فى غـير مَعْتَبَـةٍ * ماذا أردتَ بطول المُكْثِ فى اليَمَنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو نَعِمْتَ بها * فما أَصبْتَ بترك الحجّ من ثَمَـنِ

فكلُّهم ٱستحسن الغناءَ ، وضَجّ القومُ من حُسْنِ ما سمعوا . ويقال : إنهم ما سمعوا
١٠ غناءً قَطّ أحسنَ من غنائها ذلك الصوتَ فى ذلك اليوم . ودَمَعتْ عينُ عمرَ حتى
جَرَى الدمعُ على ثيابه ولحيتِه . وإنه ما رُئِىَ عمرُ كذلك فى مَحْفِل غيره قَطُّ[4]. ثم أقبلتْ
على ٱبن سُرَيج فقالت : هاتِ؛ فٱندفع يغنِّى ورفع صوتَه بشعر عمر[5] :

غـنى ٱبن سريج فى مجلسها بشعر عمر

أليستْ بالتى قالت * لمَوْلاةٍ لها ظُهُـرَا
أَشِـيرِى بالسلام له * إذا هو نحـوَنا نظَرا
١٥ وقُولِى فى مُلاطفـةٍ * لزينبَ نَوِّلِى عُمَـرا
وهذا سِحْرُكِ النِّسْوا * نَ قد خَبَّرْنَنِى الخبَرا

---

(١) أجياد : موضع بمكة يلى الصفا . (٢) كذا فى ب ، سـ وديوانه . وروايته فيما تقدّم (جـ ١ ص ١١١ من هذه الطبعة) : « أن لجا... » . وعك : قبيلة يضاف اليها مخلاف باليمن . ولحج : مخلاف باليمن . وفى سائر الأصول هنا : " أن نجحا ... " وهو محرّف عن "لحج" .
٢٠ (٣) فى الديوان : « وقولها للثريا يوم ذى خشب » . (٤) فى ب ، سـ : « فى محفل ولا غيره قط » وهو تحريف . (٥) فى الأصول ما خلا جـ : « ورفع صوته بشعر عمر فقال » بزيادة « فقال » .

غناء ابن مسجح

فسُمِع من ٱبن سُرَيج فى هــذا اللَّحْن من الحُسْن ما يقال إنه ما سُمِع مثلُه . ثم قالت لسَعيد بن مِسْجَح : هاتِ يا أبا عثمان؛ فٱندفع فغنَّى :

قد قلتُ قبــل البَيْنِ لمّــا خَشيتُه * لتُعْقِبَ وُدًّا أو لتعــلمَ ما عنــدى

لكِ الخيرُ هل من مَصْدَرٍ تَصْدُرينَهُ[1] * يُرِيحُ كما سَهَّلْتِ لى سُــبُلَ الوِرْدِ

فلمّا شكوتُ الحبَّ صَدّتْ كأنّما * شَكوتُ الذى أَلْقَى الى حَجَرٍ صَلْدِ

تولَّتْ فأَبْدتْ غُــلَّةً دونَ نَقْعِها * كما أَرْصدتْ من بُخْلِها إذ بَدَا وَجْدى

غناء معبد

فاستُحْسِن ذلك منه وبرَع فيه . ثم قالت : يا مَعْبَد هاتِ؛ فغنَّى :

أُحَارِبُ مَنْ حاربتَ من ذى عَداوةٍ * وأَحْبِسُ مالِى إن غرِمتَ فأَعْقِلُ[2]

وإنِّى أخوكَ الدائمُ العهدِ لم أَحُلْ * إنَ ٱبْزَاكَ[3] خَصْمٌ أو نبابكَ مــنزلُ

ستقطَع فى الدنيــا اذا ما قطعتَنى * يمينَك فٱنظــرْ أىَّ كفٍّ تبَــدَّلُ

قالت جميلةُ : أحسنتَ يا مَعْبَد ٱختيارَ الشعر والغناء ـــ هذا الشعر لمَعْن[4] بن أَوْس ـــ

غناء ابن محرز

ثم قالت : هات يا ٱبنَ مُحْرِز؛ فإنِّى لم أؤخِّرْك لخَسَاسةٍ بك ولا جهــلًا بالذى يجب فى الصناعة، ولكنّنى رأيتُك تحبّ من الأمور كلِّها أوسطَها وأعدلَها، فجعلتُك حيث تحبُّ واسطةً بين المكيِّين والمدنيِّين . فغنَّى :

وقفتُ برَبْعٍ قد تحمَّــل أهــلُهُ * فأَذْرَيْتُ دمعًا يسبِق الطَّرْفَ هامِلُهْ

(١) يقال : صدر هو وصدر غيره وأصدره . فالثلاثى يتعدى ويلزم . (٢) يريد : فأعقل عنه . يقال : عقل عنه اذا غرم ما لزمه من دية . وأما عقلته فعناه دفعت ديته . ومعنى البيت : إن أصابك غرم حبست مالى عليك واحتملت فيه الثقل عنك . (٣) لم أحل : لم أتغير . وأبزاك خصم، يحتمل أن يكون معناه قهرك وغلبك، من أبزيت بفلان اذا بطشت به وقهرته . ويجوز أن يكون «أبزى» منقولا بالألف عن بزى يبزى بزى (كفرح) . والبزى هو دخول الظهر وخروج البطن . ويكون المعنى : إن خفض منك خصم وحملك من الثقل ما يرى له ظهرك فلا تطيق الثبات تحته والنهوض به . (٤) شاعر فحل من مخضرمى الجاهلية والاسلام، وله ترجمة فى الأغانى (ج ١٠ طبع بلاق) .

بسائلة الرَّوْحاءِ أو بَطْنِ مَثْغَرٍ[1] * لها الضاحكاتُ الرابياتُ سواهِلُهْ[2]

هو الموتُ إلّا أن لِلْموتِ مُدّةً * متى يَلْقَ يومًا فارغًا فهو شاغِلُهْ

فقالت جميلة : يا أبا الخطّاب، كيف بَدَا لك فى ثلاثة[3] وأنت لا ترى ذلك؟! قال: أحببتُ أن أواسىَ مَعْبدًا . قال معبدٌ : واللّٰه ما عَدَوت ما أردت[4]. ثم قالت للغَرِيض : غناء الغريض

٥ هاتِ يا مَوْلَى العَبَلاتِ فاندفع يغنّى :

فوا نَدَمِي على الشّبابِ ووا نَدَمْ * نَدِمتُ وبانَ اليومَ منّى بغيرِ ذَمّْ

وإذ إخوتى حَوْلِى وإذ أنا شائخٌ * وإذ لا أُجيبُ العاذلاتِ من الصَّمَمْ

أرادتْ عرارًا[5] بالهَوانِ ومن يُرِدْ * عرارًا لعَمْرِى بالهَوانِ فقد ظَلَمْ

قالت جميلة : أَحْسن عمرو بن شَأْس ولم تُحْسِن إذ أفسدتَ غناءَك بالتعريض. واللّٰه

١٠ ما وَضَعْناك إلّا موضِعَك ولا نقَصْنا من حظّك! فبماذا أَهنّاك! . ثم أقبلتْ على الجماعة فقالت : يا هؤلاء، اصدُقوه وعرِّفوه نفسَه ليَقْنَع بمكانه . فأقبل القومُ عليه وقالوا له : قد أخطأتَ إن كنتَ عَرَّضْتَ . فقال : قد كان ذلك، ولستُ بعائدٍ . وقام الى جميلة فقبَّل طَرَفَ ثوبها واعتذر فقبِلتْ عذرَه وقالت له : لا تَعُدْ . ثم أقبلتْ على ابن عائشة فقالت : يا أبا جعفر هاتِ؛ فتغنّى بشعر النابغة[6] : غناء ابن عائشة

١٥ (١) مثغر : ماء لجهينة . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « سواحله » وكلتا الروايتين غير واضحة . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « فى ثالثة » .

(٤) هكذا فى الأصول . والمراد فى هذه الجملة كلها غير واضح . (٥) هو عرار بن عمرو بن شأس . وقد ورد فى أكثر كتب الأدب ، كالحماسة والكامل للمبرد والشعر والشعراء وطبقات ابن سلام ، مضبوطا بالقلم بكسر العين . وضبطه شارح القاموس فقال : هو كسحاب . وهو ابن عمرو بن شأس من أمة له

٢٠ سوداء ، وكان بينه و بين زوج أبيه أم حسان نزاع وخصام ؛ فقد كانت تؤذيه وتعيره وتشتمه . وحاول عمرو أن يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها . (٦) فى الأصول : « بشعر حسان » وهو خطأ ؛ فهذا الشعر للنابغة الذبيانى وليس لحسان . (راجع ديوان النابغة طبع باريس وشعراء النصرانية ، ومعجم ما استعجم للبكرى ، ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على جولان) .

سقَى الغيثُ قبرًا بين بُصْرَى وجاسِمٍ (1) * عليه من الوَسْمِيّ جَوْدٌ ووابِلُ

وأَنْبتَ حَوْذانًا (2) وعَوْفًا مُنَــوِّرًا * سأُتْبِعُــه من خيرِ ما قال قائلُ

بكَى حارثُ الجَوْلانِ (3) من هُلْكِ ربِّه * فحَوْرانُ منــه خاشــعٌ مُتَضائلُ

وما كان بَيْــنِي لو لَقِيتُك سالمًا * وبين الغِــنَى إلّا ليالٍ قلائــلُ (4)

غناء نافع وبديح

قالت جميلةُ : حَسَنٌ ما قلتَ يا أبا جَعْفر . ثم أقبلتْ على نافع وبُدَيح فقالت : ٥ أُحِبُّ أن تغنِّيَانِى صوتًا واحدا ؛ فغنَّيا جميعًا بصوتٍ واحد ولَحْنٍ واحد :

ألَا يا مَنْ يَلُوم على التصابِى * أَفِقْ شــيئًا لتسمعَ من جوابِى

بَكَرْتَ تَلُومُنِي فى الحبِّ جَهْلًا * وما فى حبِّ مثــلِي من مَعَــابِ

(1) كذا فى ديوانه وشعراء النصرانيــة ومعجم ما استعجم . وبصرى وجاسم : موضعان بالشأم . وفى الأصول : «فلا زال قبر بين بثنى وجلق» . وجلق : دمشق ، وقيل : موضع بقرية من قرى دمشق ، وقيل ١٠ غير ذلك . وأما «بثنى» فلم نقف فى المراجع التى بين أيدينا إلا على «بثنة» وهى ناحية من نواحى دمشق . (2) الحوذان : نبت يرتفع قدر ذراع ، له زهرة حمراء فى أصلها صفرة ، وورقته مدوّرة . والعوف : نبت طيب الرائحة . (3) الجولان (بالفتح والسكون) : قرية ، وقيــل : جبل من نواحى دمشق ثم من عمل حوران . قال ابن دريد : يقال للجبل : حارث الجولان ، وقيل : حارث قلة فيه . وحوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كبيرة ومزارع وحرار ، وما زالت منازل العرب ، ١٥ وذكرها فى أشعارهم كثير ، وقصبتها بصرى . (4) هــذا البيت ليس من شعر النابغة ، وإنما هو من قصــيدة للحطيئة يرثى بهــا علقمة بن علاثة والى حوران من قبــل عمر بن الخطاب رضى الله عنــه . ومنها — كما فى الأغانى (ج ١٥ ص ٥٨ طبع بلاق) ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على حوران — :

لعمرى لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى أعلقته الحبائل

وأما بيت النابغة فهو — كما فى ديوانه طبع أوربا وشرح الشواهد الكبرى للعينى المطبوع على هامش خزانة ٢٠ الأدب ج ٤ ص ١٦٧ طبع بلاق — :

فما كان بين الخير لوجاء سالما * أبو حجــر إلا ليال قــلائل

وهو من القصيدة التى ذكر المؤلف منها هذه الأبيات والتى مطلعها :

دعاك الهوى وٱستجهلتك المنازل * وكيف تصابى المرء والشيب شامل

يرثى بها النعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى . وأبو حجر (بالضم) كنيته ، وحرك فى البيت لضرورة الشعر . ٢٥

أليس من السعادة غيرَ شكٍّ * هَوًى متواصلين على اقترابِ
كريمٌ نال وُدًّا فى عفافٍ * وسترٍ من مُنعَّمةٍ كَعَابِ

فقالت جميلة: هواكما والله واحد وغناؤكما واحد، وأنتما نُحتُّما من بقيّة الكرم وواحدِ الشرفِ: عبدِ الله بن جعفر بنِ أبى طالب[1]. ثم أَقْبلتْ على الهذليِّين الثلاثة فقالت: غَنُّوا صوتًا واحدا؛ فآندفعوا فغنَّوْا بشعر عَنْتَرةَ العَبْسيّ:

غناء الهذليين الثلاثة

٥

حُيِّيتَ من طَلَلٍ تَقادم عهدُه * أَقْوَى وأَقْفَر بعد أمِّ الهَيْثَمِ
كيف المَزَارُ وقد تربَّع أهلُها * بعُنَيْزَتَين[2] وأهلُنا بالغَيْلَمِ
إن كنتِ أَزْمعتِ الفِراقَ فإنما * زُمَّتْ رِكَابُكُمُ بلَيْلٍ مُظْلِمِ
شَرِبتْ بماء الدُّحْرُضَيْنِ[3] فأَصْبحتْ * زَوْراءَ تَنْفِر عن حِياضِ الدَّيْلَمِ

١٣٨
―
٧

قالت: مارأيتُ شيئا أشبهَ بغنائكم من آتّفاق أرواحكم. ثم أقبلتْ على نافع بن طُنْبورةَ فقالت: هاتِ يا نَقْشَ الغَضَار[4] ويا حَسَنَ اللسان؛ فآندفع يغنِّى:

١٠

غناء نافع بن طنبورة

ياطُولَ ليلى وبتُّ لم أَنَمِ * وِسَادِىَ الهَمُّ مُبْطِنٌ سَقَمِى
أنْ قمتُ يومًا على البَلَاطِ فَأَبْ * صرتُ رَقَاشًا وليت لم أَقُمِ

فقالت جميلة: حَسَنٌ والله — ولآبن سُرَيج فى هذا اللحنِ أربعةُ أبياتٍ فى صَوْت — ثم قالت: يا مالكُ هاتِ؛ فإنِّى لم أؤخِّرْك لأنك فى طبقة آخرهم، ولكنِّى أردتُ أن

١٥

غناء مالك بن أبى السمح

(١) فى ب، س: «... وواحد الشرف عنت عبد الله ...». (٢) عنيزة: موضع بين البصرة ومكة. والغيلم: موضع فى ديار بنى عبس. (٣) الباء بمعنى «من» أى شربت من ماء الدحرضين. والدحرضان: اسم موضع، وقيل: هما وسيع ودحرض، ماءان. ثناهما بلفظ الواحد كما يقال القمران للشمس والقمر. فدحرض لآل الزبرقان بن بدر، ووسيع لبنى أنف الناقة. والديلم: الأعداء، وقيل: حياض الديلم بالغور، أو ماءة لبنى عبس؛ وفيه غير ذلك أقوال كثيرة يرجع اليها فى اللسان (مادة دلم) وفى شرح التبريزى على المعلقات. (٤) الغضار: الطين اللازج الأخضر، وهو لقب له.

٢٠

أختِمَ بك يومَنا تبرُّكًا بك وَكَىْ يكون أوّلُ مجلسنا كآخره ووَسَطُه كطَرَفِه، و إنك عندى ومَعْبدًا لفى طريقة واحدة ومذهبٍ واحد، لا يدفع ذلك إلا ظالمٌ ولا ينكره إلا عاضِل. الحقَّ أقول، فمن شاء فَلْيُنكِر؛ فسكتَ القومُ كلُّهم إقرارا لما قالت . وآندفع يغنِّى :

عَدُوٌّ لمن عادَتْ وسِلْمٌ لِسِلْمِها * ومن قرَّبتْ سَلْمَى أحبَّ وقرَّبَا

هَبِينى آمرأً إمّا بريئا ظلمتِه * و إمّا مُسِيئًا تاب بعدُ وأَعْتبا[1]

أقول آلتماسَ آلعُذْر لمّا ظلَمْتِنى * وحمَّلْتِنى ذنباً وما كنتُ مُذْنِبَا

لِيَهْنِئْكِ إشماتُ العدوّ بهَجْرِنا * وقَطْعُكِ حبلَ الوصل حتى تقضّبا

قالت جميلة : ليت صوتَك يامالك قد دام لنا ودمنا له . وقطعت المجلسَ وآنصرف عامّةُ الناس وبقى خواصُّهم . فلما كان اليومُ الثانى حضر القومُ جميعا . فقالت لطُوَيس : هاتِ يا أبا عَبْد النّعيم . قال: فأَنْكر ما فعلتْ جميلةُ فى اليوم الأوّل، لأنّ طُوَيسا لم يكن يرضَى بذلك . فأخبرنى آبنُ جامع أن جميلةَ صَنَّفَتْهم[2] طويسًا[3] وأصحابَه وآبنَ سُرَيج وأصحابَه ، ثم أَقْرعتْ بينهم ، فخرجت القرعةُ الأولى لآبن سُرَيج وأصحابِه والثانيةُ لطُوَيس وأصحابِه . فآبتدأ طويسٌ فغنَّى[4] :

اليوم الثانى من أيام المدينة وغناء طويس

قد طال لَيْلِى وعاد لى طَرَبِى * من حبِّ خَوْدٍ كريمةِ الحَسَبِ

غَرّاءَ مثلِ الهلال آنسةٍ * أو مثلِ تِمْثالِ صُورةِ الذّهبِ

صادت فؤادى بجِيدِ مُغْزِلَةٍ[5] * تَرْعَى رِيَاضًا ملتفَّةَ العُشُبِ

(١) كذا فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٥ ص ٤٧ من طبعة دار الكتب المصرية الطبعة الأولى) . وفى الأصول : « منه » . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : « صفتهم طبقتين طويس ... » والمعنى مستقيم على كلتا الروايتين . (٣) فى الأصول : « طويس » بالرفع . والابدال فى هذا المقام خير من القطع . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فابتدأ طويس وأصحابه فغنى » . (٥) المغزلة : الظبية ذات الغزال .

غناء الدلال

فقالت جميلة : حسنٌ والله يا أبا عبد النَّعيم . ثم قالت للدَّلال : هات يا أبا يَزيد؛ فاندفع فغنَّى :

قد كنت آمُلُ فيكمُ أملًا * والمرء ليس بمدرِكٍ أَمَلَهْ
حتى بدا لى منكمُ خُلُقٌ * فزجَرْتُ قلبى فارْعوَى جهَلَهْ(١)
٥ ليس الفتى بمخلَّدٍ أبدًا * حَيًّا وليس بفائتٍ أجَلَهْ
حَىِّ البَغُومَ ومَنْ بعقْوتِها(٢) * وقفَا العَمُودِ وإن خَلا أَهَلَهْ(١)

غناء برد الفؤاد ونومة الضحى

قالت : حسن والله يا أبا يزيد . ثم قالت لِهيتٍ : إنّا نُجِلُّك اليومَ لِكبَرِ سِنِّك ورِقّة عَظْمِك . قال: أجل يا مامَا . ثم قالت لبَرْدِ الفؤاد ونَوْمةِ الضُّحَى : هاتيَا جميعًا لحْنًا واحدا ؛ فغنّيا(٣) :

١٣٩ / ٧

١٠ إنى تذكَّرتُ فلا تَلْحَنِى * لؤلؤةً مكنونةً تَنْطِقُ
مسكنُها طَيْبةُ لم يَغْذُها * بؤسٌ ولا والٍ بها يَخْرُقُ
قد قلت والعِيسُ سِراعٌ بنا * تُرْقِلُ إرقالًا وما تُعنِقُ(٤)
يا صاحبِى شَوْقِى أرَى قاتِلِى * ومُورِدِى منها جَوًى يُقْلِقُ

غناء فند ورحمة وهبة الله

قالت جميلة : أحسنتما . ثم قالت لِفنْد ورَحْمة وهبة الله : هاتُوا جميعا صوتًا واحدا ١٥ فإنكم متّفقون فى الأصوات والألحان؛ فاندفعوا فغَنَّوْا :

أشاقكَ من نحوالعَقيق بُروقُ * لوامعُ تَخْفَى تارة وتَشُوقُ
ومالِىَ لا أهْوَى جوارىَ بَرْبَرٍ * ورُوحى الى أرْواحِهن تَتُوق
لهنّ جمالٌ فائقٌ ومَلاحةٌ * ودَلٌّ على دَلِّ النساء يَفوقُ

(١) تحريك عين الثلاثى الساكن اذا كان من الحروف الحلقية شائع كثير فى الشعر وفى النثر أيضا .
٢٠ (٢) العقوة : ساحة الدار . والعمود : هضبة مستطيلة عندها ماء لبنى جعفر . وقفاه : وراءه .
(٣) فى الأصول : « فغنتا » بتاء التأنيث وهو تصحيف . (٤) الإرقال : السير السريع . والإعناق : السير المنبسط .

وكان بَرْبَرٌ حاضرًا، فقال: جوارىّ والله على ما وصفتُم، فمن شاء أقرّ ومن شاء أنكر،

غناء جميلة

فقالت جميلة: صدَق. ثم غنّت جميلة بشعر الأعشى ـ ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها ـ:

بانت سُعادُ وأمسى حبلُها انقطعا * واحتلّت الغَوْر فالجَدّيْن فالفَرَعا[1]

واستنكرتْنى وما كان الذى نَكِرَتْ * من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا

تقول بِنْتِى وقد قرَّبْتُ مرتحِلًا * يارَبِّ جَنِّبْ أبى الأوصابَ والوَجَعا ٥

وكان شىءٌ إلى شىء فغيَّره * دهرٌ مُلِحٌّ على تفريق ما جمعا

فلم يُسْمَعْ شىءٌ[2] أحسنُ من ابتدائها بالأمس وخَتْمِها فى اليوم الثانى. وقطعت المجلسَ

اليوم الثالث من أيام المدينة

فانصرف القومُ وأقام آخرون[3]. فلما كان اليومُ الثالث اجتمع الناسُ، فضربتْ سِتارة

وأجلست الجوارىَ كلَّهن فضرَبْنَ وضرَبتْ فضرَبْنَ على خمسين وترا فتزلزلت الدارُ،

ثم غنّت على عُودها وهنّ يضرِبْنَ على ضربها بهذا الشعر: ١٠

فإن خَفِيَتْ كانت لعينك قُرّةً * وإن تَبْدُ يومًا لم يُعَمِّمْك[4] عارُها

من الخَفِرات البِيضِ لم تَرَ غِلْظَةً * وفى الحَسَبِ الضَّخْمِ الرَّفيع نِجارُها

فما رَوْضةٌ بالحَزْنِ طيّبةُ الثَّرَى * يَمُجُّ النَّدَا جَثْجاثُها وعَرارُها[5]

بأطيبَ من فيها اذا جئتَ طارقًا * وقد أُوقِدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها

غناء عزة الميلاء

فدمَعت أعينُ كثيرٍ منهم حتى بَلّ ثوبَه وتنفّس الصُّعَداءَ وقال: بنفسى أنتِ يا جميلةُ!. ١٥

ثم قالت للجوارى: اكْفُفْنَ فكفَفْنَ، وقالت: يا عَزّ غنِّى، فغنّت بشعر لعمرَ:

(١) الجدان: موضع. والفرع (بالتحريك): موضع بين الكوفة والبصرة. ورواية هذا الشطر فى معجم البلدان فى الكلام على الجدين والفرع: «فاحتلت الغمر... الخ». (٢) فى ب، س: «بشىء». (٣) كذا فى الأصول. ولعل صوابها: «فانصرف قوم وأقام آخرون».

(٤) كذا فى ب، س، جـ. وفى م، أ، ء: «لم يعمرك عارها». ولعل صوابه: «لم يغمك عارها» أى لم تأت بعار فيغمك ويحزنك، لأنها عفيفة. (٥) قال أبو حنيفة الدينورى: الجثجاث، من أحرار الشجر، ينبت بالقيظ، له زهرة صفراء كأنها زهرة عرفجة، طيبة الريح، تأكله الإبل اذا لم تجد غيره. والعرار: بهار البر وهو نبت طيب الريح. قال ابن برى: وهو النرجس البرىّ. ٢٠

تذكَّرتَ هنـــدًا وأَعْصـارَها[1] * ولم تَقْضِ نفسُك أوطـارَها
تذكَّرتِ النفسُ ما قـد مضَى * وهاجتْ على العـينِ عُـوَّارَها[2]
لتمنـحَ رامـــةَ منّا الهـــوى * وتَـرْعَى لرامـــةَ أســـرارَها
إذا لم نَزُرْها حِــذارَ العِــدَا * حسَـــدْنا على الزَّوْرِ زُوّارَها

٥ فقالت جميلة : يا عَزّ ، إنك لباقيةٌ على الدهر ، فهنيئا لكِ حسنُ هذا الصوت مع جَوْدة هذا الغناء . ثم قالت لحَبَابةَ وسَلّامةَ : هاتِيَا لَحْنًا واحدا؛ فغنّتَا :

غناء حبابة وسلامة

١٤٠ / ٧

كفَى حَزَنًا أنى أَغيبُ وتَشْهَدُ * وما نَلْتَقِي والقلبُ حَرّانُ مُقْصَدُ
ومن عَجَبٍ[3] أنّى إذا الليلُ جَنّنِي * أقوم من الشوق الشديد وأقعُد
أَحِنُّ اليكم مثـلَ ما حَنّ تائقٌ * إلى الوِرْدِ عَطْشانُ الفؤاد مصرَّدُ[4]
١٠ ولى كَبِدٌ حَرَّى يعـذِّبها الهوَى * ولى جسدٌ يبْـلَى ولا يتجـــدَّدُ

فآستُحْسِن غناؤهما ، ثم أقبلتْ على خُلَيدةَ فقالت لها : بنفسى أنت! غنِّى؛ فغنّتْ :

غناء خليدة

ألَا يا مَنْ يَـلُوم على التَّصـابِى * أَفِقْ شـيئًا لتسمعَ من جوابِى
بكَرْتَ تَلُومُنِى فى الحبّ جَهْـلًا * وما فى حبِّ مثـلى من مَعابِ
أليس من السـعادة غيرَ شَكٍّ * هَوَى مُتواصلين على آقـترابِ
١٥ كريمٌ نال وُدًّا فى عَفَـافٍ * وسَـــتْرٍ من منعَّمةٍ كَعَابِ

فاستُحْسِن منها ما غنّتْ، وهو بلَحْنِها حسنٌ جدًّا . [ثم قالت لعُقَيلة والشَّمّاسِـيّة : هاتِيَا، فغنّتَا :

غناء عقيلة والشماسية

(١) الأعصار: جمع عصر، يريد الأوقات التى كان يجتمع فيها معها . (٢) العوّار : ماعار فى العين من القذى والرمد وأوجعها . (٣) فى أ ، م ، د : «وما عجبى» . (٤) التصريد :
٢٠ سقى دون الرىّ ، ومنه :

* يسقون منها شرابا غير تصريد *

هجرتِ الحبيبَ اليومَ فى غير ما ٱجترَمْ * وقطّعتِ من ذى وُدّك الحبلَ فٱنصرمْ

أطعتِ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ * مقالةَ واشٍ يقرعِ السنَّ من نَدَمْ[1]]

غناء فرعة وبلبلة ولذة العيش

ثم قالت لفَرْعة وبُلْبُلَةَ ولذّةِ العَيْش : هاتِينَ فغنِّينَ؛ فاندفَعْنَ بصوتٍ واحد :

لعَمْرى لئن كان الفؤادُ من الهوى * بَغَى سَقَمًا إنّى إذًا لسَقيمُ

علىّ دِماءُ البُدْنِ إن كان حبُّها * على النأى فى طول الزمان يَرِيمُ

تُلِمُّ مُلِمّاتٌ فيُنسِينَ بَعْدَها * ويُذْكَر منها العهدُ وهو قديمُ

فأُقْسِمُ ما صافيتُ بعدكِ خُلّةً * ولا لكِ عندى فى الفؤاد قسيمُ

غناء سعدة والزرقاء

قالت : أحسنتُنّ ! وهو لعَمْرى حَسَنٌ . وقالت لسُعْدَة والزَّرْقاء : غَنِّيَا؛ فغنّتَا :

قد أرسلونى يُعَزُّونى فقلتُ لهم * كيف العَزاءُ وقد سارتْ بها الرُّفَقُ

ٱستَشْهَدَتِ الرِّيمَ عينيه بجادلها * بمُقْلَتَيْه ولم تُترَكْ له عُنُقُ

فٱستُحْسِن ذلك . ثم قالت للجماعة فغنَّوْا ، وٱنقضى المجلسُ وعاد كلُّ إنسانٍ إلى وطنه . فما رُئِى مجلسٌ ولا جَمْعٌ أحسنُ من اليوم الأوّل ثم الثانى ثم الثالث .

طلب ابراهيم الموصلى الغناء لسماعه صوتا لها

وحدّثتنى عمّتى[2] — وكانت أسنَّ من أبى وعُمِّرتْ بعده — قالت : كان السبب فى طلب أبيك الغناءَ والمواظبةِ عليه لحنًا سمعه لجميلةَ فى منزل يونُسَ بن محمد الكاتب، فٱنصرف وهو كئيبٌ حزين مغموم لم يَطْعَم ولم يُقْبِلْ علينا بوجهه كما كان يفعل . فسألته عن السبب فأمسك، فألححتُ عليه فٱنتهرنى، وكان لى مُكْرِمًا، فغضبتُ وقمتُ من ذلك المجلس الى بيت آخر، فتبِعَنى وترضّانى وقال لى : أُحدِّثكِ ولا كتمانَ منك : عَشِقْتُ صوتًا لٱمرأة قد ماتت، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركْنى اللهُ منه برحمته . فقالت :

(١) الموضوع بين قوسين انفردت به نسختا ب، س . (٢) المتحدّث هو إسحاق بن إبراهيم الموصلى وهو راوى الخبر المتقدم كما مرّ بك .

أتظُنّ أن الله يُحْيِي لك ميّتا ! قال : بل لا أشُكّ . قالت : فما تعليقُك قلبَك بما لا يُعْطاه إلا نبيٌّ ولا نبيّ بعد محمد صلى الله عليه وسلم ! . وأمّا عشقُك الصوتَ فهو أن تَحْـذِقَه وتُغَنِّيَه عشرَ مِرارٍ ، فتَمَلَّه و يذهبَ عشقُك له ! . فكأنه ٱرْعَوَى(١) ورجَع إلى نفسه ، وقام فقبّل رأسي ويدي ورِجْلي وقال لي : فرَّجْتِ عنِّي ما كنتُ فيه من الكَرْب والغمّ ، ثم تمثَّل : «حُبُّكَ الشيءَ يُعْمِي و يُصِمّ» ولزِم بيتَ يونُس حتى حذَق الصوتَ ، ولم يمكث إلا زمنًا يسيرا حتى مات يونُس وٱنضمّ الى سِيَاطٍ ، وكان من أحذقِ أهل زمانه بالغناء وأحسنِهم أداءً عمّن مضَى . قالت عمّتي : فقلت لإبراهيم : وما الصوتُ؟ فأنشدني الشعرَ ولم يُحْسِن أداءَ الغناء :

من البَكَراتِ عِراقيَّةٌ * تُسَمَّى سُبَيعةَ أَطْرِيتُها

مَن آلِ أبي بَكْرَةَ الأكرمين * خَصَصْتُ بودّي فأصْفيتُها

ومن حبّها زرتُ أهلَ العراق * وأَسْخطْتُ أهلي وأرضيتُها

أموتُ إذا شَحَطَتْ دارُها * وأَحْيا إذا أنا لاقيتُها

فأُقْسِم لو أنّ ما بي بها * وكنتُ الطبيبَ لداويتُها

قالت عمّتي : هذا شعرٌ حَسَنٌ ، فكيف به اذا قُطِّع ومُدِّد تمديدَ الأَطْرِبة(٢) وضُرِب عليها بقُضْبان الدِّفْلَى(٣) على بطون المِعْزَى ! فما مضت الأيامُ والليالي حتى سمعتُ اللحنَ مؤدًّى ، فما خَرق مسامعي شيءٌ قطُّ أحسنُ منه ؛ ولقد أذكرني بما يُؤْثَر من حسن صوت داودَ وجمالِ يوسفَ . فبَيْنَا أنا يومًا جالسةٌ(٤) إذ طَلع عليّ إبراهيمُ ضاحكا مستبشرا ؛ فقال لي : ألَا أحدِّثك بعَجَبٍ؟ قلت : وما هو؟ قال : إن لي شريكا

(١) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : « فكان الارعواء » . (٢) هذا جمع غريب .

(٣) الدفلى : نبت مر زهره كالورد الأحمر ، وحمله كالخروب ، وألفه للالحاق عند جماعة فينوّن نكرة ، وللتأنيث عند آخرين فلا ينوّن . (٤) في جميع الأصول : « جالس » .

فى عشق صوت جميلة . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : كنت عند سِياطٍ فى يومنا هذا وأنا أغنّيه الصوتَ وقد وقّفني فيه على شىء لم أكن أحكمتُه عن يونُس، وحضر عند سِياطٍ شيخٌ نبيلٌ فسبّح على الصوت تسبيحا طويلا ، فظننتُ أنه فعل ذلك لاستحسانه الصوت . فلما فرغتُ أنا وسِياطٌ من اللحن قال الشيخ : ما أَعْجب أمرَ هذا الشعر وأَحْسَنَ ماغُنّي به وأحسن ما قال قائله ! . فقلت له دون القوم : وما بلَغ من العَجَب به؟ قال: نعم! حَجّتْ سُبَيعةُ من ولد عبد الرحمن بن أبى بَكْرَة، وكانت من اجملِ النساء ، فأبصرها عمرُ بن أبى رَبيعة ، فلما انحدرتْ الى العراق اتّبعها يُشيّعها حتى بلَغ معها موضعًا يقال له الخَوَرْنَق . فقالت له : لو بلغتَ الى أهلى وخطبتَنى لزوّجوك . فقال لها : ما كنتُ لأُخْلِطَ تشييعى إياكِ بخِطْبة، ولكن أرجعُ ثم آتيكم خاطبا؛ فرجع ومَرّ بالمدينة فقال فيها :

قال ابن أبى ربيعة شعرا فى سبيعة فلحنته وعلمته جارية من جواريه

من البَكَراتِ عِراقيّةٌ * تُسمّى سُبَيعةَ أطريْتُها

ثم أتى بيتَ جميلة فسألها أن تُغنّىَ بهذا الشعر ففعلتْ . فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجَوْدة تأليفها ، فحسُن موقعُ ذلك منه، فوجّه الى بعض مَوَالياته ممن كانت تطلُب الغناء أن تأتىَ جميلةَ وتأخذَ الصوت منها ؛ فطارحتْها إياه أيّاما حتى حذَقتْ ومهَرتْ به . فلما رأى ذلك عمر قال : أرى أن تخرُجى الى سُبَيعة وتغنّيها هذا الصوتَ وتُبلّغيها رسالتى؛ قالت: نعم جعلنى الله فداكَ . فأتتها فرحّبتْ بها، وأعلمتْها الرسالةَ ، فحَيّتْ وأكْرمتْ ، ثم غنّتْها فكادت أن تموت فرحًا وسرورًا لحسن الغناء والشعر . ثم عادت رسولُ عمر فأعلمتْه ما كان وقالت له : إنها خارجة فى تلك السنة . فلما كان أوانُ الحج استأذنتْ سُبَيعةُ أباها فى الحج، فأبَى عليها وقال لها : قد حَجَجْتِ حِجّةَ الإسلامِ . قالت له : تلك الحِجّةُ هى التى أسهرتْ ليلى وأطالت

حج سبيعة ثانية وسؤالها جميلة أن تعميها بشعر عمر فيها

نهارى وتوقتنى[1] الى أن أعود وأزور البيتَ وذلك القبرَ، وإن أنت لم تأذَنْ لى مُتُّ كَمَدًا وغَمًّا، وذلك أن بقائى إنما كان لحضور الوقت ، فإن يئستُ فالموت لا شكَّ نازلٌ بى . فلما رأى ذلك أبوها رَقّ لها وقال : ليس يَسَعُنِى منعُها مع ما أرى بها، فأذن لهـا . ووافَى عمرُ المدينةَ ليعرف خبرَها ؛ فلما قدمتْ علم بذلك . وسألها أن تأتىَ منزلَ جميلة ، وقد سبَق اليـه عمرُ، فأكرمتْها جميلةُ وسُرَّتْ بمكانها . فقالت لهـا سُبَيعة : جعلنى الله فِداكِ ! أَقْلقنى وأَسْهرنى صوتُكِ بشعر عمرَ فىّ، فأَسْمعينِى إيّاه . قالت جميلةُ : وعَزَازةً لوجهكِ الجميل ! فغنّتْها الصوتَ ، فأُغْمِىَ عليها ساعةً حتى رُشّ على وجهها المـاءُ وثاب اليها عقلُها . ثم قالت : أعيدى علىّ، فأعادت الصوتَ مرارًا فى كل مرّة يُغْشَى عليها . ثم خرجتْ الى مكة وخرج معها . فلمـا رجعتْ مَرّتْ بالمدينة وعمرُ معها ، فأتت جميلةَ فقالت لها : أعيدى علىّ الصوتَ ففعلتْ، وأقامتْ عليها ثلاثا تسألها أن تُعيد[2] الصوتَ . فقالت لهـا جميلة : إنى أُريد أن أغنّيَكِ صوتا فاسمعيه . قالت : هاتِيه يا سيّدتى، فغنّتْها :

أبتِ المليحةُ أن تُواصِلَنِى * وأظنُّ أنى زائـــرٌ رَمْسِى
لا خيرَ فى الدنيـا وزِينتِها * ما لم تُوَافِقْ نفسُها نفسِى
لا صبرَ لى عنها إذا حَسَرتْ * كالبدر أو قَرْنٍ من الشمس
ورمتْ فؤادَك عند نظرتها * بمَـــلاحةِ الإيثار[3] والأُنْس

قالت سُبيعة : لولا أنّ الأوّل شعر عمرَ لقدّمتُ هذا على كلّ شىء سمعتُه . فقال عمر: فإنه والله أحسنُ من ذلك، فأمّا الشعرُ فلا . قالت جميلةُ : صدقتَ والله . قالت عمتى قال لها أبى : لعَمْرى إنّ ذلك على ما قالا .

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « وذوبت قلبى أن أعود ... الخ » .
(٢) فى ب ، س : « عليه » . (٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصـول هكذا : « الأنياب » أو « الأيناب » . وجميع الروايات غير ظاهرة .

ولابن سُرَيج فى هذا الشعر لَحْنٌ عن جَميلة وربما حُكى بزيادةٍ أو نقصانٍ أو مثلاً بمثل .

جمعت الناس فى دارها وقصت عليهم رؤياها واعتزامها ترك الغناء فاختلفوا وخطب شيخ يحبذ الغناء فرجعت

أخبرنى من يفهم الغناء قال :

بلغنى أنّ جميلة قعدتْ يومًا على كرسىٍّ لها وقالت لآذنتها : لا تحجُبى عنّا أحدا اليوم، وآقعدى بالباب، فكل من يمرّ بالباب فآعْرِضى عليه مجاسى؛ ففعلتْ ذلك حتى غَصّتِ الدارُ بالناس؛ فقالت جميلةُ : اصعَدوا الى العَلَالِىّ؛ فصعِدتْ جماعةٌ حتى امتلا تِ السطوحُ . فجاءتها بعض جواريها فقالت لها : يا سيّدتى، إن تمادَى أمرُكِ على ما أرى لم يبْقَ فى دارك حائطٌ إلّا سقط، فأَظْهِرى ما تريدين . قالت : اجلسى . فلما تعالَى النهارُ وآشتدّ الحرّ آستسقَى الناسُ الماءَ فدَعَتْ لهم بالسَّوِيق (١)، فشرب من أراد؛ فقالت : أقسمتُ على كل رجل وآمرأة دخل منزلى إلّا شرب، فلم يبق فى سُفْلِ الدار ولا عُلُوها أحد إلّا شرب، وقام على رءوسهم الجوارى بالمناديل والمَراوح الكبار، وأمرتْ جواريَها فقُمْنَ على كراسىّ صِغارٍ (٢) فيما بين كلّ عشرةِ نَفَرٍ جاريةٌ تروّح . ثم قالت لهم : إنّى قد رأيتُ فى منامى شيئا أَفْزَعنى وأرْعَبنى (٣)، ولستُ أعرف ما سببُ ذلك، وقد خِفتُ أن يكون قَرُبَ أجلى، وليس ينفعنى إلّا صالحُ عملى، وقد رأيتُ أن أترك الغناء كراهةَ أن يَلْحَقنى منه شىء عند ربى . فقال قوم منهم : وفّقكِ الله وثبّت عَزْمكِ! وقال آخرون : بل لا حَرَجَ عليكِ فى الغناء . وقال شيخ منهم ذو سنّ وعلم وفقه وتجربة : قد تكلمت الجماعةُ، وكلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحُون، ولم أعترض عليهم فى قولهم ولا شَرِكْتُهم فى رأيهم ، فآستمِعوا الآن لقولى وَأَنْصِتُوا

(١) السويق : شراب يتخذ من الحنطة والشعير . (٢) كلمة : « على كراسىّ صغار » ساقطة من ب، س. (٣) ذكر ابن الأعرابى فى نوادره وثعلب فى الفصيح أنه لا يقال : «أرعبه» بالهمز، وتبعهما الجوهرى، وغيرهم رأى جوازه . (راجع شرح القاموس مادة رعب) .

١٤٣ / ٧

ولا تَشْغَبُوا الى وقت انقضاء كلامى؛ فمن قبِل قولى فالله موفِّقُه، ومن خالفنى فلا بأس عليه إذ كنتُ فى طاعة ربى . فسكت القومُ جميعا . فتكلّم الشيخ فحمِد اللهَ وأثنى عليه وصلّى على محمد النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا معشر أهلِ الحجاز، إنكم متى تخاذلتم فَشِلتم ووثب عليكم عدوّكم وظفر بكم ولا تُفْلحوا بعـدها أبدا . إنكم قد آنقلبتم على أعقابكم لأهل العِراق وغيرهم ممّن لا يزال يُنْكِر عليكم ما هو وارثُه عنكم، لا ينكره عالمكم ولا يدفَعه عابدُكم بشهادة شريفكم ووَضيعكم يندب اليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزّكم . فأكثرُ ما يكون عند عابدكم فيـه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهد(١) فى الدنيا؛ لأن الغناء من أكبر اللذات وأَسَرّ للنفوس من جميع الشهوات، يُحْيِى القلبَ ويزيد فى العقل ويَسُرّ النفسَ ويَفْسَحُ فى الرأى ويتيسَّر به العَسير وتفتح به الجيوش ويذلَّل به الجبّارون حتى يمتهنوا أنفسَهم عند آستماعه، ويُبْرِئُ المَرْضَى ومن مات قلبُه وعقله وبصره، ويزيد أهلَ الثروة غِنًى وأهلَ الفقر قناعةً ورِضًا باستماعه فيَعْزِفُون(٢) عن طلب الأموال . من تمسَّك به كان عالما ومن فارقه كان جاهلا؛ لأنه لا منزلةَ أرفعُ ولا شىءَ أحسنُ منه؛ فكيف يُستصوب تركه ولا يُسـتعان به على النشـاط فى عبادة ربّنا عزّ وجلّ . وكلامٌ كثيرٌ غيرُ هذا ذهب عن المحدِّث به(٣)، فما ردَّ عليه أحد ولا أنكر ذلك منهم بَشَرٌ(٤)، وكلٌّ عاد بالخطأ على نفسه وأقرّ بالحق له . ثم قال لجميلة : أَوَعَيْتِ ما قلتُ ووقع من نفسك ما ذكرتُ ؟ قالت : أجلْ وأنا أستغفر اللهَ . قال لها : فآختِمى مجلسَنا وفرّقى جماعتَنا بصوت فقط؛ فغنّتْ :

أفى رسمِ دارٍ دمعُـــك المترقرِقُ * سَفَاهًا! وما آستنطاقُ ما ليس يَنْطِقُ

---

(١) وردت هذه الجملة هكذا فى الأصول، وهى غير واضحة . (٢) فى ج : « فيستغنون » .
(٣) فى ب، س : « ذهب على المحـدث » وهو تحريف . (٤) فى ب، س : « بالفضل له » .

بحيثُ ٱلتقى جَمْعٌ وأَقْصَى مُحَسِّرٍ[1] * مَغَانيه قد كادتْ عن العهد تَخْلُقُ
مُقَامٌ لنا بعد العِشاء ومنزلٌ * به لم يكدِّرْه علينا مُعَوِّق
فأحسنُ شيء كان أوّلُ ليلنا * وآخرُه حزنٌ اذا نتفرّق

فقال الشيخ : حَسَنٌ واللهِ! أمثلُ هذا يترك[2]! فيم تَتَشاهدُ الرجالُ! لا واللهِ ولا لمن خالف الحقّ . ثم قام وقام الناس معه، وقال: الحمد لله الذى لم يفرّق جماعتنا اليأس من الغناء ولا بجحودِ فضيلته، وسلامٌ عليكِ ورحمةُ الله يا جميلة .

وصف مجلس لها غنت فيه ورقصت وغنى المغنون ورقصوا

وقال أبو عبد الله: جلستْ جميلة يومًا ولبست بُرْنُسًا طويلا، وألبستْ من عندها برانسَ دون ذلك، وكان فى القوم ٱبنُ سُرَيج، وكان قبيحَ الصَّلَع قد اتخذ شعر[3] يضعها على رأسه، وأحبّتْ جميلةُ أن ترى صَلْعتَه . فلما بلَغ البرنسُ إلى ٱبن سُ قال : دبّرْتِ علىّ وربِّ الكعبة! وكشَف صَلْعتَه ووضع القَلَنْسِيةَ على رأسه، و القومُ من قُبْح صَلْعتِه، ثم قامت جميلةُ ورَقَصتْ وضربتْ بالعود وعلى رأسها البُ الطويل وعلى عاتقها بُرْدةٌ يَمَانِيةٌ وعلى القوم أمثالُها، وقام ٱبنُ سُرَيج يرقُص و والغَريض وٱبنُ عائشة ومالكٌ وفى يد كلّ واحد منهم عود يضرب به على ض جميلة ورَقْصِها، فغنَّت وغنَّى القومُ على غنائها :

ذهب الشبابُ وليتَه لم يَذْهبِ * وعَلَا المَفَارِقَ وَقْعُ شيبٍ مُغْرِبِ[4]
والغانياتُ يُرِدْنَ غيرَك صاحبًا * ويَعِدْنَكَ الهِجْرانَ بعد تقرُّبِ

(١) جمع : علم للمزدلفة . ووادى محسر : موضع بين منى والمزدلفة وليس من منى ولا مزدل هو واد برأسه، وقيل فيه غير ذلك . (راجع معجم البلدان لياقوت) . (٢) فى ب ، « أمثل هذا ينزل فيه مشاهد الرجال لا والله لا ينزل هذا ولا كرامة » وهى محرفة .

(٣) كذا فيما سيأتى . وفى الأصول هنا : « وفرة شعرة » وهو تحريف . والوفرة : الشعر ا على الرأس أو ما سال على الأذنين منه . (٤) مغرب : أبيض .

إنّى أقولُ مقالةً بتجاربٍ * حقًّا ولم يُخْبِرْكَ مثلُ مجرّبِ
صَافِ الكريمَ وكُنْ لعِرْضِكَ صائنًا * وعن اللئيم ومثله فتنكّبِ

ثم دعتْ بثياب مُصَبَّغة ووَفْرة شعر مثل وفرة ٱبن سُرَيج فوضعتْها على رأسها، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا، ثم ضربتْ بالعود وتمشّتْ وتمشّى القوم خَلْفَها، وغنّتْ وغنّوا بغنائها بصوت واحد:

يَمْشِينَ مَشْىَ قَطَا البِطاحِ تَأَوُّدًا * قُبَّ البطون رواجحَ الأكفالِ
فيهنّ آنسةُ الحديثِ حَيِيّةٌ * ليست بفاحشةٍ ولا مِتْفالِ (١)
وتكونُ رِيقتُها إذا نَبَّهْتَها * كالمسك فوق سُلافة الجِرْيالِ (٢)

ثم نَعَرتْ ونَعَر القوم طربًا، ثم جلستْ وجلسوا وخلعوا ثيابَهم ورجعوا الى زِيّهم، وأذِنتْ لمن كان ببابها فدخلوا، وٱنصرف المغنّون وبقى عندها من يُطارحها من الجوارى.

استزارت عبد الله ابن جعفر لمجلس غناء هيأته له فزارها

وحدّثتنى عمّتى قالت: سمعت سِيَاطًا يحدّث أباك يومًا بأحاديث جميلةَ فقال: بنفسى هى وأمّى! فما كان أحسن وجهَها وخَلْقَها (٣) وغناءَها! ما خلّفتِ النساءُ مثلَها شبيها؛ فأعجبنى ذلك. ثم قال سياط: جلستْ جميلةُ يومًا للوفادة عليها، وجعلت على رءوس جواريها شعورًا مُسْدَلةً كالعناقيد الى أعجازهنّ، وألبستهنّ أنواع الثياب المصبّغة ووضعتْ فوق الشعور التيجانَ، وزيّنتهن بأنواع الحلىّ، ووجّهتْ الى عبد الله بن جعفر تستزيره، وقالت لكاتب أمْلتْ عليه: "بأبى أنت وأمّى! قَدْرُك يَجِلّ عن رسالتى وكَرَمُك (٤) يحتمل زَلّتى؛ وذنبى لا تُقال عَثْرتُه ولا تُغْفَر حَوْبتُه. فإن

(١) المتفال: المتغيرة الريح لترك التطيب والادّهان. (٢) الجريال: من أسماء الخمر.
(٣) فى ب، س: «... وجهها وخلقها وخلقها وغناءها ...». (٤) فى ب، س: «ولكن كرمك الخ» بزيادة كلمة «لكن» ولعلها مقحمة من الناسخ.

صَفَحْتَ فالصفحُ لكم مَعْشرَ أهلِ البيت يُؤثر، والخيرُ والفضلُ كله[1] فيكم مُدَّخر، ونحن العبيد وأنتم المَوَالِى . فطُوبَى لمن كان لكم مُقَارِباً والى وجوهكم ناظرا! وطُوبَى لمن كان لكم[2] مُجاورا، وبعِزِّكم قاهرا، وبضيائكم مبصرا! والويل لمن جهل قَدْرَكم ولم يعرِف ما أوجبه الله على هذا الخَلْق لكم! فصغيرُكم كبير بل لا صغيرَ فيكم، وكبيرُكم جليلٌ بل الجلالةُ التى وَهَبها الله عزّ وجلّ للخلق هى لكم ومقصورةٌ عليكم . و بالكتاب نسألُك وبحقّ الرسول ندعوك إن كنتَ نشيطا لمجلس هَيّأتُه لك لا يحسُن إلّا بك ولا يتمّ إلا معك، ولا يصلُح أن يُنْقَل عن موضعه، ولا يُسْلَكُ به غيرُ طريقه" . فلما قرأ عبد الله الكتّاب قال : إنّا لنعرف تعظيمَها لنا وإكرامَها لصغيرنا وكبيرنا . وقد علمتُ أنّها قد آلتْ أَلِيّةً ألّا تغنِّىَ أحدًا إلّا فى منزلها . وقال للرسول : والله قد كنتُ على الركوب الى موضع كذا[3] وكان فى عَزْمى المرورُ بها . فأمّا إذ وافق ذلك مُرَادَها فإنّى جاعلٌ بعد رجوعى طريقى عليها . فلمّا صار الى بابها أدخل بعضَ مَنْ كان معه اليها وصَرف بعضَهم . فنظر الى ذلك الحُسْنِ البارع والهيئة الباذّة[4]، فأعجبه ووقع من نفسه؛ فقال : يا جميلة! لقد أُوتيتِ خيراً كثيرا، ما أحسنَ ما صنعتِ! . فقالت : يا سيّدى، إنّ الجميل للجميل يصلُح ، ولك هيّأتُ هذا المجلس . فجلس عبد الله بن جعفر وقامتْ على رأسه وقامت الجَوَارِى صَفَّيْنِ؛ فأقسم عليها فجلستْ غيرَ بعيد . ثم قالت : يا سيّدى، ألَا أُغَنّيك؟ قال : بلى! فغنّتْ :

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س . (٢) فى جميع الأصول عدا ب ، س : «لمن كان لكم أيضا مجاورا» . (٣) فى ب ، س : «الى موضع كذا وكذا» . (٤) الهيئة الباذة : الغالبة الفائقة . وفى ج : « والهيئة البارزة » .

بَنِى شَيْبَةِ الحمــدِ[(١)] الّذى كان وجهُه * يُضِىء ظلامَ اللّيــلِ كالقمر البَدْرِ
كُهُولُهُمُ خَــيرُ الكهولِ ونَسْلُهم * كنســلِ الملوكِ لا يَبُورُ ولا يحرى[(٢)]
أبو عُتْبَــةَ المُلْقِى إليــك جَمَــالَه * أغرُّ هِجانُ اللّوْنِ من نَفَرٍ زُهْرِ
لساقِى الحجيــج[(٣)] ثم للخَــيْرِ هاشمٍ * وعبدِ منافٍ ذلك الســيِّدِ الغَمْرِ
٥ أبوكم قُصَىٌّ كان يُدْعَى مُجَمِّعًا * به جَمَّــع اللهُ القبائلَ من فِهْــرِ

فقال عبد الله : أحسنتِ ياجميلةُ وأحسنَ حُذَافةُ ما قال ! بالله أَعِيديه علىّ ؛ فأعادته ، فجاء الصوت أحسنَ من الآرتجال . ثم دعت لكل جاريةٍ بعودٍ وأمرتْهن بالجلوس على كراسىّ صغارٍ قد أعدّتها لهنّ ، فضربن وغنّتْ عليهنّ هــذا الصوتَ وغــنّى جواريها على غنائها . فلمّا ضربنَ جميعًا قال عبد الله : ماظننتُ أنّ مثلَ هذا يكون! ١٠ وإنّه لَمّــا يَفْتِن القلبَ ! ولذلك كَرِهه كثيرٌ من الناس لِمــا علموا فيه . ثم دعا بَبَغْلته فركبها وآنصرف الى منزله . وقد كانت جميلةُ أعدّتْ طعاما كثيرًا ، وكان أراد المُقام ، فقال لأصحابه : تَخَلّفوا للغداء ، فتَغَدَّوْا وآنصرفوا مسرورين . وهذا الشعر لحُذافة[(٤)] بن غانم بن عُبَيد الله بن عُوَيْج بن عَدِىّ[(٥)] بن كَعْب يمدح به عبد المطّلب .

(١) شيبة الحمد : لقب عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ لقب بذلك لكثرة حمد الناس له ؛ لأنه كان ١٥ مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الأمور ، وكان شريف قريش وسيدها كمالا وفعالا غير مدافع . وقيل : لأنه ولد وفى رأسه شيبة ؛ وفى لفظ كان وسط رأسه أبيض ؛ أو سمى بذلك تفاؤلا بأن يبلغ سن الشيب . (راجع ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه) . وفيه : «بنو شيبة الحمد» . (٢) يبور : يهلك . ويحرى : ينقص . (٣) ساقى الحجيج هو عبد المطلب هــذا ، فهو الذى حفر زمزم .

(٤) فى السيرة لابن هشام ومعجم البلدان لياقوت : «حذيفه» . وقد نسب هذا الشعر أيضا لمطرود ٢٠ ابن كعب الخزاعى الشاعر . (راجع الطبرى ص ١٠٨٨ ، ١٠٩٥ من القسم الأوّل طبع أوربا ، وصفحة ٥ من كتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٧٣ تاريخ) .

(٥) فى الأصول : «عامر» وهو تحريف . (راجع الطبرى ص ١٠٩٥ من القسم الأول طبع أوربا ومعجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ١٤٤ طبع أوربا والسيرة ج ١ ص ٩٦ ، ١١١ طبع أوربا ، وما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه) .

قال وحدّثنى بعض المكّيين قال :

كان العَرْجىّ (وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان) شاعرًا سَخيًّا شجاعا أديبًا ظريفًا. ويشبَّه شعرُه بشعر عُمَر بن أبى ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قُدِّما عليه ؛ وقد نُسِبَ كثيرٌ من شعره الى شعرهما ، وكان صاحبَ صَيْد . فخرج يومًا متنزِّهًا من مكّة ومعه جماعةٌ من غِلْمانه ومَوَاليه ومعه كِلَابُه وفُهوده وصُقُوره وبوازيه نحوَ الطائف الى مالٍ له بالعَرْج — وبهذا الموضع سُمّى العَرْجىّ — فجرى بينه وبين مولًى لبنى أميّة كلامٌ ، فأمضّه المولى فكفَّ عنه العرجىّ حتى أوَى الى منزله ، ثم هجَمَ عليه ومعه غِلْمانه فأمَرهم أن يُوثِقوه، ثم أمرهم أن ينكحوا آمرأتَه وهو يراهم ففعلوا، ثم أخرجه فقتله . فبلغ أميرَ مكّة ما فعل فطلَبه ، فخرج من منزله وأخرج معه غِلمانَه ومَوَاليَه وآلةَ الصَّيْد وتوجّه نحو المدينة وقد ركب أفراسَه وأعدّ عُدّتَه . فلم يزل يتصيّد ويَتَقصف فى طريقه حتى دخل المدينةَ ليلًا، وأراد المُقام فى منزل جميلة، وكانت آلت ألّا تغنّى بشعره ولا تُدخلَه منزلَها لكثرة عَبَثه وسَفَهه وحَداثة سنّه. فلما أعْلِمتْ بمكانه ليلًا قالت : طارق! إن له لشأنا! فآستخبرت خبرَه فقيل لها : إنه قدِم مُسْتَخْفِيًا، ولم يَرَ بالمدينة موضعًا هو أطيبُ له من منزلك، والأيمانُ تكفَّر، والأشرافُ لا يُرَدُّون . فقالت لرسولها اليه : منزلى منزلُ جَوَارٍ، ولا يمكن مثلَك الآستخفاءُ فيه، فعليك بالأحوص — وكان الأحوص مُجانبًا له لشيء جرى بينه وبينه فى منزل جميلة — فقال : أنَّى لى بالأحوص مع الذى كان بيننا! قالت : آئته عنّى وقل له : قد غنّينا بذلك الشعر، فإنْ أحببتَ أن تظهر وتبقى مودّتنا لك، فأصلح ما بينك وبين عبد الله، إذ أُصْلِح ما بيننا، وأنْزِلْه منزلك . قال لها : ليس هذا بمُقْنِعِى، أمّا إذ أبَيْتِ أن أقيم بمنزلك فوَجّهى معى رسولًا الى الأحْوَص، فإنّ منزله أحبُّ المنازل الىّ بعد منزلك .

فوجّهت معه الى الأحوص بعضَ مَوْلَياتها، فأنزله الأحوص وأكرمه وأحسن جُوارَه وستَرَ أمرَه . فقال شعرا ووجّه به الى جميلة :

ألَا قاتَل الله الهَوى كيف أخلَقَا * فلم تُلْفِه إلّا مَشُوبًا مُمَذَّقَا[1]
وما من حبيبٍ يستزير حبيبَهَ * يُعاتبه فى الودّ إلا تفرَّقا
أمَرّ وصالُ الغانياتِ فأصبحت * مَضَاضتُه يشجَى بها مَنْ تمطَّقا[2]
تعلّق هذا القلبُ للحَيْنِ مَعْلَقًا * غزالًا تحلَّى عِقْدَ دُرٍّ ويارَقا[3]
إذا قلتُ مهلًا للفؤاد عن التى * دعتك اليها العينُ أغضَى وأطْرَقا
دعانا فلم نَسْتَبْقِ حُبًّا بما نَرَى * فما منك هذا العذلُ إلا تَخَرُّقا[4]
فقد سنّ هذا الحبَّ مَنْ كان قبلَنا * وقاد الصِّبا المرءَ الكريمَ فأعنقَا[5]

فلمّا قرأتْ شعرَه رقّتْ له وقالت : كيف لى بإيلائى ألّا يدخل منزلى ولا أغَنّيه بشعره؟! فقيل لها : يدخل منزلك وتغنّين وتكفِّرين عن يمينك . فوجّهتْ إليه أنْ صِرْ إلينا والأحْوَص فى تلك الليلة، بجاءاها، وعرّفت الأحوصَ تكفيرَ اليمين، فقال لها : وأنا والله شفيعُه اليك، ففرِّجى ما به من غَمٍّ فقد فارق من يحبّ ويهوَى، فتؤْنسينه وتَسرّينه وتغنّينه بشعره . فغنّت :

ألَا قاتَلَ اللهُ الهوَى كيف أخلقَا * فلم تُلْفِهِ إلّا مشوبًا مُمَذَّقا

وحدّثنى بعض أهلنا قال قال يونس بن محمد :

كان الأحوص معجبا بها وملازما لها فصار اليها بغلام له جميل فأخرجته خوف الفتنة ثم دعتهما دعوة خاصة وغنتهما

كان الأحوصُ مُعْجَبًا بجميلة، ولم يكن يكاد يُفارق منزلها اذا جلستْ . فصار اليها يومًا بغلام جميل الوجه يفتن مَنْ رآه، فشغَل أهلَ المجلس، وذهبت اللحونُ عن

(١) ممذقا : مخلوطا، يقال : فلان يمذق الود اذا لم يخلصه . (٢) تمطق : تذوّق وتمضغ .
(٣) اليارق : السوار . (٤) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول :
دعانا فلم نسبق محبا بما نرى * فما منك هذا الغدر إلا تخرقا
(٥) الإعناق : السير المنبسط . يريد أن الصبا إذا قاد المرء الكريم انقاد له وجرى فى ميدانه .

الجوارى وخلطن فى غنائهنّ . فأشارت جميلة الى الأحوص أن أَخْرِج الغلام؛ فالخَلَل قد عمّ مجلسى وأفسد علىّ أمرى . فأبى الأحوصُ وتغافل ، وكان بالغلام مُعْجَبا ، فآثر لذّته بالنظر الى الغلام مع السماع . ونظر الغلامُ الى الوجوه الحسان من الجوارى ونظرن اليه ، وكان مجلسًا عامًّا . فلما خافت عاقبةَ المجلس وظهورَ أمره أمرتْ بعضَ مَنْ حضر بإخراج الغلام فأُخْرِج ؛ وغضب الأحوص وخرج مع الغلام ولم يقلْ شيئا ؛ فأحمد[1] أهلُ المجلس ما كان من جميلة ، وقال لها بعضهم : هذا كان الظنَّ بك ، أكرمك الله ! فقالت : إنه والله ما آستأذننى فى المجىء به ولا علمتُ به حتى رأيته فى دارى ، ولا رأيتُ له وجهًا قبل ذلك ؛ وإنه لَيعزّ علىّ غضبُ الأحوص ، ولكن الحقّ أولى ، وكان ينبغى له ألّا يُعَرِّض نفسَه وإيّاىَ لمـا نكره مثلَه . فلمّا تفرّق أهلُ المجلس بعثتْ اليه : الذنبُ لك ونحن منه بُرَءاءُ ؛ إذ كنتَ قد عرفتَ مذهبى ، فلِمَ عَرّضتَنى للّذى كان ؛ فقد ساءنى ذلك وبلَغ منّى ؛ ولكن لم أجد بُدًّا من الذى رأيت إمّا حياءً وإمّا تصنُّعا . فردّ عليها : ليس هـذا لك بعذر إن لم تجعلى لى وله مجلسًا نخلو فيـه جميعًا تَمْحِينَ به ما كان منك . قالت : أفعلُ ذلك سرًّا ؛ قال الأحوص : قد رَضيتُ . فجاءاها ليلًا فأكرمتهما ، ولم تُظهر واحدةً من جواريها على ذلك إلّا عجائزَ من مَواليها . وسألها الأحوص وأقسم عليها أن تغنّيه من شعره :

١٤٧ / ٧

و بآلقَفْر دارٌ من جميلةَ هيجتْ * سوالفَ حُبٍّ فى فؤادكَ مُنْصِبِ
وكانت إذا تنأى نَوًى أو تفرّقتْ * شِدَادُ الهَوَى لم تدرِ ماقولُ مِشْغَبِ[2]
أسيلةُ مَجْرَى الدمعِ خُمْصانةُ الحَشَا * بَرُودُ الثّنـايا ذاتُ خَلْقٍ مُشَرْعَبِ[3]

(١) أى رضوا ما كان منها وصار عندهم محمودا . (٢) كذا فى ا ، ء ، م . والمشغب : المشاغب والعاند عن الحق . وفى ب ، س : « لم تدر ما متشعب » ولعلها : « ما متشعبى » أى لم تدر مذهبى ولا أين طريق . (٣) المشرعب : الطويل .

ترى العـينُ ما تهوَى وفيها زيادةٌ * من الحسنِ إذ تبدو ومَلْهًى لمُلْعِبِ[1]

قال يونس : مالها صوتٌ أحسنُ منـه، وآبنُ مُحْرِزٍ يغنّيه وعنها أخذه، وأنا أغَنّيه فتُعجبنى نفسى ويدخلنى شىء لا أعرفه من النَّخْوة والتِّيه[2] . وقال المحدِّث لى بهذا الحديث عن يونس : إنّ هذا للأحوص فى جميـلة . والذى عنـدى أنه لطُفَيْل الغَنَوىّ قاله فى آبن زيد الخيل، وهو زيد بن المُهَلْهِل بن المُخْتَلِس بن عبـد رُضًا[3] أحدُ بنى نَبْهان، ونَبْهان لقبٌ له، ولكنه سُـودانُ[4] بن عمرو بن الغَوْث بن طيِّئ، أغار على بنى عامر فأصاب بنى كلاب وبنى كَعْب، وآستحرّ القتلُ[5] فى غَنِىِّ بن أعْصُر ومالك بن أعْصُر، وأعصر هو الدخان، ولذلك قيل لهما ابنا دخان، وأخوهما الحارث وهو الطُّفَاوةُ[6] وهو مالك بن سعد بن قيس بن عَيْلان، وغَطَفان بن سـعد عمُّهم . وكانت غَنِىّ مع بنى عامر فى دارهم موالِىَ[7] لنمير، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء، ثم إنّ غنيًّا أغارتْ على طيِّئ وعليهم سيار بن هريم[8]؛ فقال فى ذلك قصيدته الطويلة :

وبالقفر دارٌ من جميـلة هيّجتْ * سوالفَ شوقٍ فى فؤادك مُنْصِبِ

(١) ألعب المرأة : جعلها تلعب أو جاءها بما تلعب به . (٢) لعلها : « ويداخلنى » .

(٣) يلاحظ أن ما أورده المؤلف هنا من الأسماء فى نسب زيد الخيل يخالف ما أورده فى ترجمته (ج ١٦ ص ٤٧ طبع بلاق) . (٤) كذا فى أسد الغابة فى ترجمة زيد الخيل . وفى ب، س : « أسـود بن عمرو » . وفى سائر الأصول : « أسودان بن عمـرو » . وكلاهما تحريف .

(٥) كذا فى ب، س . وفى أكثر الأصول : « ... واستحر القتل فى غنى بن أعصر وأعصر اسمه مالك وأعصر هو الدخان ولذلك قيـل لهما ابنا دخان وأخوهما ... الخ » . وظاهر أن فى هـذه العبارة خطأ . والذى فى كتاب المعارف لابن قتيبة أن أعصر بن سـعد ولد غنىّ بن أعصر ومعن بن أعصر وهو أبو باهـلة ومنبه بن أعصر وهم الطفاوة » . وفيما بينـه وبين ما فى الأصول هنا خلاف كبير .

(٦) كذا فى الأصول . ولعل صواب العبارة : « وهو الطفاوة بن أعصر بن سعد ... الخ » .

(٧) فى الأصول : « مواليا لنمير » . (٨) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : «سنان ابن هديم» .

لحنت قصيدة لعمرو ابن أحمر بن العمرد فى عمر بن الخطاب لحنا جميلا ، ونبذة عن ترجمة ابن أحمر

وحدّثنى أيّوب بن عَبَاية قال :

كان عمرو بن أحمر بن العَمَرّد[1] بن عامر بن عبد شمس بن فَرّاص بن مَعْن بن مالك ابن أَعْصُر بن قيس بن عَيْلَان بن مُضَر من شعراء الجاهليّة المعدودين ، وكان ينزل الشأم ، وقد أدرك الإسـلام وأسلم ، وقال فى الجاهليّـة والإسلام شـعرا كثيرا وفى الخلفاء الذين أدركهم : عمرَ بنِ الخطاب فمن دونه الى عبد الملك[2] بن مروان ، وكان فى خيل خالد بن الوليد حين وجّه أبو بكر خالدًا الى الشأم ، ولم يأتِ أبا بكر . وقال فى خالد رحمه الله :

إذا قال سـيفُ الله كُرُّوا عليهمُ * كَرَرْتُ بقلبٍ رابطِ الجأْش صارمِ

وقال فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصيدة له طويلة جيّدة :

أدركتُ آل أبى حَفْصٍ وأُسْرتَه * وقبـل ذاك ودهرًا بعـده كَلِبَا

قـد ترتمى بقوافٍ بيننـا دُوَلٌ * بين الهناتين[3] لا جِدًّا ولا لَعِبَا

اللهُ يعـلم ما قـولِى وقولُهـمُ * إذ يركبون جِنَانًا[4] مُسْهَبًا وَرِبَا

وقال فى عثمان بن عفّان رضى الله عنه :

حتّى فليس الى عثمانَ مُرْتَجَعٌ * إلّا العـداء وإلّا مُكْنَـعٌ[5] ضررُ

---

(١) كذا فى نسخة المرحوم الشنقيطى والشـعر والشعراء والمعارف لابن قتيبة . وفى الأصـول : «عمر بن أحمد بن العمرد» . وهو تحريف . (٢) وقيل : إنه مات فى عهد عثمان رضى الله عنه . (راجع معجم الشعراء للرزبانى) . (٣) فى ب ، س : «بين الهباتين» . ولم نهتد الى الصواب فيه . (٤) الجنان : الأمر الخفىّ . والوِرب (وزان فرح) : الفاسد . أى يركبون أمرا ملتبسا فاسدا . (راجع اللسان مادة جنن) . (٥) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « مكبع صور » . والمكنع : الذليل الحقير .

إخالُها سَمِعت عَــزْفًا فتحسَبه * إهابةَ القَسْرِ ليـلًا حين تنتشر[1]

وقال فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

مَنْ مُبلِغٌ مَألُكًا عـنّى أبا حَسَنٍ * فأرْتَجْ لخَصْمٍ هــداك الله مظلومِ

١٤٨ / ٧

فلما أُنشدتْ جميـلةُ قصيدتَه فى عمر بن الخطاب ، قالت : والله لأعملنّ فيها لحنًا لا يسمعه أحدٌ أبدًا إلا بكى . قال إبراهيم : وصدَقتْ ؛ والله ما سمعتُه قَطُّ إلا أبكانى ؛ لأنى أجد حين أسمعــه شيئا يضغَط قلبى ويَحْرِقه فلا أملك عينى ، وما رأيتُ أحدًا قطُّ سمعه إلا كانت هذه حالَه .

صــــوت
من المــائة المختــارة

يا دارَ عَبْـلةَ من مَشَارِقِ مَأْسَـلٍ * دَرَس الشؤونُ وعهــدُها لم يَنجَـلِ
فاسـتبدلتْ عُفْــرَ الظِّباء كأنمــا * أبعارُها فى الصَّيف حَبُّ الفُلْفُـلِ
تمشى النَّعامُ به خــلاءً حــولَه * مَشْىَ النَّصارى حولَ بيت الهيكلِ
احذَرْ مَحَــلَّ السّــوءِ لا تَحْلُلْ به * وإذا نَبَا بك مــنزلٌ فتَحَــوَّلِ

الشعر، فيما ذكر يحيى بن علىّ عن إسحاق، لعَنْترة بن شَدّاد العَبْسىّ . وما رأيت هذا الشعر فى شىء من دواوين شعر عنترة ، ولعله من رواية لم تقع الينا ؛ فذكر غير أبى أحمد أنّ الشعر لعبد قيس بن خُفَاف البُرْجُمىّ ، إلا أنّ البيت الأخير لعنترة صحيح لا يُشَكّ فيه . والغناء لأبى دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلىّ ، ولحنه المختار ، على ما ذكره

(١) العزف : الصوت . والإهابة : مصدر أهاب بالشىء اذا دعاه . والقسر : اسم رجل كان راعيا لابن أحمر هذا . وتنتشر : تتمرق ؛ يقال : انتشرت الابل إذا تفرقت عن غرة من راعيها . وورد هذا البيت فى ب ، س :

إخالها سمعت عرفا فتحسبه * إهابة النصر ليلا حين تنتشر

وهو تحريف .

أبو أحمد، من الثقيل الأوّل . وذكر ابن خُرْداذبه أنّ لحن أبى دُلَف خفيفُ ثقيل بالوسطى . وذكر إسحاق أنّ فيه لمعبد لحنًا من الثقيل الأوّل المطلق فى مجرى الوسطى، وأن فيه لأبى دُلَف لحنًا ولم يجنّسه . وذكر حبش أن فيه لابن مُحْرِز ثانى ثقيل بالوسطى، وأن لابن سُرَيج فى البيت الثانى ثقيلًا أوّل ، وذكر ابن خرداذبه أن خفيف الثقيل لمالك، وليس ممن يعتمد على قوله . وقد ذكر يونس أيضا أن فيه غناء لمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته . ٥

ذكر عنترة ونسبه وشىء من أخباره

نسب عنترة

هو عَنْتَرَةُ بن شَدّاد، وقيل : ٱبن عمرو بن شدّاد، وقيل : عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قُرَاد بن مخزوم بن ربيعة، وقيل : مخزوم بن عوف بن مالك ابن غالب بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . وله لقبٌ يقال له عنترة الفَلْحاء ، وذلك لتشقُّق شَفتيه . وأُمّه

أمه أمة حبشية، وكان أبوه نفاه ثم ألحقه بنسبه

أَمَةٌ حبشيّة يقال لها زَبِيبة، وكان لها ولدٌ عَبِيدٌ من غير شدّاد، وكانوا إخوته لأمّه. وقد كان شدّاد نفاه مرّةً ثم ٱعترف به فألحق بنسبه . وكانت العرب تفعل ذلك ، تستعبد بنى الإماء، فإن أنجب ٱعترفتْ به وإلّا بقى عبدا .

حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعرا

فأخبرنى علىّ بن سليمان النحوىّ الأخفش قال أخبرنا أبو سَعيد الحسن بن الحسين السكّرىّ عن محمد بن حَبِيبَ، قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانىّ، قالا : كان عنترة قبل أن يدّعيه أبُوه حرّشتْ عليه ٱمرأة أبيه وقالت : إنه يُراودنى عن نفسى ؛ فغضب من ذلك شدّاد غضباً شديدًا وضربه ضرباً مبرِّحًا وضربه بالسيف؛ فوقعت عليه ٱمرأة أبيه وكفّته عنه. فلما رأتْ ما به من الجراح بكتْ — وكان ٱسمها سُمَيّة وقيل : سُهيّة (١) — فقال عَنْتَرة :

١٤٩ / ٧

صــــوت

أَمِنْ سُمَيَّةَ دمعُ العين مذروفُ ⁂ لو أنّ ذا منكِ (٢) قبل اليوم معروفُ

(١) كذا فى أ، وهو المعروف . وفى سائر الأصول : « سمينة » .

(٢) كذا فى ديوانه نسخة مخطوطة بقلم المرحوم الشنقيطى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٨٣٧ أدب ش) . وفيما سيأتى (فى ج ، أ) فى شرح الأبيات . وفى الأصول هنا : « فيك » .

كأنّها يوم صـــدّتْ ما تكلّمنى * ظَبْىٌ بعُسْفانَ[1] ساجى العين[2] مطروفُ
تَجَلّلتنى إذ أهوَى العَصَا قِبَـــلِى * كأنّها صَـــنَمٌ يُعتَـادُ معكوف
العبـــدُ عبـــدُكُمُ والمـــالُ مالُكُمُ * فهل عذابُك عنّى اليـوم مصروفُ
تنسَى بلائى إذا ما غارةٌ لَحِقتْ * تخرُج منها الطّوَالاتُ السَّراعيف
يخرُجن منها وقـــد بُلّتْ رَحائلها * بالمـاء تركُضها[3] الشُّمُّ الغطاريف ٥
قد أطعُن الطعنةَ النَّجْلاء عن عُرُضٍ * تَصْفَرّ كَفُّ أخيهـا وهو منزوف

غنّى فى البيت الأوّل والثانى عَلّوية ، ولحنه من الثقيل الأوّل مطلق فى مجرى البنصر، وقيل : إنه لإبراهيم . وفيهما رَمَلٌ بالوسطى يقال : إنه لأبن سُرَيج، وهو من منحول آبن المكىّ .

قوله "مذروف": من ذَرَفت عينُه، يقال: ذَرَفت تَذْرِفُ ذَرِيفًا وذَرْفًا، وهو ١٠ قَطْرٌ يكاد يتصل . وقوله : "لو أنّ ذامنك قبل اليوم معروف". أى قد أنكرتُ هذا الخنق والإشفاقَ منك ، لأنه لو كان معروفًا قبل ذلك لم يُنكره . "ساجى العين" : ساكنها . والساجى : الساكن من كل شيء . "مطروف" : أصابت عينَه طَرْفةٌ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه . "تجللتنى" : ألقت نفسها علىّ . و"أهوى" : اعتمد . "صنم يعتاد" أى يُؤْتَى مرّةً بعد مرّة . و "معكوف" : يُعْكَفُ عليه . ١٥ و" السَّراعيف " : السِّراع ، واحدتها سُرْعوفة . و" الطُّوالَات " : الخيـل . والرحائل : السروج . والشمم : ارتفاع فى الأنف . و"الغطاريف": الكرام والسادة أيضا . والغطرفة : ضرب من السير والمشى يُختال فيه . و"النجلاء" : الواسعة،

(١) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل فيها غير ذلك . (٢) فى بعض الأصـول : « ساجى الطـرف » ، وهو الأكثر فى الاستعمال . (٣) كذا فى ديوانه . ٢٠ وفى الأصول : « يقدمها » .

يقال : سِنَانٌ مِنْجَلٌ : واسع الطعنة : "عن عُرُض" أى عن شِقّ وحَرْف . وقال غيره : أَعْتَرِضه اعتراضا حين أقتُله .

سبب ادعاء أبيه إياه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنى عمّى عن ابن الكلبىّ ، وأخبرنى إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة قال قال ٱبن الكلبىّ :

٥ شَدّادٌ جَدُّ عنترةَ غلَب على نَسَبه ، وهو عنترة بن عمرو بن شدّاد ؛ وقد سمعتُ من يقول : إن شدّادًا عمُّه ، كان نشأ فى حِجْره فنُسب اليه دون أبيه . قال : وإنما ٱدّعاه أبوه بعد الكِبَر ؛ وذلك لأن أمّه كانت أَمَةً سوداء يقال لها زَبِيبة ، وكانت العربُ فى الجاهليّة اذا كان للرجل منهم ولدٌ من أَمَةٍ استعبدوه . وكان لعنترة إخوةٌ من أُمّه عبيدٌ . وكان سببُ ٱدّعاء أبى عنترةَ إيّاه أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على

١٠ بنى عَبْس فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا ، فتبعهم العَبْسيّون فلحِقُوهم فقاتلوهم عمّا معهم وعنترةُ يومئذ فيهم ؛ فقال له أبوه : كُرَّ ياعنترةُ . فقال عنترة : العبدُ لايُحْسِنُ الكرّ ، إنما يُحْسِن الحِلَابَ والصَّرّ . فقال : كُرّ وأنت حرّ . فكرّ وهو يقول :

أنا الهجينُ عَنْـتَرَهْ * كلُّ ٱمرئ يحمى حِرَهْ
أسـودَه وأحـمـرَه * والشَّعَرَاتِ [المُشْعَره] (١)
١٥ الواردات مِشْـفَره (٢)

وقاتَل يومئذ قتالًا حسنا ، فٱدّعاه أبوه بعد ذلك وألحَق به نسبَه .

١٥٠ / ٧

وحكى غير ٱبن الكلبىّ أنّ السببَ فى هذا أنّ عبسًا أغاروا على طيّئ ، فأصابوا نَعَمًا ، فلما أرادوا القِسْمة قالوا لعنترة : لا نَقسِم لك نصيبًا مثلَ أنصبائنا لأنك عبد . فلما طال الخَطْبُ بينهم كَرّتْ عليهم طيّئ ؛ فٱعتزلهم عنترة وقال : دُونَكم القومَ ، فإنّكم

(١) التكملة عن الديوان . والشطر كله ساقط من ب ، س . (٢) فى أكثر الأصول :
٢٠ « مسفرة » بالسين المهملة ، والتصويب عن أ وكتاب الشعر والشعراء .

عَدَدُهم . واستنقذت طيّئ الإبل . فقال له أبوه : كرّ يا عنترةُ . فقال : أوَ يُحْسِنُ العبد الكَرّ! فقال له أبوه : العبدُ غيرُك ، فآعترف به ، فكرّ وآستنقذ النَّعَم ، وجعل يقـــول :

أنا ٱلهجينُ عَنْـــتَرَهْ * كلُّ آمرئ يحمِـــى حِرَهْ

الأبيـاتَ .

قال آبن الكلبىّ : وعنترةُ أحدُ أَغْرِبة العرب ، وهم ثلاثة[1] : عنترة وأُمّه زَبِيبة ، وخُفَاف بن عُمَيْر الشَّرِيدىّ وأُمّه نُدْبة ، والسُّلَيْك بن عُمَيْر السَّعْدىّ وأُمّه السُّلَكَةُ ، وإليهنّ يُنسبون . وفى ذلك يقول عنترة :

إنّى آمرؤٌ من خير عَبْسٍ مَنْصِبًا * شَـطْرِى وأحمِى سائرى بالمُنْصُلِ

وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظت * أُلفِيتُ خيرًا مِن مُعَـمٍّ مُخْوَلِ

يقول : إنّ أبى من أكرم عَبْس بشـطرى ، والشطرُ الآخر ينوب عن كرم أُمّى فيه ضَرْبى بالسيف ، فأنا خيرٌ فى قومى ممن عَمُّه وخالُه منهم وهو لا يُغنى غَنائى . وأحسب أنّ هذه القصيدة هى التى يُضاف اليهـا البيتان اللذان يُغَنَّى فيهما ، وهذه الأبيات قالها فى حرب داحِس والغَبْراء[2] .

---

(١) اقتصر المؤلف على هذا العـدد فى أغربة العرب وهم الذين جاءهم السـواد من قبل أمهاتهم . وذكر غيره أكثر من ذلك ، فمنهم فى الجاهلية عنترة بن شـدّاد وخفاف بن عمير بن الحارث وقيل : إنه مخضرم ، وأبو عمير بن الحباب السلمىّ وسليك بن السلكة وهشام بن عقبة بن أبى معيط وهو مخضرم ، ومنهم فى الاسـلام عبد الله بن خازم وعمير بن أبى عمـير بن الحباب السلمىّ وهمام بن مطـرف التغلبىّ ومنتشر بن وهب الباهلىّ ومطر بن أوفى المـازنىّ وتأبط شرّا والشنفرى وحاجز غير منسوب . (راجـع القاموس وشرحه مادة غرب) . (٢) راجع عن حرب داحس والغبراء الحاشية رقم ٤ ص ٣٣ ج ٥ من هذه الطبعة .

حامى عن بنى عبس حين انهزمت أمام تميم، فسبه قيس ابن زهير فهجاه

قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : غزتْ بنو عَبْس بنى تميم وعليهم قَيْس بن زُهَيْر، فانهزمت بنو عَبْس وطلبتْهم بنو تميم، فوقف لهم عنترة، ولحِقتهم كَبْكَبةٌ من الخيل، فحامى عنترةُ عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِرٌ[1]. وكان قيس بن زُهَير سيِّدَهم، فساءه ما صنع عنترةُ يومئذ، فقال حين رجع : والله ماحمَى النــاسَ إلا ٱبْنُ السوداء . وكان قيس أكولا . فبلغ عنترةَ ما قال، فقال يعرّض به قصيدتَه التى يقول فيها :

صــــوت

بَكَرَتْ تُخَــوِّفُنى الحُتوفَ كأنّنى * أصبحتُ عن عَرَض الحُتوف بمَعْزِلِ

فأجبتُها أنّ المنيّةَ مَنْهَلٌ * لا بدّ أن أُسْقَى بكأس المنهلِ

فٱقْنَىْ حياءكِ لا أبالكِ واعلمى * أنى ٱمرؤ سأموت إن لم أُقْتَلِ

إنّ المنيّة لو تُمَثَّلُ مُثِّلتْ * مِثْلى إذا نزلوا بضَنْك المنزلِ

إنى ٱمرؤ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً * شَطْرِى وأحمِى سائرى بالمُنْصُلِ

وإذا الكتيبةُ أَحْجمتْ وتلاحظتْ * أُلْفِيتُ خيراً من مُعِمٍّ مُخْوَلِ

والخيلُ تعلم والفوارسُ أنّنى * فرّقتُ جَمْعَهُمُ بضربةِ فيصلِ

إذ لا أبادِر فى المَضِيق فوارسى * أوَ لا أُوَكَّلُ[2] بالرّعيل الأوّلِ

إنْ يُلْحَقوا أَكْرُرْ وإن يُستَلْحَموا * أَشْدُدْ وإن يُلْفَوْا[3] بضَنْك أنزلِ

حين النزولُ يكون غايةَ مِثْلنا * ويفِرّ كلُّ مُضلَّلٍ مُسْتَوْهِلِ[4]

والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنما * تُسْقَى فوارسُها نقيعَ الحنظلِ

ولقد أَبِيتُ على الطَّوَى وأَظَلُّه * حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ

(١) فى الأصول : «فلم يصب مدبرا» . (٢) فى الأصول : « ولا أوكل » بدون ألف الاستفهام ، والتصويب عن اللسان وشرح القاموس (مادة رعل) . (٣) فى الديوان : « وإن يرموا بدهم أنزل » . (٤) المستوهل : الضعيف الفزع .

عَرُوضه من الكامل . غنّت فى الأربعة الأبيات الأوّل والبيت الثانى عَرِيبُ خفيفَ رمل بالبنصر من رواية الهشامىّ وابن المعتزّ وأبى العُبَيْس .

"الحتوف" : ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف . "عن عَرَض" أى ما يعرض منها . "بمعزل" أى فى ناحية معتزلة عن ذلك . و"منهل" : مورد . وقوله : "فآقنى حياءك" أى آحفظيه ولا تضيِّعيه . و"الضَّنْك" : الضيق . يقول : إن المنيّة لو خُلِقتْ مثالاً لكانت فى مثل صورتى . و"المَنْصِب" : الأصل . و"المُنْصُل" : السيف، ويقال مُنْصَل أيضا بفتح الصاد . وأجمت : كَعَّتْ[1] . و"الكتيبة" : الجماعة اذا آجتمعت ولم تنتشر[2] . و"تلاحظت" : نظرتْ مَنْ يُقْدِم على العدوّ . وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم الى بعض بمُؤْخِر العين . و"الفيصل" : الذى يفصل بين الناس . وقوله : "لا أبادر فى المضيق فوارسى" أى لا أكون أوّل منهزم ولكنى أكون حاميتهم . و"الرعيل" : القطعة من كل شىء . و"يُسْتَلْحَموا" : يُدْرَكوا[3] . والمُسْتَلْحَم : المُدْرَك؛ وأنشد الأصمعىّ :

نَجَّى علاجًا وبِشْرًا كلُّ سَلْهَبَةٍ[4] * وآستلحم الموتُ أصحابَ البَرَاذِينِ

و"ساهمة" : ضامرة متغيّرة، قد كَلَحَ[5] فوارسُها لشدّة الحرب وهَوْلها . وقوله : "ولقد أبيت على الطوى وأظَلّه" . قال الأصمعىّ : أبيت بالليل على الطَّوَى وأظَلّ بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكل أى ما لا عيبَ فيه علىّ ، ومثله

(١) كع (من بابى ضرب ونصر) : جبن وضعف . (٢) كذا فى المخصص (ج ٦ ص ١٩٨) وفى الأصول : «ولم تنشرف» وهو تحريف . (٣) عبارة اللسان (مادة «لحم») : واستلحم (مجهولا) : روهق فى القتال، واستلحم الرجل : اذا احتوشه العدوّ فى القتال .

(٤) السلهبة : الفرس الطويل، يطلق على الذكر والأنثى . (٥) هذا تفسير لقوله : «كأنما * تسقى فوارسها نقيع الحنظل» .

قوله : إنه ليأتي عليّ اليومان لا أذوقهما طعامًا ولا شرابًا أي لا أذوق فيهما . والطَّوَى : خَمَصُ البطن، يقال : رجل طَيّان وطاوِى البطن .

أنشد النبي صلى الله عليه وسلم بيتا من شعره فود لو رآه

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا ابن عائشة قال :

٥ أُنْشِد النبيُّ صلّى الله عليه وسلم قولَ عَنْتَرَة :

ولقد أَبِيتُ على الطَّوَى وأَظَلُّه * حتّى أنالَ به كريمَ المأكل

فقال صلى الله عليه وسلم : "ما وُصف لى أعرابيٌّ قَطُّ فأحببتُ أن أراه إلّا عنترةَ" .

كيف ألحق إخوته لأمه بنسب قومه

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السكّريّ عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبَيدة :

١٠ أن عنترة كان له إخوة من أمّه، فأحبّ عنترةُ أن يدّعيَهم قومُه، فأمر أخًا له كان خيرَهم في نفسه يقال له «حنبل»، فقال له : أَرْوِ مُهْرَكَ من اللَّبن ثم مُرَّ به علىَّ عشاءً . فاذا قلت لكم : ما شأنُ مُهْرِكم مُتَخَدِّدًا[1] مهزولًا ضامرًا، فاضرب بطنَه بالسيف كأنك تُريهم أنك قد غَضِبتَ مما قلتُ . فمرّ عليهم ، فقال له : يا حنبل، ما شأنُ مهركم متخدّدًا أعجَرَ[2] من اللبن؟ فأهوى أخوه بالسيف الى بطن مُهْرِه فضرب به

١٥ فظهر اللبن . فقال في ذلك عَنْتَرةُ :

أَبَنِي زَبِيبةَ ما لِمُهْرِكُمُ * مُتَخَدِّدًا وبطونُكم عُجْرُ

أَلَكُم بإيغال الوليد على * أَثَرِ الشِّياه بشِدَّةٍ خُبْرُ[3]

(١) المتخدد : المهزول . وفي الأصول : «متخدرا» في المواضع الثلاثة . والتصويب عن اللسان (مادة عجر) . (٢) بطن أعجر : ملآن . (٣) رواية هذا البيت في الديوان :

٢٠ ألكم بآلاء الوشيج اذا * مرّ الشياه بوقعة خبر

والمعنى في كلتا الروايتين غامض .

وهى قصيدة . قال : فٱستلاطه (١) نفرٌ من قومه ونفاه آخرون . ففى ذلك يقول عنترة :

أَلَا يا دارَ عَبْــلةَ بِٱلطَّـوِىِّ * كَرَجْعِ الوَشْمِ فى كَفِّ الهَدِىِّ (٢)

وهى طويلة يُعدِّد فيها بلاءه وآثاره عند قومه .

جوابه حين سئل أنت أشجع العرب

١٥٢ / ٧

أخبرنى عمّى قال أخبرنى الكُرَانىّ عن النَّضْر بن عمرو عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال :

قيل لعنترة : أنت أشجعُ العرب وأشدُّها؟ قال لا . قيل : فبما ذا شاع لك هذا فى الناس ؟ قال : كنت أُقْدِمُ إذا رأيتُ الإقدام عَزْمًا ، وأُحجِمُ إذا رأيتُ الإحجام حَزْما ، ولا أدخلُ إلا موضعًا أرى لى منه مَخْرَجًا (٣) ، وكنتُ أعتمد ٱلضعيفَ الجبانَ فأضربُه الضربةَ الهائلةَ يطير لها قلبُ الشُّجَاع فأُثَنِّى عليه فأَقتله .

أخبرنى حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال :

قال عمر بن الخطاب للحُطَيْئة : كيف كنتم فى حربكم ؟ قال : كنّا ألفَ فارس حازمٍ . قال : وكيف يكون ذلك؟ قال : كان قيس بن زُهَيْر فينا وكان حازمًا فكنّا لا نعصيه . وكان فارسنا عنترةَ فكنّا نحمِــل اذا حمــل ونُحْجِم إذا أحجم . وكان فينا الرَّبيع بن زِياد وكان ذا رَأْى فكنّا نستشيره ولا نُخالِفه . وكان فينا عُرْوة بن الوَرْد فكنّا نأتمّ بشعره ، فكنّا كما وصفتُ لك . فقال عمر : صدَقتَ .

أخبرنى علىّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السكرىّ قال قال محمد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابىّ عن المفضَّل عن أبى عبيدة وابن الكلبىّ (٤) قالا :

(١) استلاطه قومه : ألصقوه بهم وادّعوه . (٢) الطوىّ : موضع . والهدىّ : العروس . (٣) كذا فى م . وفى سائر الأصول : « ولا أدخل موضعا إلا أرى منه مخرجا » .
(٤) فى الأصول : « ... عن المفضل وعن ابن حبيب عن ابن الكلبىّ قالا » . والظاهر أنه محرف عما أثبتناه فقد تقدّمت رواية المفضل عن أبى عبيدة وابن الكلبىّ فى أكثر من موضع فى هذا الجزء والأجزاء السابقة ، وبعيد أن تكون له رواية عن ابن حبيب .

موته واختلاف الروايات فى سببه

أغار عنترةُ على بنى نَبْهان من طيّئ فطَرَد[1] لهم طريدةً وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز وهو يطرُدها ويقول :

* آثارُ ظُلْمَانٍ بقاعٍ مُحْرِبِ[2] *

قال : وكان زِرّ بن جابر النَّبْهانىّ[3] فى فُتُوّه، فرماه وقال : خذها وأنا آبن سَلْمَى، فقطع مَطَاه[4]، فتحامل بالرَّمْيَة حتى أتى أهلَه؛ فقال وهو مجروح :

و إنّ آبنَ سَلْمَى عنده فآعلموا دَمِى * وهيهاتَ لا يُرْجَى آبنُ سلمى ولا دَمِى

يحُلُّ بأكناف الشِّعاب وينتمى * مكانَ الثُّرَيّا[5] ليس بالمُتَهَضَّمِ

رمانى ولم يَدْهَشْ بأزرقَ لَهْذَمٍ * عشيّةَ حلُّوا بين نَعْفٍ[6] ومَخْرِمِ

قال ابن الكلبىّ : وكان الذى قتله يلقّب بالأسد الرهيص[7]. وأما أبو عمرو الشَّيْبانىّ فذكر أنه غزا طيّئًا مع قومه، فانهزمت عَبْسٌ، فخرّ عن فرسه ولم يَقْدِرْ من الكِبَر أن يعود فيركب؛ فدخل دَغَلًا، وأبصره رَبِيئةُ[8] طيّئ فنزل إليه، وهاب أن يأخذه أسيرًا فرماه وقتله.

وذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسنّ وآحتاج وعجز بكِبَرِ سِنّه عن الغارات، وكان له على رجل من غَطَفان بَكْرٌ، فخرج يتقاضاه إيّاه؛ فهاجت عليه ريحٌ من صَيْف وهو بين شَرْجٍ[9] وناظرة، فأصابته فقتلته.

---

(١) طرد الطريدة : ساقها. وفى الأصول : «فأطرد لهم طريدة» وليس فى معجمات اللغة «أطرد» بمعنى ساق الذى هو المراد هنا. (٢) ظلمان (بضم الظاء وكسرها) : جمع ظليم وهو ذكر النعام. والقاع : أرض سهلة مطمئنة تنفرج عنها الجبال والآكام. ومحرب، لعل صوابه «محدب» بالدال.

(٣) فى ب، س، ج : «وزر بن جابر». (٤) المطا : الظهر. (٥) كذا فى ديوان عنترة (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٩٣٧ أدب). وفى الأصول : «إذا ما تمشى بين أجبال طيّئ * مكان الثريا الخ». (٦) النعف : ما انحدر عن السفح وغلظ. والمخرم : منقطع أنف الجبل. (٧) الأسد الرهيص : الذى لا يبرح مكانه كأنه رهص (شدخ) باطن حافره حجر، فهو كأنه لا يستطيع المشى خبثا وتيها. (٨) الربيئة : الطليعة. (٩) شرج وناظرة : ماءان لبنى عبس.

كان أحد الذين يباليهم عمرو بن معد يكرب

قال أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال :

كان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أُبالى مَنْ لَقِيتُ من فُرْسان العرب مالم يلقَنى حُرَّاها وهَجِيناها . يعنى بالحُرَّيْن عامرَ بن الطُّفَيل وعُتَيبةَ بن الحارث بن شِهَاب ، وبالعَبْدَيْن عنترةَ والسُّلَيْكَ بن السُّلَكة .

هذه أخبار عنترة قد ذكرت فيها ما حضر . ٥

***

نبذة عن عبد قيس ابن خفاف البرجمى

وأمّا عبد قَيْس بن خُفَاف البُرْجُمِىّ فإنّى لم أجد له خبراً أذكره إلّا ما أخبرنى به جعفر بن قُدَامة قال : قرأت فى كتابٍ لأبى عثمان المازنىّ : كان عبد قَيْس بن خُفَاف البُرْجُمِىّ أتى حاتمَ طيّئ فى دِماء حمَلها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها ، فقال : والله لآتينّ مَنْ يحملها عنّى ، وكان شريفًا شاعرًا شُجَاعا ، فقدم على حاتم وقال ١٠ له : إنه وقعت بينى وبين قومى دماءٌ فتواكلوها ، وإنى حملتها فى مالى وأهلى ، فقدّمتُ مالى وأخّرتُ أهلى ، وكنتَ أوثقَ الناس فى نفسى . فان تحمّلتَها فكم من حقٍّ قَضَيْتَه وهَمٍّ كَفَيْتَه ، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمُمْ يومَك ولم أنسَ غدَك ؛ ثم أنشأ يقول:

١٥٣ / ٧

حملتُ دماءً للبَرَاجِم جَمَّةً * فجئتُكَ لمّا أسلمتْنى البراجمُ

وقالوا سَفَاهًا لِمْ حَمَلتَ دماءَنا * فقلتُ لهم يكفى الحَمَالةَ حاتمُ ١٥

متى آته فيها يَقُلْ لِىَ مرحبًا * وأهلًا وسهلًا أخطأتْكَ الأشائمُ

فيحملها عنّى وإن شئتُ زادَنى * زيادةَ مَنْ حِيزَتْ إليه المكارمُ

يعيش النَّدَى ما عاش حاتمُ طَيِّئٍ * وإن مات قامت للسخاء مآتمُ

يُنَادِينَ مات الجودُ مَعْك فلا نَرَى * مُجِيبًا له ما حام فى الجوِّ حائم

وقال رجالٌ أنهبَ العامَ مالَه * فقلت لهم إنّى بذلك عالم ٢٠

ولكنه يُعطِى مِنَ اموال طَيِّئٍ * إذا حلَق المالَ الحقوقُ اللّوازمُ

فيُعْطِى التى فيها الغِنَى وكأنه * لتصغيره تلك العطيّةَ جارمُ
بذلك أوصاه عَدِىٌّ [1] وحَشْرَجٌ * وسَعْدٌ وعبدُ الله تلك القَمَاقِمُ

فقال له حاتم : إنى كنتُ لأُحبّ أن يأتينى مثلُك من قومك ، وهذا مِرْباعى [2] من الغارة على بنى تميم فخذه وافرًا ، فإنْ وَفَى بالحَمَالة وإلا أكملتُها لك ، وهى مائتا بعير سوى نِيبِها [3] وفِصالها ، مع أنّى لا أُحبّ أن تُؤَبِّس [4] قومَك بأموالهم . فضحك أبوجُبَيْل [5] وقال : [لكم ما أخذتم منّا ولنا ما أخذنا منكم] [6] ، وأىّ بعير دفعتَه إلىّ وليس ذَنَبُه فى يد صاحبه فأنت منه برىء . فأخذها وزاده مائةَ بعير، وٱنصرف راجعًا الى قومه . فقال حاتم :

أتانى البُرْجُمِىّ أبو جُبَيْلٍ * لِهَمٍّ فى حَمَالته طويلِ
فقلت له خُذِ المرباعَ منها * فإنّى لستُ أرضَى بالقليلِ
على حالٍ ولا عوّدتُ نفسى * على عِلّاتها عِلَلَ البخيلِ
فخُذْها إنها مائتا بعيرٍ * سوى النابِ الرذيّة والفصيلِ
ولا مَنٌّ عليك بها فإنّى * رأيتُ المَنَّ يُزْرِى بالجميلِ
فآبَ البُرْجُمِىُّ وما عليه * مِنَ ٱعْباء الحَمَالة من فتيلِ
يجُرّ الذَّيْلَ ينفُض مِذْرَوَيْهِ [7] * خفيفَ الظهرِ من حملٍ ثقيلِ

(١) هؤلاء الذين وردوا فى البيت هم أجداد حاتم ، فهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن آمرئ القيس بن عدى بن أخزم . والقماقم : جمع قمقام وهو السيد العظيم . (٢) المرباع : ما يأخذه الرئيس من الغنيمة خاصة دون أصحابه وهو ربع الغنيمة . (٣) كذا فى نسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى الأصول : « سوى بنيها » وهو تصحيف . (٤) تؤبس : توبخ وتؤنب .
(٥) كذا فى كتاب المفضليات للضبى ونسخة الشنقيطى مصححة بخطه . وفى الأصول : «أبو جميل» بالميم وهو تحريف . وأبو جبيل : كنية عبد قيس بن خفاف ، كما هو ظاهر من السياق . (٦) هذه الجملة غير واضحة المناسبة فى هذا الكلام . (٧) يقال : جاء فلان ينفض مذرويه ، إذا جاء باغيا يتهدّد . والمذرى : فى الأصل : طرف الألية .

ذكر أبى دُلَف ونسبه وأخباره

نسب أبى دلف ومكانته

هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بنى عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل . ومَحَلُّه فى الشجاعة وعُلُوّ المحلّ عند الخلفاء وعِظَم الغَناء فى المَشَاهد وحُسْن الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحد من نُظَرائه [1] . وذكرُ ذلك أجمع مما لا معنَى له لطُوله ؛ وفى هذا القدر من أخباره مَقْنَع . وله أشعارٌ جيادٌ، وصنعةٌ كثيرة حسنة . فمن جيِّد شعره وله فيه صنعة قولُه : ٥

صـــوت

بنفسى يا جِنَانُ وأنتِ منِّى * محلَّ الروح من جَسَد الجَبَانِ
ولو أنّى أقول مكانَ نفسى * خَشِيتُ عليكِ بادرةَ الزمانِ
لإقدامى إذا ما الخيلُ حامتْ * وهابَ كُمَاتُها حَرَّ الطِّعانِ ١٠

١٥٤ / ٧

وله فيه لحن . وهذا البيت الأوّل أخذه من كلام إبراهيم النَّظَّام [2] .

أخذ معنى من محاورة إبراهيم النظام لغلام

أخبرنى به علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : لقى إبراهيم النظّام غلامًا حسنَ الوجه، فاستحسنه وأراد كلامَه فعارضه، ثم قال له : يا غلام، إنك لولا ما سَبَق من قول الحكماء مما جعلوا به السبيل لمثلى الى مثلك فى قولهم : لا ينبغى لأحد أن يكبُر عن أن يَسال ، كما أنه لا ينبغى لأحدٍ أن يصغُر عن أن يقول، لمَا أنَبْتُ [3] إلى مُخاطبتك ولا آنشرح صدرى لمحادثتك ؛ لكنه سببُ الإخاء وعَقْد المودّة، ومحلُّك من قلبى محلّ الروح من جسد الجبان . فقال له الغلام ١٥

(١) يظهر أن صوابه : «ليس لكبير آخر» . (٢) هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام المعتزلى أحد شيوخ المتكلمين والمعتزلة فى دولة المعتصم . (٣) أنبت : رجعت . وفى ب، س : «لما أتيت» .

— وهو لا يعرفه — : لئن قلتَ ذلك أيها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظّام : الطبائع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة، وتميل الى ما قاربها بالموافقة؛ وكيانى مائلٌ الى كِيانك بكُلِّيّتى . ولو كان الذى انطوى عليه عَرَضًا لم أعتدّ به وُدًّا ، ولكنه جوهر جسمى؛ فبقاؤه ببقاء النفس، وعدَمُه بعدَمها؛ وأقول كما قال الهذلىّ :

٥ فتَيَقَّنِى أنْ قـد كَلِفتُ بـكم * ثم ٱفْعَـلى ما شئتِ عن عـلمِ

فقال له النظّام : إنما كلّمتك بما سمعتَ وأنت عندى غلام مُسْتَحْسَن؛ ولو علمتُ أنّ محلّك مثلُ محلّ مَعْمَرٍ[1] وطَبَقته فى الجَدَل لَمَا تعرّضتُ لك . قال أبو الحسن : ومن هذا أخذ أبو دُلَف قولَه :

أُحِبُّـك يا جِنانُ وأنتِ مـنّى * محلَّ الرُّوح من جسـد الجبانِ

١٠ ومن جيِّد شعره وله فيه صنعة قوله :

صـوت

فى كلّ يومٍ أَرَى بيضـاءَ طالعةً * كأنمـا أُنبِتَتْ فى ناظـر البَصَرِ

لئن قَصَصْتُك بالمِقْراض عن بَصَرى * لَمَا قطعتُك عن هَمّى وعن فِكَرِى

بلغه طروق الشراة وهو بالسرادن مع جارية له فأسرع لحربهم وردهم

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز الكاتب قال حدّثنى أبى قال سمعت عبد العزيز بن ١٥ دُلَف بن أبى دُلَف يقـول : حدّثتنى ظَبْيـة جارية أبى[3] قالت : إنّى لَمَعَهُ ليـلةً بالسَّرادِن[2] وهو جالسٌ يشرب معى وعليه ثيـابٌ ممسَّكة ، إذ أتاه الصريخ بطروق الشُّراة أطـرافَ عسكره؛ فلبس الجَوْشَنَ ومضى فقتَـل وأَسَر وٱنصرف إلىّ فى آخر اللّيـل وهو يغـنِّى — قالت : والشعر له — :

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى من تيم قريش البصرى النحوى العلامة . قال الجاحظ فيه : ٢٠ لم يكن فى الأرض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلوم منه . أقدمه الرشيد من البصرة الى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة . (عن وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١٥٤) . (٢) السرادن : موضع ببلاد فارس . (٣) كذا فى الأصول . ولعله يريد : «جدى» .

صــــوت

ليـاليَ بالسَّــرَادِنِ * كُلِّلْتْ بالمحاسـنِ

وجَـوَارٍ أوَانِسٍ * كالظِّبـاءِ الشَّوادنِ

بُـدِّلتْ بالمُمَسَّكا * تِ ٱدِّراعَ الجَوَاشِنِ

الشعر لأبى دُلَف . والغناء له رملٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر . ٥

خرج مع الإفشين لحرب بابك فأراد قتله فأنقـذه ابن أبى دواد ١٥٥ / ٧

وقال أحمد بن أبى طاهر : كان أبو دُلَف القاسم بن عيسى فى جملة مَنْ كان مع الإفْشِين(١) خَيْذَر بن كاوُوس لمّا خرج لمحاربة بَابَك(٢) ، ثم تنكّر له ، فوجّه يوما بمن جاء به ليقتله . وبلَغ المعتصمَ الخبرُ، فبعث إليه بأحمد بن أبى دُوَاد وقال له : أَدْرِكْه ، وما أُراك تلحَقه ، فٱحتَلْ فى خَلاصه منه كيف شئتَ . قال ٱبنُ أبى دُوَاد : فمضيتُ رَكْضًا حتى وافيتُه ، فاذا أبو دُلَف واقفٌ بين يديه وقد أخَذ بيديه غلامان له ١٠ تركيّان ، فرميتُ بنفسى على البِساط ، وكنت اذا جئته دعا لى بمُصَلًّى ، فقال لى : سبحانَ الله ! ما حملك على هذا؟ قلت : أنت أجلستنى هذا المجلسَ . ثم كلّمتُه فى القاسم وسألته فيه وخضعتُ له ، فجعل لا يزداد إلّا غِلظةً . فلما رأيتُ ذلك قلت : هذا عبدٌ وقد أغرقتُ فى الرِّفْق به فلم ينفع ، وليس إلا أخْذُه بالرَّهْبة والصِّدْق ؛ فقمتُ

---

(١) قد وردت هذه الكلمة فى شرح القاموس بكسر الشين مضبوطة بالعبارة وفى كتب التاريخ مضبوطة ١٥ بالقلم . وفى شعر أبى تمام ما يؤيده إذ قال يمدحه من قصيدة :

لم يقر هذا السيف هذا الصبر فى * هيجاء إلا عزّ هـذا الدّينُ

قد كان عذرة مغـرب فافتضها * بالسيف فحـلُ المشرق الإفشِين

وفى رسالة الغفران طبع مصر ص ١٦٦ ما يدل على أن ضبطه بفتح الشين و إسكان الياء . وهو أحد قوّاد المعتصم المقدمين وولاته ، ولاه حرب بابك الخرّمى ، ثم غضب عليه وحبسه مضيقا عليه ثم قتله . (انظر الطبرى ٢٠ ق ٣ ص ١١٧٠ ، ١١٧٩ ، ١١٨٦ ، ١٢٣٤ ، ١٣٠٠ ، ١٣١٨) . (٢) هو بابك الخرّمى الطاغية الذى كاد أن يستولى على الممالك زمن المعتصم ، كان يرى رأى المزدكية من المجوس الذين خرجوا أيام قباذ وأباحوا النساء والمحرّمات ، وقتلهم أنو شروان . (عن شرح القاموس مادة خرم) .

فقلت : كم تُراكَ قدَرتَ ! تقتُل أولياء أمير المؤمنين واحدًا بعد واحد، وتُخالف أمره فى قائد بعد قائد ! قد حملتُ اليكَ هذه الرسالة عن أمير المؤمنين، فهاتِ الجوابَ ! .
قال : فذلّ حتى لصِق بالأرض و بان لى الاضطرابُ فيه . فلما رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أبي دُلَف وأخذت بيده، وقلت له : قد أخذتُه بأمر أمير المؤمنين . فقال : لا تفعلْ يا أبا عبد الله . فقلت : قد فعلتُ . وأخرجت القاسم فحملتُه على دابّة ووافيتُ المعتصمَ . فلما بَصُر بى قال : بك يا أبا عبد الله وَرِيتْ زِنَادى، ثم ردّ علىّ خبرى مع الإفْشِين حَدْسًا بظَنّه ما أخطأ فيه حرفا ؛ ثم سألنى عما ذكره لى وهو كما قال، فأخبرتُه أنه لم يخطئ حرفا .

أنكر عليه أحمد ابن أبى دواد الغناء مع جلالة قدره وكبر سنه

وقال علىّ بن محمد حدّثنى جدّى قال :

كان أحمد بن أبى دواد يُنكر أمرَ الغناء إنكاراً شديدا . فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دُلَف يغنّى؛ فقال : ما أُراه مع عقله يفعل ذلك . فستر أحمدَ بن أبى دُوَاد فى موضع وأحضر أبا دُلَف وأمره أن يغنّى ، ففعل ذلك وأطال ؛ ثم أخرج أحمدَ ابن أبى دُوَاد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ فى وجهه . فلما رآه أحمد قال له : سَوْءةً لهذا من فِعْلٍ[1] ! بعد هذه السِّنّ وهذا المحلّ تضع نفسَك كما أرى ! فخجِل أبو دُلَف وتشوّر[2] ، وقال : إنهم أكرهونى على ذلك . فقال : هَبْهُم أكرهوك على الغِناء أفأكرهوك على الإحسان والإصابة ! .

سمع المعتصم غناءه عند الواثق فمدحه

قال علىّ وحدّثنى جدّى : أنّ سبب مُنادمته للمعتصم أنه كان نديمًا للواثق ، وكان أبو دُلَف قد وُصف للمعتصم فأحب أن يسمعه ، وسأل الواثقَ عنه؛ فقال : يا أمير المؤمنين، أنا على القَصْد غدًا وهم عندى . فقال له المعتصم : أحبّ ألّا تُخفى علىّ

---

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « سوءة لمن فعل هذا ... » . (٢) تشوّر : خجل .

شيئا من خبركم . ونُهِد الواثق، فأتاه أبو دُلَف وأتته رسل الخليفة بالهدايا، وأعلمهم الواثق حضورَ أبى دُلَف عنده؛ فلم يلبث أن أقبل الخَدَمُ يقولون: قد جاء الخليفة. فقام الواثق وكلّ مَنْ عنده حتى تَلَقَّوْه حين بَرَز من الدِّهْليز الى الصَّحْن؛ فجاء حتى جلس، وأمَر بنُدماء الواثق فرُدُّوا الى مجالسهم . قال حَمْدونُ[1] : وخَنَستُ عن مجلسى الذى كنتُ فيه لحَداثتى؛ فنظر المعتصم الى مكانى خاليا، فسأل عن صاحبه فسُمِّيتُ له، فأمَر بإحضارى فرجعت الى مكانى، وأمَر بأن يُؤْتَى بِرَطْلٍ من شرابه فأُتِىَ به؛ فأقبل على أبى دُلَف فقال له : يا قاسم، غَنِّ أميرَ المؤمنين صوتا؛ فما حَصِر ولا تثاقَلَ وقال: أُغنِّى أميرَ المؤمنين صوتًا بعينه أو ما آخترته[2]؟ قال: بل غَنِّ صنعتَك فى شعر جرير:

* بَانَ الخليطُ برامَتَيْنِ فودَّعوا *

فغنّاه إيّاه . فقال المعتصم : أحسن ! أحسن ! ثلاثا ، وشرب الرّطل ، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى وَالَى بين سبعة أرطال، ثم دعا بحمار فركبه، وأمَر أبا دُلَف أن ينصرف معه، وأمرنى بالانصراف معهما، فخرجتُ أسعَى مع رِكابه، فثُبِّتُّ فى نُدَمائه من ذلك اليوم، وأمَر لأبى دُلَف بعشرين ألف دينار .

نسبة الصوت الذى غنّاه أبو دلف

صوت

بَانَ الخليطُ برامَتَيْنِ فودّعوا * أوَ كُلَّما آعتزموا لبينٍ تَجْزَعُ
كيف العَزاءُ ولم أجِدْ مذ غِبْتُمُ * قلبًا يَقَرُّ ولا شرابًا يَنْقَعُ

عَروضه من الكامل . الشعر لجرير، والغناء لأبى دُلَف ثانى ثقيل بالبنصر عن الهشامىّ وعمرو بن بانة .

(١) هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب، أوّل من نادم الخلفاء من أهله .
(٢) فى الأصول : « بعينه وما آخترته » .

ما كان من جعفر ابن أبى جعفر مع حماد الراوية

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

كان جعفر بن أبى جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديّة يستخفّ مُطيعَ ابن إياس، وكان منقطعًا اليه وله منه منزلةٌ حسنة . فذكر له مُطيع بن إياس حمّادًا الراوية ، وكان مُطَّرَحًا مَجْفُوًّا فى أيّامهم . فقال له : دَعْنى، فانّ دولتى كانت فى بنى أميّة وما لى عند هؤلاء خير . فأبى مُطيع إلا الذهابَ به اليه . فاستعار سوادًا وسيفًا ؛ ثم أتاه فدخل على جعفر فسلّم عليه وجلس . فقال له جعفر : أَنْشِدنى . فقال : لمن أيها الأمير؟ قال : لجرير . قال حماد : فسلخ الله شعرَه أجمع من قلبى إلّا قولَه :

* بَانَ الخليطُ برامتين فودّعوا *

فاندفعتُ أُنْشِده إيّاه حتى بلغتُ الى قوله :

وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العَصَا * هَـلّا هَزِئْتِ(١) بغـيرنا يا بَوْزَعُ

قال حمّاد فقال لى جعفر : أعِدْ هذا البيتَ فأعدتُه؛ فقال : إيش هو بَوْزَع؟ قلتُ : اسم امرأة . قال : امرأةٌ اسمُها بَوْزَع! هو برىءٌ من الله ورسوله ومن العبّاس بن عبد المطّلب إن كانت بَوْزَع إلا غُولًا من الغِيلان ! تركتَنى والله يا هـذا لا أنام الليل من فزع بَوْزَع! يا غِلمان، قَفَاه . قال : فصُفِعتُ والله حتى لم أدرِ أين أنا . ثم قال : جُرُّوا برجله ، فجـرُّوا برجلى حتى أُخْرِجتُ من بين يديه وقد تَخَرَّق السوادُ وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرًّا عظيما مما جرى من ذلك . وكان أغلظ من ذلك علىّ غَرَامتى السوادَ والسيف . فلما انصرف الىّ مُطيع جعل يتوجّع لى . فقلت له : ألم أخبرك أنّى لا أصيب منهـم خيرًا وأنّ حظّى قـد مضى مع من مضى من بنى أمية ! .

(١) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « هذيت » بالذال المعجمة .

رجع الحديث الى أخبار أبى دُلَف .

كان جوادا ممدّحا وشعر على بن جبلة فيه

وكان أبو دُلَف جوادًا ممدَّحا، وفيه يقول علىّ بن جَبَلة :

إنما الدُّنيا أبو دُلَفٍ * بين مَغْزَاهُ ومُحْتَضَرِهْ
وإذا وَلَّى أبو دُلَفٍ * وَلَّتِ الدُّنيا على أَثَرِهْ

وهى من جيِّد شعره وحَسَن مدائحه . وفيها يقول :

ذادَ وِرْدَ الغَىّ عن صَدَرِهْ * وٱرعوى(١) واللَّهوُ من وَطَرِهْ
نَدَمِى أنّ الشَّبابَ مضَى * لم أُبَلِّغْهُ مَدَى أَشَرِهْ
حَسَرتْ عنِّى بَشاشتُه * وذَوَى المحمودُ من ثَمَرِهْ
ودَمٍ أَهْدرتُ من رَشَأٍ * لم يُرِدْ عَقْلًا على هَدَرِهْ
فأتتْ دون الصِّبا هَنَةٌ * قلبتْ فُوقِى(٢) على وَتَرِهْ
دَعْ جَدَا قَحْطانَ أو مُضَرٍ * فى يَمَانيه وفى مُضَرِهْ
وٱمتدِحْ من وائلٍ رجلًا * عُصُرُ الآفاقِ من عُصُرِهْ
المنايا فى مَقَانِبِه * والعطايا فى ذَرَا(٣) حُجَرِهْ
مَلِكٌ تَنْدَى أنامِلُهُ * كٱنبلاجِ النَّوْءِ عن مَطَرِهْ
مستهلٌّ عن مَواهِبِه * كٱبتسام الرَّوْض عن زَهَرِهْ
جَبَلٌ عزّتْ مَناكِبُه * أمِنتْ عَدْنانُ فى نَفَرِهْ
إنما الدُّنيا أبو دُلَفٍ * بين مَغْزَاهُ ومُحْتَضَرِهْ
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ * وَلَّتِ الدنيا على أَثَرِهْ

(١) كذا فى جـ ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٥٠ طبع دار الكتب المصرية طبعة أولى) . وفى سائر الأصول : « والهوى واللهو من وكره » وهو تحريف . (٢) الفوق من السهم : موضع الوتر .
(٣) كذا فى نهاية الأرب . وفى الأصول : «فى ذوى حجره» وهو تحريف .

كلُّ مَنْ فى الأرض من عَرَبٍ * بين باديه الى حَضَرِهْ(١)

مستعيرٌ منه مَكْرُمةً * يكتسيها يومَ مُفْتَخَرِهْ

وهذان البيتان هما اللّذان أحفظا المأمونَ على علىّ بن جَبَلة حتى سلّ لسانَه من قَفاه، وقولُه فى أبى دُلَف أيضا :

٥ أنت الذى تُنزل الأيّامَ منزلَها * وتَنْقُلُ الدهرَ من حالٍ الى حالِ

وما مددتَ مَدَى طَرْفٍ الى أحدٍ * إلّا قضيتَ بأرزاقٍ وآجالِ

وسنذكر ذلك فى موضعه من أخبار علىّ بن جبلة إن شاء الله تعالى؛ إذ كان القصد هاهنا أمرَ أبى دُلَف .

ذكرت قصة له فى الكرم وأخرى لأبى البخترى فكان هو أكرم

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال :

١٠ كنّا عند أبى العباس المبرّد يومًا وعنده فتًى من ولد أبى البَخْتَرِى وهْب بن وهب القاضى أمردُ حسنُ الوجه، وفتًى من ولد أبى دُلَفَ العِجْلىّ شبيه به فى الجمال. فقال المبرّد لابن أبى البخترىّ : أعرف لجدّك قصّةً ظريفة من الكرم حسنةً لم يُسْبَقْ اليها . قال : وما هى ؟ قال : دُعِى رجلٌ من أهل الأدب الى بعض المواضع، فسقَوْه نبيذًا غير الذى كانوا يشربون منه؛ فقال فيهم :

١٥ نَبيذانِ فى مجلسٍ واحدٍ * لإيثار مُثْرٍ على مُقْتِرِ

فلو كان فعلُك ذا فى الطعامِ * لَزِمْتَ قياسَك فى المُسْكِرِ

ولو كنتَ تطلب شأوَ الكرام * صنعتَ صنيعَ أبى البَخْتَرِى

تَتبَّعَ إخوانَه فى البلاد * فأغنى المُقِلَّ عن المُكْثِرِ

٢٠ (١) فى الأصول : « بين باديه ومحتضره » . والتصويب عن نهاية الأرب .

فبلغت الأبياتُ أبا البَخْتَرِىّ فبعث اليه بثلثمائة دينار . قال ابن عمّار : فقلت : قد فعل جَدُّ هذا الفتى فى هذا المعنى ما هو أحسنُ من هذا . قال : وما فعل؟ قلت: بلغه أنّ رجلًا ٱفتقر بعد ثروة، فقالت له ٱمرأته : افترِضْ فى الجند؛ فقال :

إليكِ عنِّى فقد كلّفْتِنى شَطَطًا * حَمْلَ السلاحِ وقِيلَ الدّارعِين قِفِ
تمشى المنايا الى غيرى فأكْرَهُها (١) * فكيف أمشى اليها عارِىَ الكَتِفِ
حَسِبتِ أنّ نفادَ المالِ غيّرنى * وأنّ رُوحِىَ فى جَنْبَىْ أبى دُلَفِ

فأحضره أبو دُلَف ثم قال له : كم أمّلتِ ٱمرأتُك أن يكون رزقُك؟ قال: مائة دينار. قال : وكم أمّلتَ أن تعيش؟ قال : عشرين سنة . قال : فذلك لك علىّ على ما أمّلت ٱمرأتُك فى مالنا دون مال السلطان؛ وأمر باعطائه إيّاه . قال : فرأيتُ وجهَ ٱبن أبى دلف يتهلّل، وٱنكسر ٱبن أبى البَخْتَرِىّ ٱنكسارًا شديدا .

عاتب ابن جبلة على انقطاعه عنه فأجابه ورد عليه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد المبرّد قال أخبرنى علىّ بن القاسم قال :

قال علىّ بن جَبَلة : زرتُ أبا دُلَف بالجَبَل (٢) ، فكان يُظهر من إكرامى وبِرِّى والتَّحفِّى بى أمرًا مُفْرِطا، حتى تأخّرتُ عنه حينًا حياءً. فبعث إلىّ مَعْقِلَ بن عيسى، فقال : يقول لك الأمير : قد ٱنقطعتَ عنّى ، وأحسبك ٱستقللتَ بِرّى بك ، فلا يُغضبنك ذلك ، فسأزيد فيه حتى ترضَى . فقلت : والله ما قطعنى إلّا إفراطه فى البِرّ، وكتبت اليه :

هجرتُكَ لم أهجُرْكَ من كفر نعمةٍ * وهل يُرتجَى نَيْلُ الزيادة بالكفرِ

(١) فى ج : « الى قوم » .
(٢) بلاد الجبل : مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم .

ولكنّنى لمّا أتيتُك زائرًا * فأفرطتَ فى برّى عجزتُ عن الشكر
فَمِ ٱلآنَ لا آتيك إلا مُسَلِّمًا * أزورُك فى الشهرينِ يومًا أو الشهرِ
فإن زدْتَنى برًّا تزايدتُ جفوةً * ولم تلقَنى طولَ الحياةِ الى الحشرِ

فلمّا قرأها مَعْقِل استحسنها جدًّا وقال : أحسنتَ والله ! أمَا إنّ الأمير لتُعْجِبه هذه المعانى . فلما أوصلها الى أبى دُلَف قال : قاتله الله ! ما أشعره وأدقَّ معانيَه ! فأعجبتْه فأجابنى لوقته — وكان حسنَ البديهة حاضرَ الجواب — :

ألَا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بَسَطتُه * وآنسته قبلَ الضِّيافة بالبِشْرِ
أتانى يرجِّينى فما حال دونه * ودونَ القِرَى والعُرْفِ من نائلٍ سِتْرِى
وجدتُ له فضلًا علىَّ بقَصْدِه * الىَّ وبرًّا زاد فيه على برّى
فزوّدته مالًا يَقِلّ بقاؤه * وزوّدنى مدحًا يدوم على الدهرِ

قال : وبعث الىّ بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إلىّ بألف دينار؛ فقلت حينئذ : * إنما الدنيا أبو دُلَفٍ * الأبيات .

أخبرنى علىّ بن سليمان قال أخبرنا المبرّد قال أخبرنى إبراهيم بن خَلَف قال : بينا أبو دُلَف يسير مع مَعْقِل، وهما إذ ذاك بالعراق، إذ مَرّا بقَصْر، فأشرفتْ منه جاريتان؛ فقالت إحداهما للأخرى : هذا أبو دُلَف الذى يقول فيه الشاعر:

* إنما الدنيا أبو دُلَفٍ *

فقالت الأخرى : أَوَ هذا ! قد والله كنتُ أُحِبّ أن أراه منذ سمعتُ ما قيل فيه . فآلتفت أبو دُلَف الى مَعْقِل فقال : ما أنصفْنا علىَّ بن جَبَلة ولا وفيناه حقّه، وإن ذلك لمن كبير همّى . قال : وكان أعطاه ألفَ دينار .

صـــــوت

من المـائة المختارة من رواية علىّ بن يحيى

أمّا القَطاةُ فإنّى سـوف أنعَتُها * نعتًـا يُوافق منها بعضَ ما فيها
سَكّاءُ مخطوبةٌ(١) فى ريشها طَرَقٌ(٢) * صُهْبٌ قَوادِمُها كُدْرٌ خَوافِيهـا

عروضه من البسيط . والشعر مختلَف فى قائله ، ينسب الى أَوْس بن غَلْفاءَ الهُجَيْمىّ ٥
والى مُزَاحِم العُقَيْلىّ والى العبّاس بن يزيد بن الأسود الكِنْدىّ والى العُجَيْر السَّلُولىّ ١٥٩/٧
والى عمرو بن عُقَيْل بن الحجّاج الهُجَيْمىّ وهو أصح الأقوال ، رواه ثعلب عن أبى نَصْر
عن الأصمعىّ . وعلى أنّ فى هذه الروايات أبياتًا ليست مما يُغَنَّى فيه وأبياتًا ليست
فى الرواية(٣) . وقد رُوِى أيضا أنّ الجماعة المذكورة تساجلوا هـذه الأبياتَ فقال كل
واحد منهم بعضًا . وأخبارُ ذلك وما يُحتاج اليه فى شرح غريبه يُذْكَر بعد هـذا . ١٠
والغناء فى اللحن المختار لمعبـد خفيفُ ثقيـلٍ أوّل بالوسطى . وفى هذين البيتين مع
أبيات أُخَر من القصيدة ٱشـتراكٌ كثيرٌ بين المغنِّين يتقدّم بعضُ الأبيات فيه بعضًا
ويتأخّر بعضها عن بعض على ٱختلاف تقـديم ذلك وتأخيره . والأبيـاتُ تُكْتَب
هاهنا ثم تُنْسَب صنعةُ كلِّ صانع فى شىء منها اليه ، وهى بعد البيتين الأوّلين ، إذ كانا
قد مضيا وٱستُغْنِى عن إعادتهما ، : ١٥

لمّـا تبدّى لها طارت وقد علمتْ * أنْ قد أظل وأنّ الحىَّ غاشيها

(١) السكك : صغر الأذن ولصوقها بالرأس . يقال للقطاة سكاء لأنه لا أذن لها .

(٢) كذا فى نهاية الأرب (ج ١٠ ص ٢٦٢ طبعة أولى) . والمخطوبة : التى على لون الحنظلة اذا أخطبت أى اصفرّت وصارت فيها خطوط خضر . والطرق فى الريش : أن يكون بعضه فوق بعض كأن الأعلى يلبس الأسفل . والصهبة : لون يضرب الى الحمرة أو الى الشقرة . وفى الاصول : «محطوطة» بالطاء المهملة . ٢٠

(٣) فى هذه الجملة غموض .

تَنْشَقّ[1] فى حيث لم تُبْعِـدْ مُصَعِّدَةً * ولم تُصَـوِّبْ الى أدنى مَهَاوِيها

تَنْتَـاشُ[2] صـفراءَ مطروقًا بقيّتُها * قد كاد يأزِى عن الدُّعْمُوص آزِيها

ما هاج عينَك أمْ قـد كاد يُبكيها * من رَسْمِ دار كَسَحْقِ[3] البُرْدِ باقيها

فلا غنيمةَ تُوفِى بالذى وَعَـدتْ * ولا فؤادُك حتى الموتِ ناسيها

٥ لنشيطٍ مولى عبد الله بن جعفر خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر من رواية إسحاق فى "أمّا القطاة" والذى بعـده ، و "تنتاش صفراء"[4] خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولإبراهيم الموصلىّ فى "لمـا تبدّى لها" و "أمّا القطاة" خفيف رمل عن الهشامىّ . ولعمَر الوادىّ فى "أمّا القطاة" ثقيلٌ بالوسطى . ولابن جامع فى "لمـا تبدّى لها" وبعده "أمّا القطاة" خفيفُ رمل . ولسِيَاط فى الأوّل والثانى ١٠ وبعدهما "تنشق فى حيث لم تبعد" خفيفُ ثقيل بالبنصر، ومن الناس من ينسُب لحنَه الى عمر الوادىّ وينسب لحن عمر اليه . ولعَلّويه فى "أما القطاة" والذى بعده رَمَلٌ هو من صدور أغانيه ومُقدَّمها . فجميع ما وجدتُه فى هذه الأبيات من الصنعة أحدَ عشرَ لحنًا[5] .

تفاخر جماعة من الشعراء فتسابقوا فى وصف القطاة

فأمّا خبر هذا الشـعر، فإن آبن الكلبىّ زعم أنّ السبب فيه أنّ العُجَيْر السَّلُولىّ ١٥ وأَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْمىّ ومُزَاحمًا العقَيْلىّ والعباس بن يزيد بن الأسود الكِنْدىّ وحُمَيْد بن ثَوْر الهلالىّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادّعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه . ومرّ بهم سِرْبُ قطًا ؛ فقال أحدهم : تعالَوْا حتى نَصِفَ القَطَا ثم نتحاكم الى من نتراضى به ، فأيُّنا كان أحسنَ وصفًا لها غلَب أصحابَه ؛ فتراهنوا على ذلك . فقال أَوْس بن غَلْفاء الأبيات المذكورة وهى "أمّا القطاة" . وقال حُميد ٢٠ أبياتا وصف ناقتَه فيها، ثم خرج الى صفة القطاة فقال :

(١) تنشق : تقطع . (٢) سيشرح أبو الفرج فيما سيأتى هذا البيت . (٣) السحق : الثوب البالى .
(٤) لعله : «وفى تنتاش صفراء خفيف ثقيل ... » . (٥) المذكور هنا سبعة ألحان فقط .

كما انصلتتْ كَدْراءُ تسقِى فِراخَها * بشَمْظةَ[1] رِفْهًا[2] والمياهُ شُعُوبُ
غدتْ لم تُباعِدْ فى السماء ودونَها * اذا ما علتْ أهْوِيَةٌ[3] وصَبُوبُ
قرِينةُ سَبْعٍ[4] إنْ تَوَاتَرْنَ[5] مَرّةً * ضَرَبْن فصَفّتْ أرؤس وجُنوبُ
فجاءتْ وما جاء القطا ثم قَلّصتْ[6] * بمَفْحَصِها والوارداتُ تَنُوبُ
وجاءت ومَسْقَاها الذى وردتْ به * الى الصَّدْرِ مشدودُ العِصَامِ[7] كَتِيبُ

٥

تُبادر أطفالًا مساكينَ دونها * فَلًا لا تَخَطّاه العيونُ رَغِيبُ[8]
وصَفْنَ لها مُزْنًا بأرض تَنُوفةٍ[9] * فما هى إلّا نَهْلةٌ وتؤوبُ

وقال العباس بن يزيد بن الأسود — هكذا ذكر ابن الكلبىّ، وغيره يرويها لبعض بنى مُرّة — :

حَذّاءُ[10] مُدْبِرةً سَكّاءُ مقبلةً * للماء فى النحر منها نَوْطةٌ[11] عَجَبُ

١٠

تسقِى أُزَيْغِبَ تُرْوِيه مُجاجتُها[12] * وذاك من ظَمْأةٍ من ظِمْئها[13] شَرَبُ

(١) انصلتت: أسرعت فى السير. (٢) كذا فى معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم. وشمظة: موضع بعكاظ، وهو الذى نزلت فيه قريش وحلفاؤها أوّل يوم اقتتلوا فيه من أيام الفجار. وفى الأصول: «شمطة» بالطاء المهملة وهو تصحيف. والرفه (بالكسر): أقصر الورد، وهو أن ترد الابل الماء كل يوم أو متى شاءت. والشعوب: البعيدة، يقال: ماء شعب ومياه شعوب. (٣) كذا فى ح ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على شمظة. والأهوية: الهاوية. والصبوب (بالفتح): منحدر الوادى. وفى الأصول: «هوّية وهبوب». (٤) كذا فى ح واللسان (مادة وتر). وفى سائر الأصول: «قريبة سبع». (٥) التواتر: التتابع، يقال: تواترت الإبل والقطا إذا جاء بعضها فى إثر بعض ولم تجئ مصطفة. (٦) قلصت: انضمت وانزوت. والمفحص: مجثم القطاة. والواردات تنوب أى الواردات للماء ترجع. (٧) فى أ، ح: «مسدود العصام» بالسين المهملة. وفى سائر الأصول: «مسرود العظام». والعصام: حبل تشدّ به القربة. وكتيب: مخروز. (٨) رغيب: واسع. (٩) التنوفة: الأرض القفر. (١٠) الحذاء: القصيرة الذنب. (١١) النوطة: الحوصلة. (١٢) المجاجة: الريق. (١٣) الظمء: ما بين الشربين والوردين.

١٥ ٢٠

مُنْهَرِت الشِّدق لم تَنْبُتْ قَوَادِمُه * فى حاجب العين من تسبيده زَبَبُ[1]

تدعو القَطَا بقصير الخطو ليس له * قُدَّامَ مَنْحَرِها ريشٌ ولا زَغَبُ

تدعو القَطَا و به تُدْعَى اذا انتسبتْ * يا صِدْقَها حين تدعوه وتنتسبُ

وقال مُزَاحِم العُقَيلىّ :

أذلكَ أم كُدْرِيَّةٌ هاج وِرْدَها * من القيظ يومٌ واقدٌ وسَمُومُ

غدتْ كَنواة القَسْبِ[2] لا مُضْمحِلّةٌ * وَنَاةٌ[3] ولا عَجْلَى الفُتور سئُومُ

تُواشِكُ رَجْعَ المَنْكِبين وترتمى * الى كَلْكَل ، للهاديات[4] قَدُومُ

فما انخفضتْ حتى رأتْ ما يسرُّها * وفَىْءُ الضُّحَى قد مال فهو ذميمُ

أَباطِح وٱنتَصَّتْ[5] على حيث تستقى * بها شَرَكٌ للوارداتِ مُقِيمُ

سقتْها سيولُ المُدْجِناتِ فأصبحتْ * عَلَاجِيمَ[6] تَجْرِى مرّةً وتدومُ

فلما ٱستقتْ من بارد الماء وانجلَى * عن النفس منها لَوْحةٌ[7] وهمومُ

دعتْ باسمها حين استقتْ فاستقلّها * قَوَادِمُ حُجْنٌ[8] رِيشُهنّ مليمُ

بجَوْزٍ[9] كحُقِّ الهاجريّة زانَه * بأطراف عودِ الفارسىِّ وُشُومُ

---

(١) التسبيد : أوّل ظهور ريش الفرخ . والزبب : كثرة الزغب . (٢) القسب : تمر يابس يتفتت فى الفم صلب ونواه شديد قوى . (٣) الوناة : البطيئة القيام والقعود .

(٤) الهادية : المتقدّمة ، يريد أنها توالى بين جناحيها مسرعة حتى تتقدّم غيرها من السابقات .

(٥) يقال : انتصت العروس إذا جلست على المنصة لترى ، هذا هو الأصل فيه . يريد أنها وقفت على الماء . (٦) المدجنات : السحائب الدائمة المطر . والعلاجيم : جمع علجوم وهو الماء الغمر الكثير . وتدوم : تسكن . (٧) اللوحة : العطشة . (٨) حجن : عوج . ومليم ، كذا فى الأصول ، ولم نهتد إلى وجه الصواب فى هذه الكلمة . وظاهر أنه يريد أن ريشهن كثير متكاثف . (٩) فى بعض الأصول : « بجوز » : والهاجرية : المرأة الحضرية .

— يعنى حُقّ الطيب . شبّه حوصلتها به . والوشوم يعنى الشِّيَة[(١)] التى فى صدرها — :

لتسـقِىَ زُغْبًا بالتَّنوفةِ لم يكن * خِـلافَ مُوَلَّاها لهنّ حَمِيمُ
تَرائكَ[(٢)] بالأرض الفَـلاة ومن يَدَعْ * بمنزلهـا الأولادَ فهـو مُلِيمُ
اذا استقبلتْها الريحُ طَمَّتْ[(٣)] رفيقـةً * وهُنّ بمَهْوًى كالكُرَاتِ جُثُومُ
يُرَاطِنَّ[(٤)] وَقْصاءَ[(٥)] القفَا وَحْشةَ الشَّوَى * بدعوى القَطَا لَحْنٌ لهنّ قديمُ
فبِتْنَ قريراتِ العيونِ وقـد جرى * عليهن شِرْبٌ فآستقَيْن مُنِيمُ
صَبِيبُ سِقَاءٍ نِيطَ قد بَرَكتْ به * مُعَاوِدةٌ سَقْىَ الفِـرَاخ رَءُومُ

وقال العُجَيْر — فيما روَى ابن الكلبىّ، وقد تروى لغيره — :

سأَغلِبُ والسماءِ ومَنْ بناها * قَطاةَ مُزَاحِـمٍ ومَن انتحـاها
قَطاةَ مُزَاحِـمٍ وأبى المُثَـنَّى * على حُـوزِيَّةٍ[(٦)] صُلْبٍ شَـوَاها
غدتْ كالقَطْرةِ السَّفْواءِ[(٧)] تَهْوِى * أمام مُجَلْجِلٍ[(٨)] زَجِـلٍ تَفَـاها
تَكَفَّأ كالجُمـانةِ لا تُبـالى * أبالموماةِ أضحتْ أم سِـواها
نبتْ منها العَجِـيزةُ فآحزألّتْ[(٩)] * ونبس[(١٠)] للتقتُّـل مَنْكِبَاها

(١) فى أكثر الأصول : «الثقبة» . وفى جـ : «الثقة» وظاهر أنه تحريف عن «الشية» وهى لون يخالف معظم لون الشئ . والمراد النمسة التى فى الصدر . (٢) ظاهر أنه يريد بالترائك أولادها اللاتى تركتهن بالفلاة . والمليم (بضم الميم) : الذى يفعل ما يلام عليه . (٣) طمت : أسرعت .
(٤) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «يواطن» . (٥) الوقصاء : القصيرة .
(٦) كذا فى جـ . والحوزية (بالضم) : الناقة المنحازة عن الإبل لا تخالطها ، أو هى التى عندها سير مذخور من سيرها أى التى تغلب غيرها بالهوينى وعندها سير مذخور لم تبتذله ، أو هى التى لها خلفة انقطعت عن الإبل فى خلقتها وفراهتها كما تقول : منقطع القرين . (راجع القاموس وشرحه مادة حوز) . وفى سائر الأصول : «خرزية» وهو تحريف . (٧) السفواء : السريعة . (٨) المجلجل من السحاب : الذى فيه صوت الرعد . وغيث زجل : لرعده صوت . (٩) احزألت : ارتفعت .
(١٠) نبس : تحرك . والتقتل : التثنى والتبختر . وفى الأصول ما عدا جـ : «للتفتل» بالفاء .

كأنّ كعوبها أطرافُ نَبْلٍ * كساها الرّازقيّــةَ[1] مَنْ بَراها

قال : واحتكموا الى ليلى الأخيليّة، فحكمت لأَوْس بن غَلْفاء .

وأخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب ابن مُحْرِز الباهلىّ قال حدّثنى رجل عن أبى عبيدة قال أخبرنا حُمَيْد[2] بن ثور والعُجَير السَّـلُولىّ ومُزاحِم العُقَيْلىّ وأَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْمىّ أنهم تحاكموا الى ليلى الأخيليّة لمّـا وصفوا القطاة أيُّهم أحسنُ وصفًا لها، فقالت :

أَلَا كلُّ ما قال الرُّواة وأنشدوا * بها غيرَ ما قال السَّـلُولىّ بَهْرَجُ

وحكمَتْ له . فقال حُمَيْد بن ثَوْر يهجوها :

كأنّكِ وَرْهاءُ[3] العِنانَيْنِ بغــلةٌ * رأت حُصُنًا فعارضتْهنّ تَشْحَجُ

و وجدت هذه الحكاية عن أبى عُبيدة مذكورةً عن دَمَاذ عنه وأنّه سأله عن أبيات العُجَير فأنشده :

تجوبُ الدُّجى سَكَّاءُ من دون فَرْخها * بمَطْــلَى أَرِيكٍ[4] نَفْنَفٌ وسُهوبُ

فجــاءت وقَرْنُ الشمس بادٍ كأنّه * هِجــانٌ بصحراء الخُبَيْبِ[5] شَـبُوبُ

لتَســقِىَ أفراخًا لهــا قد تبلّلتْ * حلاقيمُ أسمــاطٌ[6] لهــا وقــلوبُ

قصــارُ الخُطَا زُغْبُ الرءوس كأنها * كُرَاتٌ تَلَظَّى مرّةً وتَــلوبُ[7]

(١) الرازقيـة : ثياب كتّان بيض . (٢) كذا فى جميع الأصول . والمعروف أن أبا عبيدة معمر بن المثنى الذى كان يعاصر الرشيد لم يعاصر هؤلاء النفر الذين كانوا فى صدر الدولة الأموية . ولعل صوابه : « ... عن أبى عبيدة قال : إن حميد بن ثور... الخ » أو أن فى السند نقصا .

(٣) الورهاء : الخرقاء . (٤) المطلى : مسيل صيق من الأرض . وأريك (كأمير) : واد بديار بنى مرة . والنفنف : المفازة . والسهوب : الفلوات . (٥) هجان : أبيض . الخبيب : الأصل فيه حبل من رمل لاطئ بالأرض ، ويريد هنا موضعا بعينه . وشبوب : تجاوز رجلاه يديه فى العدو . شبه قرن الشمس بفرس أبيض تجاوز رجلاه يديه حين يشتد فى العدو حتى يصير كالكرة . (٦) حلاقيم أسماط أى لا سمة فيها . (٧) تلوب : تعطش .

فأمّا ما ذكرتُ من رواية ثَعْلب فى الأبيات التى فيها الغناءُ فإنه أنشدها عن أبى حاتم عن الأصمعىّ أن أبا الحُضَيْر أنشده لعمرو بن عُقَيل بن الحَجّاج الهُجَيمىّ :

أمّا القطاةُ فإنى سوف أنعتُها * نعتًا يُوافِق نعتى بعضَ ما فيها
صفراءُ مطروقةٌ فى ريشها خَطَبٌ * صُفْرٌ قوادمُها سُودٌ خَوافيها
مِنْقارُها كنَواة القَسْبِ قَلَّمَها * بِمِبْرَدٍ حاذقُ الكفَّين يَبْريها
تمشِى كَمَشْىِ فتاةِ الحىّ مسرعةً * حذارَ قومٍ الى سِتْرٍ يُواريها

— قال الأصمعىّ : مطروقة يعنى أنّ ريشها بعضه فوق بعض . والخَطَب : لون الرماد، يقال للشبَّه به أخطب — :

تَنْتاشُ صفراءَ مطروقًا بَقيَّتُها * قد كاد يَأْزِى عن الدُّعْموص آزِيها

— تنتاش : تتناول بقية من الماء . والمطروق : الماء الذى قد خالطه البول . وقوله : يأزى أى يَقِلّ عن الدعموص فيخرج منه لقلته . والدّعموص : الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص —

تسقى رَذِيَّيْنِ بالمَوْماةِ قُوتُهما * فى ثُغْرةِ النَّحْرِ من أعلى تَرَاقِيها

— الرذىّ : الساقط من الضعف . يعنى فرخيها —

كأنّ هَيْدَبةً[1] من فوق جُؤْجُئها * أو جِرْوُ حَنْظَلةٍ لم يعدُ راميها

— جرو الحنظل : صغاره . وقوله : لم يعدُ من العَداء ، أى لم يعد عليها فيكسرها —

تَشْتَقّ من حيث لم تُبْعِد مُصَعِّدةً * ولم تُصَوِّبْ الى أدنى مَهاويها
حتى إذا استأنسا للوقت واحتَضَرت[2] * تَوَجَّسا الوَحْىَ منها عند غاشيها

— ويروى : حتى اذا استأنسا للصوت . وتوجّسا : تسمّعا . وَحْيها أى سُرْعة طيرانها . وغاشيها أى حين تغشاهما وتنتهى اليهما —

(١) الهيدبة : خمل الثوب . (٢) احتضرت : حضرت .

تَرَفَّعا عن شؤون غير ذاكيةٍ * على لَدِيدَىْ أعالِى المَهْدِ أُدْحِيها [(١)]

— الذاكية : الشديدة الحركة . والمهد : أخوصها . ولديداه : جانباه —

مَدَّا إليها بأفواهٍ مُزَيَّنَةٍ * صُعْدًا ليستنزلا الأرزاقَ مِنْ فيها

كأنّها حين مَدّاها لجَنْأتها * طَلِى بَوَاطنَها بالوَرْسِ طَالِيها

٥ — جَنْأتها أى جنأت عليهما بصدرها لتَزُقَّهما —

حِثْلَيْن رَضًّا رُفَاضَ البَيْضِ عن زَغَبٍ * وُرْقٌ [(٢)] أسافلُها بيضٌ أعاليها

حِثْلَيْنِ : دقيقين ضاويين . رَضًّا : كسرا . والرُّفَاض : ما آرفضّ وتفرّق —

تَرَأَّدا حين قاما ثُمّتَ آحتطبَا * على نَحَائف مُنْآدٍ مَحَانيها

ترأّدا : تثنّيا . واحتطبا : دَنَوا . والمنآد : المنعطف . ومحانيها : حيث آنحنت —

١٠ تكاد من لينها تنآد أسْؤُقُها * تأوُّدَ الرِّبْلِ [(٣)] لم تَعْرِمْ نواميها

— تعرم : تشتد . ونواميها : أعاليها — :

لا أشتكى نَوْشَةَ [(٤)] الأيّام من وَرَقٍ * إلّا الى مَنْ أرَى أن سوف يُشْكيها [(٥)]

لِدِلْهِمٍ مأثُراتٌ قد عُدِدْنَ له * إن المآثرَ معدودٌ مَسَاعيها

تَنْمِى به فى بنى لَأْيٍ دَعَائمُها * ومن جُمَانة لم تخضَعْ سَوَارِيها

١٥ بَنَى له فى بيوت المجد والدُه * وليس مَنْ ليس يَبْنِيها كبَانيها

وأنشدنى هذه الأبيات الحسن بن محمد الضُّبَعِىّ الشاعر المعروف بابن الحدّاد قال : وجدتها بخط محمد بن داود بن الجرّاح عن إسماعيل بن يونس الشِّيعى شيخنا رحمه

---

(١) الأدحى : موضع البيض الذى يفرخ فيه . (٢) الورقة : سواد فى غبرة .

(٣) الربل : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر.

٢٠ (٤) النوش : التناول . (٥) يشكيها : يريد ينصف منها و يزيل أسباب شكواها .

الله عن أخيه عن أبى محلم مثل رواية ثعلب وزاد فيها : قال أبو محلم : جُمَانة ابن جرير بن عبد ثعلبة بن سعد بن الهُجَيم ، وهم أخوال دِلْهم[1] هذا الممدوح . ودلهم من بنى لأى ثم من بنى يزيد بن هلال بن بذل بن عمرو بن الهيثم ، وكان أحد الشجعان ، وهو قتل الضحاك[2] بن قيس الخارجى بيده مع مروان بن محمد ليلة كفرتوثا[3] .

صـــوت

من المائة المختارة عن علىّ بن يحيى

أيها القلبُ لا أراك تُفيق * طالما قد تعلّقتْك العُلوقُ[4]

من يكن من هوى حبيبٍ قريبًا * فأنا النازحُ البعيدُ السَّحيقُ

قُدِّرَ الحبُّ بيننا فالتقينا * وكلانا الى اللقاء مَشُوقُ

الشعر لعمر بن أبى ربيعة وقد مضت أخباره . والغناء فى اللحن المختار لبابويه الكوفىّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سُريج ثقيل أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه أيضا لمُخَارق[5] خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ . وفيه لعَلّويه رملٌ بالبنصر عنه[6] وعن الهشامىّ . وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة ، ليس ممن خدم الخلفاء ولا الأكابر ، ولا أعلم له خبرًا فأذكُرَه .

---

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « وهوأخ لدلهم » وهو تحريف ، كما هو ظاهر من سياق نسب دلهم . (٢) هو الضحاك بن قيس الشيبانى الحرورى ، خرج على مروان بن محمد سنة سبع وعشرين ومائة بالجزيرة واستولى على الموصل وكورها ؛ فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير اليه ، ثم سار إليه مروان وقتله . (أنظر الكامل لابن الأثير جـ ٥ ص ٢٥٤ ، ٢٦٥ — ٢٦٧) .

(٣) كفرتوثا : قرية كبيرة من أعمال الجزيرة . (٤) العلوق : جمع علق ، كأسود وأسد ، وشجون وشجن . والعلق : الهوى والحب . يريد طالما تعلقت بك هموم الحب وأشجانه . (٥) فى الأصول : «لابن مخارق» وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . (٦) هذه الكلمة «عنه» وردت فى جميع الأصول .

صـــوت

من المائة المختارة

مَنْ لِقَلْبٍ أضحى بكم مُستهامَا * خائفًا للوُشاةِ يُخْفِى الكلاما

إنّ طَرْفِى رسولُ نفسى ونفسى * عن فؤادى تقرا عليك السلاما

٥ لم يقع الينا قائل الشعر فنذكُرَ خبره . والغناء لرياض جارية أبى حمّاد خفيف ثقيل بالوسطى . وكان أبو حماد هذا أحد القوّاد الخُراسانية ومن أولاد الدُّعاة، وكان يُعاشر إسحاق ويَبَرّه ويُهاديه، فأخذت رياض عنه غناءً كثيرا، وكانت محسنةً ضاربةً كثيرة الرواية؛ وأحبّ إسحاق أن ينوّه باسمها ويرفعَ من شأنها، فذكر صنعتها فى هذا الصوت فيما اختاره للواثق قضاءً لحقّ مولاها. وليس فيما قلتُه فى هذا لأنّ الصوت ١٠ غير مختار ولكن فى الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره؛ وقد فعل ذلك بجماعة ممن كان يودّه ويتعصّب له مثل مُتَيَّم وأبى دُلَف وغيرهم . ومن يعلم هذه الصناعة يعرف صحّة ما قلناه . وماتت رياض هذه مملوكةً لمولاها لم تخرج من يده ولا شُهِرت ولا رُوِى لها خبر .

صـــوت

١٥ من المائة المختارة عن علىّ بن يحيى

راح صحبى وعاود القلبَ داءُ * من حبيبٍ طِلَابُه لى عَناءُ

حَسَنُ الرأى والمواعيدِ لا يُلْـ * ـفَى لشىء مما يقول وفاء

مَنْ تَعَـزَّى عمن يحبّ فإنى * ليس لى ما حَيِيتُ عنه عزاء

أُمَّ عثمان قد قتلتِ قتيلًا * عَمْـدَ عَيْنٍ قتلتِـه لا خَطَاءُ

٢٠ لم يقع الينا قائل هذا الشعر فنذكرَه . والغناء لنافع بن طُنْبورة، ولحنه المختار خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى . وفى هذا الشعر لحنٌ لعبدالله بن طاهر ثانى ثقيل

من جيّد صَنْعته، وكان نسبه الى لَمِيس جاريته، وله خبر سنذكره فى أخباره إذا انتهينا. وكان نافع بن طُنبورة يُكْنَى أبا عبد الله، مُغَنٍّ[1] محسنٌ من أهل المدينة، حسن الوجه نظيف الثوب، يلقّب نَقْش الغَضَار لحسن وجهه. وجعلته جميلة فى المرتبة، لمّا اجتمع المغنّون اليها، بعد نافع وبُدَيح وقبل مالك بن أبى السَّمْح. وغنّاها يومئذ:

نبذة عن نافع بن طنبورة

يا طُولَ ليلِى وبِتُّ لم أنَم * وِسادِىَ الهمُّ مُبطِنٌ سَقَمِى
أنْ قمتُ يوماً على البَلَاطِ وأبـ * ـصرتُ رَقَاشًا فليتَ لم أقُمِ[2]

٥

فقالت جميلة: أحسنت والله يا نَقْش الغَضَار ويا حلو اللسان ويا حسنَ البيان!.
ولم يفارق آبن طُنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء ولا آنتجعهم بصنعة فخمل ذكره.

١٦٤ / ٧

صــــوت

من المـائة المختارة عن علىّ بن يحيى

١٠

عتَق الفـؤادُ من الصِّـبَا * ومن السَّـفاهة والعَـلَاقِ
وحططتُ رحلى عن قَلُو * صِ الغىّ فى قُلُص عِتَاقِ
ورفعت فضلَ إزارىَ آلْـ * ـمَجرور عن قدمى وساقى
وكَفَفْتُ غَرْبَ النفسِ حتّى ما تتـوقُ الى مَتَـاقِ

الشعر لسَعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت. والغناء لآبن عبّاد الكاتب، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل: إنه لغيره.

١٥

(١) فى ب، سـ: «ابن معن» وهو تحريف. (٢) فى ب، سـ. «أن نمت ... فليت لم أنم» وهو تحريف.

أخبار سعيد بن عبد الرحمن

سعيد بن عبد الرحمن ومنزلته فى الشعر

وقد مضى نسبُه فى نسب جدّه حسّان بن ثابت متقدّما . وهو شاعر من شعراء الدولة الأُمويّة، متوسِّطٌ فى طبقته ليس معدودًا فى الفحول . وقد وفد الى الخلفاء من بنى أُمّية فمدحهم ووصلوه . ولم تكن له نباهةُ أبيه وجدّه .

وفد على هشام فلم ينل منه ودعاه الوليد فأكرمه

٥ أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدّثنى أبو عمرو الخَصّاف عن العُتْبىّ قال :

خرج سَعيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان مع جماعة من قريش الى الشأم فى خلافة هشام بن عبد الملك، وسألهم مُعاونتَه، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطًا . وكان الوليد بن يزيد قد طلّق آمرأتَه العثمانيّة ليتزوّج أختَها، فمنعه هشام عن ذلك ونهى ١٠ أباها أن يزوّجه . فمرّ يومًا بالوليد وقد خرج من داره ليركب؛ فلما رآه وقف؛ فأمر به الوليد فدُعى اليه؛ فلما جاءه قال : أنت آبن عبد الرحمن بن حسّان ؟ قال : نعمْ أيها الأمير . فقال له : ما أَقْدَمَكَ؟ قال : وفدتُ على أمير المؤمنين منتجعًا ومادحًا ومستشفعًا بجماعة صحبتُهم من أهله، فلم أَنَلْ منه حُظوةً ولا قبولا . قال : لكنّك تجد عندى ما تُحِبّ، فأقِمْ حتى أعود . فأقام ببابه حتى دخل إلى هشامٍ ١٥ وخرج من عنده؛ فنزل ودعا بسعيد، فدخل اليه، فأمر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه، ثم قال له : أنشِدْنى قصيدةً بلغتْنى لك فشوّقتْنى اليك، وغُنِّيتُ فى بعضها، فلم أَزَلْ أتمنّى لقاءك . فقال : أىّ قصيدة أيها الأمير؟ قال قولك :

أبائنــةٌ سُعْدَى ولم تُوفِ بالعَهْدِ * ولم تَشْفِ قلبًا تيّمتْه على عَمْــدِ

نَعَمْ أقَمُودٍ أنت إن شَطّتِ النّوَى * بسُعْدَى وما من فُرقةِ الدهر من رَدِّ[1]
كأنْ قد رأيتَ البينَ لا شيءَ دونه * فَمِ الآنَ أعلِنْ ما تُسِرّ من الوجـد
لعلك منها بعـد أن تَشْحَطَ النّوَى * مُلاقٍ كما لاقى ٱبنُ عَجْلانَ[2] من هند
فوَيْلُ ٱبنِ[3] سَـلْمى خُلّةً غيرَ أنهـا * تُبَلِّغ مـنّي وهي مازحةٌ جِـدّي
وتدنو لنـا فى القول وهي بعيـدةٌ * فمـا إنْ بسَلْمى[4] من دُنوٍّ ولا بُعْـد
ومهما أكُنْ جَـلْدًا عليـه فإنّني * على هَجْرِها غيرُ الصَّبُورِ ولا الجَلْدِ
إذا سُمْتُ نفسي هجرَها قُطِعتْ[5] به * فجانبتُـه فيما أُسِرّ وما أُبْـدِي
كأنّى أرى فى هجرها، أيَّ ساعةٍ * هَمَمْتُ به، موتى وفى وصلها خُلْدى
ومن أجلِها صافَيْتُ مَنْ لا تُرِدُّنى * عليـه له قُرْبَى ولا نعمـةٌ عندى
وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القَذَى * يقولون أقوالًا أمَضُّوا بها جِلْدِى
وأقصَيتُ مَنْ قد كنتُ أُدْنِى مكانَه * وأدنيتُ من قد كنتُ أقصيتُه جَهْدِى
فإن يَكُ أمسَى وصلُ سَلمى خلابةً * فمـا أنا بالمفتونِ فى مثلها وحـدى
فأصبح ما مَنّتْـكَ دَيْنًـا مُسَوَّفًا * لواه غريمٌ ذو ٱعتلالٍ وذو جَحْـدِ
تجـود بتقريبِ الذى هو آجِـلٌ * من الوعد ممطولٌ وتبخَـل بالنَّقْدِ
وقد قلت إذ أهدَتْ إلينا تحيّـةً * عليها سلامُ الله من نازحٍ مُهْـدِى
سقى الغيثُ ذاكَ الغورَ ماسكنتْ به * ونجدًا إذا صارت نَواهَا الى نجـد

---

(١) فى أ، م: «من بدّ» . (٢) هو عبد الله بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب، جاهلىّ يضرب به المثل فى العشق . وهند هى بنت كعب بن عمرو بن الليث النهدى، تتصل بعبدالله هـذا فى النسب . (أنظر قصتهما مطوّلة فى كتاب تزيين الأسواق ج ١ ص ٩٠، والأغانى ج ١٩ ص ١٠٢ طبع بلاق) . (٣) كذا فى الأصول . ولعله «فويل آم سلمى الخ» أو «فيا ويل سلمى» .
(٤) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول . «فما إن تسلى» . (٥) أى كلت وأعيت .

قال : فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خَدَّيه حتى فرَغ منها ، ثم قال له : لن تحتاج الى رِفْد أحد ولا معونته ما بَقيتُ ، وأمر له بخمسمائة درهم ، وقال : ابعَثْ بها الى أهلك وأقم عندى، فلن تعدَم ما تُحبّه ما بَقيت (١) . فلم يزل معه زماناً، ثم استأذنه وانصرف . وفى بعض هذه الأبيات غناءٌ نِسْبتُه :

٥

صــــوت

أبائنةٌ سُعْدَى ولم تُوفِ بالعهـد * ولم تَشفِ قلبًا أقصدتْه على عَمْـد

ومهما أكن جلدًا عليـه فإنّنى * على هجرها غيرُ الصَّبور ولا الجَلْدِ

الغناء لمالك خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشامىّ . ومن هذه القصيدة :

صــــوت

١٠

وأغضيتُ عينى من رجالٍ على القَذَى * يقولون أقوالًا أَمَضُّوا بها جِلْدِى

إذا سُمْتُ نفسى هجرَها قُطِعتْ به * فخانتُــه فيما أُسِرّ وما أُبْـدِى

الغناء لابن مُحْرِز ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو .

قصته مع عبدالصمد ابن عبد الأعلى

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زهَير قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى عمّى (٢) ومحمد بن الضحّاك بن عثمان قالا :

١٥

وفَد سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان على هشام بن عبد الملك وكان حسن الوجه؛ فاختلف الى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّب الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فأراده على نفسه، وكان لُوطيًّا زِنْديقا؛ فدخل سعيد على هشام مُغْضَبًا وهو يقول :

إنــه والله لولا أنتَ لم * ينجُ منّى سالمًا عبدُ الصَّمَدْ

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فلم » وهو تحريف . (٢) فى الأصول : « قال » .

٢٠

فقال له هشام : ولمـاذا ؟ قال :

إنـه قـد رام منّى خُطّـةً * لم يَرُمْها قبـله منّى أحدْ

١٦٦ / ٧

فقال : وما هى ؟ قال :

رامَ جهلًا بى وجهـلًا بأبى * يُدْخِلُ الأفعى الى خِيسِ الأسَدْ

قال : فضحِك هشامٌ وقال له : لو فعلتَ به شيئًا لم أُنكر عليك .

٥

سأل أبا بكر بن محمد حاجة لدى سليمان ابن عبد الملك فلم يقضها وقضاها غيره فهجاه

أخبرنى أحمـد بن عُبَيد الله بن عَمّـار قال حدّثنى عمر بن شَـبّة قال أخبرنا ابن عائشة [لا أعلمه[1] إلا عن أبيه] قال :

سأل سـعيد بن عبد الرحمن بن حسّان صديقًا له حاجةً — وقال هاشم بن محمد فى خبره : سأل سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم حاجةً — يكلّم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يَقْضِها له ، ففَزِع فيها إلى غيره فقضاها ؛ فقال :

١٠

سُئلتَ فلم تفعلْ وأدركتُ حاجتِى * تولّى سـواكم حَمْدَها وٱصطناعَها

أبى لك كَسْبَ الحمد رأىٌ مُقَصِّرٌ * ونفسٌ أضاق الله بالخـير باعَها

إذا ما أرادته على الخـير مرّةً * عصاها وإن هَمّتْ بشرٍّ أطاعها

قال ابن عمّـار : وقـد أنشدَنا هـذه الأبياتَ سليمان بن أبى شَيْخ لسعيد بن عبد الرحمن ولم يذكر لها خبرا .

١٥

مدح عدىّ بن الرقاع شعره

أخبرنى محمـد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا محمـد بن زكريا الغَلَابىّ عن ابن عائشة قال :

قال رجلٌ من الأنصار لعَدِىّ بن الرِّقَاع : أَكْتِبْنِى[2] شيئًا من شعرك . قال : ومن أىّ العرب أنت ؟ قال : أنا رجلٌ من الأنصار . قال : ومَنْ منكم القائل :

(١) كذا وردت هـذه الجملة فى الأصول . (٢) كذا فى أ . وأكتبه شـعره وغيره : أملاه عليه . وفى سائر الأصول : « اكتب لى ... » .

٢٠

إنّ الحَمامَ الى الحِجازِ يَهيجُ لى * طَرَبًا تَرَنُّمُهُ إذا يَتَرَنَّمُ

والبرقُ حين أَشيمُه مُتَيامِنًا * وجنائبُ الأرواحِ حين تَنَسَّمُ

فقال له : سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . فقال : عليكم بصاحبكم فاكتُبْ شعره، فلستَ تحتاج معه إلى غيره .

٥ وفى أوّل هذه القصيدة غناءٌ نِسْبتُه :

صـــوت

بَرِحَ الخفاءُ فأىّ ما بك تَكتُمُ * والشَّوقُ[1] يُظْهِرُ ما تُسِرّ فيُعْلَمُ

وحملتَ سُقْمًا من علائِق حبِّها * والحبُّ يَعْلَقُه الصحيحُ فيَسْقَمُ

الغناء لحَكَم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن الهشامىّ، وذكره إبراهيم له ولم يجنّسه .

١٠ وفى هذه القصيدة يقول :

علويّةٌ أمستْ ودون وِصالها * مِضمارُ مصرَ وعابِدٌ[2] والقُلزُمُ

خَوْدٌ تُطيفُ بها نواعمُ كالدُّمَى * ممّا اصطفى ذو النِّيقةِ[3] المتوسِّمُ

حُلِّينَ مَرْجانَ البحورِ وجوهرًا * كالجمر فيه على النحور يُنَظَّمُ

قالت وماءُ العين يغسِل كحلَها * عند الفِراق بمستهلٍّ يَسْجُمُ

١٥ يا ليتَ أنك يا سعيدُ بأرضنا * تُلْقِى المَراسِىَ ثاوِيًا وتُخَيِّمُ

فتُصيبَ[4] لذّةَ عيشِنا ورخاءَه * فنكون أجوارًا فماذا تَنقِمُ

---

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : «ولسوف» . (٢) كذا فى معجم البلدان لياقوت فى كلامه على القلزم . وعابد : جبل بمصر، وقيل : موضع أو صقع بها . وفى الأصول : «عائذ» وهو تصحيف . والقلزم : بلدة شرق مصر قرب جبل الطور، اليها يضاف البحر الأحمر فيقال بحر القلزم .

٢٠ (٣) النيقة : اسم للتنوّق أى التخير . (٤) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « فنصيب » بالنون .

لا تَرجِعَنّ الى الحجاز فإنه * بلدٌ به عيشُ الكريم مُذَمَّمُ
وهَلُمَّ جاوِرْنا فقلت لها ٱقْصِرِى * عيشٌ بطَيْبةَ ويحَ غيرِك أنعَمُ
أيُفارَقُ الوطنُ الحبيبُ لمنزلٍ * ناءٍ ويُشْرَى[1] بالحديث الأقدَمُ
إنّ الحمامَ الى الحجاز يَهِيجُ لى * طَرَبًا تَرَنُّمُه إذا يترنَّمُ
والبرقُ حين أَشِيمُه متيامنًا * وجنائبُ الأرواحِ حين تَنَسَّمُ
لو حَجّ ذو قَسَمٍ على أنْ لم يكن * فى الناس مُشْبِهُها لبَرّ المُقْسِمُ
من أجلها تَرْكى القرارَ وخَفْضَه * وتَجَشُّمِى ما لم أكن أتجشَّمُ
ولقد كتمتُ غداةَ بانتْ حاجةً[2] * فى الصدر لم يعلم بها متكلِّمُ
تَشْفِى برؤيتها السقيمَ وترتمى * حَبَّ القلوب، رَمِيُّها لا يَسْلَمُ
رَقْراقةٌ فى عُنْفوان شبابها * فيها عن الخُلُقِ الدَّنِىِّ تَكَرُّمُ
ضَنَّتْ على مُغْرًى بطول سؤالها * صَبٍّ كما يَسَلُ الغَنِىَّ المُعْدِمُ

سأل عنبسة بن سعيد أن يكلم له الخليفة فتأخر فسرق متاعه فقال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنى أبو مُسْلِم عن الحِرْمازىّ قال:

خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان الى عسكر يزيد بن عبد الملك، فأتى عَنْبَسةَ ابن سَعيد بن العاصى، وكان أبوه صديقًا لأبيه، فسأله أن يرفع أمْرَه الى الخليفة؛ فوعده أن يفعل؛ فلم يمكث إلّا يسيرًا حتى طرَقه لِصٌّ فسرَق متاعَه وكلَّ شىء كان معه؛ فأتى عنبسةَ فتنجَّزه ما وعده؛ فاعتلَّ عليه ودافَعه؛ فرجع سعيد من عنده فآرتحل وقال:

أعَنْبَسُ قد كنت لا تَعْتَرِى[3] * الى عِدَةٍ منك كانت ضَلَالَا

(١) يشرى هنا: يباع. يقال: شراه اذا باعه، وشراه اذا ملكه بالشراء، فهو من أفعال الأضداد.
(٢) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «حاجتى». (٣) تعترى: تنتسب.

وعدتَ عِـــدَاتٍ لَوَ ٱنجزتَهـا * إذًا لجُـــدْتَ ولم تُرْزَ(1) مالاَ

وما كان ضَرَّكَ لو قـــد شفعتَ * فأعطى الخليفـــةُ عفوًا نَوالا

وقـــد يُنْجِـــزُ الحـــرُّ موعودَه * ويفعل ما كان بالأمس قالا

فياليتنى والمُـــنَى كٱسمها * وقـــد يصرف الدهرُ حالًا لحالا

٥ قعـــدتُ ولم ألتمس ما وعـــدتَ * ويا ليت وعـــدَك كان ٱعتلالا

وكانت نَعَمْ منـــك مخـزونةً * وقلت مِنَ ٱوّل يومٍ ألَا لا

أرى كذبَ القولِ من شرِّ ما * يُعَدّ اذا النـاسُ عَدُّوا الخِصالَا

فأبقيتَ لى عنـــكَ منـــدوحةً * ونفسًا عَـــزُوفًا تُقِـــلّ السؤالا

فإن عدتُ أرجوكُمُ بعـــدَها * فبُدِّلتُ بعـــد العَـــلَاء السَّفَالا

١٠ أأرجوك من بعـــد ما قد عَزَفْتُ(2) * لَعَمْرِى لقد جئتُ شـــيئًا عُضَالا

لقى الوليد لما حج فاستأنس به الوليد

نسخت من كتاب عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ يأثُرُه عن أبيه قال :

كان سَعيد بن عبد الرحمن بن حسّان اذا وفَد الى الشأم نزل على الوليد بن يزيد، فأحسن نُزُلَه وأعطاه وكساه وشفَع له . فلما حجّ الوليـــد لَقيه سعيد بن عبد الرحمن فى أوّل مَنْ لقِيه، فسلّم عليه، فردّ الوليد عليه السلام وحيّاه وقرّبه وأمر بإنزاله معه ١٥ وبسَطه، ولم يأنَس بأحد أُنسَه به . وأنشده سعيدٌ قولَه فيه :

يا لَقَوْمى لِلهَجْرِ بعـــد التَّصافِى * وتَنَـائى الجميـــع بعـــد ٱئتلافِ

ما شجا القلبَ بعـــد طول ٱندمالٍ * غيرُ هابٍ(3) كالفَـــرْخ بين أَثَافِى

١٦٨ / ٧

ونعيبِ الغراب فى عَرْصـــةِ الدا * ر ونُؤْيٍ تَسْفِى عليـــه السَّـوافى

---

(1) ترز : أصلها «ترزأ» سهلت الهمزة ثم حذفت للجازم . (2) كذا فى ب، سـ : بالزاى المعجمة . وفى سائر الأصول : «عرفت» بالراء المهملة . (3) الهابى : الرماد الدقيق ٢٠ أو التراب المنتشر فى الجوّ كالهباء؛ وأنشد الأصمعىّ :

وهاب كجثمان الحمامة أجفلت * به ريح ترح والصبا كل مجفل

وقد رُوِى عن سعيد بن عبد الرحمن بن حَسّان قال : رأى عَلَىّ ٱبنُ عمر أوضاحًا[١] فقال : أَلقِها عنك فقد كَبِرتَ .

صــــوت

من المـائة المختـارة من رواية جَحْظة

ماجرتْ خَطْرةٌ على القلب منّى * فيكِ إلّا ٱستترتُ[٢] عن أصحابى

من دموعٍ تجرِى فإن كنتُ وحدى * خاليًا أسعدتْ دموعى ٱنتحابى[٣]

إنّ حُبّى إيّاكِ قد سَلّ جِسْمى * ورَمانى بالشيبِ قبلَ الشّباب

ٱرْحَمِى[٤] عاشقًا لكِ اليومَ صبًّا * هائمَ العقل قد ثَوَى فى التُّراب

الشعر للسيِّد الحِمْيَرىّ ، والغناء لمحمد نَعْجة خفيفُ رمل أيضا . ولم أجد لهذا المغنِّى خبرًا ولا ذكرًا فى موضع من المواضع أذكره . وقد مضت أخبار السيِّد متقدما .

صــــوت

من المـائة المختـارة

أَكرَعُ الكَرْعةَ الرويّةَ منها * ثم أصحو وما شَفَيتُ غَليلِى

كم أتى دون عهدِ أُمّ جميلٍ * من إنَى[٥] حاجةٍ ولُبْثٍ طويلِ

وصياح الغراب أن يِسْرْ فأَسْرِعْ * سوف تحظَى بنائلٍ وقَبُولِ

الشعر للأحوص . والغناء للبُرْدان خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر .

---

(١) الأوضاح : حلى من الفضة . (٢) كذا فى الأغانى ج ٧ ص ٢٢٨ من هذه الطبعة . وفى الأصول هنا : «إلا اشهرت من أصحابى» وهو تحريف . (٣) كذا فى الأغانى فى الموضع السابق . وفى الأصول : «فأبكيت وحدى» وهو تحريف . (٤) ورد هذا الشطر فيما مرّ هكذا : «لو منحت اللقا شجى بك صبا» . (٥) إنى حاجة : إدراكها وبلوغها . والإنى : التأخير أيضا وهو المراد هنا .

أخبار البُرْدَان

كان بالمد… معبد و… الميلاء

البُرْدانُ لقب غلَب عليه . ومن الناس من يقول : بُرْدان من أهل المدينـة ، وأخذ الغنـاء عن معبد وقبـلَه عن جميـلة وعَزّة المَيْـلاء . وكان مُعدَّلًا مقبولَ الشّهادة ، وكان متولِّيَ السّوق بالمدينة .

قال هارون بن الزيّات حدّثني أبو أيّوب المَديني عن محمـد بن سـلّام قال : هو بُرْدَانُ بضم الباء وتسكين الراء .

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر وحُسَين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ٱبن خُرْدَاذْبه قال قال إسحـاق : كان بُرْدَانُ متولِّيَ السوق بالمدينة . فقدّم اليه رجل خَصْماً يدّعي عليه حقاً ، فوجب الحكم عليه فأمر به الى الحبس . فقال له الرجل : أنت بغير هذا أعلمُ منك بهـذا . فقال : رُدُّوه فرُدّ ، فقـال : لعلك تعني الغنـاء ! إني والله به لعارف ، ولو سمعت شيئا جاء البارحة لآزددت علماً بأني عارف ، ومهما جَهِلتُ فإني بوجوب الحق عليك عالم ، اذهبوا به الى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقّه .

رآه سياط بالمدينة وأخذ عنه أصواتا

قال وحدّثني أبو أيّوب عن حمّاد عن أبيه عن ٱبن جامع عن سِياط قال : رأيتُ البُرْدانَ بالمدينة يتولّى سوقَها وقد أسنّ ، فقلت له : يا عمّ ، إني رويت لك صوتاً صنعتَه ، وأحببتُ أن تصحِّحه لي . فضحِـك ثم قال : نَعَمْ يا بُنَيّ وحباً وكرامة . لعله :

* كم أتى دون عهد أمّ جميل *

فقلت نعم . قال : مِل بنا الى هاهنا ، فمال بي الى دار في السُّوق ، ثم قال : غَنِّه ، فقلت : بل تُتِمّ إحسانَك يا عمّ وتغنّيني به فإنه أطيب لنفسي ، وإن سمعتُه كما أقول

١٦٩
٧

غنّيته وأنا غير متهيّب ، وإن كان فيه مُسْتَصْلَحٌ آستعدته[(١)] . فضحك ثم قال : أنت لستَ تريد أن تصحّح غِناءك ، إنما تُريد أن تقول سمعتنى وأنا شيخ وقد آنقطعتُ وأنت شابّ . فقلت للجماعة[(٢)] : إن رأيتم أن تسألوه أن يُشَفّعنى فيما طلبتُ منه ! فسألوه ، فاندفع فغنّاه فأعاده ثلاثَ مرّات ، فما رأيتُ أحسنَ من غنائه على كِبَرِ سِنّه ونُقصان صوته . ثم قال : غَنِّه فغنّيته ، فطرِب الشيخ حتى بكى ، وقال : اذهب يا بُنَىّ ، فأنت أحسن الناس غناءً ، ولئن عِشْتَ ليكوننّ لك شأن . قال : وكان بُرْدانُ خفيفَ الرُّوح طَيِّبَ الحديث[(٣)] مليح النادرة مقبول الشهادة قد لقِى النّاسَ ، فكان بعد ذلك اذا رآنى يدعونى فيأخذنى معه الى منزله ويسألنى أن أُغنّيه فأفعل ؛ فاذا طابت نفسُه سألته أن يطرَح علىَّ شيئا من أغانى القدماء فيفعل إلى أن أخذتُ عنه عِدّة أصوات .

صـــوت

من المـائة المختـارة

لِمَنِ الدِّيارُ بحائِـلٍ فوُعَالِ[(٤)] * دَرَستْ وغيَّرها سِنُونَ خَوالِى

دَرَجَ البَـوارِحُ[(٥)] فوقها فتنكّرَتْ * بعـد الأنيس مَعارِفُ الأطلال

---

(١) لعلها : «استعدته» . (٢) لعله يعنى جماعة كانوا فى الدار التى مال به اليها .

(٣) فى أ ، م : «حسن الحديث» . (٤) حائل : موضع باليمامة . ووعال (كغراب) : جبل قيل إنه بسماوة كلب بين الكوفة والشأم . (انظر معجم البلدان لياقوت وشرح ديوان الأخطل ص ١٥٦ طبع الآباء اليسوعيين) . (٥) كذا فى أ ، م وديوانه . والبوارح : الرياح الحارة الشديدة . أى جرت الرياح عليها جريانا شديدا فغيرت هيئتها حتى لم تعد تعرف . وفى سائر الأصول : « درج البواكر » .

دِمَنٌ تُذَعْذِعها الرياحُ[1] وتارةً * تعفو بمُرْتَجِــزِ السّحابِ ثِقَـالِ

فكأنما هى من تَقَادُمِ عهــدِها * وَرَقٌ نُشِرنَ من الكتّاب بَوالِي

الشعر للأخطل، والغناء لسائب خاثر، ولحنه المختار من الثقيــل الأوّل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه . وذكر عمرو بن بانة أنّ فى الثانى والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلاً أوّل . وذكر حبش أنّ لمعبد فيه ثقيلاً أوّل بالوسطى وأنه أحد السبعة[2]، وأن لإسحاق فيه ثانىَ ثقيل، وذكر الهشامىّ أنّ لحن إسحاق خفيف ثقيل .

---

(١) كذا فى جـ وديوانه . وتذعذعها : تحركها تحريكا شـديدا وتفرقها وتبددها . وفى سائر الأصول : «تزعزعها» بالزاى . والزعزعة : التحريك .

(٢) يريد سبعة أصوات معبد المعروفة بالمدن .

ذكر الأخطل وأخباره ونسبه

نسب الأخطل

هو غِيَاثُ بن غَوْث بن الصَّلْت بن الطَّارِقة ، ويقال ابن سَيْحَان بن عَمْرو بن الفَدَوْكَس بن عمرو بن مالك بن جُشَم بنِ بكر بن حَبِيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب . ويكنى أبا مالك . وقال المدائنىّ : هو غِياث بن غَوْث بن سَلَمة بن طَارِقة ، قال : ويقال لسَلَمة سَلَمَةُ اللحّـام[1] . قال : وبعث النُّعْمان بن المُنْذِر بأربعة أرماح لفُرسان العرب ، فأخذ أبو بَرَاء عامر بن مالك رُمْحًا ، وسَلَمةُ بن طارِقة اللّحام[1] رمحا وهو جدّ الأخطل ، وأَنَس بن مُدْرِك رمحا ، وعمرُو بن مَعْدِيكَرِبَ رمحا .

سبب تلقيبه بالأخطل والهجاء بينه وبين كعب ابن جعيل

١٧٠ / ٧

والأخطل لقبٌ غلبَ عليه . ذكر هارون بن الزيّات عن ابن النطّاح عن أبى عُبَيدة أنّ السبب فيه أنه هجا رجلًا من قومه ، فقال له : يا غلام ، إنك لأخطل ، فغلبتْ عليه . وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنّ عُتْبة بن الزَّعل[2] بن عبد الله بن عمرو بن عمرو بن حبيب بن الهجرس[3] بن تَيْم بن سَعْد بن جُشَمَ بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غُنْم بن تَغْلِب حمَـل حَمالةً ، فأتى قومَه يسأل فيها ، فجعـل الأخطلُ يتكلّم وهو يومئذ غلام ، فقال عُتْبة : مَنْ هذا الغلام الأخطل؟! فلُقِّب به .

قال يعقوب وقال غير أبى عُبيـدة : إنّ كَعْب بن جُعَيْل كان شاعرَ تَغْلِبَ ، وكان لا يأتى منهم قومًا الا أكرموه وضربوا له قُبّة ، حتى إنه كان تُمَدّ له حبالٌ بين وَتِدَين فتُمْلأ له غَنَمًا . فأتى فى مالك بن جُشَمَ ففعلوا ذلك به ، فجاء الأخطل وهو

(١) فى ح : «سلمة الحام» بالجيم. (٢) فى ح : «ابن الزغل» بالزاى والغين المعجمتين . وورد فى الطبرى (ق ١ ص ٢٤٧٦ طبع أوربا) : «عتبة بن الوعل أحد بنى سعد بن جشم» .
(٣) فى ح : «ابن الهجر» وفى أ ، م : «ابن البحر» .

غلام فأخرج الغَنَمَ وطرَدها، فسبَّه عُتْبة وردّ الغنم الى مواضعها، فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر اليه، فقال: إنّ غلامكم هذا لأخْطَلُ — والأخطل: السفيه — فغلَب عليه. ولَجّ الهجاء بينهما، فقال الأخطل فيه:

سُمِّيتَ كعبًا بشرّ العظام * [(1) وكان أبوك يُسَمَّى الجُعَلْ

وإنّ مَحَلّك من وائلٍ * محلُّ القُرَاد من آست الجمل]

فقال كعب: قد كنتُ أقول لا يقهَرني إلّا رجل له ذِكْرٌ ونَبَأ، ولقد أعددتُ هذين البيتين لأن أُهْجَى بهما منذ كذا وكذا، فغلَب عليهما هذا الغلام.

وقال هارون بن الزيّات حدّثني قَبِيصةُ بن مُعاوية المهلَّبيّ قال حدّثني عيسى بن إسماعيل قال حدّثني القَحْذَميّ قال:

وقع بين آبنَيْ جُعَيْل وأمِّهما ذَرْءٌ(2) من كلام، فأدخلوا الأخطل بينهم، فقال الأخطل:

لَعَمْرُك إنّني وآبْنَيْ جُعَيْلٍ * وأُمَّهما لَإِسْتَارٌ(3) لئيمُ

فقال آبن جُعَيْل: يا غلام، إنّ هذا لخَطَلٌ من رأيك، ولولا أنّ أُمّي سَمِيّةُ أُمِّك لتركتُ أمّك يحدو بها الرُّكبان، فسُمِّي الأخطلَ بذلك. وكان آسم أمِّهما وأمّ الأخطل ليلى.

وقال هارون حدّثني إسما[...] مُحمّد [...] عن آبن الكلبيّ عن قومٍ من تَغْلِبَ في قصّة كعب بن جُعَيل وا[...] يخاطون الكلام [...] ذكره يعقوب عن غير أبي عُبَيدة ممن لم يسمِّه، وقال فيها: وكان [...] يعني خاط [...] يقرْزِم(4) — والقرزمة: الابتداء بقول

(1) التكملة عن ديوانه. (2) الذرء: الشيء اليسير من القول. (3) [...]كان[...] إستار: أربعة.

(4) كذا في معجمات اللغة. وفي الأصول: «يغرزم» بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

الشعر— فقال له أبوه : أبِقَرْزَمتك تُريد أن تُقاوم ٱبنَ جُعَيل! وضربه . قال: وجاء ٱبن جُعَيل على تَفِئـةِ[1] ذلك فقال : مَنْ صاحبُ الكلام ؟ فقال أبوه : لا تَحْفِل به فإنه غلام أخطل . فقال له كعب :

* شَاهِدُ هذا الوجه غِبُّ الحُمَّـهْ *

فقال الأخطل :

* فناكَ كعبُ بن جُعَيْلٍ أُمَّهْ *

فقال كعب : ما ٱسم أمِّك ؟ قال : ليـلى . قال : أردتَ أن تُعيذها باسم أُمِّى . قال : لا أعاذها الله إذًا . وكان اسم أُمِّ الأخطل[2] ليلى، وهى امرأة من إيَاد؛ فسُمِّى الأخطلَ يومئذ، وقال :

هجـا الناسُ ليلى أُمَّ كَعْبٍ فمُزِّقتْ * فـلم يبقَ إلا نَفْنَفٌ[3] أنا رافعُـهْ

وقال فيه أيضا :

هجـانى المُنْتِنَانِ ٱبنـا جُعَيْلٍ * وأىُّ النـاسِ يقتـله الهجاءُ
وُلِدتم بعـد إخوتكم من ٱستٍ * فهـلّا جئـتُمُ من حيث جاءوا

فانصرف كعب، ولجّ الهجاء بينهما .

طبقته فى الشعراء والخلاف فيه وفى جرير والفرزدق

وكان نَصْرانيّا من أهل الجزيرة[4]. ومَحَلُّه فى الشعر أكبر من أن يحتاج الى وصف . وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة، بجعلها ٱبن سَـلّام أوّل طبقات الإسـلام . ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل، ولكن[ ]ا له قُبّة؛ [ ]م طبقةٌ تفضِّله عن الجماعة[5].
[ ]علوا ذلك

(١) يقال : أتيته على تفئة ذلك أى على حينه وزمانه . (٢) كذا فى الأصول، والظاهر أن صواب العبارة : « وكان اسم أم كعب ... الخ » . (٣) النفنف : الهواء . يريد : لم يبق إلا شىء يسير . (٤) كذا فى جـ . والجزيرة : منازل تغلب قبيلة الأخطل . وفى سائر الأصول : «من أهل الحيرة» . (٥) لعلها : «تفضله على الجماعة» .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفضل قال حدّثنى إسحاق ابن ابراهيم عن أبى عُبَيدة قال :

جاء رجلٌ الى يونس فقال له : مَنْ أشعرُ الثلاثة؟ قال : الأخطل . قلنا : من الثلاثة؟ قال : أىّ ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم . قلنا : عَمّنْ تروى هذا؟ قال : عن عيسى بن عمر وآبن أبى إسحاق الحَضْرَمىّ(١) وأبى عمرو بن العَلَاء وعَنْبَسةَ الفيل وميمون الأقْرَن الذين ماشُوا(٢) الكلامَ وطَرَقوه . أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عُبيدة عن يونس، فذكر مثله وزاد فيه : لا كأصحابك هؤلاء لا بدويّون ولا نحويّون . فقلتُ(٣) للرجل : سَلْه وبأىّ شىء فَضَّلوه؟ قال : بأنه كان أكثَرهم عددَ طِوَالٍ جِيَادٍ ليس فيها سَقَطٌ ولا فُحْش وأشَدَّهم تهذيباً للشعر. فقال أبو وَهْب الدقّاق : أمَا إنّ حَمّاداً وجَنّاداً(٤) كانا لا يفضّلانه . فقال : وما حَمّاد وجَنّاد! لا نحويّان ولا بدويّان ولا يُبْصِران الكسور ولا يُفْصِحان ، وأنا أُحَدِّثك عن أبناء تسعين أو أكثر أدَّوْا الى أمثالهم ماشُوا الكلام وطَرَقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تَشِذّ عنهم زِنَةُ كلمة ، وألحقوا السليمَ بالسليم والمضاعفَ بالمضاعف والمعتلّ بالمعتلّ والأجوفَ بالأجوف وبناتِ الياء بالياء وبناتِ الواو بالواو ، فلم تَخْفَ عليهم كلمةٌ عربيّة ، وما عِلْمُ حَمّادٍ وجَنّاد ! .

(١) كذا فى طبقات ابن سلام ص (٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٦) ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى الأصول : «الحضرى» . (٢) ماش الكلام : خلطه . ويقال : طرق النجاد الصوف اذا ضرب به بالمطرقة وندفه . يريد أنهم يخلطون الكلام ثم يغربلونه ليستخرجوا أحسنه . وفى ب ، س : «ماثوا» بالثاء المثلثة ، وهو أيضا بمعنى خلط . (٣) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «فقال للرجل» وهو تحريف . (٤) يعنى حمادا الراوية المعروف . وجناد هو جناد بن واصل الكوفى مولى بنى عاضدة ، من رواة الأخبار والأشعار لا علم له بالعربية ، وكان يصحف ويكسر الشعر ولا يميز بين الأعاريض المختلفة فيخلط بعضها ببعض ، وهو من علماء الكوفيين القدماء ، وكان كثير الحفظ فى قياس حماد الراوية . (عن معجم الأدباء لياقوت ج ٢ ص ٤٢٥) .

قال هارون حدّثنى القاسم بن يوسف عن الأصمعىّ :

أنّ الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيُطَيِّرها (١) .

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب قال أخبرنا محمد بن سلّام قال سمعت سَلَمة بن عَيّاش وذكر أهلُ المجلس جريرًا والفرزدقَ والأخطلَ ففضّله سلمةُ عليهما. قال : وكان إذا ذُكِر الأخطل يقول : ومَنْ مثل الأخطل وله فى كل [بيتِ] شعرٍ بيتان! ثم يُنشِد قوله :

ولقد علمت إذا العشارُ تَروّحتْ * هَدَجَ الرِّئال تَكُبُّهنّ شَمالا (٢)

أنّا نُعَجِّلُ بالعَبِيط (٣) لضيفنا * قبل العيال ونضرب الأبطالا

ثم يقول ولو قال :

ولقد علمت إذا العشا * رُ تروّحت هَدَجَ الرئال

كان شعرا، وإذا زدتَ فيه تكبهنّ شمالا، كان أيضا شعرا من رَوِىٍّ آخر.

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلّام قال حدّثنى أبو يحيى الضَّبّىّ قال : كَعْبُ بن جُعَيل لَقَّبه الأخطلَ، سمعه يُنشد هجاءً فقال : يا غلام إنك لأخْطَلُ اللّسان، فلزمتْه.

سأل نوح بن جرير عنه أباه فمدحه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أحمد بن معاوية قال حدّثنا بعض أصحابنا عن رجل من بنى سَعْد قال :

(١) أى يذيعها . (٢) كذا فى ديوانه ص ٤٣ . والعشار من الابل : التى أتت عليها عشرة أشهر من ملقحها . وتروّحت : ذهبت فى الرواح . والرئال : أولاد النعام . والهدج : عدو متقارب . وقوله : تكبهن شمالا أى تكبهن الريح شمالا ، يريد وهى هابة شمالا . وفى ب ، س :

ولقد علمت اذا الرياح تناوحت * هوج الرئال تكبهن شمالا

وفى سائر الأصول : « ... الرياح تناوحت * هدج الرئال ... » . (٣) العبيط من اللحم : الطرى (الطازج) غير النضيج .

كنتُ مع نوح بن جرير فى ظِلّ شجرة ، فقلت له : قبّحك الله وقبّح أباك ! أمّا أبوك فأفنى عمره فى مديح عبد ثقيف (يعنى الحجّاج) . وأمّا أنت فامتدحتَ قُثَمَ ابن العبّاس فلم تهتد لمَنَاقِبه ومَنَاقِب آبائه حتى امتدحته بقصر بناه . فقال : والله لئن سُؤتَنى فى هذا الموضع لقد سُؤتُ فيه أبى : بينا أنا آكل معه يومًا وفى فيه لقمةٌ

٥ وفى يده أخرى ، فقلت : يا أبتِ ، أنت أشعر أم الأخطل ؟ فجَرِضَ[1] باللُّقْمة التى فى فيه ورمى بالتى فى يده وقال : يا بُنَىَّ ، لقد سَرَرْتَنى وسُؤتَنى . فأمّا سرورُك إيّاى فلتَعَهُّدك لى مثل هذا وسؤالك عنه . وأما ما سُؤتَنى به فلذِكْرِك رجلاً قد مات . يا بُنَىّ أدركْتُ الأخطلَ وله نابٌ واحد ، ولو أدركتُه وله ناب آخر لأكلنى به ، ولكنى أعاننى عليه خَصْلتان : كِبَرُ سِنّ ، وخُبْثُ دِين .

آراء الأئمة والشعراء فيه

١٠ أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد قال :

سُئِلَ حَمّاد الراوية عن الأخطل ، فقال : ما تسألونى عن رجلٍ قد حَبَّبَ شعرُه إلىّ النَّصْرانيةَ ! .

١٧٢ / ٧

قال إسحاق وحدّثنى أبو عُبيدة قال قال أبو عمرو : لو أدرك الأخطلُ يومًا واحدًا من الجاهليّة ما قدّمتُ عليه أحدا .

١٥ قال إسحاق وحدّثنى الأصمعىّ أن أبا عمرو أنشد بيتَ شعر ، فاستجاده وقال : لو كان للأخطل ما زاد .

وذكر يعقوب بن السِّكّيت عن الأصمعىّ عن أبى عمرو :

أنّ جريرا سُئل أىّ الثلاثة أشعر؟ فقال : أمّا الفرزدق فتكلّف منّى ما لا يُطيق . وأمّا الأخطل فأشدُّنا اجتراءً وأرمانا للفَرائص . وأمّا أنا فمدينة الشعر .

٢٠ (١) جرض : غص .

وقال ابن النطّاح حدّثنى الأصمعىّ قال :

إنما أدرك جريرٌ الأخطلَ وهو شيخٌ قد تحطّم . وكان الأخطل أسنّ من جرير، وكان جرير يقول : أدركته وله نابٌ واحد، ولو أدركتُ له نابين لأكلنى . قال : وكان أبوعمرو يقول : لوأدرك الأخطلُ يوماً واحدا من الجاهلية مافضّلتُ عليه أحدا .

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال :

قال العَلاء بن جَرير : إذا لم يجئ الأخطلُ سابقًا فهو سُكَّيْتٌ ، والفرزدقُ لا يجىء سابقًا [ولا سُكَّيْتاً، وجرير يجىء سابقًا][1] ومُصَلّيًا وسُكَّيْتاً .

وقال يعقوب بن السِّكّيت قال الأصمعىّ :

قيل لجرير : ما تقول فى الأخطل ؟ قال : كان أشدَّنا اجتزاءً بالقليل وأنعتَنا للحُمُر[2] والخمر .

وروى إسماعيل بن عُبَيد الله عن مؤرِّج عن شُعْبة عن سِمَاك بن حَرْب :

أنّ الفرزدق دخل الكوفة ، فلقيه ضَوْءُ بن اللَّجْلَاج[3]؛ فقال له : مَنْ أمدَحُ أهل الإسلام ؟ فقال له : وما تُريد الى ذلك؟ قال : تَمَارَيْنا فيه . قال : الأخطل أمدَحُ العرب .

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى هارون بن مسلم عن حَفْص بن عمر قال :

سَمِعتُ شيخا كان يجلس الى يونس كان يكنى أبا حَفْص، فحدّثه أنه سأل جريرًا عن الأخطل فقال : أمدَحُ الناسِ لكريمٍ وأوصَفُه للخَمْرِ . قال : وكان أبو عُبَيدة يقول : شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق . قال أبو عبيدة : وكان أبو عمرو يشبِّه الأخطلَ بالنابغة لصحّة شعره .

(١) التكملة عن الأغانى فيما تقدم فى ترجمة جرير ص ٦ من هذا الجزء . (٢) فى ج : «للحم» .
(٣) كذا فى شرح القاموس (مادة «ضوأ») . وفى الأصول : «ضوء بن الجلاح» .

وقال ابن النطّاح حدّثنى عبد الله بن رُؤبة بن العجاج قال :

كان أبو عمرو يفضِّل الأخطل .

وقال ابن النطّاح حدّثنى عبد الرحمن بن بَرْزَخ قال : كان حمّاد يفضِّل الأخطلَ على جرير والفرزدق . فقال له الفرزدق : إنما تفضِّله لأنه فاسق مثلك . فقال : لو فضّلتُه بالفسق لفضّلتُك .

قال ابن النطّاح قال لى إسحاق بن مَرّار الشَّيْبانىّ : الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة . فقلت : يقال إنه أمدحُهم ! فقال : لا والله ! ولكن أهجاهم . مَنْ منهما يُحْسِن أن يقول :

ونحن رفعنا عن سَلُولَ رماحَنا * وعَمْدًا رَغِبنا عن دماء بنى نَصْر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائنىّ قال :

قال الأخطل : أشعرُ الناس قبيلةً بنو قَيْس بن ثَعْلَبة، وأشعرُ الناس بيتاً آلُ أبى سُلْمَى[1] وأشعر الناس رجل فى قميصى[2] .

أنشد عبد الملك ابن مروان مدحه فيه فأجازه

أخبرنى الحسن قال حدّثنى محمد قال حدّثنى الخَزاز عن المدائنىّ عن علىّ بن حمّاد — هكذا قال، وأظنه علىّ بن مجاهد — قال :

قال الأخطل لعبد الملك : يا أميرَ المؤمنين ، زعم ابنُ المَراغة أنه يبلُغ مِدْحَتك فى ثلاثة أيام وقد أقمتُ فى مِدْحتك :

* خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك أو بَكَرُوا *

(١) يعنى بيت زهير بن أبى سلمى الشاعر الجاهلى الأشهر . وفى ب، س، ج : «سلمة» وهو تحريف .

(٢) كذا فى الأصول . ومقتضى السياق أن يكون : «وأشعر الناس رجلا فى قميصى» على أن يكون «رجل» تمييزا، كما كانت «قبيلة» و «بيت» وأن يكون «فى قميصى» خبرا .

سنةً فما بلغتُ كُلَّ ما أردتُ . فقال عبد الملك : فأسْمِعْنَاها[1] يا أخطلُ ؛ فأنشده إيّاها، فجعلتُ أرى عبد الملك يتطاول لها، ثم قال : وَيْحَكَ يا أخطل ! أتريد أن أكتب الى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال : أكتفى بقول أمير المؤمنين . وأمر له بجَفْنةٍ كانت بين يديه فمُلِئتْ دراهمَ وألقى عليه خِلَعًا ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب .

١٧٣ / ٧

٥

أنشد عبد الملك شعرا له وازنه بشعر لكثير

وقال ابن الزيّات حدّثنى جعفر بن محمد بن عُيَيْنة بن المِنْهال عن هشام عن عَوَانة قال :

أُنشد عبدُ الملك قولَ كُثَيِّر فيه :

فما تركوها عَنْوةً عن مودّةٍ * ولكن بحَدِّ المَشْرَفِىِّ آستقالها

فأعْجِب به . فقال له الأخطل : ما قلتُ لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه . قال : وما قلتَ؟ قال قلت :

١٠

أهَلُّوا[2] من الشهر الحَرامِ فأصبحوا * مَوالِىَ مُلْكٍ لا طَرِيفٍ ولا غَصْبِ

جعلتُه لك حقًّا وجعلك أخذتَه غَصْبا ؛ قال : صدَقتَ .

حلف باللات أنه أشعر من جرير والفرزدق

قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا أبو دُقَاقة[3] الشامىّ مولى قريش عن شيخ من قريش قال :

١٥

رأيتُ الأخطل خارجًا من عند عبد الملك، فلما آنحدر دنوتُ منه فقلت : يا أبا مالك، مَنْ أشعرُ العرب؟ قال : هذان الكلبان المتعاقِران من بنى تميم . فقلت : فأين أنت منهما ؟ قال : أنا واللّاتِ أشعرُ منهما . قال : فحلَفَ باللّاتِ هُزؤا وآستخفافا بدِينه .

---

(١) فى ب، س : «ما سمعناها» . (٢) أهلوا من الشهر الحرام : خرجوا فى استهلاله . وموالى ملك أى يتولونه . (٣) فى ج : «أبو دفافة» . بهامين .

٢٠

ورَوَى هذا الخبرَ أبو أيّوب المَدينىّ عن المدائنىّ عن عاصم بن شِبْل الجَرْمىّ أنه سأل الأخطل عن هذا، فذكر نحوَه، وقال : واللّاتِ والعُزَّى .

نصح له شيبانى بألا يهجو جريرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال ذكر الجِرْمازىّ :

٥ أنّ رجلًا من بنى شَيْبان جاء إلى الأخطل فقال له : يا أبا مالك، إنّا، وإن كنّا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتّصال الحرب والعداوة، تجمعنا ربيعةُ، وإنّ لك عندى نُصْحا . فقال : هاتِه، فما كَذَبتَ . فقلت : إنك قد هجوتَ جريرًا ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنىٌّ عن ذلك ولا سيما أنه يبسُط لسانه بما ينقبض عنه لسانُك ويَسُبّ ربيعةَ سبًّا لا تقدِر على سبّ مُضَرَ بمثله والمُلْكُ فيهم والنبوّة قبله؛ ١٠ فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارّته ومُهارّته . فقال : صدقتَ فى نُصْحك وعرفتُ مُرادَك، وصَلَتْك رَحِمٌ! فوالصَّليبِ والقُرْبان لأتخلّصنّ الى كُلَيْب خاصّةً دون مُضَر بما يَلْبَسُهم خِزْيُه ويَشْمَلُهم عارُه . ثم اعلم أنّ العالِمَ بالشعر لا يُبالى وحقِّ الصليبِ إذا مرّ به البيتُ المُعَايِرُ(١) السائر الجيِّد، أمُسْلِمٌ قاله أم نَصْرانى .

أنشد عبد الملك من شعره وتخيله فى حانوت بدمشق فبحث عنه فكان كما ظن

أخبرنى وَكِيع قال حدّثنى أبو أيّوب المَدينىّ عن أبى الحسن المدائنىّ قال :

١٥ أصبح عبد الملك يومًا فى غداةٍ باردةٍ، فتمثّل قولَ الأخطل :

إذا اصطبح الفتى منها ثلاثًا * بغير الماءِ حاول أن يَطُولَا

مَشَى قرشيّةً لا شكَّ فيها * وأرخَى من مآزِره الفُضولا

ثم قال : كأنّى أنظر اليه الساعةَ مُجَلَّلَ(٢) الإزار مستقبِلَ الشمس فى حانوت من حوانيت دِمَشْق؛ ثم بعث رجلًا يطلبه فوجده كما ذكره .

٢٠ (١) المعاير : المتداول بين الناس . وفى ب، س : «العائر» وهو أيضا السائر بين الناس .
(٢) لعل صوابه «مجللا بالازار» أى مغطى به .

قال أبو عمرو لأبى حية وقد أنشده معجبا بنفسه : كأنك الأخطل

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى طائع عن الأصمعىّ قال : أَنْشد أبو حَيّة النُّمَيْرِىّ يومًا أبا عمرو :

يا لَمَعَدٍّ ويا لَلنّاسِ كلّهمُ * ويا لَغائبهم يومًا ومَنْ شَهِدا

كأنه مُعْجَبٌ بهذا البيت ؛ فجعل أبو عمرو يقول له : إنك لَتُعْجَبُ بنفسك كأنك الأخطل .

١٧٤ / ٧

٥

عرض عليه عبد الملك الاسلام وحواره معه فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا الغَلَابىّ عن عبد الرحمن التَّيْمىّ عن هشام ابن سليمان المخزومىّ :

أن الأخطل قدِم على عبد الملك، فنزل على ٱبن سرحون[1] كاتبه . فقال عبد الملك : على مَنْ نزلتَ؟ قال : على فلان . قال : قاتلك الله! ما أعلمَك بصالح المنازل! فما تريد أن يُنْزِلك[2]؟ قال : دَرْمَكٌ[3] من دَرْمَككم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس[4] .

١٠

فضحك عبد الملك ثم قال له : وَيْلَك ! وعلى أىّ شىء ٱقتتلنا إلا على هذا ! . ثم قال : ألَا تُسْلِمُ فنَفْرِضَ لك فى الفَىْء[5] ونُعطيَك عشرة آلاف؟ قال : فكيف بالخمر؟ قال : وما تصنع بها وإنّ أوّلها لَمُرّ وإن آخرها لَسُكْر! فقال : أمّا إذ قلتَ ذلك فإن فيما بين هاتين لَمَنزلةً ما مُلْكُكَ فيها إلّا كَعُلْقة ماء من الفراتِ بالإصبع . فضحك ثم قال : ألّا تزور الحَجّاج! فإنه كتب يستزيرك . فقال : أطائعٌ أم كاره؟ قال : بل طائع . قال : ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ولا قُرْبَه على قربك؛ إننى إذًا لَكَمَا قال الشاعر :

١٥

(١) كذا فى الأصول . والذى فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣١٧) : «وكان كاتبه — يعنى عبد الملك — سرحون بن منصور الرومى» . وذكره الطبرى باسم «سرجون بن منصور الرومى» بالجيم ، وذكر أنه كان كاتبا لمعاوية بن أبى سفيان ثم لمعاوية بن يزيد بن معاوية . (٢) أى يقدّم لك النزل ، وهو ما يهيأ للضيف من طعام وغيره . (٣) الدرمك : دقيق الحوارى . (٤) بيت رأس : اسم لقريتين فى كل واحدة منهما كروم كثيرة ، تنسب اليهما الخمر . (٥) فى ح : «فنفرض لك فى ألفين» .

٢٠

كَمُبْتَاعٍ ليركبَه حمارًا * تَخَيَّرَه من الفرس الكبير (١)

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحجّاج؛ فمدحه بقوله :

صَرَمتْ حبالَك زينبٌ ورَعُومُ (٢) * وبَدَا المُجَمْجَمُ (٣) منهما المكتومُ

ووجّه بالقصيدة مع ابنه اليه وليست من جيّد شعره .

حاج أبو غسان ابن خاقان بيتين من شعره

٥ وقال هارون بن الزيّات حدّثني محمد بن إسماعيل عن أبي غَسّانَ قال : ذكروا الفرزدق وجريرا في حَلْقة المدائنيّ ؛ فقلت لصَبّاح بن خَاقَان : أُنْشِدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما؟ قال : هاتِ؛ فأنشدتُه :

أَلَمْ يأتِها أنّ الأراقِمَ (٤) فَلّقتْ * جَمَاجِمَ قَيْسٍ بين رَاذَانَ والحَضْرِ (٥)

جَمَاجِم قومٍ لم يَعافوا ظُلامةً * ولم يعرِفوا أين الوفاءُ من الغَدْرِ

١٠ قال : فسكت .

حديث يونس النحوي عن الأخطل وسبقه جريرا والفرزدق

قال إسحاق وحدّثني أبو عبيدة أن يونس سُئل عن جرير والفرزدق والأخطل: أيهم أشعر ؟ قال : أجمعت العلماء على الأخطل . فقلت لرجل الى جنبه : سَلْه ومَنْ هم؟ فقال : مَنْ شئتَ، ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العَلَاء وعيسى بن عمر وعَنْبَسة الفيل وميمون الأقْرَن، هؤلاء طرَقوا الكلام وماشُوه لا كمن تحكُون عنه

١٥ لا بدويّين ولا نحويّين. فقلت للرجل : سَلْه : وبأيّ شيء فُضِّل على هؤلاء؟ قال : بأنه كان أكثرهم عددَ قصائدَ طِوالٍ جِيادٍ ليس فيها فُحْش ولا سَقَط . قال أبو عُبيدة:

(١) في ب، س : « عن » . (٢) كذا في شعر الأخطل ص ٣ ٤ من النسخة التي نشرها أنطون صالحاني اليسوعي ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٢٧ أدب . ورعوم : اسم امرأة كما في شرح القاموس . وفي الأصول : «زعوم» بالزاي المعجمة . (٣) جمجم في صدره شيئا :

٢٠ أخفاه ولم يبده . (٤) الأراقم : حي من تغلب وهم جشم وبنو بكر ومالك والحارث ومعاوية . (٥) الحضر : اسم مدينة بإزاء تكريت بينها وبين الموصل والفرات . وراذان : قرية بنواحي نسا (بلد من خراسان) .

فنظرنا فى ذلك فوجدنا للأخطل عَشْرًا بهذه الصفة وإلى جانبها عَشْرًا إن لم تكن مثلَها فليست بدونها؛ ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثا. قال إسحاق: فسألت أبا عُبيدة عن العشر فقال:

* عَفَا واسِطٌ (١) من آل رَضْوَى (٢) فنَبْتَلُ (٣) *

و * تأبّد الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفارِ (٤) *

و * خَفّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكروا *

و * كَذَبَتْك عينُك أم رأيتَ بواسِطٍ *

و * دَعِ المُعَمَّر لا تسأل بمَصْرَعِه *

و * لمن الديارُ بحائلٍ فوُعَالِ *

قال إسحاق: ولم أحفظ بقيّة العَشْر. قال: وقصائد جرير:

* حىِّ الهِدَمْلةَ (٥) من ذات المَوَاعِيسِ *

و * ألَا طرقتْكَ وأهلى هُجُودُ *

و * أهْوَى أراكَ برامَتَيْنِ وُقُودا *

قال وقال أبو عُبيدة: الأخطل أشبه بالجاهليّة وأشدُّهم أسْرَ شعرٍ وأقلُّهم سَقَطا.

وأخبرنا الجوهرىّ عن عمر بن شَبّة عن أبى عُبيدة مثلَه.

وفى بعض هذه القصائد التى ذُكِرت للأخطل أغانٍ هذا موضع ذكرها.

---

(١) واسط: فى عدة مواضع، ومنها واسط الجزيرة، وهى التى يعنيها الأخطل فى شعره، لأن الجزيرة منازل تغلب قبيلة الأخطل. (٢) كذا فى شرح القاموس فى مادتى «وسط ورضى» ومعجم ما استعجم للبكرى فى الكلام على نبتل وياقوت فى الكلام على واسط. وفى ج: «آل بنوى». وفى سائر الأصول: «آل بندى». ورضوى: اسم امرأة، كما جاء فى القاموس. (٣) نبتل: موضع بنجد، كذا فى معجم ما استعجم، وساق البيت. (٤) أحفار: موضع فى بلاد بنى تغلب، كذا فى معجم ما استعجم، واستشهد بالبيت. (٥) أنظر شرحه فى ترجمة جرير ص ٨٤ من هذا الجزء.

منهـا :

صـــوت

تأبّد الرَّبْعُ من سَـــلْمى بأحفارِ * وأقفرتْ من سُلَيْمَى دِمْنةُ الدارِ

وقد تَحُـــلُّ بهـا سَلْمى تُجاذِبُنِى * تَسَاقُطَ الحَلْىِ حاجاتى وأسرارى

غنّاه عمـر الوادىّ هزجاً بالسبّابة فى مجرى الوسطى . وسنذكر خبر هذا الشعر فى أخبـار عبد الرحمن بن حسّان لمّـا هجاه الأخطل وهجا الأنصار ، إذ كان هـذا الشعر قيل فى ذلك .

ومنهـا :

صـــوت

خَفّ القَطِينُ فراحوا منك وٱبتكروا * وأزعجتْهـم نَوًى فى صَرْفِها غِـيَرُ

كأنّنى شاربٌ يوم ٱســتُبِدّ بهم * من قَهْوةٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أو جَـدَرُ(١)

جادتْ بها من ذواتِ القـارِ مُتْرَعةٌ * كَلْفاءُ(٢) يَنْحَتُ عن خُرْطومِها المَدَرُ

غنّاه إبراهيم خفيفَ ثقيل بالبنصر . ولابن سُرَيج فيه رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه رمل آخر يقال : إنه لعـلّويه ، ويقال : إنه لإبراهيم . وفيه لعَـلّوية خفيفُ ثقيلٍ آخر لا يُشَكّ فيه .

سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى ابن النطّاح عن أبى عمرو الشَّيْبانىّ عن رجل من كَلْب يقال له مهوش عن أبيه :

أنّ عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس ؛ قال : الذى كان اذا مدَح رفَع ، واذا هجا وضَع . قال : ومَنْ هو ؟ قال : الأعشى . قال : ثم مَنْ؟ قال : ابن العشرين (يعنى طَرَفة) . قال : ثم من ؟ قال : أنا .

(١) جدر : قرية بين حمص وسلمية ، تنسب اليها الخمـر . (٢) الكلف : حمرة كدرة . وينحت عن خرطومها المدر أى يفض ختام الطين الذى على فيها .

أخبر الراعى فى حضرة بشر بن مروان

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْمىّ قال حدّثنا أبو قُحافة المُرّىّ عن أبيه قال :

دخل الأخطل على بِشْر بن مَرْوان وعنده الراعى ؛ فقال له بِشْر : أنت أشعر أم هذا ؟ قال : أنا أشعر منه وأكرم . فقال للراعى : ما تقول ! قال : أمّا أشعر منّى فعسى ، وأمّا أكرم فإن كان فى أمّهاته من ولَدتْ مثلَ الأمير فنعم . فلمّا خرج الأخطل قال له رجلٌ : أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك ! . قال : وَيْلَك ! إنّ أبا نسطوس وضع فى رأسى أكْؤسًا ثلاثا ، فوالله ما أعقل معها .

استنشده عبد الملك ابن مروان فشرب خمرا ثم أنشده

قال : ودخل الأخطلُ على عبد الملك بن مَرْوان ، فآستنشده ؛ فقال : قد يَبِس حَلْقى ، فمُرْ مَنْ يسقينى . فقال : اسقُوه ماء . فقال : شراب الحمار ، وهو عندنا كثير . قال : فاسقُوه لبنا . قال : عن اللبن فُطِمتُ . قال : فآسقُوه عسلا . قال : شراب المريض . قال : فتُريد ماذا؟ قال : خمرًا يا أمير المؤمنين . قال : أوَعَهِدتَنى أسقى الخمرَ لا أمَّ لك ! لولا حُرْمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت ! . فخرج فلقى فَرّاشًا لعبد الملك فقال : وَيْلَك ! إنّ أمير المؤمنين آستنشدنى وقد صَحِل[1] صوتى ، فآسقنى شربةَ خمر فسقاه ؛ فقال : اعْدِلْه بآخر فسقاه آخر . فقال : تركتَهما يعتركان فى بطنى ، اسقنى ثالثا فسقاه ثالثا . فقال : تركتنى أمشى على واحدة ، اعدِلْ مَيْلى برابع فسقاه رابعا ؛ فدخل على عبد الملك فأنشده :

١٧٦ / ٧

خَفَّ القطينُ فراحوا منك وٱبتكروا * وأزعجتْهم نَوًى فى صرفها غِيَرُ

فقال عبد الملك : خُذْ بيده يا غلام فأخْرِجْه ، ثم ألقِ[2] عليه من الخِلَع ما يغمُره ، وأحسن جائزتَه ، وقال : إنّ لكل قوم شاعرًا و إنّ شاعر بنى أُميّة الأخطل .

(١) صحل صوته : بحّ . (٢) فى ب ، س ، جـ : «ثم ألقى» باثبات الياء على أن الفعل ماض . والسياق يحتمله .

حوار بينه وبين ذهلى فى شعره وشعر الفرزدق

أخبرنى أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام قال قال أَبَانُ بن عثمان حدّثنى سِمَاك بن حَرْب عن ضَوْء بن اللَّجْلاج[1] قال :

دخلتُ حمّامًا بالكوفة وفيه الأخطل ؛ قال فقال : ممّن الرجل؟ قلت : من بنى ذُهْل . قال : أتروى للفرزدق شيئا ؟ قلت نعم . قال : ما أشعرَ خليلى! على أنه ما أسرعَ ما رجع فى هِبَتِه . قلت : وما ذاك ؟ قال قوله :

أبَنِى غُدَانَةَ[2] إنّنى حَرَّرتكم * فوَهبتُكم لعطيّـةَ بن جِعَالِ
لولا عَطِيّةُ لاجتدعتُ أُنوفَكم * من بين ألْأم آنُفٍ وسِبَالِ[3]

وهبهم فى الأوّل ورجع فى الآخر . فقلت : لو أنكر الناس كلُّهم هذا ما كان ينبغى أن تُنكره أنت . قال : كيف ؟ قلتُ : هجوتَ زُفَر[4] بن الحارث ثم خوّفتَ الخليفةَ منه فقلتَ :

بنى أُميّـةَ إنّى ناصحٌ لكمُ * فلا يَبِيتنّ فيكم آمِنًا زُفَـرُ
مفترشًا كافتراش اللّيث كَلْكَلَه * لوقعـةٍ كائنٍ فيها له جَـزَرُ[5]

ومدحتَ عِكْرِمةَ بن رِبْعِىّ فقلتَ :

قد كنتُ أحسَبه قَيْنًا وأُخْبَرُه * فاليومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ

---

(١) فى الأصول هنا : «الجلاح بن ضوء» . (أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٨٦ من هذه الترجمة) .

(٢) بنو غدانة : بطن من يربوع . وعطية بن جعال بن مجمع كان من ساداتهم . (راجع الأغانى ج ١٩ ص ٥٠ طبع بلاق) .

(٣) سبلة الرجل : الدائرة التى فى وسط الشفة العليا ؛ وقيل : السبلة : ما على الشارب من الشعر .

(٤) هو زفر بن الحارث العامرى الكلابى ، خرج على مروان بن الحكم بمرج راهط مع الضحاك بن قيس . (انظر الطبرى ق ٢ ص ٤٧٤) .

(٥) جزر : قتلى .

قال (١) : لو أردتَ المبالغةَ فى هجائه مازدتَ على هذا . [فقال له الأخطل] (٢) : والله لولا أنك من قوم سبَق لى منهم ما سبَق لهجوتُك هجاءً يدخل معك قبرَك . ثم قال :

ما كنتَ هاجِىَ قومٍ بعد مَدْحِهِمُ * ولا تُكَدِّرُ نُعْمَى بعد ما تَجِبُ

أُخْرُجْ عنّى .

هو وزفر بن الحارث فى حضرة عبد الملك ابن مروان

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى أحمد بن إسماعيل الفِهْرِىّ (٣) عن أحمد بن عبد العزيز ابن علىّ بن ميمون عن مَعْن بن خَلاد عن أبيه قال :

لمّا استنزل عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث الكِلابىّ من قِرْقِيسِيا (٤) ، أقعده معه على سريره ؛ فدخل عليه ابن ذى الكَلَاع (٥) . فلما نظر اليه مع عبد الملك على السرير بكى . فقال له : ما يُبكيك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف لا أبكى وسيفُ هذا يقطُر من دماء قومى فى طاعتهم لك وخِلَافه عليك ، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض ! قال : إنى لم أجلسه معى أن يكون أكرمَ علىّ منك ؛ ولكنّ لسانه لسانى وحديثه يُعجِبُنى . فبلغتِ الأخطلَ وهو يشرب فقال : أمَا والله لأقومَنّ فى ذلك مقامًا لم يَقُمْه ابن ذى الكَلَاع ! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك . فلما ملأ عينه منه قال :

وكأسٍ مثلِ عين الدِّيك صِرْفٍ * تُنَسِّى الشارِبين لها العقولَا

إذا شَرِب الفتَى منها ثلاثًا * بغير الماءِ حاول أن يَطُولَا

مَشَى قُرَشِيّةً لا شكَّ فيها * وأرخَى من مآزره الفُضولا

(١) كذا فى ا ، م . وفى سائر الأصول : «فقال» ، على أن سياق الكلام غير محتاج الى هذه الكلمة . (٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) كذا ورد هذا الاسم فى الأصول .

(٤) قرقيسيا : بلد على الفرات قرب رحبة مالك بن طوق . (٥) هو ابن ذى الكلاع الحميرى ، شهد صفين مع معاوية ، وكان من رجالاته . (انظر الطبرى ق ١ ص ٣٢٧٢ ، ٣٢٨٣ ، ٣٢٨٦ طبع أوربا) .

فقال له عبد الملك : ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خُطّةٌ فى رأسك . قال : أجَلْ والله يا أمير المؤمنين حين تُجْلِس عدوّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس :

وقد يَنْبُت المَرْعَى على دِمَنِ الثَّرَى[1] * وتبقَى حزازاتُ النفوس كما هيا

١٧٧/٧

قال : فقبض عبدالملك رجلَه ثم ضرب بها صدْرَ زُفَرَ فقلبه عن السرير وقال : أذْهَبَ الله حزازاتِ تلك الصدور . فقال : أَنْشُدُكَ الله يا أمير المؤمنين والعهدَ الذى أعطيتَنى ! . فكان زُفَرُ يقول : ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلا تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال .

قال إنى فضلت الشعراء وأنشد من عيون شعره

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى هارون بن مُسْلِم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حَنْظَلة الشَّيْبانىّ قال :

قال الأخطل : فَضَلْتُ الشعراءَ فى المديح والهجاء والنَّسيب بما لا يُلْحَق بى فيه . فأمّا النَّسيب فقولى :

ألَا يا ٱسْلَمِى يا هندُ هندَ بنى بَدْرِ * وإن كان حَيّانا عِدًى آخرَ الدَّهْرِ[2]
من الخَفِرات البِيضِ أمّا وِشاحُها * فيجرى وأمّا القُلْبُ[3] منها فلا يجرى
تموت وتحيا بالضجيع وتلتوى * بمُطَّرِدِ المَتْنَيْنِ مُنْبَتِرِ الخَصْرِ

وقولى فى المديح :

نفسى فداءُ أميرِ المؤمنين إذا * أبدى النَّواجذَ يومًا عارمٌ[4] ذَكَرُ
الخائضُ الغمرةِ الميمونُ طائرُهُ * خليفةُ الله يُسْتَسْقَى به المَطَرُ

---

(١) يقول : قد يبدو على وجه المرء البشر وفى قلبه الحقد والعداوة ، مثل نبات الدمن يبدو حسن المنظر ومنبته خبيث ردىء . (٢) كذا فى ديوانه طبع بيروت (ص ١٢٨) وتجريد الأغانى ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى الأصول : « وإن كان حيا قاعدا ... الخ » وهو تحريف .

(٣) القلب : السوار . (٤) العارم : الشديد الشرس .

وقولى فى الهجاء :

وكنتَ اذا لَقِيتَ عبيدَ تَيْمٍ * وتيمًا قلتَ أيُّهمُ العبيدُ
لئيمُ العالَمين يَسُودُ تَيْمًا * وسيِّدُهم وإن كَرِهوا مَسُودُ

قال عبد الخالق : وصدَق لَعَمْرِى، لقد فَضَلَهم .

تزوّج مطلقة أعرابى فتذكرته، وكان هو طلق زوجته وشعره فى ذلك

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر بن شَبّة عن أحمد بن معاوية عن محمد بن داود قال :

طَلَّق أعرابىٌّ آمرأتَه فتزوّجها الأخطل، وكان الأخطل قد طلَّق آمرأته قبل ذلك . فبينا هى معه إذ ذكرتْ زوجَها الأوّل فتنفّست، فقال الأخطل :

كِلَانَا على هَمٍّ يبيتُ كأنما * بجَنْبَيْهِ من مَسِّ الفِراش قُروحُ
على زوجِها الماضى تنوحُ وإننى * على زوجتى الأُخْرى كذلك أنوحُ

حديثه مع عبد الملك بن المهلب

أخبرنى الحسن بن علىّ قال أخبرنا أحمد بن زُهَيْر بن حَرْب عن خالد بن خِدَاش :

أنّ الأخطل قال لعبد الملك بن الُمهَلَّب : ما نازعتْنى نفسى قطُّ الى مدح أحدٍ ما نازعتنى الى مَدْحِكم، فأَعطِنى عطيّةً تبسُط بها لسانى ؛ فوالله لَأُرَدِّيَنَّكم أرديةً لا يذهب صِقَالُها الى يوم القيامة . فقال : أَعْلَمُ والله يا أبا مالك أنك بذلك ملىء، ولكنى أخاف أن يبلُغ أميرَ المؤمنين أنّى أُسأَلُ فى غُرْمٍ وأُعطى الشعراء فأهلِك ويظنّ ذلك منّى حيلةً . فلما قدِم على إخوته لامُوه كل اللَّوْم فيما فعله . فقال : قد أخبرتُه بعُذْرِى .

حديث جرير عنه

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال قال أبو الخطّاب حدّثنى نوح بن جرير قال :

قلت لأبى : أنت أشعرُ أم الأخطلُ؟ فنَهَرنى وقال : بئس ما قلتَ! وما أنت وذاك لا أمَّ لك! فقلت : وما أنا وغيره! قال : لقد أُعِنتُ عليه بكُفرٍ وكِبَرِ سنّ، وما رأيتُه إلّا خَشِيتُ أن يبتلعنى .

حديث أبى عمرو عن منزلة الأخطل

أخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن دَمَاذ عن أبى عُبَيْدة قال :

قال رجل لأبى عمرو : يا عجبًا للأخطل! نَصْرانىّ كافر يهجو المسلمين! . فقال أبو عمرو : يالُكَع! لقد كان الأخطل يجىء وعليه جُبّة خَزٍّ وحِرْزُ خَزٍّ، فى عنقه سلسلةُ ذهب فيها صليب ذهب تنفُض لحيتُه خمرًا حتى يدخل على عبد الملك بن مَرْوان بغير إذن .

١٧٨ / ٧

رأى أبى العسكر فيه وفى جرير والفرزدق

وقال هارون حدّثنى أحمد بن إسماعيل الفِهْرِىّ عن أحمد بن عبد الله بن علىّ الدَّوْسىّ عن مَعْقِل بن فلان عن أبيه عن أبى العَسْكر قال :

كنّا بباب مَسْلَمة بن عبد الملك، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة، فقال أصحابى : حكّمناك وتراضَيْنا بك . فقلت : نعم، هم عندى كأفراسٍ ثلاثةٍ أرسلتهن فى رِهانٍ، فأحدُها سابقُ الدهرَ كلَّه، وأحدُها مُصَلٍّ، وأحدُها يجىء أحيانًا سابقَ الريح وأحيانًا سُكَّيتًا وأحيانًا متخلّفا . فأمّا السابق فى كل حالاته فالأخطل . وأمّا المصلّى فى كل حالاته فالفرزدق . وأمّا الذى يسبق الريح أحيانًا ويتخلّف أحيانًا فجرير؛ ثم أنشد له :

سَرَى لهمُ ليلٌ كأنّ نجومَه * قناديلُ فيهنّ الذُّبَالُ المُفَتَّلُ

وقال : أحسن فى هذا وسبَق . ثم أنشد :

التَّغْلَبِيّةُ مَهْرُها فَلْسانِ * والتغلَبِىّ جنازةُ الشَّيْطانِ

وقال : تخلّف فى هذه . فخرجنا من عنده على هذا .

حديثه هو والفرزدق مع فتى من أهل اليمامة

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى محمد بن عمرو الجُرْجانىّ عن أبيه :

أنّ الفرزدق والأخطل، بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة فى إمارة بِشْر ابن مروان إذ دخل عليهما فتًى من أهل اليَمَامة؛ فقالا له : هل تَرْوِى لجرير شيئا؟ فأنشدهما :

لو قد بعثتُ على الفرزدقِ مِيسَمِى * وعلى البَعِيثِ لقد نكحتُ الأخطلَا

فأقبل الفرزدق فقال : يا أبا مالك، أتُراه إنْ وَسَمَنى يتورّكك على كِبَرِ سِنّك! ففزِع الفتى فقام وقال : أنا عائذٌ بالله من شرّكما . فقالا : اجلس لا بأسَ عليك! ونادماه بقيةَ يومهما .

الفرزدق فى ضيافته

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو يَعْلَى قال حدّثنى عبد السلام بن حَرْب قال :

نزل الفرزدق على الأخطل ليلًا وهو لا يعرفه ، فجاءه بعَشَاءٍ ثم قال له : إنّى نَصْرانىّ وأنت حَنِيفٌ ، فأىُّ الشرابِ أحبُّ اليك ؟ قال : شرابُك . ثم جعل الأخطل لا يُنْشِد بيتًا إلا أتمّ الفرزدق القصيدة . فقال الأخطل : لقد نزل بى الليلةَ شرٌّ، مَنْ أنت ؟ قال : الفرزدق بن غالب . قال : فسجَد لى وسجدتُ له . فقيل للفرزدق فى ذلك، فقال : كَرِهتُ أن يفضُلنى . فنادى الأخطلُ : يا بنى تَغْلِبَ هذا الفرزدق . فجمعوا له إبلًا كثيرة . فلما أصبح فرّقها ثم شخَص .

كان خبيث الهجاء فى عفة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

كان ممّا يُقَدَّم به الأخطل أنه كان أخبثَهم هجاءً فى عَفَافٍ عن[1] الفحش . وقال الأخطل : ما هجوتُ أحدًا قطُّ بما تستحى العذراءُ أن تُنْشِده أباها .

(١) فى الأصول : « فى عفاف من الفحش » .

أجاز بيتا ليزيد بن معاوية

أخبرنى أحمد وحبيب بن نصر المُهَلَّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى محمد بن عَبّاد المَوْصِلىّ قال :

خرج يزيد بن معاوية معه عامَ حَجّ بالأخطل . فاشتاق يزيدُ أهلَه فقال :

بَكَى كلُّ ذى شَجْوٍ من الشأم شاقَهُ * تَهامٍ فأَنَّى يلتــقِى الشَّجِيَانِ

أَجِزْ يا أخطل ؛ فقال : ٥

يغورُ الذى بالشأم أو يُنْجِـدُ الذى * بغَــوْرِ تِهـاماتٍ فيلتقيــان

١٧٩ / ٧

مدح أبو العباس شعرا له فى بنى أمية

أخبرنى أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

قيل لأبى العبّاس أمير المؤمنين : إنّ رجلًا شاعرًا قد مدَحك ، فتسمع شعرَه؟ قال : وما عسى أن يقول فىّ بعد قول ٱبن النّصْرانيّة فى بنى أُمَيّة :

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلامًا اذا قَدَرُوا ١٠

أخبرنى به وَكِيع عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِىّ بمثله .

حادثة له مع أمه

قال هارون وحدّثنى هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التَّيمىّ عن أبى بُرْدة الفَزارىّ عن رجل من تَغْلِب قال :

لَحَظ الأخطل شَكْوةً[1] لأمّه فيها لبن وجِرابًا فيه تمر وزبيب ، وكان جائعا وكان يُضَيَّق عليه ؛ فقال لها : يا أُمّه ، آلُ فلان يزورونك ويقضُون حقّك وأنتِ ١٥ لا تأتينهم وعندهم عليلٌ ، فلو أتيتِهم لكان أجملَ وأولى بكِ . قالت : جُزِيتَ خيرًا يا بُنَىّ ! لقد نَبّهتَ على مَكْرُمة . وقامت فلبست ثيابها ومضت اليهم . فمضى الأخطلُ الى الشَّكوة ففرَّغ ما فيها والى الجراب فأكل التمر والزبيب كلّه .

(١) الشكوة : وعاء من جلد للماء واللبن .

وجاءت فلحظت موضعَها فرأته فارغًا، فعلمتْ أنه قد دهاها، وعمَدت الى خَشَبة لتضربَه بها؛ فهرَب وقال :

أَلَمَّ عــلى عِنَبات العجوزِ * وشَكْوتها من غِياثٍ[(١)] لَمَمْ

فظلّتْ تُنــادى ألَا وَيْلَهــا * وتَلْعَن واللعنُ منهــا أَمَمْ[(٢)]

وذكر يعقوب بن السِّكّيت هذه القصة، فحكى أنها كانت مع آمرأةٍ لأبيه لها منه بنون، فكانت تُؤْثرهم باللّبن والتمر والزبيب وتبعَث به يرعَى أعنُزًا لها . وسائرُ القصة والشعر متّفق . وقال فى خبره : وهذا أوّل شعر قاله الأخطل .

نسب بأمامة ورعوم ابنتى سعيد بن إياس

أخبرنى الحسن بن علىّ عن آبن مهرويه عن علىّ بن فَيْرُوز عن الأصمعىّ عن أَمَامَةَ ورَعُومَ اللّتين قال فيهما الأخطل :

* صَرَمتْ أَمَامةُ حبلَها ورَعومُ *

ورَعُومُ وأمامةُ بنتا سَعيد بن إيَاس بن هانئ بن قَبِيصــة، وكان الأخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمرًا وخرجتا وهما جُوَيْريتان فخدمتاه . ثم نزل عليه ثانيةً وقد كَبِرتا فحُجِبتا عنه؛ فسأل عنهما وقال : فأينَ آبنتاى؟ فأُخْبِر بكبرهما، فنسَب بهما . قال : والرَّعُوم هى التى كانت عند قُتَيْبة بن مُسْلِم وكان يقال لهــا أُمّ الأخماس، تزوّجت فى أخمــاس[(٣)] البَصْرة محمدَ بن المهلّب وعامرَ بن مِسْمَع وعَبّادَ بن الحُصَيْن وقتيبةَ بن مُسْلِم؛ وكان يقال لها الجارُود .

---

(١) غياث : اسم الأخطل، كما مر فى أوّل الترجمة . (٢) أمم : قريب يسير .

(٣) أخماس البصرة : خمسة . فالخمس الأوّل العالية، والخمس الثانى بكر بن وائل، والخمس الثالث تميم، والخمس الرابع عبد القيس، والخمس الخامس الأزد . وفى ب، س، ج : «الأحماس» بالحاء المهملة، وهو تصحيف .

كان حكم بكر بن وائل

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدى قال حدّثنا الخَزاز عن المدائنىّ قال قال أبو عبد الملك :

كانت بكر بن وائل اذا تشاجرتْ فى شىء رَضيتْ بالأخطل، وكان يدخل المسجدَ فيَقْدَمون اليه . قال : فرأيته بالجزيرة وقد شُكِى الى القَسّ وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يَصِىء كما يَصِىء الفَرْخ[1][2] . فقلت له : أين هذا مما كنت فيه بالكوفة ؟ فقال : يا ٱبن أخى، اذا جاء الدِّين ذَلَلنا .

استنشده داود بن المساور فأنشده ثم سأله عن أشعر الناس فأجابه

وقال يعقوب بن السِّكِّيت زعم غَيْلان عن يحيى بن بِلَال عن عمرو بن عبد الله عن داود بن المُسَاوِر قال :

دخلتُ الى الأخطل فسلّمت عليه، فنسبنى[3] فٱنتسبت، وٱستنشدته فقال : أُنْشِدك حبّة قلبى، ثم أنشدنى :

١٨٠ / ٧

لَعَمْرِى لقد أَسْرَيتُ لا لَيلَ عاجزٍ * بسَلْهَبَة[4] الخَدَّيْنِ ضاوِيةِ القُرْبِ[5]

إليكَ أميرَ المؤمنين رَحَلْتُها * على الطائرِ[6] الميمون والمنزل الرَّحْبِ

فقلت : مَنْ أشعرُ الناس؟ قال : الأعشى . قلت : ثمّ مَنْ؟ قال : ثم أنا .

أعطاه هشام فاستقل عطاءه وفرّقه فى الصبيان

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ٱبن مَهْرويه عن أبى أيّوب المَدينىّ عن المدائنىّ قال :

امتدح الأخطلُ هشامًا فأعطاه خمسمائة درهم، فلم يرضَها وخرج فاشترى بها تُفّاحًا وفرّقه على الصِّبيان . فبلغ ذلك هشامًا فقال : قبّحه الله! ما ضرَّ إلّا نفسَه .

---

(١) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : «وضربه فعضله ...» . (٢) يصىء : يصيح .
(٣) نسبنى : سألنى أن أنتسب . (٤) سلهبة الخدين : طويلتهما . (٥) القرب : الخاصرة . (٦) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « عن الطائر ... » وهو تحريف .

تمثل هشام بشطر بيت فى ناقة، فأتمه جرير والفرزدق وهو فأخذها

وقال يعقوب بن السِّكِّيت حدّثنى سَلَمة النُّمَيْرِىّ — وتُوُفِّىَ وله مائةٌ وأربعون سنة — أنه حضر هشامًا وله يومئذ تسعَ عَشْرةَ سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده، فأَحْضر هشامٌ ناقةً له فقال متمثِّلا :

* أُنِيخها ما بَدَالِى ثم أَرْحَلُها *

ثم قال : أيّكم أتمَّ البيتَ كما أُريد فهى له . فقال جرير :

* كأنّها نِقْنِقٌ[1] يَعْدُو بصَحْراءِ *

فقال : لم تصنع شيئا . فقال الفرزدق :

* كأنّهـا كاسرٌ[2] بالدَّوّ فَتْخاءُ *

فقال : لم تُغنِ شيئا . فقال الأخطل :

* تُرْخِى المَشافِرَ واللَّحْيين إرخاءَ *

فقال : آركبها لا حملك الله ! .

هجته جارية من قومه فحذر أباها ثم هجاها

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى الخَرّاز عن المدائنىّ قال :

هجتِ الأخطلَ جاريةٌ من قومه ؛ فقال لأبيها : يا أبا الدَّلْماء، إنّ آبنتك تعرّضتْ لى فآكْفُفْها . فقال له : هى آمرأةٌ مالكةٌ لأمرها . فقال الأخطل :

ألَا أبْلِـغْ أبا الدَّلْمـاءِ عنِّى * بأن سِـنانَ شاعرِكم قصيرُ

فإنْ يَطْعُنْ فليس بذى غَناءٍ * وإن يُطْعَنْ فمَطْعَنُه يسـيرُ

متى ما ألقَه ومعى سِلاحى * يخِرّ على قفـاه فلا يُحِـيرُ[3]

فمشى[4] أبوها فى رجال من قومه الى الأخطل فكلّموه؛ فقال : أمّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد .

---

(١) النقنق : الظليم وهو ذكر النعام . (٢) الدّوّ : الفلاة الواسعة . والكاسر : العقاب . والفتخاء : اللينة الجناح لأنها اذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتهما . (٣) فى شعر الأخطل ص ١١٨ : « يخرّ على القفا وله نخير » . (٤) فى ب، س : « فمضى » .

وصيته عند موته

أخبرنا أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام قال :

لمّا حضرتِ الأخطلَ الوفاةُ قيل له : يا أبا مالك، ألَا تُوصِى ؟ فقال :

أوَصّى الفرزدق عند المماتِ * بأُمِّ جــريرٍ وأعيــارِها

وزار القبــورَ أبو مالكٍ * برغــم العُــداة وأوْتارِها

رأى ابن سلام فى شعره وشعر جرير

٥ أخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سَــلّام قال قال لى معاوية بن أبى عمرو ابن العَلَاء : أىُّ البيتين عندك أجودُ : قول جرير :

ألستم خيرَ مَنْ رَكِب المَطَايَا * وأَنْدَى العالمين بُطُــونَ رَاح

أم قول الأخطل :

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتَقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلامًا اذا قَدَرُوا

١٠ فقلت : بيتُ جرير أحلى وأسْيَر، وبيتُ الأخطل أجْزَل وأرْزَن . فقال : صَدقتَ، وهكذا كانا فى أنفسهما عند الخاصّة والعامّة .

رأى حماد الراوية فى شعره

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الحَلَبىّ وجعفر بن سعيد أنّ رجلًا سأل حَمّــادًا الراوية عن الأخطل فقال : وَيْحَكم ! ما أقول فى شعر رجلٍ قد والله حَبَّبَ الىّ[1] شعرُه النَّصْرانية ! .

١٨١ / ٧

فضله كثير من العلماء على صاحبيه

١٥ أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو عثمان الأشناندانىّ[2] عن ابى عُبَيْدة قال : كان يونس بن حَبيب وعيسى بن عُمَر وأبو عَمْرو يفضّلون الأخطل على الثلاثة[3] .

---

(١) فى ب ، س : « قد والله حبب الىّ شعر النصرانية » . (٢) فى أ ، م : «الاشنانادانى» . (٣) لعل صوابها : « من الثلاثة » أو « على الاثنين » .

فضله عمر بن عبد العزيز على جرير

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى أبو عثمان المازنىّ عن العُتْبىّ عن أبيه :

أنّ سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز : أجريرٌ أشعرُ أم الأخطلُ ؟ فقال له : أعْفِنى . قال : لا والله لا أُعفيك . قال : إنّ الأخطل ضيَّق عليه كفرُه القولَ، وإنّ جريرًا وسّع عليه إسلامُه قولَه ؛ وقد بلغ الأخطلُ منه حيث رأيتَ . فقال له سليمان : فضَّلتَ والله الأخطلَ .

أثنى عليه الفرزدق

قال هارون وحدّثنى أبو عثمان عن الأصمعىّ عن خالد بن كُلْثُوم قال :

قال عبد الملك للفرزدق : مَنْ أشعرُ الناسِ فى الإسلام؟ قال : كفاك بٱبن النَّصْرانيّة اذا مدَح .

مهاجاته جريرا فى حضرة عبد الملك وقصة أبى سواح

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال :

حُدِّثْتُ أنّ الحجّاج بن يوسف أوفد وفدًا الى عبد الملك وفيهم جريرٌ. فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعى له ؛ فلما دخل عليه قال له : يا أخطل، هذا سَبُّك — يعنى جريرا، وجريرٌ جالسٌ — فأقبل عليه جريرٌ فقال : أين تركتَ خنازيرَ أمِّك؟! قال : راعيةً مع أعيار أمِّك[1]، وإن أتيتنا قَرَيْناك منها . فأقبل جريرٌ على عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ رائحة الخمرِ لتفوحُ منه . قال : صدَق يا أمير المؤمنين ، وما ٱعتذارى من ذلك ! .

تَعيبُ الخمرَ وهى شرابُ كِسْرَى * ويشرَب قومُك العَجَبَ العجيبَا
مَنِىُّ العبدِ عبدِ أبى سُوَاج * أحَقُّ من المُدامةِ أن تَعيبا

فقال عبد الملك : دعوا هذا، وأَنْشِدْنى يا جرير، فأنشده ثلاثَ قصائدَ كلُّها فى الحجّاج يمدَحه بها، فأَحْفِظ عبدُ الملك، وقال له : يا جرير، إنّ الله لم ينصر الحجّاج وإنما نَصر خليفته ودينه . ثم أقبل على الأخطل فقال :

(١) فى تجريد الأغانى وطبقات ابن سلام : « مع أعيار أبيك » .

شُمْسُ العـــداوةِ حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ النـاسِ أحلامًا اذا قَدَروا

فقال عبد الملك : هذه المُزَمِّرة، والله لو وُضعتْ على زُبَر[1] الحديدِ لأذابتها . ثم أمر له بخِلَعٍ فخُلِعتْ عليه حتى غاب فيها ، وجعل يقول : إنّ لكل قومٍ شاعرًا ، و إنّ الأخطل شاعرُ بنى أُمَيّة .

٥ فأمّا قول الأخطل :

* مَنِيّ العبدِ عبدِ أبى سُوَاجِ *

فأخبرنى بخبر أبى سُـوَاجٍ علىّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيدىّ قالا حدّثنا أبو سـعيد السُّكَّرىّ قال حدّثنا محمـد بن حَبِيبَ وأبو غَسّان دَمَاذ عن أبى عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى أنّ أبا سُوَاجٍ وهو عَبّاد بن خَلَف الضَّبِّىّ جاور بنى يَرْبوع ،

١٠ وكانت له فرسٌ يقال لها بَذْوة[2]، وكان لِصُرَد بن جَمْرة اليَرْبُوعىّ فرس يقال لها القَضيب ، فتراهنا عشرين بعشرين ، فسبقت بَذْوةُ فظلمه ٱبن جَمْرَةَ حقَّه ومنعه سبَقَه[3]، وجعل يفجُر بامرأته . ثم إنّ أبا سُوَاج ذهب الى البَحْرَين يمتارُ، فلما أقبل راجعا ، وكان رجلًا شديدًا مُعْجَبًا بنفسه ، جعل يقول وهو يَحْدو :

* يا ليتَ شِعْرِى هل بَغَتْ من بَعْدى *

١٥ فسمع قائلًا يقول من خَلْفه :

* نعم بمكوِىٍّ قَفـاهُ جَعْـدِى *

فعاد الى قوله فأجابه بمثل ذلك . وقَدِم الى منزله فأقام به مدّةً ، فتغاضَبَ صُرَدُ على امرأة أبى سُوَاج وقال : لا أرضَى أو تَقُدِّى من ٱست أبى سُوَاج سيرًا . فأخبرتْ زوجَها بذلك فقام إلى نعجةٍ له فذبحها وقَدّ من باطن أَلْيَتَيْها سيرًا فدفعه اليها ، فجعله

١٨٢/٧

٢٠ (١) الزبرة : القطعة الضخمة من الحديد . (٢) كذا فى تجريد الأغانى وشرح القاموس مادة «سوج» وفى الأصول «ندوة» . (٣) السبق بفتح الباء الخطر الذى يوضع بين أهل السباق .

صُرَدُ بن جَمْرة فى نعله ، فقال لقومه : إذا أقبلتُ وفيكم أبو سُوَاج فسَلُونى من أين أقبلت ففعلوا ، فقال : من ذى بِلِيَّان(١) وأُريد ذا بِلِيّان ، وفى نعلى شِرَا كان ، من آسْتِ إنسان . فقام أبو سُوَاج : فطرَح ثوبَه وقال : أنشُدكم اللهَ ! هل ترَوْن بأسا ؟ ثم أمر أبو سُوَاج غلامين له راعيَيْن أن يأخذا أمَةً له فيَتَراوحَاها ، ودفع اليهما عُسًّا وقال : لئن قطرتْ منكما قطرةٌ فى غير العُسِّ لأقتلنّكما . فباتا يتراوحانها و يصُبّان ما جاء منهما فى العُسّ ، وأمَرهما أن يحلُبا عليه فحلبا حتى ملآه ، ثم قال لآمرأته : والله لَتَسْقِنّه صُرَدَ أو لأقتلنّكِ : وآختبأ وقال : ابعثى اليــه حتى يأتيكَ ففعلتْ . وأتاها لعادتها كما كان يأتيها ، فرحّبَتْ به وآستبطأته ثم قامت إلى العُسّ فناولته إيّاه . فلما ذاقه رأى طعمًا خبيثا وجعل يَتَمَطَّق(٢) من اللبن الذى يشرَب وقال : إنى أرى لبنكم خاثرًا ، أحسب إبلَكم رعَتِ السَّعْدان . فقالت : إنّ هذا من طُول مُكْثه فى الإناء ، أقسمتُ عليكَ إلّا شربتَه . فلما وقع فى بطنه وجد الموتَ ، فخرج الى أهله ولا يعلَم أصحابُه بشىء من أمره . فلما جَنّ على أبى سُوَاج اللّيل أتى أهلَه وغلمانَه فانصرفوا الى قومه وخلّف الفرسَ وكلبَه فى الدار ، فجعـل الكلب ينبَح والفرس يصهَل ، وذلك ليظنّ القومُ أنّه لم يَرْتَحِل . فساروا ليلتَهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبه وفرسه وعُسّه . فلما أصبح ركب فرسَه وأخذ العُسَّ فأتى مجلسَ بنى يَرْبُوع فقال : جزاكم الله من جيرانٍ خيرا ! فقد أحسنتم الجوار ، وفعلتم ما كنتم له أهلًا . فقالوا له : يا أبا سُــوَاج ، ما بَدَالك فى الآنصراف عنّا؟ قال : إنّ صُرَدَ بن جَمْرة لم يكن فيما بينى و بينه محسنًا ، وقد قلتُ فى ذلك :

---

(١) ذو بليان : موضـع وراء اليمن ، وقال أبو نصر : أقصى الأرض ، وقال غيره : ذو بليان من أعمال هجر . كذا فى معجم مااستعجم للبكرى . وقد جاء فى معجم البلدان لياقوت : ذو بليان موضع فى قصة أبى سواج الضبيّ . (٢) يتمطق : يتذوّق .

إنّ المَـنىّ إذا سَرَى * فى العبد أصبح مُسْمَغِدّا[1]

أتنـالُ سَلْمَى باطـلًا * وخُلِقْتُ يوم خُلِقتُ جَلْدَا

صُرَدَ بنَ جمرة هـل لَقِيـ * ـتَ رثيئةً لبنًا وعَصْدًا[2]

واْعلموا أنّ هـذا القَدَح قد أحبَل منكم رجلًا وهو صُرَد بن جَمْرة . ثم رَمى بالعُسّ

٥ على صخرةٍ فانكسر وركَض فرسَه . وتنادَوْا : عليكم الرجلَ ، فأعجزهم ولحِق بقومه .

وقال فى ذلك عمرو بن لَجَأ التَّيْمىّ :

تُمَسِّحُ يربوعٌ سِبالًا لئيمةً * بها من مَنِىِّ العبدِ رَطْبٌ ويابسُ

وإيّاهُ عَنَى الأخطلُ بقوله :

* ويشرَب قومُك العجبَ العجيبا *

حبسه القس ثم أطلقه بشفاعة هاشمى

١٠ أخبرنا أبو خَليفةَ قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال زعم محمد بن حَفْص بن عائشة التَّيْمىّ عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطّلب قال :

قَدِمتُ الشامَ وأنا شابٌّ مع أبى ، فكنت أطوفُ فى كنائسها ومساجدها ، فدخلتُ كنيسةَ دِمَشْق ، وإذا الأخطلُ فيها محبوس ، فجعلتُ أنظر اليه . فسأل عنّى فأخْبِر بنسبى ، فقال : يافتى ، إنك لَرجلٌ شريف ، وإنى أسألك حاجةً . فقلت : حاجتُك

١٥ مقضيّةٌ . قال : إنّ القَسّ حبَسنى هاهنا فتكلِّمُه ليُخَلِّىَ عنّى . فأتيتُ القَسّ فانتسبت له ، فرحَّب وعظَّم ، قلت : إنّ لى اليك حاجةً . قال : ما حاجتك ؟ قلت : الأخطلُ تُخَلِّى عنه . قال : أُعيذُك بالله من هذا ! مثلُك لا يَتكلّم فيه ، فاسقٌ يشتُم أعراضَ الناس ويهجوهم ! فلم أزل أطلُب اليه حتى مضى معى متّكئًا على عصاه ، فوقف عليه

١٨٣/٧

---

(١) كذا فى تجريد الأغانى . والمسمغد : المرتوى من اللبن . وفى ب سـ «مصمغدا» . وفى حـ : «مسعدا» بالسين . وفى سائر الأصول «مصعدا» بالصاد ، وكله تحريف . (٢) الرثيئة : اللبن الحامض . والعصد : تحريك العصيدة بالمسواط فتنقلب فلا يبقى فى الإناء منها شىء الا انقلب .

٢٠

ورفع عصاه وقال : ياعَدُوَّ الله! أتعود تَشتُمُ الناس وتهجوهم وتقذف المُحْصَنات ! وهو يقول: لستُ بعائد ولا أفعل، ويَسْتَخْذِى له . قال : فقلت له : يا أبا مالك، الناسُ يَهابونك والخليفةُ يُكرمك وقَدْرُك فى النــاس قَدْرُك ، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوعَ وتستخذى له ! . قال : فجعل يقول لى : إنّه الدِّين ! إنه الدِّين ! .

مر به أسقف فأمر امرأته أن تمسح به

أخبرنا اليزيدىّ عن عمه عُبيد الله عن ابن حَبيبَ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال : ٥

كانت آمرأة الأخطل حاملًا، وكان متمسِّكا بدينـه . فمرّ به الأُسْقُفّ يومًا . فقال لهـا : الحَقِيه فتَمَسَّحِى به، فعدَتْ فلم تلحَق إلّا ذَنَبَ حمـاره فتمسّحتْ به ورجعتْ . فقال لهـا : هو وذنب حماره سواء .

هجاه هشام بالإسلام وأجابه

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا ابن سَلّام قال حدّثنى يونس قال قال أبو الغَرّاف :

سمِع هشامُ بن عبد الملك الأخطلَ وهو يقول : ١٠

وإذا افتقرتَ إلى الذخائرِ لم تَجِدْ * ذُخْرًا يكون كصالح الأعمالِ

فقال: هنيئًا لك أبا مالك هذا الإسلام ! . فقال له : يا أميرالمؤمنين، ما زلتُ مُسْلِمًا فى دِينى .(١)

وفد على الغضبان ابن القبعثرى فى حمالة نخيره فى عطاءين، وقصة ذلك

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا ابن سَلّام قال حدّثنى يونُس وعبد الملك وأبو الغَرّاف، فألّفتُ ما قالوا، قالوا : ١٥

أتى الأخطلُ الكوفةَ، فأتى الغَضْبَانَ بن القَبَعْثَرَى الشَّيْبانىّ(٢) فسأله فى حَمَالةٍ، فقال: إن شئتَ أعطيتُك ألفين ، وإن شئتَ أعطيتُك درهمين . قال : وما بالُ الألفين

(١) ورد فى ترجمته فى ذيل ديوانه طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت أن الأخطل توفى فى خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٧١٠ ميلادية . وهشام بن عبد الملك ولى الخلافة بعد ذلك . وقد ورد هذا الخبر فى طبقات الشعراء لابن سلام (ص ١١٥ طبعة أوربا) وليس فيه كلمة «يا أمير المؤمنين» ٢٠

(٢) الغضبان بن القبعثرى من أشراف العراق، وكان من دعاة المروانية أيام حرب عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير . (انظر الطبرى ج ٢ ص ٨٠٤ من القسم) .

وما بال الدرهمين ؟ قال : إن أعطيتُك ألفين لم يُعْطِكَها إلّا قليلٌ ، وإن أعطيتُك درهمين لم يبقَ فى الكوفة بَكْرِيٌّ إلّا أعطاك درهمين ؛ وكتبنا إلى إخواننا بالبَصْرة فلم يبقَ بكرىٌّ بها إلّا أعطاك درهمين ، نخفَّتْ عليهم المئونةُ وكَثُر لك النَّيْل . فقال : فهذه إذًا . فقال : نَقْسِمها لك على أن تَرِد علينا . فكتب بالبصرة الى سُوَيْد بن مَنْجُوف السَّدُوسىّ[1] فقدِم البَصْرةَ — فقال يونس فى حديثه — : فنزل على آل الصَّلْت بن حُرَيْث الحنفىّ ؛ فأخبر مَنْ سمعه يقول[2] : والله لا أزال أفعل ذلك . ثم رجع الحديث الأوّل : فأتى سويدًا فأخبره بحاجته . فقال نعم ! وأقبل على قومه فقال : هذا أبو مالكٍ قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له ، وهو الذى يقول :

إذا ما قلتُ قد صالحتُ بكرًا * أَبَى البَغْضاءُ والنَّسبُ البعيدُ
وأيّامٌ لنا ولهُمْ طِوالٌ * يَعَضّ الهامَ فيهنّ الحديدُ
ومُهْراقُ الدماءِ بوارِداتٍ[3] * تَبِيدُ المُخْزِياتُ ولا تَبِيدُ
هُمَا أخوانِ يَصْطليانِ نارًا * رِداءُ الحربِ بينهما جديدُ

فقالوا : فلا والله لا نُعطيه شيئا . فقال الأخطلُ :

فإنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بدِرْهَمَيْها * فإنّ الرِّيحَ طَيِّبةٌ قَبُولُ[4]
تَوَاكَلَنِي[5] بنو العَلّات[6] منهم * وغالتْ مالكًا ويزيدَ[7] غُولُ

(١) سويد بن منجوف : من أشراف البصرة . (انظر الكلام عليه فى الطبرى ق ٢ ص ٤٤٣ ، ٧٧٩) . (٢) فى ب ، س : « ... سمعه بأنه يقول ... » .

(٣) يريد يوم واردات وهو يوم كان بين بكر وتغلب فى حروبهما (انظر الكلام مفصلا عليه فى ج ٥ ص ٥٣ من الأغانى من هذه الطبعة) . (٤) القبول : هى ريح الصبا . (٥) تواكل القوم : اذا اتكل بعضهم على بعض فى الأمر . (٦) يقال : هم بنو العلات : اذا كان الأب واحدا والأمهات شتى . (٧) يريد مالك بن شيبان الجحدرى من قيس بن ثعلبة ، ويزيد بن الحارث ابن يزيد بن رويم الشيبانىّ صاحب شرطة الحجاج .

صَرِيعًا[1] وائـلٍ هَلَكَا جميعًا * كأنّ الأرضَ بعدهما مُحُولُ[2]

وقال فى سُوَيْد بن مَنْجُوف — وكان رجلا ليس بذى منظر — :

وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرَّبَ السُّوسُ أصلَه * لِمَا حَمَّلْتَه وائلُ بمُطِيقِ

١٨٤ / ٧

أخبرنا أبو خَليفة قال قال محمد بن سَلّام :

كان مع مهارته وشعره يسقط أحيانا

كان الأخطلُ مع مَهارته وشعره يسقُط أحياناً : كان مدح سِماكًا الأَسَدىّ ، وهو سِمَاك الهالكىّ من بنى عمرو بن أسد ، وبنو عمرو يلقّبون القُيُونَ ، ومسجد سِمَاك بالكوفة معروف ، وكان من أهلها ؛ فخرج أيام علىّ هاربًا فلَحِق بالجزيرة ، فمدحه الأخطل فقال :

نعم المُجيرُ سِمَاكٌ من بنى أسدٍ * بالقاع إذ قتلت جيرانَها مُضَرُ

قد كنتُ أحسبه قَيْنًا وأُخْبَرُهُ * فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ

إنّ سماكًا بنى مجدًا لأُسرته * حتى المماتِ وفعلُ الخير يُبتدرُ

فقال سِمَاك : يا أخطلُ، أردتَ مَدْحِى فهجوتَنى، كان الناس يقولون قولًا فحقّقتَه . فلما هجا سُوَيْدًا قال له سُوَيْد : والله يا أبا مالك ، ما تُحْسِن تهجو ولا تمدح؛[3] لقد أردتَ مَدْحَ الأَسَدىّ فهجوتَه — يعنى قوله :

قد كنتُ أحسبه قينًا وأُنْبَؤُه * فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ

إنّ سماكا بنى مجدًا لأُسرته * حتى المماتِ وفعلُ الخير يُبتدرُ

— وأردتَ هجائى فمدحتَنى، جعلتَ وائلًا حَمَّلَتْنى أمورَها، وما طَمِعتُ فى بنى تَغْلِب فضلًا عن بكر .

(١) فى ديوانه (طبع بيروت ص ١٢٥) : «قريعا وائل» ويعنى بهما بكرا وتغلب .

(٢) كذا فى ديوانه وفى الأصول «سحول» وهو تحريف . (٣) المعنى على تقدير «أن» أي ما تحسن أن تهجو ولا أن تمدح .

أبى الصلاة فى مسجد بنى رؤاس وهجاهم

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال حدّثنى أبانُ البَجَلِىّ قال :
مرّ الأخطل بالكوفة فى بنى رُؤاس[1] ومؤذّنهم يُنادى بالصلاة . فقال له بعض فتيانهم : ألَا تدخل يا أبا مالك فتصلّى ؟ فقال :

أصلّى حيث تُدركنى صلاتى * وليس البِرُّ عند بنى رُؤاس

خلا فى نزهة مع صديق له فطرأ عليهما ثقيل فهجاه

٥ أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال حدّثنى أبو الحُصَيْن الأموىّ قال :
بينا الأخطلُ قد خلا بخُمَيْرة له فى نُزْهةٍ مع صاحب له ، وطرأ عليهما طارئ لا يعرفانه ولا يَستخِفّانه ، فشرِب شرابَهما وثقُل عليهما . فقال الأخطل فى ذلك :

صــــوت

وليس القَذَى بالعُودِ يسقُط فى الإنا * ولا بذُبابٍ خَطْبُــه أيسرُ الأمرِ

١٠ ولكنّ شخصًا لا نُسَرّ بقُربِه * رمتْنا به الغِيطانُ من حيث لاندرى

ويُروى :

* ولكن قَذاها زائرٌ لا نُحِبّه *

وهو الجيّد . الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وقد أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أسَد قال حدّثنا العُمَرىّ

١٥ قال حدّثنا الهَيْثم بن عَدِىّ عن ٱبن عيّاش قال :
بينا الأخطلُ جالسٌ عند ٱمرأةٍ من قومه ، وكان أهلُ البَدْو إذ ذاك يتحدّث رجالُهم إلى النساء لا يروْن بذلك بأسًا ، و بين يديه باطِيةُ شَرابٍ والمرأةُ تُحدّثه وهو يشرب ، إذ دخل رجلٌ فجلس ، فثقُل على الأخطل وكرِه أن يقول له قُم ٱستحياءً منه . وأطال الرجل الجلوسَ إلى أن أقبل ذُبابٌ فوقع فى الباطية فى شرابه ؛ فقال

٢٠ الرجل : يا أبا مالك ، الذُّبابُ فى شَرابك . فقال :

(١) بنو رؤاس : حى من بنى عامر بن صعصعة ، وهو رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

١٨٥
―
٧

وليس القذى بالعود يسقط فى الخمر * ولا بذباب نزعه أيسر الأمر
ولكن قذاها زائرٌ لا نحبه * رمتنا به الغيطان من حيث لا ندرى

قال : فقام الرجل فانصرف .

وأخبرنى عمى رحمه الله بهذا الحديث عن الكرانى عن الزيادى عن على بن الحفار أخى أبى النجاج [(١)] :

٥

أن الأخطل جاء إلى معبد فى قدمة قدمها إلى الشأم . فقال له معبد : إنى أحب محادثتك . فقال له : وأنا أحب ذلك . وقاما يتصبحان الغدران [(٢)] حتى وقفا على غدير فنزلا وأكلا، فتبعهما [(٣)] أعرابى فجلس معهما . وذكر الخبر مثل الذى قبله .

لبى دعوة شاب من أهل الكوفة وشعره فى ذلك

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال أبان بن عثمان حدثنى أبى قال :

دعا الأخطل شابٌّ من شباب أهل الكوفة إلى منزله . فقال له : يابن أخى، أنت ١٠ لا تحتمل المئونة وليس عندك معتمدٌ، فلم يزل به حتى أتجعه، فأتى الباب فقال : يا شقراء، فخرجت اليه امرأةٌ، فقال لأمه : هذا أبو مالك قد أتانى، فباعت غزلًا لها واشترت له لحمًا ونبيذًا وريحانًا . فدخل خصًّا لها فأكل معه وشرب، وقال فى ذلك :

وبيتٍ كظهر الفيل جلُّ متاعه * أباريقه والشارب المتقطر [(٤)]
ترى فيه أثلام الأصيص [(٥)] كأنها * اذا بال فيها الشيخ جفرٌ [(٦)] معور ١٥
لعمرك ما لاقيت يوم معيشةٍ * من الدهر إلا يوم شقراء أقصر
حواريةٌ لا يدخل الذم بيتها * مطهرةٌ يأوى اليها مطهر

(١) فى حـ : « عن على بن على الحفار أخى أبى العجاج » . (٢) يتصبحان الغدران : يأتيانها صباحا . (٣) فى الأصول « فتبعهم » وهو تحريف . (٤) كذا فى أكثر الأصول وشعر الأخطل . والمتقطر : المصروع . وفى ب، س : « الشادن المتعطر » . ٢٠
(٥) الأصيص : أسفل الدن كان يوضع ليبال فيه . (٦) الجفر : البئر الواسعة . والمعور : المكبوس بالتراب . وفى ب، س : «حير مقور» وهو تحريف .

وذكر هارون بن الزيّات هذا الخبر عن حمّاد عن أبيه أنه كان نازلًا على عِكْرِمة الفيّاض وأنه خرج من عنده يومًا، فمرّ بفتيان يشربون ومعهم قَيْنةٌ يقال لها شَقْراء. وذكر الخبرَ مثل ما قبله، وزاد فيه: فأقام عندهم أربعة أيّام. وظنّ عِكْرِمةُ أنه غضِب فانصرف عنه. فلما أتاه أخبره بخبره، فبعث الى الفتيان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف، فمضى بها اليهم وقال: اِستعينوا بهذه على أمركم. ولم يزل ينادمهم حتى رحَل.

حكم بين جرير والفرزدق بأمر بشر بن مروان

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال حدّثني أبو يحيى الضَّبّيّ قال:

اِجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بِشْر بن مَرْوان، وكان بِشْرٌ يُغْرِى بين الشعراء. فقال للأخطل: ٱحكُمْ بين الفرزدق وجرير. فقال: أعْفِنى أيها الأمير. قال: ٱحكم بينهما، فٱستعفاه بجَهْده فأبى إلا أن يقول؛ فقال: هذا حكمٌ مشئومٌ؛ ثم قال: الفرزدق يَنْحِتُ من صَخْر، وجريرٌ يغرِف من بحر. فلم يرضَ بذلك جرير، وكان سببَ الهجاء بينهما. فقال جرير في حُكومته:

يا ذَا الغَباوةِ[1] إنّ بِشْراً قد قضَى * ألّا تجوزَ حكومةُ النَّشْوانِ
فدَعُوا الحكومةَ لستُم من أهلِها * إنّ الحكومةَ في بنى شَيْبانِ
قتَلوا كُلَيْبَكُمُ[2] بِلَقْحةِ جارِهِمْ * يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستمُ بِهِجانِ

فقال الأخطل يردّ على جرير:

ولقد تَنَاسبتُمْ[3] إلى أحسابكم * وجعلتُمُ حَكَمًا من السُّلطان

---

(١) في جـ: «يا ذا العباءة». (٢) يشير الى حادثة كليب وجساس بن مرة الشهيرة. واللقحة: الناقة الحلوب. (٣) في ديوانه ص (٢٧٤): «ولقد تجاريتم على أحسابكم».

فإذا كُلَيْبٌ لا تُساوِى دارِمًا * حتى يُساوِىَ حَزْرَمٌ[1] بأَبانِ

و إذا جعلتَ أباك فى ميزانهم * رَجَحُوا وشال أبوك فى الميزانِ

١٨٦
٧

و إذا وردتَ الماءَ كان لدارِمٍ * عِفَواتُه[2] وسهولةُ الأعطانِ

ثم ٱستطارا فى الهجاء .

مناقضة بينه و بين جرير

أخبرنى أبو خَليفةَ قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنا أبو الغَرّاف قال : ٥

لما قال جرير :

إذا أَخَذتْ قَيْسٌ عليكَ وخِنْدِفٌ * بأقطارِها لم تَدْرِ من أين تَسْرَحُ

قال الأخطل[3] ، لا أين ! سَدّ والله علىّ الدنيا . فلما أُنشد قولَه :

فما لك فى نَجْدٍ حَصاةٌ تَعُدُّها * وما لك من غَوْرَىْ تِهامةَ أَبطَحُ

قال الأخطل : لا أبالى والله ألّا يكونَ فُتِحَ لى والصَّليبِ القولُ ؛ ثم قال : ١٠

ولٰكنْ لنا بَرُّ العِراقِ وبَحْرُه * وحيث تَرَى القُرْقُورَ[4] فى الماءِ يَسْبَحُ

استشهد تغلبى بشعر لجرير فى محاورة بينه و بين تميمى

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال حدّثنى محمد بن الحجّاج الأُسَيِّدىّ قال :

خرجتُ الى الصائفةِ[5] فنزلتُ منزلًا ببنى تَغْلِبَ فلم أجِدْ به طعامًا ولا شرابًا ولا عَلَفًا

لدوابِّى بِشِرًى ولا قِرًى ولم أجد ظِلًّا ؛ فقلت لرجل منهم : ما فى داركم هذه مسجد

(١) حزرم : جبيل فوق الهضبة فى ديار بنى أسد . (عن شرح القاموس مادة حزرم) . وأبان : ١٥
جبل شرقى الحاجر فيه نخل وماء ، ويعرف بالأبيض ؛ وهو أيضا جبل لبنى فزارة وهو المعروف بالأسود ،
و بينهما ميلان وقيل فيهما غير ذلك . (انظر معجم البلدان لياقوت وشرح القاموس مادة أبن) .

(٢) عفوة كل شىء : صفوته وكثرته . والعطن : مناخ الإبل حول الورد .

(٣) فى ح ، م ، أ : « فلما أنشدها الأخطل قال ... » .

(٤) القرقور : السفينة العظيمة . (٥) فى أ ، م : «الطائف» والصائفة : الغزو فى الصيف . ٢٠

يُستَظَلُّ فيه ؟ فقال : ممّن أنت ؟ قلت : من بنى تميم . قال : ما كنتُ أرى عمّك جريرًا إلّا قد أخبرك حين قال :

فينا المساجدُ والإمامُ ولا ترى * فى آل تَغْلِبَ مسجدًا معمورا

لقيه جرير حين خرج الى الشام فتناشدا وتعارفا

أخبرنى أبو خَليفة قال أنبأنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى شيخ من ضُبَيْعة قال :

٥ خرج جريرٌ إلى الشأم فنزل منزلًا ببنى تَغْلِبَ فخرج متلثّمًا عليه ثيابُ سفره ، فلقيه رجلٌ لا يعرفه . فقال : ممّن الرجل؟ قال : من بنى تميم . قال : أمَا سمعتَ ما قلتُ لغاوى بنى تميم ؟ ! فأنشده مما قال لجرير . فقال : أمَا سمعتَ ما قال لك غاوى بنى تميم ؟ ! فأنشده . ثم عاد الأخطل وعاد جريرٌ فى نَقْضه حتى كثُر ذلك بينهما . فقال التغلبىّ : من أنت ؟ لا حيّاك الله ! والله لكأنك جرير . قال : فأنا جرير .

١٠ قال : وأنا الأخطل .

دخل على عبد الملك وهو سكران فخلط فى كلامه وأنشده

أخبرنى عمّى قال أنبأنا الكُرَانىّ قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائنىّ قال :

دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب، فكلّمه فخلّط فى كلامه . فقال له : ما هذا ؟ فقال :

إذا شرب الفتى منها ثلاثًا * بغير المـاء حاول أن يَطُولَا

١٥ مشى قُرَشِـيَّةً لا عيبَ فيها * وأرخى من مآزره الفُضولا

نزل به الفرزدق ضيفا فى طريقه الى الشام فتناشدا وتعارفا

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قال أخبرنى إسماعيل بن أبى محمد اليزيدىّ قال أخبرنى أبو محمد اليزيدىّ قال :

خرج الفرزدق يَؤُمّ بعض الملوك من بنى أميّة، فرُفِـع له فى طريقه بيتٌ أحمر من أَدَم، فدنا منه وسأل فقيل له : [بيت][1] الأخطل . فأتاه فقال : آنزل . فلمّا نزل قام

٢٠ (١) زيادة يقتضيها السياق .

إليه الأخطلُ وهو لا يعرفه إلا أنه ضيفٌ ؛ فقعدا يتحدّثان . فقال له الأخطل :
ممّن الرجل ؟ قال : من بنى تميم . قال : فإنك إذًا من رَهْط أخى الفرزدق . فقال :
تحفَظ من شعره شيئا؟ قال : نعم كثيرًا . فما زالا يتناشدان ويتعجّب الأخطل من
حفظه شعرَ الفرزدق إلى أن عمِل فيه الشراب ، وقد كان الأخطلُ قال له قبل ذلك :
أنتم معشرَ الحَنيفيّة لا ترون أن تشربوا من شرابنا . فقال له الفرزدق : خَفِّضْ قليلًا ٥
وهاتِ من شرابك فاسْقِنا . فلمّا عمِلت الرّاحُ فى أبى فِرَاس قال : أنا والله الذى
أقول فى جرير فأنشَده . فقام إليه الأخطل فقبّل رأسه وقال : لا جَزاك الله عنّى
خيرًا ! لِمَ كتمْتنى نفْسَك منذ اليوم ! وأخذا فى شرابهما وتَنَاشُدهما ، إلى أن قال له
الأخطل : والله إنك وإيّاى لأشعرُ منه ولكنه أُوتِى من سَيْر الشعر ما لم نُؤْتَه ؛
قلت أنا بيتًا ما أعلم أنّ أحدًا قال أهجَى منه ، قلت : ١٠

قومٌ إذا آستنبح الأضيافُ كلبَهُمُ * قالوا لأمِّهِمُ بُولِى على النارِ

فلم يَرْوِه إلّا حُكَماء أهل الشعر . وقال هو :

والتغلبىّ إذا تنحنح للقِرَى * حَكّ آسْتَه وتمثّلَ الأمثالا

فلم تبقَ سُقاة ولا أمثالُها إلا روَوْه . فقَضَيا له أنه أسْيَرُ شعرًا منهما .

كان له دار ضيافة فر به عكرمة الفياض وهو لا يعرفه فأكرمه

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال المدائنىّ : ١٥
كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافة ، فمرّ به عِكْرِمة الفيّاض وهو لا يعرفه ، فقيل
له : هذا رجل شريف قد نزل بنا . فلمّا أمسى بعث إليه فتعشّى معه ، ثم قال
له : أتُصيب من الشراب شيئا؟ قال نعم . قال : أيَّه؟ قال : كلَّه إلّا شرابَك .
فدعا له بشراب يُوافقه ، وإذا عنده قَيْنَتانِ هما خلفَه وبينه وبينهما سِتْرٌ ، وإذا
الأخطل أشهب اللِّحية له ضفيرتان ؛ فغمز السترَ بقضيبٍ فى يده وقال : غنّيانى بأردية ٢٠
الشعر ، فغنّتاه بقول عمرو بن شَأْس :

وبِيضٍ تَطَلَّى بالعَبِيرِ كأنما * يَطأنَ وإن أَعنقنَ(١) في جُدَدٍ وَحْلا

لَهَوْنا بها يومًا ويومًا بشاربٍ * إذا قلتَ مغلوبًا وجدتَ له عقلا

السبب فى مدحه عكرمة بن ربعى الفياض

فأمّا السبب في مدح الأخطل عِكْرِمةَ بن رِبْعِيّ الفيّاض فأخبرنا به أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال :

قدِم الأخطل الكوفةَ فأتى حَوْشَبَ بن رُوَيْم الشَّيْبانيّ ، فقال : إني تحمّلتُ حَمالتين لأَحقِن بهما دماء قومي فنَهَره ، فأتى سَيّارَ بن البَزِيعة ، فسأله فٱعتذر اليه ، فأتى عِكْرِمةَ الفيّاض ، وكان كاتبًا لِبِشْر بن مَرْوان ، فسأله وأخبره بما ردّ عليه الرجلان ؛ فقال : أمّا إني لا أنهرُك ولا أعتذر اليك ، ولكني أعطيك إحداهما عيناً والأخرى عَرَضًا . قال : وحدَث أمرٌ بالكوفة فٱجتمع له الناس في المسجد ، فقيل له : إن أردتَ أن تكافئ عِكرِمة يوما فاليوم . فلبِس جُبّة خَزٍّ وركب فرسًا وتقلّد صليبًا من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه . فلما رآه حَوْشَب وسيّار نَفِسا عليه ذلك ، وقال له عِكْرِمة : يا أبا مالك ، فجاء فوقف وٱبتدأ يُنشد قصيدته(٢) :

* لِمَنِ الدّيارُ بحائلٍ فوُعالِ *

حتى ٱنتهى إلى قوله :

إنّ ٱبنَ رِبْعِيٍّ كَفَاني سَيْبُه * ضِغْنَ العدوِّ وغَدْرةَ المُحتالِ(٣)

أَغْلَيْتَ حين تواكَلَتْني وائلٌ * إنّ المكارمَ عند ذاك غَوالِ

ولقد مَنَنْتَ على ربيعةَ كلِّها * وكَفَيْتَ كلَّ مُواكِلٍ خَذّالِ

كٱبنِ البَزِيعةِ أو كآخَرَ مثلِه * أَوْلَى لك(٤) ٱبنَ مُسيمةِ الأجمالِ

(١) الإعناق : سير فسيح سريع . والجدد : الطرق . (٢) عبارة تجريد الأغانى : « فلما رآه حوشب وسيار نكسا رءوسهما ؛ وقال له عكرمة الفياض : إلينا يا أبا مالك ؛ فابتدأ ينشده قصيدته » . (٣) وردت هذه الأبيات فى ديوانه ص ١٥٩ باختلاف يسير عما هنا . (٤) أولى لك : ويل لك فهى كلمة تقال فى مقام التهديد والوعيد وقال الأصمعى معناه : قاربك ما تكره أى نزل وحاق بك .

إنّ اللئيم إذا سألتَ بَهَرْتَه * وترى الكريمَ يَراحُ[1] كالمختال

وإذا عدلتَ به رجالًا لم تجِـدْ * فيضَ الفُرات كراشحِ الأوشالِ

١٨٨ / ٧

قال : فجعل عِكْرِمة يبتهج ويقول : هذه والله أحبُّ إلىّ من حُمْرِ النَّعَم .

ومما فى شعر الأخطل من الأصوات المختارة :

٥

صــــوت

من المـائة المختـارة

أراعكَ بالخـابورِ[2] نوقٌ[3] وأجمال * ودارٌ عفَتْها الرّيحُ بعدِى بأذيالِ

ومَبْنَى قِبَابِ المـالكيّة حَوْلَنا * وجُرْدٌ تَعادَى بين سَهْلٍ وأجبالِ

عروضه من الطويل . الشعر للأخطل . والغناء لابن محرز ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف رمل فى هذا الوجه نسبه يحيى المكىّ إلى ابن محرز ، وذكر الهشامىّ أنه منحول . وفيه لحُنَين الحيرىّ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشامىّ .

١٠

(١) راح الانسان الى الشيء : إذا نشط له وسرّ به . (٢) الخابور : نهر بين رأس عين والفرات ، وهو أيضا واد بالجزيرة . (٣) فى ج : «برق» .

ذكر سائب خاثر ونسبه

نسب سائب خاثر

كان سائب خاثر مولى بنى لَيْث . وأصلُه من فَىْء كِسْرَى، وآشترى عبدُ الله آبن جعفر ولاءَه من مواليه، وقيل : بل آشتراه فأعتقه، وقيل : بل كان على وَلائه لبنى لَيْث، وإنما آنقطع إلى عبد الله بن جعفر فلزمه وعُرِف به . وكان يبيع الطعام بالمدينة . وآسم أبيه الذى أعتقه بنو ليث "يشا"[1] . ٥

هو أوّل من عمل العود بالمدينة وغنى به وأخذ عنه المغنون الأولون

قال ابن الكَلْبىّ وأبو غَسّان وغيرُهما : هو أوّل من عمِل العُود بالمدينة وغنّى به . وقال آبن خُرْدَاذْبه : كان عبد الله بن عامر آشترى إماءً صَنّاجات[2] وأتى بهنّ المدينة، فكان لهنّ يومٌ فى الجمعة يلعبن فيه، وسمِع الناسُ منهنّ، فأخذ عنهنّ . ثم قدِم رجل فارسىٌّ يسمَّى بنَشِيط، فغنّى فأُعْجِب عبدُ الله بن جعفر به . فقال له سائب خاثر : أنا أصنع لك مثلَ غناء هذا الفارسىّ بالعربيّة، ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد صنع : ١٠

* لِمَنِ الدِّيارُ رسومُها قَفْرُ *

قال ابن الكلبىّ : وهو أوّل صوت غُنِّى به فى الإسلام من الغناء العربىّ المُتْقَن الصنعة . قال : ثم آشترى عبد الله بن جعفر نَشِيطًا بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربىّ وأخذ عنه آبنُ سُرَيج وجميلةُ ومَعْبَد وعَزّة المَيْلاءُ وغيرُهم . ١٥

---

(١) فى ج : «بشا» بالباء الموحدة . وفى تجريد الأغانى : «يسار» . (٢) كذا فى نهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٣٧ من الطبعة الأولى) . والصناجات : اللاعبات بالصنج وهو صفيحة مستديرة من نحاس تضرب بأخرى مثلها ، وهو أيضا شىء ذو أوتار تختص به العجم . وفى الأصول : « نائحات » .

قتل يوم الحرة

قال ٱبن الكلبيّ وحدّثنى أبو مِسْكين قال :

كان سائب خاثر يُكْنَى أبا جعفر، ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يَقْرَع بقَضِيب ويغنّى مرتجِلًا، ولم يزل يغنّى . وقُتل يومَ الحَرّة . ومرّ به بعض القُرَشيِّين وهو قتيل، فضربه برجله وقال : إنّ هاهنا لحنجرةً حسنةً . وكان سائب من ساكنى المدينة .

قال ٱبن الكلبيّ : وكان سائب تاجرًا مُوسِرًا يبيع الطعامَ ، وكان تحته أربعُ نسوة، وكان ٱنقطاعُه إلى عبد الله بن جعفر، وكان مع ذلك يُخالط سَرَواتِ الناس وأشرافَهم لظَرْفه وحلاوته وحسن صوته . وكان قد آلَى ألا يغنِّيَ أحدًا سوى عبد الله بن جعفر، إلا أن يكون خليفةً أو ولىَّ عهد أو ٱبنَ خليفة ؛ فكان على ذلك إلى أن قُتِل . قال : وأخذ معبد عنه غناءً كثيرا فنحَل الناسُ بعضَه إليه[1]، وأهلُ العلم بالغناء يعرفون ذلك . وزعم ٱبن خُرْدَاذْبه أنّ أُمّ محمد بن عمرو الواقدىّ القاضى المحدِّث بنتُ عيسى بن جعفر بن سائب خاثر .

١٨٩ / ٧

هو أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل

وقال ٱبن الكلبيّ : سائب خاثر أوّل من غَنَّى بالعربيّة الغناءَ الثقيل، وأوّل لحنٍ صنعه منه :

* لِمَنِ الدّيارُ رسومُها قَفْرُ *

قال : فألِفتُ هذا الصوتَ الفَرُوحَ .

قال وحدّثنى محمد بن يزيد أنّ أوّل صوت صنعه فى شعر ٱمرئ القيس :

* أفاطِمُ مَهْلًا بعضَ هذا التدلُّلِ *

وأنّ معبدًا أخَذ لحنَه فيه فغنّى عليه :

* أمِنْ آل ليلى باللِّوَى مُتَرَبَّعُ *

(١) الذى فى أمهات كتب اللغة : نحله القول ينحله نحلا شبها إليه. ونحلته القول أنحله نحلا بالفتح إذا أضفت إليه قولا قاله غيره وادّعيته عليه .

وفد على معاوية مع عبد الله بن جعفر فسمع منه وأجازه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن لَقيط قال :
وفَد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقّع له في حوائجه ،
ثم عرَض عليه حاجةً لسائب خاثر؛ فقال معاوية : مَنْ سائب خاثر؟ قال : رجلٌ
من أهل المدينة لَيْثيٌّ يَرْوى الشعر . قال : أوَكُلُّ من روَى الشعر أراد أن تَصِلَه !
قال : إنه حَسَّنه . قال : وإنْ حَسَّنه! قال : أفأُدْخِله اليك يا أمير المؤمنين؟ قال نعم .
قال : فألبسته مُمَصَّرتين[1] إزارًا ورداء . فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنّى :

* لِمَنِ الديارُ رُسومُها قَفْرُ *

فالتفت معاويةُ إلى عبد الله بن جعفر فقال : أَشْهَد لقد حسّنه ! فقضى حوائجه
وأحسن إليه .

نسبة هذا الصوت

لِمَنِ الديارُ رُسُومُها قَفْــرُ * لَعِبتْ بها الأرواحُ والقَطْرُ
وخَلَا لها من بعد ساكِنِها * حِجَجٌ مَضَينَ ثَمَانٍ اوْ عَشْرُ
والزَّعْفرانُ على تَرائِبِهـا * شَرِقٌ[2] به اللّبّاتُ والنَّحْـرُ

الشعر يُنسب إلى أبي بكر[3] بن المِسْوَر بن مَخْرَمة الزُّهْرِيّ، وإلى الحارث بن خالد
المخزوميّ[4]، وإلى بعض القرشيّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب . والغناء
لسائب خاثر ثقيلٌ أوّل بالسبّابة عن الكَلْبيّ وحَبَش ، وذكر أنّ لحن سائب خاثر ثقيلٌ

---

(١) كذا في تجريد الأغاني . والممصر من الثياب : الذي فيه صفرة خفيفة . وفي الأصول : «مخصرتين» بالخاء المعجمة وهو تحريف . (٢) شرق الجسد بالطيب : امتلأ . (٣) كذا في ج : وكتاب المعارف لابن قتيبة ص ٢١٨ ؛ وفي سائر الأصول : «أبي ذكر» وهو تحريف . وقد ورد البيت الأخير في لسان العرب وشرح القاموس (مادة شرق) منسوبا للمخبل . (٤) هذه الألحان رويت هكذا في أكثر الأصول وفي أ ، م : « والغناء لسائب خاثر ثقيل أول بالوسطى ووافق اسحاق في ذلك وذكر أن الثقيل الأول لنشيط ... الخ » . وفي كلتا الروايتين اضطراب لا يخفى .

أوّل بالوسطى ، ووافق إسحاق فى ذلك، وذكر أنّ الثقيل الأوّل لنشيط ، وذكر يونس أن فيه لحنًا لمعبد ولم يجنّسه ، وذكر الهشامىّ أن لحن معبد خفيفُ ثقيل، وأنّ فيه لآبن سُرَيج خفيفَ رَمَل .

سمعه معاوية عند ابنه يزيد فأعجبه وأمر يزيد بصلته

أخبرنا أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وإسماعيل آبن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى قَبِيصة بن عمرو قال حدّثنا محمد بن ٥ المِنْهال عن رجل حدّثه، وذكر ذلك أيضا آبن الكَلْبىّ عن لَقِيط قال :

أشْرف معاويةُ بن أبى سفيان ليلًا على منزل يزيدَ آبنه ، فسمع صوتًا أعجبه، وآستخفّه السماعُ فاستمع قائمًا حتى مَلّ، ثم دعا بكرسىّ فجلس عليه، وآشتهى الاستزادةَ فاستمع بقيّة ليلته حتى مَلّ . فلما أصبح غدَا عليه يزيدُ. فقال له : يا بُنَىّ! مَنْ كان جليسَك البارحةَ؟ قال : أىّ جليس يا أمير المؤمنين؟ وآستَعْجَم عليه. قال : ١٠ عَرِّفْنى فإنه لم يخفَ علىّ شىءٌ من أمرك . قال : سائب خاثر. قال: فأَخْثِرْ[1] له يا بُنَىّ من بِرّك وصِلَتك، فما رأيتُ بمجالسته بأسًا .

سمعه معاوية عند ابن جعفر فأعجب به

قال آبن الكلبىّ : قدم معاويةُ المدينةَ فى بعض ما كان يقدَم، فأمر حاجبَه بالإذن للناس، فخرج الآذنُ ثم رجع فقال : ما بالباب أحدٌ. فقال معاوية : وأين الناس؟ قال: عند آبن جعفر. فدعا ببغلته فركبها ثم توجّه اليهم . فلما جلس قال بعض ١٥ القرشيّين لسائب خاثر: مُطْرَفِى هذا لك — وكان من خَزٍّ — إن أنتَ آندفعتَ تُغَنِّى ومشيتَ بين السِّماطَيْن وأنت تغنِّى . فقام ومشى بين السماطين وغنَّى :

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى * وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدةٍ دَمَا

١٩٠/٧

فسمع منه معاويةُ وطَرِب وأَصْغى اليه حتى سكَت وهو مُسْتحسنٌ لذلك، ثم قام وآنصرف الى منزله. وأخذ سائب خاثر المُطْرَفَ . ٢٠

(١) أخثر : أكثر .

قتله يوم الحرة وكلام يزيد فيه

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شبّة عن الزُّبيريّ، وأخبرني أبو بكر بن أبي شَيْبة البزّاز قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال :

قُتل سائب خاثر يومَ الحَرّة ، وكان خَشِي على نفسه من أهل الشأم فخرج اليهم وجعل يحدّثهم و يقول : أنا مُغَنٍّ ، ومن حالى وقصّتى كيتَ وكيتَ ؛ وقد خدَمتُ أميرَ المؤمنين يزيدَ وأباه قبلَه . قالوا : فغنِّ لنا ، فجعل يغنّى ؛ فقام اليه أحدُهم فقال له : أحسنتَ والله ! ثم ضربه بالسيف فقتله . و بلغ يزيدَ خبرُه ومرّ به آسمُه فى أسماء من قُتِل يومئذ فلم يعرفه وقال : مَنْ سائب خاثر هذا ؟ فقيل له : هو سائب خاثر المغنِّى . فعرَفه فقال : وَيْلَه ! ماله ولنا ! ألم نُحْسِنْ اليه ونَصِلْه ونَخْلِطْه بأنفسنا ! فما الذى حمله على عداوتنا ! لا جَرَمَ أن بَغْيَه صرَعه . وقال المدائنيّ فى خبره : فقال إنّا لله ! أو بلَغ القتلُ الى سائب خاثر وطبقتِه ! ما أرَى أنه بقِى بالمدينة أحدٌ . ثم قال : قبحكم الله يأهلَ الشام ! تجِدهم صادفوه فى حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال أنبأنا عمر بن شبّة قال حدّثنى قَبِيصةُ بن عمرو قال حدّثنى حاتم بن قَبِيصة قال حدّثنى آبن جُعْدُبة قال حدّثنى مُوَيْلك عن أبيه قال قال لى سائب خاثر يومَ الحَرّة : هل سمعتَ شيئا صنعتُه ؟ فغنّانى صوتًا :

صوت

لِمَنْ طَلَلٌ بين الكُراع[1] الى القَصْرِ * يُغيِّبُ عنا آيَه سَبَلُ القَطْرِ
الى خالداتٍ ما تَرِيمُ وهامِدٍ * وأشعثَ[2] تُرْسِيه[3] الوَليدةُ بالفِهر[4]

(١) كراع الأرض : ناحيتها وهو أيضا ما سال من أنف الجبل أو الحرة . وكراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال . (٢) الأشعث : الوتد .
(٣) كذا فى أ ، م . وأرسى الشيء : ثبته . وفى سائر الأصول « ترميه » بالميم وهو تحريف .
(٤) الفهر : حجر يملأ الكف . وقد ورد هذا البيت فى اللسان مادة «رسا» منسوبا للأحوص .

قال : فسمعتُ عجبا مُعْجِبًا، ثم ذكر أهلَه وولَده فبكى . فقلت له : وما يمنعك منهم؟ فقال: أمّا بعدَ شيء سمعتُه ورأيتُه من يزيدَ بنِ معاوية فلا! ثم تقدّم حتى قُتِل .

٢/٨

صـوت

من المـائة المختـارة

أَقْفَر من أهلِه مَصِيفُ * فبَطْنُ نَخْلَةَ (١) فالعَرِيفُ (٢)

هل تُبْلِغَنِّى دِيارَ قومى * مَهْرِيَّةٌ (٣) سَيْرُها زَفِيفُ

يا أمَّ نُعْمانَ نَوِّلِينا * قد ينفعُ النائلُ الطَّفِيفُ

أعمامُها الصِّيدُ من لُؤَىٍّ * حَقًّا وأخوالُها ثَقِيفُ

٥

الشعر لأبى قَرْعَةَ الكِنانىّ، والغناءُ لجرادَتَىْ عبد الله بن جُدْعان، ولحنُه من خفيف الثقيل . وفيه فى الثالث والرابع ثقيلٌ أوّلُ مطلق .

١٠

(١) بطن نخلة : موضع بين مكة والطائف . (٢) ظاهر أن مصيف والعريف : اسمان لموضعين . ولم نقف عليهما فى كتب البلدان التى بين أيدينا . (٣) إبل مهرية : منسوبة الى مهرة ابن حيدان أبى قبيلة . وزفيف : سريع .

ذكر جَرَادَتَىْ عبد الله بن جُدْعان وخبرهما

وشىء من أخبار ٱبن جُدْعان

جرادتا ابن جدعان

هو عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ بن غالِب .

نسب عبد الله بن جدعان

قال ٱبن الكلبىّ : كانت لابن جُدْعانَ أَمَتَانِ تُسمَّيانِ الجَرَادتين تتغنّيانِ فى الجاهليّة ، سمّاهما بجَرَادَتَىْ عادٍ[1] ، ووهبهما عبدُ الله بن جُدْعانَ لأميّة بن أبى الصَّلْت الثَّقفىّ ، وقد كان ٱمتدحه . وكان ٱبنُ جُدْعانَ سيِّدا جَوادا ، فرأى أُميّةَ ينظر اليهما وهو عنده فأعطاه إيّاهما .

كان جوادا فوهب لأمية ابن أبى الصلت أمتيه الجرادتين

وأخبرنى أبو اللَّيْث نصرُ بن القاسم الفَرَائضىّ قال حدّثنا أبو بكر بن أبى شَيْبة قال حدّثنا حَفْص بن غِياث عن داود عن الشَّعْبىّ عن مسروق عن عائشة قالت : قلتُ : يارسول الله إن ٱبن جُدْعانَ كان فى الجاهليّة يَصِلُ الرَّحِمَ ويُطْعِم المسكينَ فهل ذلك نافعُه ؟ قال "لا لم يقل يوما ٱغفرْلى خَطيئتى يومَ الدِّين" .

سؤال عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم عنه

٣ / ٨

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى جعفر ٱبن الحسين قال حدّثنى إبراهيم بن أحمد قال :

قدم عليه أمية وهو عليل فضمنه قضاء دينه ، فمدحه

قدِم أُميّة بن أبى الصَّلْت على عبد الله بن جُدْعانَ ؛ فلما دخل عليه قال له عبد الله : أمرٌ مّا أتى بك ! فقال أميّة : كلابُ غُرَماءُ نَبَحَتْنِى ونَهَشَتْنِى . فقال له عبدُ الله : قدِمتَ علىّ وأنا عليلٌ من حقوق لَزِمَتْنى ونهشتْنى ، فأَنْظِرْنى قليلا ، مافى يدى[2] ، وقد ضَمِنْتُك قضاءَ دينك ولا أَسْأل عن مَبْلَغه . قال : فأقام أُميّةُ أيّاما ، فأتاه فقال :

(١) فى أ ، م : «يسميهما» . (٢) الظاهر أنه يريد : «ما فى يدى شىء» .

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك إن شيمتك الحياءُ
وعلمك بالأمور وأنت قَرْمٌ * لك الحسبُ المهذّبُ والسَّناء
كريمٌ لا يغيّره صباحٌ * عن الخُلُق السَّنِىّ ولا مَساء
تُبارى الرّيحَ مَكْرُمةً وجوداً [1] * اذا ما الكلبُ أَجْحره الشتاء
اذا أَثْنَى عليك المرءُ يوماً * كفاه من تعرّضه الثناءُ
إذا خلّفتَ عبد الله فآعلم * بأن القوم ليس لهم جَزاء
فأرضُك كلُّ مَكْرُمةٍ بناها * بنو تَيْمٍ وأنت لهم سماءُ
فأَبْرَزَ فضلَه حقّاً عليهم * كما بَرَزتْ لناظرها السماء
فهل تَخْفَى السماءُ على بَصيرٍ * وهل بالشمس طالعةً خَفَاءُ

فلما أنشده أُميّةُ هذا الشعر كانت عنده قينتانِ فقال: خذ أيّتهما شئتَ ؛ فأخذ إحداهما وآنصرف . فمرّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له : لقد لَقِيتَه عَليلا ، فلو رددتَها عليه ، فإن الشيخ يحتاج الى خدمتها ، كان ذلك أقربَ لك عنده وأكثرَ من كل حقّ ضَمِنه لك ، فوقع الكلامُ من أميّة موقِعًا وندِم ، ورجع اليه ليردَّها عليه . فلما أتاه بها قال له ابن جُدْعانَ : لعلك إنّما رَدَدتَها لأن قريشًا لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا ، فوصف لأميّةَ ما قال له القوم . فقال أُميّة : والله ما أخطأتَ يا أبا زُهَير . فقال عبد الله بن جُدْعانَ : فما الذى قلتَ فى ذلك؟ فقال أُميّةُ :

صوت

عطاؤكَ زينٌ لآمرئ إن حَبَوْتَه * ببَذْلٍ وما كلُّ العطاء يَزِينُ
وليس بشَيْنٍ لآمرئ بذلُ وجهه * اليكَ كما بعضُ السؤال يَشين

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «ومجدا» .

— غنّت فيه جرادتا عبد الله بن جُدْعان — فقال عبد الله لأميّة : خُذ الأخرى ؛ فأخذهما جميعا وخرج . فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول — وقد أنشدَنا هذه الأبياتَ أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبّة وفيها زيادة — :

ومالِى لا أحيِّيه وعندى * مواهِبُ يَطّلِعْنَ من النِّجادِ

لأبيضَ من بنى تَيْم بن كَعْبٍ * وهم كالمَشْرَفِيّاتِ الحِداد

لكل قبيلةٍ هادٍ ورأسٌ[1] * وأنت الرأسُ تَقْدُم كلَّ هادى

له بالخَيْف قد علمتْ مَعَدٌّ * وإن البيت يُرْفَع بالعماد

له داعٍ بمكّة مُشْمعِلٌّ[2] * وآخرُ فوق دارته يُنادى

الى رُدُحٍ[3] من الشِّيزَى مِلاءٍ * لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ

وقال فيه أيضا :

ذُكِر ٱبنُ جُدْعانٍ بخيـ * ـرٍ كلّما ذُكِر الكرامُ

مَن لا يَخُون ولا يَعُـ * ـقُّ ولا تُغَيِّره اللئامُ

نَجْبٌ[4] النَّجيبة والنجيـ * ـب له الرِّحالةُ والزِّمامُ

وفد على كسرى وأكل عنده الفالوذ فصنعه بمكة ودعا الناس اليه

أخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا محمد بن إسحاق البَغَوىّ قال حدّثنا الأثرَم عن أبى عُبيدة قال :

كان ٱبنُ جُدْعانَ سيّدًا من قريش ، فوفَد على كسرى فأكل عنده الفَالُوذَ ، فسأل عنه فقيل له : هذا الفالوذُ . قال : وما الفالوذُ؟ قالوا[5] : لُبابُ البُرِّ يُلْبَك مع عسل

(١) الهادى : العنق لأنها تتقدّم على البدن ولأنها تهدى الجسد وكل متقدم هاد . (٢) اشمعل القوم فى الطلب إذا بادروا فيه وتفرّقوا . (٣) ردح : جمع رداح وهى الجفنة العظيمة . والشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع . (٤) النجب : السخىّ الكريم كالنجيب .

(٥) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول «قال» وهو تحريف .

النحل. قال: ابغُونى غلاماً يصنعه؛ فأتَوْه بغلام يصنعه فآبتاعه ثم قدِم به مكةَ معه، ثم أمره فصنع له الفالوذَ بمكة، فوضع الموائدَ بالأبْطَح إلى باب المسجد، ثم نادى مُنادِيه : ألَا مَنْ أراد الفالُوذَ فليَحْضُرْ فحضر النـاسُ؛ فكان فيمن حضَر أميّـةُ بن أبى الصَّلْت؛ فقال فيه :

٥

ومالى لا أُحَيِّيـه وعنـدى * مواهبُ يَطَّلِعْنَ من النِّجاد

إلىّ وإنّـه للنـاس نِهْىٌ (١) * ولا يَعْتَلُّ بالكَلِم الصَّوادِى (٢)

وذكر باقىَ الأبيات التى مضت متقدِّماً .

استشهاد سفيان ابن عيينة فى تفسير حديث بشعر لأمية فيه

حدّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثنى محمد بن عِمْران الجُرْجانىّ — وليس بصاحب إسحاق الموصلىّ؛ قال : وهو شيخ لَقيتُه بجُرْجان — قال حدّثنا الحسين بن الحسن المَرْوَزِىّ قال :

١٠

سألتُ سفيان بن عُيَينة فقلت : يا أبا محمد، ما تفسيرُ قول النبىّ صلى الله عليه وسلم وعلى آله : "كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلى لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير" وانما هو ذِكْرٌ وليس فيه من الدعاء شىءٌ؟ فقال لى : أعَرفتَ حديث مالك بن الحارث : يقول الله جَلّ ثناؤه : "اذا شَغَل عبدى ثناؤه علىّ عن مسألتى أعطيتُه أفضلَ ما أُعطى السائلين"؟ قلت : نعمْ ! أنتَ حدّثْتَنيه عن منصور عن مالك بن الحارث . قال : فهـذا تفسير ذلك، ثم قال : أمَا علمتَ ما قال أُميّـةُ بن أبى الصَّلْت حين خرج الى آبن جُدْعانَ يطلب نائلَه وفَضْلَه . قلت : لا أدرى؟ قال قال :

١٥

(١) النهى : الغدير، وهو أيضا كل موضع يجتمع فيه الماء . (٢) الصوادى : العطاش . يريد أنه لا يلجأ الى الكلام التى لا تجدى .

٢٠

أأذكُر حاجتى أم قد كَفَانِى * حيـاؤك إنّ شيمتَك الحياءُ

إذا أَثنَى عليك المـرءُ يوماً * كفاه من تعرُّضـه الثنـاءُ

ثم قال سفيان : فهذا مخلوقٌ يُنْسَب الى الجود فقيل له : يكفينا من مسألتك أن نُثْنِيَ عليك ونسكتَ حتى تأتىَ على حاجتنا، فكيف بالخالق ! .

زاره أمية فى احتضاره وقال فيه شعرا

٥ أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا حُمَيْد بن حُمَيْد قال حدّثنى جَبّار آبن جابر قال :

دخل أميّةُ بن أبى الصَّلْت على عبـد الله بن جُدْعانَ وهو يجود بنفسه، فقال له أُميّةُ : كيف تجِدُك أبا زُهَير؟ قال : إنى لمُدَابِر(أى ذاهب) . فقال أُميّةُ :

٥/٨

علِمَ آبنُ جُدْعانَ بنِ عمـ * ـرو أنّـه يـوماً مُـدَابِرْ

١٠ ومسافــرٌ سـفراً بعيـ * ـداً لا يؤوب به المُسافِر

فقُــدُورُه بفِنـائـــه * للضــيف مُتْرَعَةٌ زَوَاخِرْ

تبدو الكسورُ[1] من آنْضرا[2] * ج الغَلْى فيهـا والكَرَاكِرْ

فكأنهـنّ بهـا حَميـ * ـنَ وما شُحِنّ[3] بها ضَرَائِر

بَــذَّ المَعَـاشِرَ كلَّهـا * بالفضل قد علِم المَعَاشِرْ

١٥ وعلا عُـلُوّ الشمس حــتّى ما يُفَـاخِرُه مُفَـاخِرْ

دانت له أبنـاءُ فِهْـ * ـرٍ من بنى كعبٍ وعامر

أنتَ الجـوادُ آبنُ الجوا * د بكمْ يُنَافِرُ من يُنَافِرْ

(١) الكسور : جمع كسر وهو نصف العظم بما عليه من اللحم . (٢) الانضراج : الانفراج . يريد أن القدر اذا غلت واضطرب ماؤها بان اللحم الموضوع فيها . والكركرة : كالقهقهة و يعنى بها صوت الماء فى غليانه . (٣) كذا فى أ، م وشعراء النصرانية . وفى سائر الأصول : «وما شحين» .
٢٠

ترك الخمر قبل موته وذمها بشعر

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّرىّ قال أخبرنى أبو عبد الرحمن الغَلَابىّ عن الواقدىّ عن ابن أبى الزِّناد قال :

ما مات أحد من كبراء قُرَيش فى الجاهليّة إلّا ترك الخمر استحياءً ممّا فيها من الدَّنَس ؛ ولقد عابها ابن جُدْعانَ قبل موته فقال :

شَرِبتُ الخمرَ حتى قال قومى * ألستَ عن السَّفَاه بمُستفيقِ
وحتى ما أُوسَّدُ فى مَبِيتٍ * أنام به سوى التُّرْبِ السَّحيقِ
وحتى أَغْلَقَ(١) الحانوتُ رَهْنى * وآنَسْتُ الهَوانَ من الصديق

قال : وكان سببُ تركه الخمرَ أن أُميّةَ بن أبى الصَّلْت شرب معه فأصبحت عين أميّةَ مُخْضَرّةً يخاف عليها الذَّهاب . فقال له : ما بال عينك ؟ فسكت . فلما ألحّ عليه قال له : أنت صاحبُها أصبتَها البارحةَ . فقال : أو بَلَغَ منّى الشَّراب الذى أَبلُغُ(٢) معه من جليسى هذا ! لاجَرَمَ لأَدِيَنَّها لك دِيتَيْن ؛ فأعطاه عشرةَ آلاف درهم ، وقال : الخمرُ علىّ حرام أن أذوقها أبدًا ، وتركها من يومئذ .

صوت
من المائة المختارة

قد لَعَمْرِى بِتُّ لَيْلِى * كأخى الداءِ الوَجِيعِ
ونَجِىُّ الهمّ منّى * بات أدنى من ضَجِيعى
كلما أبصرتُ رَبْعًا * خاليًا فاضت دموعى

(١) أغلق الرهن : استحقه . والحانوت : الخمار ، والحانوت أيضا : دكان الخمار .
(٢) يريد أو بلغ منى الشراب هذا الحد الذى يجرى فيه بجليسى ذلك !

لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا * أو هَمَمْنا بالخشـــوع

إذ فقـــدْنا سـيِّدًا كا * ن لنـا غيرَ مُضِـيع

الشعر للأحوص . والغناء لسَلّامةِ القَسّ . ولحُنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالوسطى فى مَجْراها . وقد قيل : إن الشعر والغناء جميعًا لها، وقد قيل : إن الغناء لمعبد وإنها أخذتْه عنه .

٥

٦/٨

ذكر سَلّامةِ القَسّ وخبرها

نشأة سلامة القس ومن أخذت عنه الغناء، وسبب تسميتها بذلك

كانت سَلّامةُ مولَّدة من مولَّدات المدينة وبها نشأت . وأخذت الغناءَ عن معبد وآبن عائشة وجميلةَ ومالك بن أبى السَّمْح وذَوِيهم فمهَرت . وإنما سُمِّيت سَلّامةَ القَسِّ لأن رجلًا يُعرف بعبد الرحمن بن أبى عَمَّار الجُشَمِىّ من قُرّاء أهل مكة، وكان يُلَقَّب بالقَسّ لعبادته، شُغِف بها وشُهِر، فغلَب عليها لقبُه . وآشتراها يزيد بن عبد الملك فى خلافة سليمان، وعاشت بعده، وكانت إحدى من آتُّهِم به الوليدُ من جوارى أبيه حين قال له قتَلَتَهُ : نَنْقِمُ عليك أنك تَطأ جوارىَ أبيك . وقد ذكرنا ذلك فى خبر مقتله .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال :

كانت حَبَابةُ وسَلّامةُ القَسِّ من قِيَان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين ظريفتيْن ضاربتين ؛ وكانت سَلّامةُ أحسنَهما غناءً، وحَبَابةُ أحسنَهما وجهًا، وكانت سَلّامةُ تقول الشعر، وكانت حَبَابة تتعاطاه فلا تُحْسِن . وأخبرنى بذلك المَدائنىّ عن جَرير .

وحدّثنى الزُّبَيْرىّ قال حدّثنى مَنْ رأى سَلّامةَ قال :

ما رأيتُ من قِيان المدينة فتاةً ولا عجوزًا أحسنَ غناءً من سَلّامةَ . وعن جميلةَ أخذتِ الغناءَ .

كانت لسهيل بن عبد الرحمن، وشعر ابن قيس الرقيات فيها

حدّثنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وإسماعيل بن يونُس قالا حدّثنا أبو زيد عمر بن شَبّة قال حدّثنى المَدائنىّ قال :

كانت حَبَابةُ وسَلّامةُ قَيْنتين بالمدينة، أمّا سَلّامةُ فكانت لسُهَيْل بن عبد الرحمن، ولها يقول آبنُ قَيْس الرُّقَيَّات :

لقد فتنت ريّا وسلّامةُ القسّا * فلم تتركا للقسّ عقلًا ولا نفسا
فتاتان أمّا منهما فشبيهةُ الـ * ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا

وغنّاه مالكُ بن أبى السّمْح . وفيها يقول ابن قيس الرُّقيّات :

أُختان إحداهما كالشمس طالعةً * فى يوم دَجْنٍ وأُخرى تشبه القمرا

قال : وفُتِن القسُّ بسلّامةَ ، وفيها يقول :

أهابُكِ أن أقول بذلتُ نفسى * ولو أنّى أُطيعُ القلبَ قالا
حياءً منكِ حتى سُلّ جسمى * وشقّ علىّ كتمانى وطالا

سبب افتتان عبد الرحمن بن أبى عمار القس بها وشعره فيها

قال : والقسّ هو عبد الرحمن بن أبى عمّار من بنى جُشَم بن معاوية ، وكان منزلُه بمكة . وكان سببُ افتتانه بها فيما حدّثنى خَلّاد الأرْقَط قال سمعت من شيوخنا أهل مكة يقولون : كان القسُّ من أعْبَدِ أهل مكة ، وكان يُشَبَّه بعَطاء بن أبى رَباح ، وأنّه سمع غناءَ سَلّامةِ القسّ على غير تعمُّد منه لذلك . فبلغ غِناؤها منه كلَّ مبلغ ؛ فرآه مولاها فقال له : هل لك أن أُخرِجَها اليك أو تدخلَ فتسمع ! فأبى . فقال مولاها : أنا أُقْعِدها فى موضع تَسمع غناءَها ولا تراها فأبى ؛ فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غِناءها فأعجبه . فقال له : هل لك فى أن أُخرجها اليك ؟ فأبى . فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه ، فتغنّت فشُغِف بها وشُغِفت به ، وعرَف ذلك أهلُ مكة . فقالت له يوماً : أنا والله أُحبّك . قال : وأنا والله أُحبّك . قالت : وأُحبّ أن أضَعَ فِى على فمك . قال : وأنا والله أُحبّ ذاك . قالت : فما يمنعك! فوالله إنّ الموضع لخالٍ . قال : إنّى سمعت الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ وأنا أكره أن تكون خُلّةُ ما بينى وبينك تؤول إلى عداوة . ثم قام وانصرف وعاد الى ما كان عليه من النُّسك[1] ؛ وقال من فوره فيها :

(١) عبارة ا ، م : « ... من النسك من فوره وفيها يقول » .

إنّ التى طَرَقَتْــكَ بين ركائبٍ * تَمْشى بِمِزْهَرِها وأنتَ حَرَامُ
لَتَصيدُ قلبَــك أو جزاءَ مودّةٍ * إنّ الرفيق له عليك ذِمامُ
باتت تعلّلنا وتحسب أنّنا * فى ذاك أيقاظٌ ونحن نيامُ
حتى إذا سطَع الضّياءُ لناظرٍ * فإذا وذلك بيننا أحلامُ
قد كنتُ أعذُلُ فى السَّفاهة أهلَها * فاْعجَبْ لما تأتى به الأيّامُ
فاليــومَ أعــذِرُهم وأعلم أنما * سُبُلُ الضّلالة والهُدَى أقسامُ

ومن قوله فيها :

ألم تَرَها لا يُبْعِــد الله دارَها * إذا رَجّعتْ فى صوتها كيف تصنعُ
تَمُــدّ نظامَ القــولِ ثم تَــرُدّه * الى صَلْصَلٍ (١) فى صوتها يترجّع

وفيها يقول :

ألَا قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مُبْصِرُ * وهل أنت عن سَلّامةَ اليومَ مُقْصِرُ
ألا ليت أنّى حين صارتْ بها النَّوَى * جليسٌ لسَلْمَى كلّما عَجّ (٢) مِزْهَرُ

وقال فى قصيدةٍ له :

سَلّامُ وَيْحَكِ هل تُحيين مَنْ ماتا * أو تَرْجِعــينَ على المحــزون ما فاتا

وقال أيضا :

سَــلّامُ هــل لى منكمُ ناصرُ * أم هــل لقلبى عنــكمُ زاجــرُ
قد سمِــع النــاسُ بوجدى بكم * فمنهــمُ اللائــمُ والعــاذرُ

فى أشعار كثيرة يطول ذكرها .

---

(١) الصلصلة : ترجيع الصوت .

(٢) عج : رفع صوته وصاح .

غنت هي وأختها ريا في شعر لابن قيس الرقيات وللأحوص وأجادتا في شعر الأحوص فحسده ابن قيس

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني الجُمَحيّ قال :

كانت سلّامة ورَيّا أُختين ، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناءً . فاجتمع الأحْوَص وابن قَيْس الرقيّات عندهما ؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات : إنّي أريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدُقَ فيها ولا أكذبَ ؛ فان أنتما غنّيتماني بذلك وإلّا هجوتكما ولا أقربكما . قالتا : فما قلتَ؟ قال قلتُ :

لقد فتنتْ رَيًّا وسلّامةُ القَسَّا * فلم تتركا للقَسِّ عقلًا ولا نفسا

فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ * ـهلالِ وأُخْرَى منهما تُشبه الشمسا

تَكُنّانِ أبشارًا رِقاقًا وأوجُهًا * عِتاقًا[1] وأطرافًا مُخَضَّبةً مُلْسا

فغنّته سلّامة واستحسنتاه . وقالتا للأحوص : ما قلتَ يا أخا الأنصار؟ قال قلت :

صوت

أسلّامَ هل لمتيَّمٍ تنويلُ * أم هل صَرَمتِ وغالَ ودَّكِ غولُ

لا تَصرِفِي عنّي دلالَكِ إنّه * حَسَنٌ لديّ وإن بَخِلْتِ جميلُ

أزَعمتِ أنّ صَبابتي أُكذوبةٌ * يومًا وأنّ زيارتي تعليلُ

ـــ الغناء لسلّامةِ القسّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن الهشاميّ وحمّاد . وفيه لإبراهيم لحنان ، أحدهما خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق وعمرو ، والآخر ثقيل أوله استهلال عن الهشاميّ ـــ فغنّت الأبياتَ . فقال ابن قيس الرُّقَيّات : يا سلّامة ! أحسنتِ والله ! وأظنّكِ عاشقة لهذا الحَلَقِيّ[2] ! فقال له الأحوص : ما الذي أخرجك[3] الى هذا؟ قال : حُسْنُ غنائها بشعرك ، فلولا أنّ لك في قلبها محبّةً مُفْرِطةً ما جاءها هكذا حَسَنًا على هذه البديهة . فقال له الأحوص : على قَدْر حُسْن شعري على شعرك هكذا حَسُن الغناءُ به ،

(١) العتق : الجمال والكرم . (٢) كذا في جـ . يقال : أتان حلقية (بالتحريك) إذا تداولتها الحمر فأصابها داء في رحمها . والمراد هنا واضح . (٣) في جـ : « ما الذي أحوجك » .

وما هذا منك الّا حسد، ونُبَيِّن لك الآن ماحسدتَ عليه . فقالت سَلّامة: لولا أنّ الدخول بينكما يُوجِب بِغْضةً لحكمتُ بينكما حكومةً لا يردّها أحدٌ. قال الأحوص: فأنت من ذلك آمنة . قال آبن قيس الرقيّات : كلّا! قد أمِنتَ أن تكون الحكومة عليك، فلذلك سبقت بالأمان لها . قال الأحوص : فرَأْيُك يدلّك على أن معرفتك بأنّ المحكوم علَيه أنت؛ وتفرّقا. فلما صار الأحوص الى منزله جاءه ابن قيس الرقيّات فقرَع بابه، فأذِن له وسلّم عليه وآعتذر .

ومما قاله الأحوص فى سَلّامةِ القَسّ وغُنِّى به :

صـــــوت

أسَلَامُ إنكِ قد ملكتِ فأَسْجِحِى * قد يملك الحـــرُّ الكريم فيُسْجِح
مُـــنِّى على عانٍ أطَلْتِ عَنـاءَه * فى الغُــلِّ عندكِ والعُنَـاةُ تُسرَّحُ
إنّى لأنصَـــحُكم وأعــلَمُ أنّه * سِيّانِ عندكِ من يَغُشّ ويَنصَحُ
وإذا شكوتُ الى سَـلَامةَ حُبَّها * قالت أجِدٌّ منـك ذَا أم تمـزَحُ

الشعر للأحوص . والغناء لآبن مِسْجَح فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . ولِدَحْمانَ فى الأربعة الأبيات ثقيلٌ أوّل بالبنصر فيه آستهلال. وفيه خفيفُ ثقيلٍ يقال : إنه لمـالك، ويقال : إنه لسَلّامةِ القَسّ .

أخبرنى الحسين عن حَمّاد عن أبيه قال قال أيّوب بن عَبَاية :

كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عَمّار من بنى جُشَم بنِ معاوية، وكان فقيهًا عابدًا من عُبّاد مكة، يسـمّى القَسّ لعبادته؛ وكانت سَـلّامة بمكة لسُهَيْل، وكان يدخل عليها الشعراء فيُنشدونها وتُنشدهم وتغنِّى مَنْ أحبّ الغناء؛ ففُتن بها عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبى عَمّار القَسّ؛ فشاع ذاك وظهر، فسُمِّيت سَلّامةَ القَسِّ بذلك .

سألها القس أن تغنيه بشعر له

قال إسحاق وحدّثنى أيوب بن عَبَايَة قال : سألها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عَمّار القَسّ أن تغنِّيه بشعر مَدَحها به ففعلتْ، وهو :

ما بالُ قلبِكَ لا يزال يُهيمُه * ذِكَرٌ عَوَاقِبُ غِبِّهِنّ سَقَامُ
إنّ التى طرقتْك بين ركائبٍ * تمشى بِمِزْهَرِها وأنت حَرَامُ
لَتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مودّةٍ * إنّ الرفيقَ له عليك ذِمامُ
باتت تعلِّلنا وتحسَب أننا * فى ذاك أيقاظٌ ونحن نِيامُ
حتى إذا سطَع الصباحُ لناظرٍ * فاذا وذلك بيننا أحلامُ
قد كنتُ أعذِلُ فى السَّفاهة أهلَها * فٱعْجَبْ لِمَا تأتى به الأيّامُ
فاليومَ أعذِرهم وأعلَمُ أنما * سُبُلُ الغَوايةِ والهُدَى أقسامُ

٩/٨

أراد يزيد بن عبد الملك شراءها حين قدم مكة فأمرها أن تغنى

قال إسحاق وحدّثنى المدائنىّ قال حدّثنى جَرِير قال :

لمّا قدِم يزيد بن عبد الملك مكةَ وأراد شراءَ سَلّامةِ القَسّ وعُرِضتْ عليه، أمرَها أن تغنِّيه، فكان أوّل صوت غنّته :

إنّ الّتى طرقتك بين ركائبٍ * تمشى بِمِزْهَرِها وأنت حرامُ
والبِيضُ تَمْشِى كالبُدورِ وكالدُّمَى * ونَوَاعِمٌ يَمْشِين فى الأَرْقامِ(١)
لَتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مودّةٍ * إنّ الرفيق له عليك ذمامُ

فاستحسنه يزيد فاشتراها . فكان أوّلَ صوت غنّته لمّا اشتراها :

ألَا قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مبصرُ * وهل أنت عن سَلّامةَ اليومَ مُقْصِرُ
ألَا ليتَ أنّى حين صار بها النّوَى * جليسٌ لسَلْمَى حيث ما عَجّ مِزْهَرُ

---

(١) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز أو البرود . وهذا البيت غير موجود فى أ ، م وفيه إقواء .

وإنّى إذا ما المـوتُ زالَ بنَفْسها[1] * يُزَالُ بنفسى قبلَها حين تُقْـبَرُ
إذا أخذتْ فى الصوتِ كاد جليسُها * يطـيرُ إليها قلبُـه حين ينظرُ
كأنّ حَمَامًا راعِبيًّا[2] مُؤَدِّيًا * إذا نطقتْ من صـدرها يتغشمر[3]

فقال لها يزيد : يا حبيبتى ، مَنْ قائلُ هـذا الشعر؟ فقصّت عليه القصّة ، فرَقّ له وقال : أحسنَ وأحسنتِ ! .

قال الأحوص شعرا وبعث به اليها حين رحل بها يزيد فغنت به يزيد

قال إسحاق وحدّثنى المدائنىّ قال :

لمّا آشترى يزيدُ بن عبد الملك سَلّامة ، وكان الأحوصُ مُعْجَباً بها وبحُسْن غنائها وبكثرة مجالستها؛ فلما أراد يزيد الرِّحْلة، قال أبياتًا وبعث بها إلى سَلّامة . فلما جاءها الشعر غَنّتْ به يزيدَ وأخبرتْه الخبر، وهو :

صــــوت

عاودَ القلبَ من سَلَامةَ نَصْبُ[4] * فلعينىّ من جَوَى الحُبِّ غَرْبُ
ولقد قلتُ أيها القلبُ ذُو الشو * قِ، الّذى لا يُحبّ حُبّك حِبُّ
إنه قــد دنا فِــراقُ سُلَيْمَى * وغدَا[5] مَطْلَبٌ عن الوصل صَعْبُ

غنّاه آبن مُحْرِز ثانىَ ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لآبن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيـه لآبن عَبّاد وعَلّويه رَمَلان . وفيه لدَحْمانَ خفيفُ رَمَلٍ . هـذه الحكايات الثلاث عن الهشامىّ . وذكر حَبَشٌ أنّ لسَلّامةِ القَسّ فيه ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى .

---

(١) زال : ذهب . (٢) الراعبى : جنس من الحمام، وحمامة راعبية : ترعب فى صوتها ترعيبا وهو شدّة الصوت، جاء على لفظ النسب وليس به، وقيل : هو نسب الى موضع لا أعرف صيغة اسمه . (عن لسان العرب مادة رعب) . (٣) يتغشمر : يصوّت . (٤) النصب : الداء والبلاء . والغرب : الدمع . (٥) غدا هنا تامة تستغنى عن منصوبها .

عاتبت حبابة حين استخفت بها لأثرتها عند يزيد

قال إسحاق وحدّثنى أيّوب بن عَبَايةَ قال : كانت سلّامة ورَيّا لرجل واحد، وكانت حَبَابة لرجل، وكانت المقدّمة منهنّ سَلّامةَ، حتى صارتا الى يزيد بن عبد الملك، فكانت حَبَابةُ تنظر إلى سَلّامةَ بتلك العين الجليلة المتقدّمة وتعرف فضلها عليها. فلمّا رأت أُثْرتها عنــد يزيد ومحبّةَ يزيد لهــا آستخفّتْ بها. فقالت لهــا سَلّامةُ : أىْ أُخَيَّه ! نَسِيتِ لى فضلى عليك ! ويلك ! أين تأديبُ الغناء وأين حقُّ التعليم! ٥ أنسيتِ قولَ جميلةَ يوماً [وهى] (١) تُطارحنا وهى تقول لك : خُذى إحكام ما أُطارحكِ من أُختِــك سَلّامةَ، ولن تزالى بخــيرٍ ما بقيتْ لكِ وكان أمرُكما مؤتلفا! . قالت : صَدَقتِ خليلتى! والله لاعدتُ إلى شىء تكرهينه؛ فما عادت لها إلى مكروه. وماتت حَبَابةُ وعاشت سَلّامة بعدها دهرا.

١٠/٨

احتال ابن أبى عتيق على والى المدينة حتى جعله يسمع منها و يعدل عن إبعاد القيس من المدينة

١٠ أخبرنى الحَــرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنــا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب عن عبد الرحمن بن المُغيرة الحِزَامىّ الأكبر قال :

لمّــا قدِم عثمانُ بن حَيّانَ المُرِّىّ المدينةَ والياً عليها، قال له قومٌ من وجوه الناس : إنّك قد وَلِيتَ على كثرةٍ من الفساد؛ فإن كنتَ تُريد أن تُصلح فطَهِّرها من الغناء والزِّنا. فصاح فى ذلك وأجَّلَ أهلَها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة. وكان ابن ١٥ أبى عَتِيق غائباً، وكان من أهل الفضل والعَفاف والصلاح. فلما كان آخرُ ليلة من الأجَل قَدِم فقال : لا أدخُل منزلى حتى أدخلَ على سَلّامةِ القَسّ. فدخل عليهــا فقــال : ما دخلتُ منزلى حتّى جئتكم أسَلِّم عليكم. قالوا : ما أغفلكَ عن أمرنا! وأخبروه الخبر. فقال : آصبروا علىّ الليلةَ (٢). فقالوا : نخاف ألّا يُمكِنك شىءٌ ونُنْكَظَ (٣).

(١) زيادة عن حـ. (٢) كذا فى نهاية الأرب (حـ ٥ ص ٥٤ طبع دار الكتب المصرية ٢٠ طبعة أولى). وفى الأصول : «الى الليلة». (٣) كذا فى حـ. يقال : أنكظه اذا أعجله عن حاجته. وفى سائر الأصول : «ونكص».

قال : إن خفتم شيئًا فآخرُجوا فى السَّحَر . ثم خرج فآستأذن على عثمان بن حَيّان فأذن له ، فسلّم عليه وذكر له غَيْبَته وأنه جاءه ليقضى حَقَّه ، ثم جزاه خيرًا على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزّنا ، وقال : أرجو ألّا تكون عَمِلتَ عملًا هو خيرٌ لك من ذلك . قال عثمان : قد فعلتُ ذلك وأشار به علىّ أصحابُك . فقال : قد أصبتَ ، ولكن ما تقول — أمتع الله بك — فى آمرأةٍ كانت هذه صناعتَها وكانت تُكْرَه على ذلك ثم تركتْه وأقبلتْ على الصَّلاة والصيام والخير ، وأتى رسولُها اليك تقول : أتوجّه اليك وأعوذ بك أن تُخْرِجَنى من جِوار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومسجدِه؟ قال : فإنّى أدَعُها لك ولكلامِك . فقال آبن أبى عتيق : لا يَدَعُك الناسُ ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر اليها ، فإنْ رأيتَ أنّ مثلَها ينبغى أن يُتْرَكَ تركتَها ؛ قال نعم . فجاءه بها وقال لها : آجعلى معك سُبْحةً[1] وتَخَشّعى ففعلتْ . فلمّا دخلتْ على عثمان حدّثتْه ، واذا هى من أعلمِ الناس بالناس وأعجبَ بها ، وحدّثتْه عن آبائه وأمورهم ففَكِه لذلك . فقال لها آبن أبى عتيق : آقْرَئى للأمير فقرأتْ له ؛ فقال لها آحْدِى له ففعلتْ ، فكَثُر تعَجُّبه . فقال : كيف لو سَمِعتَها فى صِناعتها ! فلم يزلْ يُنْزِله شيئًا شيئًا حتى أمرها بالغِناء . فقال لها آبن أبى عَتيق : غَنّى ، فغنّتْ :

سَدَدْنَ خَصَاصَ[2] الخَيْمِ لمّا دخَلْنَهُ * بكلّ لَبَانٍ[3] واضحٍ وجبينِ

فغنّته ، فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال : لا والله ما مِثْلُ هذه تخرج ! . قال آبن أبى عتيق : لا يَدَعُك الناسُ ، يقولون : أقرَّ سلّامة وأخرج غيرَها . قال : فدَعُوهم جميعا ، فتركوهم جميعا .

(١) رواية أ ، م : «احملى» . (٢) الخصاص : الخروق . (٣) اللبان : الصدر .

لما اشتراها رسل يزيد ورحلوا بها غنت مشيعيها عند سقاية سليمان بن عبد الملك

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنا عبد الله بن أبى فَرْوة قال :

قَدِمتْ رسُل يزيدَ بنِ عبد الملك المدينةَ فاشْتَرَوْا سَلّامةَ المغنِّيةَ من آل رُمَّانةَ بعشرين ألفَ دينار . فلما خرجتْ من مِلْك أهلِها طلبوا إلى الرُّسُلِ أن يتركوها عندهم أيّاماً ليجهِّزوها بما يُشْبِهها من حُلِيٍّ وثيابٍ وطِيبٍ وصِبْغ . فقالت لهم الرسل : هذا كلُّه معنا لا حاجةَ بنا إلى شىء منه ، وأمروها بالرَّحيل . فخرجتْ حتى نزلتْ سِقَايةَ سليمانَ بنِ عبد الملك وشيَّعها الخَلْق من أهل المدينة . فلما بلغوا السِّقاية قالت للرسل : قومٌ كانوا يَغْشَوْنَنِى ويسلِّمون علىّ ، ولا بدّ لى من وَداعهم والسلام عليهم ، فأَذِن للناس عليها فانقَضُّوا حتى ملئوا رحبةَ القصر[1] ووراءَ ذلك ؛ فوقفتْ[2] بينهم ومعها العُود ، فغنّتْهم :

11/8

فارَقُونى وقد علمتُ يقيناً * ما لِمَنْ ذاقَ ميتةً من إيابِ

إنّ أهلَ الحِصَابِ قد تركونى * مُولَعاً مُوزَعاً بأهل الحِصَابِ

أهلُ بيتٍ تَتَابَعُوا[3] للمنايا * ما على الدهر بعدهم من عِتابِ

سكنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيتِ أبى مو * سى إلى النخل من صُفَىِّ السِّبَابِ[4]

كم بذاك الحَجُونِ[5] من حَىّ صِدْقٍ * وكُهولٍ أَعِفَّةٍ وشَبابِ

قال عيسى[6] : وكنتُ فى الناس ، فلم تزلْ تُردِّد هذا الصوت حتى راحت ؛ وٱنتحب الناسُ بالبكاء عند ركوبها ، فما شئتُ أن أرى باكيًا إلّا رأيتُه .

(١) لعله يريد قصر سعيد بن العاص وهو بجوار المدينة . (انظر الكلام عليه فى الأغانى ج ١ من هذه الطبعة فى الكلام على أبى قطيفة) . (٢) فى أ ، م : «فوقفت فيهم» . (٣) تتايعوا : تهافتوا . (انظر الحاشية رقم ٨ ص ٣٢١ ج ١ من هذه الطبعة) . (٤) صفىّ السباب : موضع بمكة . (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٢) . (٥) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .
(٦) كذا فى الأصول . ولم يتقدّم لعيسى ذكر فى هذا الخبر .

كلفت الأحوص أن يحتال لدخول الغريض على يزيد حين قدم معه الى دمشق

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

وَجّه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص فى القُدوم عليه، وكان الغَريض معه، فقال له : اخرُجْ معى حتى آخُذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنّيه؛ فإنّى لا أحمِل اليه شيئًا هو أحبُّ اليه منك، فخرجا . فلمّا قدِم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به . فأنشده مدائحَ فآستحسنها ، وخرج من عنده ؛ فبعثتْ اليه سَلّامةُ جاريةُ يزِيدَ بلَطَفٍ . فأرسل اليها : إن الغريض عندى قَدِمتُ به هديّةً اليك . فلمّا جاءها الجوابُ آشتاقتْ إلى الغَرِيض و إلى الآستماع منه . فلمّا دعاها أميرُ المؤمنين تمارضتْ وبعثتْ إلى الأحوص : إذا دعاك أميرُ المؤمنين فاحْتَلْ له فى أنْ تذكرله الغَرِيض . فلما دعا يزيدُ الأحوصَ قال له يزيد : وَيْحَك يا أحوص ! هل سَمِعْتَ شيئًا فى طريقك تُطْرِفنا به؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين، مررتُ فى بعض الطريق فسمعتُ صوتًا أعجبنى حسنُه وجودةُ شعره؛ فوقفتُ حتى آستقصَيْتُ خبره، فإذا هو الغريض، و إذا هو يغنّى بأحسن صوتٍ وأشجاه :

ألَا هاجَ التّذكُّرُ لى سَقامَا * ونُكْسَ الداءِ والوجعَ الغَرَاما(١)

سَلَامةُ إنها(٢) همّى ودائى * وشَرُّ الداءِ ما بَطَن العظاما

فقلتُ له ودمعُ العينِ يجرِى * على الخَدّيْنِ أربعةً سِجَاما(٣)

عليكَ لها السلامُ فمَنْ لِصَبٍّ * يبيت الليلَ يَهْذِى مُستهاما

قال يزيد : وَيْلَك يا أحوص ! أنا ذاك فى هوَى خليلى ؛ وما كنتُ أحسَبُ مثل هذا يتّفق، و إنّ ذاك لمما يزيد لها فى قلبى . فما صنعتَ يا أحوصُ حين

(١) الغرام : الملازم الشديد . (٢) كذا فى ا، م . وفى سائر الأصول : « انما همى ... » . (٣) أربعة سجام : يريد بها الماطين والموقين للعينين؛ فان الدمع يجرى من الموقين، فاذا غلب وكثر جرى من الماطين أيضا .

سمعت ذاك؟ قال: سمعتُ ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسنَ منه، فما صَبَرتُ حتى أخرجتُ الغريضَ معى وأخفيتُ أمره، وعلمتُ أنّ أمير المؤمنين يسألنى عما رأيتُ فى طريق. فقال له يزيد: ائتنى بالغريض ليلاً وأخْفِ أمرَه. فرجع الأحوص إلى منزله وبعث الى سَلّامةَ بالخبر. فقالت للرسول: قل له جُزِيتَ خيراً، قد انتهى الىّ كلُّ ما قلتَ، وقد تَلَطّفتَ وأحسنتَ. فلمّا وارى الليلُ أهلَه بعث الى الأحوص أن عَجِّل المجىءَ إلىّ مع ضيفك. فجاء الأحوصُ مع الغريض فدخلا عليه. فقال غَنِّنى الصوت الذى أخبرنى الأحوصُ أنه سمعه منك — وكان الأحوص قد أخبر الغريضَ الخبرَ؛ وإنما ذلك شعر قاله الأحوص يُريد يحرِّكه به على سَلّامةَ ويحتال للغريض فى الدخول عليه — فقال: غَنِّنى الصوتَ الذى أخبرنى الأحوصُ. فلما غنّاه الغريضُ دمعتْ عينُ يزيدَ ثم قال: وَيْحَك! هل يمكن أن تصير إلى مجلسى؟ قيل له: هى صالحة. فأرسل اليها[1] فأقبلتْ. فقيل ليزيد: قد جاءت؛ فضُرِب لها حجابٌ فجلستْ، وأعاد عليه الغريضُ الصوتَ؛ فقالت: أحسَنَ واللهِ يا أمير المؤمنين، فاسمَعْه منّى؛ فأخذتِ العودَ فضربتْه وغنّت الصوتَ، فكاد يزيدُ أن يطير فرحًا وسُروراً، وقال: يا أحوصُ، إنّك لمبارَك! يا غريض غَنِّنى فى ليلتى هذا الصوتَ؛ فلم يزلْ يغنّيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال، وقال: لا يُصبح الغريضُ فى شىء من دِمَشْق. فارتحل الغريض من ليلته، وأقام الأحوص بعده أيّاماً ثم لَحِق به؛ وبعثت سَلّامةُ اليهما بكسوة ولَطَف كثير.

$\frac{١٢}{٨}$

(١) كذا فى جـ. وفى سائر الأصول: «عليها».

رثت يزيد وناحت عليه حين مات

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوفَلىّ قال حدّثنى رجل من أهلى من بنى نَوْفَل قال :

قَدِمتُ فى جماعةٍ من قريش على يزيدَ بنِ عبد الملك ، فألفَيْناه فى عِلّته التى مات فيها بعد وفاة حَبابة ، فنزلْنا منزلًا لاصقًا بقصر يزيد ، فكنّا إذا أصبحْنا بعثْنا بمولًى لنا يأتينا بخبره ، وربما أتينا البابَ فسألْنا ؛ فكان يَثْقُل فى كلّ يوم . فإنّا لفى منزلنا ليلةً اذ سمعنا هَمْسًا من بكاء ثم يزيدُ ذلك ، ثم سمِعْنا صوتَ سَلّامةِ القسّ وهى رافعةٌ صوتَها تنوح وتقول :

لا تَلُمْنَا إنْ خَشَعْنا * أوْ هَمَمْنا بخشُوعِ
قد لَعَمْرى بِتُّ ليلِى * كأخى الداءِ الوجيعِ
كلَّما أبصرتُ ربعًا * خاليًا فاضتْ دموعى
قد خلا من سيِّدٍ كا * نَ لنا غيرَ مُضيعِ

ثم صاحت وَا أميرَ المؤمنين ! فعلِمنا وفاتَه ، فأصبحنا فغدَوْنا فى جنازته .

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسماعيل بن أبى أُوَيْس عن أبيه قال :

قال يزيدُ بن عبد الملك ما يُقِرُّ عينى ما أُوتيتُ من أمر الخلافة حتى أَشترِىَ سَلّامةَ جاريةَ مُصْعَب بن سُهَيْل الزُّهْرِىّ وحَبَابةَ جاريةَ آل لَاحِقٍ المكيّة ؛ فأرسل فاشتُرِيتا له . فلمّا اجتمعتا عنده قال : أنا الان كما قال الشاعر :

فألقتْ عَصاها وٱستقرّ بها النَّوَى * كما قَرَّ عينًا بالإيابِ المسافرُ

فلمّا تُوُفِّىَ يزيد رثته سَلّامةُ فقالت وهى تنوح عليه هذا الشعر :

لا تَلُمْنا إنْ خَشَعْنا * أو هَمَمْنا بخُشوعِ

إذ فقدْنا سَـيِّدًا كا * ن لنـا غـيرَ مُضيع

وهو كاللَّيْث إذا ما * عُدّ أصحابُ الدروع

يَقْنِصُ الأبطالَ ضربًا * فى مُضِىٍّ ورجـوع

أخبرنا الحسين بن يحيى قال حدّثنا الزُّبَير والمدائنىّ أن سَلّامةَ كانت لسُهَيْل بن عبد الرحمن بن عَوْف ، فاشتراها يزيدُ بن عبد الملك ، وكانت مغنّيةً حاذقةً جميلةً ظريفةً تقول الشعر، فما رأيتُ خِصالًا أربعًا[1] اجتمعْنَ فى امرأةٍ مثلِها: حُسْن وجهها وحسن غنائها وحسن شِعْرها . قال : والشعر الذى كانت تغنّى به :

لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا * أو هَمَمْنا بخُشـوع

لِلّذى حَلّ بنا اليو * مَ من الأمر الفظيع

وذكر باقىَ الأبيات مثل ما ذكره غيرُه .

قال إسحاق وحدّثنى الجُمَحىّ قال حدّثنا مَنْ رأى سَـلّامةَ تندُب يزيدَ بن عبد الملك بمَرْثِيَةٍ رثَتْه بهـا ، فما سمع السامعون بشىء أحسنَ من ذلك ولا أشْجى؛ ولقد أبكت العيونَ وأحرقت القلوبَ وأفتنت[2] الأسماعَ، وهى :

يا صاحبَ القـبرِ الغريـ * ـبِ بالشأم فى طَرَف الكثيب

بالشأم بيـن صـفائحٍ * صُمٍّ تُرَصّـفُ بالجَبُوبِ[3]

لمّـا سمعتُ أنينَـه * وبكاءه عنـد المَغيب

أقبلتُ أطلُبُ طِبَّـه * والداءُ يُعْضِـلُ بالطبيب

(١) لم يرد فى الأصول إلا ثلاث خصال .

(٢) هكذا فى الأصول بالهمز ، وهى لغة أهل نجد ، وأهل الحجاز يقولون فتنته المرأة . وقد جاء باللغتين قول الشاعر :

لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت * سعيدا فأمسى قد قلى كل مسلم

(٣) كذا فى م ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . والجبوب : المدر المفتت . وفى ب ، س ، أ : «بالجنوب» . وفى جـ : «بالجيوب» وكلاهما تصحيف .

الشعر لرجل من العرب كان خرج بآبن له من الحجاز الى الشأم بسبب آمرأةٍ هَوِيها وخاف أن يفسُد بحبها، فلما فقدها مرِض بالشأم وضَنِى فمات ودُفن بها . كذا ذكر آبن الكلبىّ، وخبره يُكْتَب عَقِبَ أخبار سَلّامة القَسّ . والغناء لسَلّامةَ ثقيلُ أوّلُ بالوسطى عن حَبَش . وفيه لحَكَمٍ رَمَلٌ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحن لآبن غَزْوانَ الدِّمَشْقىّ من كتاب ابن خُرْدَاذْبه غيرُ مجنَّس . ٥

سألها الوليد بن يزيد أن تغنيه فيما رثت به أباه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى الجُمَحىّ قال :

حدّثنى مَنْ حضر الوليدَ بن يزيد وهو يسأل سَلّامةَ أن تغنِّيَه شعرَها فى يزيد وهى تتنغّص من ذلك وتدمَع عيناها؛ فأقسم عليها فغنّتْه ؛ فما سمعتُ شيئًا أحسنَ من ذلك . فقال لها الوليد : رحم الله أبى وأطال عمرى وأمتعنى بحسن غنائك يا سلّامة ! . بِمَ كان أبى يقدِّم عليكِ حَبَابة ؟ قالت : لا أدرى والله ! . قال لها ، لكنّنى والله أَدْرِى ! ذلك بما قسَم الله لها . قالت : يا سيِّدى أجَلْ . ١٠

انتحل إسحاق الموصلى ما ناحت به على يزيد حين كلفته أم جعفر أن يصوغ لها تنوح به على الرشيد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى عبد الله بن عبد الملك الهَدَادِىّ عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال :

سمعت نائحةً مدنيّةً تنوح بهذا الشعر :

قَدْ لعَمْرِى بتُّ ليلِى * كأخى الداءِ الوَجِيعِ ١٥

ونجىُّ الهمِّ منّى * بات أدنى من ضلوعى

كلّما أبصرتُ رَبْعًا * دارسًا فاضتْ دموعى

مُقْفِرًا من سيِّدٍ كا * ن لنا غيرَ مُضِيع

والشعر للأحوص . والنَّوْح لمعبد؛ وكان صنَعه لسَلّامةَ وناحت به سَلّامةُ على يزيد . فلما سمعتُه منها آستحسنتُه وآشتهيتُه ولَهِجتُ به، فكنتُ أترنّم به كثيرا . فسمع ذلك ٢٠

منّى أبى فقال : ما تصنع بهذا ؟ قلت : شعرٌ قاله الأحوصُ وصنعه معبدٌ لسَلّامةَ وناحت به سَلّامةُ على يزيد . ثم ضرَب الدهرُ، فلما مات الرشيد إذا رسولُ أمّ جعفر قد وافانى فأمرنى بالحضور . فسِرتُ اليها، فبعثتْ إلىّ : إنى قد جمعتُ بناتِ الخلفاء وبنات هاشم لننوح[1] على الرشيد فى ليلتنا هذه، فقُلِ الساعةَ أبياتاً رقيقةً واْصنَعْهن صنعةً حسنةً حتى أنوحَ بهن. فأردتُ نفسى على أن أقول شيئاً فما حضَرنى وجعلتْ تُرسل إلىّ تَحُثُّنى، فذكرتُ هذا النَّوْحَ فأَرَيتُ أنّى أصنع شيئا، ثم قلت : قد حضَرنى القولُ وقد صنعتُ فيه ما أمرتْ؛ فبعثتْ إلىّ بكُنَيزةَ وقالت : طَارِحْها حتى تُطَارِحَنيه . فأخذتْ كُنَيزةُ العود وردّدْته عليها حتى أخذتْه، ثم دخلتْ فطارحتْه أمَّ جعفر؛ فبعثتْ إلىّ بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأصوات

صـــوت

لقد فتنَتْ رَيّا وسَلّامةُ القَسّا * فلم تَتْرُكا للقَسّ عقلًا ولا نفسا

فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ * ـهلالِ وأخرى منهما تُشبه الشمسا

الشعر لعبد الله بن قَيْس الرُّقيّات . والغناءُ لمالك خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل عن الهشامىّ . وزعم عمرو بن بانة أن خفيف الثقيل لحُنَين الحِيرى . وقيل : إنّ الثقيلَ الأوّل لدَحْمان .

ومنها الشعرُ الذى أوّلُه :

* أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسى *

(١) فى الأصول : «لتنوح» بالتاء، وسياق الكلام يقتضى أن تكون بالنون، كما أثبتناها .

صـــوت

أأثلةُ جـَدّ[1] جيرتُك الزِّيالا[2] * وعاد ضميرُ ودّكمُ خَبالا
فإنّى مستقيلُك أثلَ لُبِّى * ولُبُّ المرء أفضلُ ما آستقالا
اهابُك أن أقولَ بذلتُ نفسى * ولو أنّى أطيع القلبَ قالا
حياءً منك حتى سُلّ جسْمى * وشَقّ علىّ كِتْمانى وطالا ٥

الشعر للقَسّ . والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق فى مجرى البنصر . وفيه لمَعْبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى، أوّله :

* أَهابُك أن أقولَ بذلتُ نفسى *

كيف تعلق القس بها وقصة لها معه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا بكّار بن رَبَاح قال : ١٠

كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عَمّار من بنى جُشَمَ بنِ معاوية، وقد كانت أصابتْ جَدَّه مِنّةٌ من صَفْوانَ بنِ أميّة، وكان ينزل مكّةَ، وكان من عُبّاد أهلها، فسُمِّى القَسَّ من عبادته . فمرّ ذاتَ يومٍ بسَلّامةَ وهى تغنّى فوقف فتسمّع[3] غناءها . فرآه مولاها فدعاه الى أن يُدخله اليها فيسمعَ منها، فأبى عليه . فقال له : فإنى أُقْعِدك فى مكانٍ تَسْمع منها ولا تَراها . فقال : أمّا هذا فنَعَمْ . فأدخله دارَه وأجلسه حيث ١٥ يسمع غناءها، ثم أمرها فخرجت اليه . فلمّا رآها عَلِقتْ بقلبه فهامَ بها، وآشتهر وشاع خبرُه بالمدينة . قال : وجعل يتردّد إلى منزل مولاها مدّةً طويلة . ثم إنّ

(١) جرجيرتك الزيالا أى سببوه وفى جـ ، م : «جد» بالدال المهملة والمستعمل متعديا فى هذه المادة هو « أجد » وأما « جد » الثلاثى فيستعمل لازما . (٢) الزيال : الفراق . وفى ب، س : « الذيال » بالدال المعجمة ، وهو تحريف . (٣) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « فسمع » . ٢٠

مولاها خرج يومًا لبعض شأنه وخلّفه مقيمًا عندها ؛ فقالت له : أنا والله أحبّك ! فقال لها : وأنا والله الذى لا إله إلا هو . قالت : وأنا والله أشتهى أن أعانقك وأُقبّلك ! قال : وأنا والله . قالت : وأشتهى والله أن أضاجعك وأجعل بطنى على بطنك وصدرى على صدرك ! قال : وأنا والله . قالت : فما يمنعك من ذلك ؟ فوالله إنّ المكان لخال ! . قال : يمنعنى منه قولُ الله عزّ وجلّ ﴿ ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ فأكره أن تحوّلَ مودّتى لك عداوةً يوم القيامة . ثم خرج من عندها وهو يبكى؛ فما عاد اليها بعد ذلك .

لما ملكها يزيد وملك حبابة صار لا يبالى بعدهما شيئا

١٥/٨

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن المدائنىّ قال :

لما مَلَك يزيدُ بن عبد الملك حَبابةَ وسَلّامةَ القَسّ تمثّل :

فألقتْ عصاها وٱستقرّ بها النّوَى * كما قرّ عينًا بالإيابِ المسافرُ

ثم قال : ما شاء بعدُ من أمر الدنيا فليَفُتْنِى .

صوت

من المائة المختارة

وإنّى لَيُرْضِينى قليلُ نَوالِكُمْ * وإن كنتُ لا أرضَى لكم بقليلِ

بِحُرْمةِ ما قد كان بينى وبينكم * من الوصلِ إلّا عُدْتُمُ بجميلِ

الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لسليمان الفَزَارىّ. ولحنه المختار من الرَّمَل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ أوّله الثانى ثم الأوّل، ينسب الى حَكَم الوادىّ وإلى سليمانَ أيضا . وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل يقال : إنه لمُخَارق، وذكر حَبَش أنّ لحن مُخارق ثانى ثقيلٍ .

أخبار العبّاس بن الأحنف ونسبه

نسب العباس بن الأحنف

هو — فيما ذكر ابن النطّاح — العبّاس بن الأحنف بن الأسْود بن طَلْحة ابن جَدّان[1] بن كَلَدة[2] من بنى عَدِىّ بن حَنيفة .

وأخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى القاسم بن إسماعيل قال سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يقول :

العبّاس بن الأحنف بن الأسْوَد بن قُدَامة بن هِمْيانَ من بنى هَفّان بن الحارث ابن الذُّهْل بن الدُّول[3] بن حَنيفة . قال : وكان حاجبُ بن قُدَامة عمُّ العبّاس من رجال الدّولة .

قال محمد بن يحيى وحدّثنى أبو عبد الله الكِنْدِىّ قال حدّثنى محمد بن بكر الحَنَفِىّ الشاعر قال حدّثنى أبى قال :

سمعت العبّاس بن الأحنف يذكر أنّ هَوْذَةَ بن علىّ الحنفىّ قد ولَدَه من قِبَل بعض أمّهاته .

هو شاعر غزل عفيف لم يهج ولم يمدح

وكان العبّاس شاعرًا غَزِلًا ظريفًا[4] مطبوعًا ، من شعراء الدّولة العبّاسيّة ، وله مذهبٌ حسنٌ ، ولديباجة شعره رَوْنقٌ ، ولمعانيه عُذوبةٌ ولُطْف . ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ، ولا يتصرّف فى شىء من هذه المعانى . وقدّمه أبو العباس المبرّد فى كتاب الرَّوْضة على نُظَرائه ، وأطنبَ فى وصفه ، وقال : رأيتُ جماعةً من

(١) فى ابن خلكان (ج ١ ص ٣٤٦) : «حردان» . (٢) كذا فى تجريد الأغانى وابن خلكان . وفى ب ، س ، ج : «صلدة» . وفى ا ، م : «طرة» . (٣) فى الأصول : «الديل بن حنيفة» وهو تحريف . (راجع القاموس وشرحه مادة دول ولسان العرب وكتاب المعارف لابن قتيبة ص ٤٧ طبعة أوربا) . (٤) فى ب ، س ، ج : «شريفا» .

الرُّواة للشعر يقدِّمونه . قال : وكان العبّاس من الظُّرفاء ، ولم يكن من الخُلَعاء[1] ، وكان غَزِلًا ولم يكن فاسقا ، وكان ظاهرَ النّعمة مُلوكيّ المَذْهب شديدَ التّترُّف[2] ، وذلك بَيِّنٌ فى شعره . وكان قصدُه الغَزَلَ وشغلُه النسيب ، وكان حلواً مقبولاً غَزِلًا غزيرَ الفكر واسعَ الكلام كثيرَ التصرُّف فى الغَزَل وحدَه ، ولم يكن هَجّاء ولا مَدّاحا .

كان حلو الحديث

٥ أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا أبو ذَكْوان قال :

سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يصف العبّاسَ بن الأحنف ، فقال : كان والله ممّن إذا تكلّم لم يُحِبَّ سامعُه أن يسكت ، وكان فصيحًا جميلًا ظريفَ اللّسان ، لو شئتَ أن تقول كلامُه كله شعرٌ لقلتَ .

حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

١٠ رأيت نُسَخًا من شعر العبّاس بن الأحنف بخُراسان ، وكانَ عليها مكتوب : "شعرُ الأمير أبى الفضل العبّاس" .

هو من عرب خراسان ومنشؤه بغداد

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنى صالح آبن عبد الوهّاب :

أنّ العبّاس بن الأحنف كان من عَرَب خُراسان ، ومنشؤه ببغداد ، ولم تزل العلماء ١٥ تقدِّمه على كثير من المُحْدَثين ، ولا تزال قد تَرى له الشيء البارعَ جِدًّا حتى تُلْحِقه بالمحسنين .

١٦/٨

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى ب ، س : « الحلفاء » . وفى سائر الأصول : « الخلفاء » وكلاهما تصحيف .

(٢) كذا فى تجريد الأغانى . والترف : التنعم . وفى ب ، س : « التزيف » . وفى ح : ٢٠ « التريف » . وفى أ ، م : « التزايف » وكله تحريف .

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا يَمُوت بن المُزَرَّع قال :
سمعتُ خالى (يعنى الجاحظ) يقول : لولا أنّ العبّاس بن الأحنف أحذقُ الناسِ وأشعرُهم وأوسعُهم كلامًا وخاطرًا ما قدَر أن يكثر شعره فى مذهب واحد لا يجاوزه ؛ لأنه لا يهجو ولا يمدَح ولا يتكسَّب ولا يتصرَّف ؛ وما نعلم شاعرًا لَزِم فنًّا واحدًا لزومَه فأحسنَ فيه وأكثر . ٥

حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن القاسم بن خَلّاد قال : أنشد الحِرْمَازِىّ أبو علىّ وأنا حاضرٌ للعبّاس بن الأحنف :

صــــوت

لا جَزَى اللهُ دمعَ عينىَ خيرًا * وجزى اللهُ كلَّ خـيرٍ لسانى
نَمَّ دمعِى فليس يكتُم شيئًا * ورأيتُ اللّسان ذا كِتْمانِ ١٠
كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طَىٌّ * فآستدلّوا عليه بالعُنْوانِ

ــ الغناء لعَرِيبَ رَمَلٌ ــ ثم قال الحِرْمازِىّ : هذا والله طِرَازٌ يطلُب الشعراء مثلَه فلا يقدِرون عليه .

لعنه أبو الهذيل العلاف لشعر قاله فهجاه

أخبرنى محمد قال حدّثنى حسين بن فَهْم قال سمعت العَطَوِىّ يقول :
كان العبّاس بن الأحنف شاعرًا مُجِيدًا غَزِلًا ، وكان أبو الهُذَيْل العَلّاف يُبْغِضه ويلعَنه لقوله : ١٥

إذا أردتُ سُلُوًّا كان ناصركم * قلبى، وما أنا من قلبى بمنتصِرِ
فأكثِروا أو أَقِلّوا من إساءتكم * فكلُّ ذلك محمولٌ على القَدَرِ

قال : فكان أبو الهُذَيْل يلعَنه لهذا ويقول : يعقِد الكفرَ والفجورَ فى شِعْره .

قال محمد بن يحيى : وأنشدنى محمد بن العباس اليزيدىّ شعرًا للعباس أظنّه يهجو به أبا الهُذَيل — وما سمعت للعبّاس هجاءً غيرَه — :

يا من يُكَذِّبُ أخبارَ الرسولِ لقد * أخطأتَ فى كلِّ ما تأتى وما تذَرُ

كَذَّبتْ بالقَدَرِ الجارى عليك فقد * أتاك منِّى بما لا تَشْتَهى القدرُ

سئل الأصمعى عن أحسن ما يحفظ للحدثين فأنشد من شعره

٥ حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى محمد بن سعيد عن الرِّياشىّ قال :

قيل للأصمعىّ — أو قلتُ له — ما أحسنُ ما تحفَظ للمُحْدَثين ؟ قال : قول العبّاس بن الأحنف :

صوت

لو كنتِ عاتبةً لَسَكّنَ رَوْعَتِى * أَمَلِى رضاكِ وزرتُ غيرَ مُراقِبِ

١٠ لكن مَلِلْتِ فلم تكن لِىَ حيلةٌ * صَدُّ المَلُولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

الغناء للعبّاس أخى بَحْر رَمَلٌ .

معابثته الأصمعى فى مجلس الرشيد

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ ومحمد بن العبّاس اليزيدىّ قالا، واللفظ لهاشم، قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ قال :

دخل عمّى على الرشيد والعبّاسُ بن الأحنف عنده ؛ فقال العبّاس للرشيد :

١٥ دَعْنِى أعبَث بالأصمعىّ . قال له الرشيد : إنه ليس ممن يحتمل العبَثَ . فقال : لستُ أعبَثُ به عبثًا يَشُقّ عليه . قال : أنت أعلم . فلما دخل عمّى قال له : يا أبا سعيد، مَن الذى يقول :

إذا أحببتَ أن تصنـ * ـع شيئًا يُعجِب الناسا

فصَوِّرْ هاهُنا فَوْزًا * وصَوِّرْ ثَمّ عبّاسا

٢٠ فإن لم يَدْنُوَا حتّى * ترى رأسيهما راسا

فكذِّبْها بما قاسَتْ * وكذِّبْه بما قاسى

فقال له عمّى يعرّض بأنه نَبَطِىٌّ : قاله الذى يقول :

إذا أحببتَ أن تُبْصِـ * ـرَ شيئًا يُعجب الخَلْقا

فصَـــوِّرْ هاهنا دورا * وصَـــوِّرْ هاهنا فلقا (١)

فإنْ لم يَدْنُوَا حتّى * ترى خَلْقَيْهما خَلْقـا

فكَذِّبْها بما لاقتْ * وكَذِّبْه بمـا يَلْـقَ

قال : فخجِل العبّاس، وقال له الرشيد : قد نهيتُك فلم تقبَل .

حديث إبراهيم بن العباس مع ابن مهرويه عن شعره

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال أنشدنى إبراهيم بن العبّاس للعبّاس بن الأحنف :

صـــوت

قالت ظَلُومُ سَمِيّـــةُ الظُّـلْمِ * مالى رأيتُـك ناحلَ الجسمِ

يا مَنْ رَمَى قلبى فأقْصَـــده * أنت العليمُ بموضـع السَّهْمِ

فقلت له : إن أبا حاتم السِّجِسْتانىّ حكَى عن الأصمعىّ أنه أنْشِد للعبّاس بن الأحنف :

صـــوت

أتَأْذَنُون لِصَبٍّ فى زيارتكم * فعنـــدكم شَهَواتُ السمعِ والبَصَرِ

لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به * عَفُّ الضمير ولكن فاسقُ النظرِ

فقال الأصمعىّ : مازال هذا الفتى يُدْخِل يده فى جِرَابه فلا يُخْرِج شيئا، حتى أدخلها فأخرج هذا، ومَنْ أدْمَنَ طلب شىء ظَفِر ببعضه . فقـال إبراهيم بن العبّاس : أنا لا أدرى ما قال الأصمعىّ، ولكن أُنْشِدُك للعبّاس مالا تدفع أنت ولا غيرُك فضلَه، ثم أنشدنى قولَه :

(١) الظاهر من السياق أن «دورا» و «فلقا» اسمان من الأسماء النبطية .

واللهِ لو أنّ القلوبَ كقلبها * ما رَقّ للولدِ الضعيفِ الوالدُ

وقوله :

لكن مَلِلْتِ فلم تكن لى حيلةٌ * صَدُّ المَلُولِ خلافُ صدّ العاتبِ

وقوله :

٥ حتى إذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهوَى * جاءت أُمورٌ لا تُطَاقُ كِبارُ

ثم قال : هذا واللهِ مالا يقدِر أحدٌ على أن يقول مثلَه أبدًا .

طلب الحسن بن وهب من بنان أن تغنيه بشعر فتندرت عليه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى ميمون بن هارون قال : كنّا عند الحسن بن وهب فقال لِبَنَانَ : غَنِّينى :

أَتَأْذَنون لِصَبٍّ فى زيارتكم * فعندكم شَهَواتُ السَّمْعِ والبصرِ

١٠ لا يُضْمِرُ السوءَ إن طال الجلوسُ به * عَفُّ الضميرِ ولكن فاسقُ النظرِ

قال : فضحكتْ ثم قالت : فأىُّ خيرٍ فيه إنْ كان كذا أو أىّ معنًى ! فخجل الحسن من نادِرتها[1] عليه، وعجبنا من حدّة جوابها وفطنتها .

مدح سعيد بن جنيد شعره فى إخفاء أمره

حدّثنى الصُّولىّ قال أخبرنا أحمد بن إسماعيل النَّصِيبِينى قال سمعتُ سعيد بن جُنَيد[2] يقول : ما أَعْرِف أحسنَ من شعر العبّاس فى إخفاء أمره حيث يقول :

١٥ أُرِيدُكِ بالسلام فأَتّقِيهم * فأَعمِدُ بالسلام إلى سِواكِ

وأُكثِرُ فيهمُ ضَحِكى لِيَخْفَى * فسِنّى ضاحكٌ والقلبُ باكِ

تمثل الواثق بشعره إذ كان غضبان على بعض جواريه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى علىّ بن محمد بن نصر قال حدّثنى خالى أحمد بن حَمْدون قال :

كان بين الواثق وبين بعض جَوارِيه شَرٌّ فخرج كسلانَ؛ فلم أَزَلْ أنا والفتحُ

٢٠ آبن خَاقَانَ نحتال لنَشَاطِه؛ فرآنى أُضاحِك الفتحَ فقال : قاتل اللهُ آبنَ الأحنف حيث يقول :

(١) فى ب ، س : «بادرتها» . (٢) فى جـ : «حنيذ» .

عَدْلٌ من الله أبكانى وأضحكها * فالحمـــدُ لله عدلٌ كلُّ ماصنَعا

اليوم أَبْكِى على قلـــبى وأندُبُه * قلبٌ أَلَحّ عليه الحُبُّ فآنصدَعا

فقـال الفتح : أنت والله يا أمير المؤمنـين فى وَضْع التَّمَثُّل موضعَه أشـعرُ منه وأعلمُ وأظرفُ .

تمثـل بشـــعره فى عتاب جارية له

أخبرنى الصُّولِىّ قال حدّثنى أحمد بن يزيد المهلّبىّ عن أبيه قال : ٥

قالت للواثق جاريةٌ له كان يهواها وقد جَرَى بينهما عَتْبٌ : إن كنتَ تَستطيلُ بعزّ الخـلافة فأنا أُدِلّ بعزّ الحُبّ . أتُرَاكَ لم تَسمع بخليفة عِشق قبلَك قطُّ فآستوفى من معشوقه حقَّه ؛ ولكنّى لا أرى لى نظيرا فى طاعتك . فقال الواثق : لله درُّ آبن الأحنف حيث يقول :

أَمَا تَحْسَبِينى أرى العاشقِينَ * بلَى ثم لستُ أرى لى نظيرا ١٠

لعـلّ الذى بيديه الأمورُ * سيَجعل فى الكُرْه خيرًا كثيرا

مدح الزبير بن بكار شـــعره

حدّثنى الصُّـولىّ قال حدّثنى المُغـيرةُ بن محمـد المُهَلَّبىّ قال : سمعتُ الزبير يقولُ : ابن الأحنف أشعرُ الناس فى قوله :

تَعْتَـــلّ بالشُّغْلِ عَنّا ما تكلِّمنا * الشغلُ للقلب ليس الشغلُ للبَدَنِ

ويقول : لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرِها وشرِّها إلا وهو يصلُح أن يُتَمَثَّلَ فيـه بهذا النصف الأخير . ١٥

استظرف إسحـاق الموصـلى شـعره فى مجافاة النوم

حدّثنى الصُّـولِىّ قال حدّثنى محمد بن سعيد عن حماد بن إسحاق قال : كان أبى يقول : لقد ظَرُف آبنُ الأحنف فى قوله يَصِفُ طولَ عهده بالنَّوْم :

قِفَـا خَــبِّرانى أيُّهـا الرجـلانِ * عن النوم إنّ الهجرَ عنه نَهانى

وكيف يكون النومُ أم كيف طَعْمُه * صِفَا النّـــومَ لى إن كنتما تَصِفَانِ ٢٠

قال : على قلّة إعجابه بمثل هذه الأشعار .

كان سلمة بن عاصم معجبا بشعره حتى كان يحمله معه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى ميمون بن هارون بن مُخْلَد قال حدّثنا أحمد بن إبراهيم قال : رأيتُ سَلَمة بن عاصم ومعه شعر العباس بن الأحنف ، فعَجِبتُ منه وقلتُ : مثلُك — أعزَّك الله — يحمِل هذا ! فقال : أَلَا أحْمِل شعرَ من يقول :

صـــوت

أسَأتُ أنْ أحسنتُ ظنّى بكم * والحَزْمُ سوءُ الظنّ بالنّاس
يُقلقنى الشوقُ فآتيكمُ * والقلبُ مملوءٌ من الياس

غنّى هذين البيتين حسين بن مُحْرِز خفيفَ رملٍ بالوسطى . وأوّلُ الصوت :

يا فوزُ يا مُنيةَ[1] عبّاسٍ * وا حَرَبَا من قلبك القاسى

أعجب أعرابى بشعره

وروى أحمد بن إبراهيم قال : أتانى أعرابىّ فصيحٌ ظريف ، فجعلت أكتب عنه أشياء حسانًا ، ثم قال : أنشِدْنى لأصحابكم الحَضَريّين . فأنشدتُه للعبّاس بن الأحْنَف :

ذكرتُك بالتُّفّاح لمّا شَمِمْتُه * وبالرّاح لما قابلتْ أوْجُهَ الشَّرْبِ
تذكّرتُ بالتّفاح منك سَوَالِفًا * وبالرّاح طعمًا من مُقَبَّلِك العَذْبِ

فقال : هذا عندك وأنت تكتب عنّى ! لا أُنشِدك حرفًا بعد هذا .

فضل العباس بن الفضل بعض شعره على قول أهل العراق

وحدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبد الله ابن العبّاس بن الفضل يقول : ما أعرِف فى العراق أحسنَ من قول ابن الأحنف :

سبحانَ ربِّ العُلَا ما كان أغْفَلَنى * عما رمَتْنى به الأيامُ والزمنُ
مَنْ لم يَذُقْ فُرقةَ الأحبابِ ثم يرى * آثارَهم بعدهم لم يَدْرِ ما الحَزَنُ

قال أبو بكر : وقد غنّى عبد الله بن العبّاس فيه صوتًا خفيفَ رملٍ .

(١) كذا فى ديوانه طبع مطبعة الجوائب ص ٩١ ؛ وقد ورد فيه هذا البيت هكذا :
يا فوز يا ميـــة عباس * قلبى يفـــدّى قلبك القاسى
وفى الأصول : « يا هيبة عباس » وهو تحريف .

مدح حسين بن الضحاك شعره واستجاده

حدّثنى الصُّولى قال حدّثنا ميمون بن هارون قال : سمعتُ حسين بن الضّحّاك يقـول :

لو جاء العبّاس بن الأحنف بقوله ما قاله فى بيتين فى أبيات لعُذر، وهو قولُه :

لَعَمْـرُك ما يسـتريح المُحِبُّ * حـتى يبـوحَ بأسرارِهِ

فقـد يكتمُ المـرءُ أسرارَه * فتظهرُ فى بعض أشـعارِه

ثم قال : أمّا قولُه فى هذا المعنى الذى لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو :

الحُبُّ أملَكُ للفـؤاد بقهره * من أن يُرَى للسّتر فيه نصيبُ

وإذا بَدَا سرُّ اللبيبِ فإنّه * لم يَبْدُ إلّا والفتى مغـلوبُ

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى الغَلَابىّ قال حدّثنى الزُّبَير بن بكّار قال قال ابو العتاهية : ما حسَدْتُ أحدًا إلا العبّاسَ بن الأحنف فى قوله :

إذا امتنع القريبُ فلم تَنَلْهُ * على قُرْبٍ فذاك هو البعيدُ

فإنى كنتُ أولى به منه وهو بشعرى أشبه منه بشعره . فقلت له : صدقت ، هو يُشبه شعرك .

استجاد الكندى ضروب شعره

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى أبو الحسن الأنصارىّ قال : سمعتُ الكِنْدِىّ يقول : العباس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيم جَزْلٌ فى شعره، وكان قليلًا ما يُرضينى الشعرُ . فكان يُنشد له كثيرا :

صـــوت

ألَا تَعْجَبون كما أعجبُ * حبيبٌ يُسيء ولا يُعْتِبُ

وأبغِى رضاهُ على سُخْطِه * فيأبَى علىَّ ويستصعبُ

فيا ليتَ حَظِّى إذا ما أسأْ * تَ أنّك ترضَى ولا تَغْضَبُ

كان إبراهيم الموصلي مشغوفا بشعره كثير الغناء فيه

أخبرني الصولي قال حدّثنا محمد بن الفَضْل قال حدّثني حماد بن إسحاق قال: كان جَدّي إبراهيم مشغوفاً بشعر العبّاس، فتغنّى في كثير من شعره، فذكر أشعارًا كثيرةً حَفِظتُ منها:

صــــوت

٥ وقد مُلِئتْ ماءَ الشّبابِ كأنّها * قضيبٌ من الرَّيحان رَيّانُ أخضر

هُم كتموني سَيْرَهم حين أزمَعُوا * وقالوا ٱتّعَدْنا للرَّوَاح وبكّرُوا

٢٠ / ٨

ذكر الهشاميّ أنّ اللحن في هذين البيتين لعَلّوية رمل، وفي كتاب ٱبن المكيّ أنه لابن سُرَيْج، وهو غَلَطٌ.

كلمة المأمون لما أنشد بيتا له

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فَهْم قال:

١٠ أنْشِد المأمون قولَ عبّاس بن الأحنف:

هُم كتموني سَيْرَهم حين أزمعوا * وقالوا ٱتّعَدْنا للرّواح وبكّرُوا

فقال المأمون: سَخِروا بأبي الفضل.

قال: وحفِظْتُ منها:

صــــوت

١٥ تمنّى رجالٌ ما أحبُّوا وإنما * تمنّيتُ أن أشكو إليكَ وتَسْمعا

أَرَى كلّ معشوقَيْن(١) غيري وغيرها * قد ٱستعذَبا طولَ الهوى وتمتّعا

الغناءُ لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر. وفيه ثقيل أوّل بالوسطى يُنْسَب إلى يزيد حوراء وإلى سُلَيْم بن سَلّام.

---

(١) في جـ: «كل مشغوفين».

قال وحفظتُ منها :

بكتْ عينى لأنواعِ * من الحزن وأوجاعِ
وأنى كلَّ يوم عنـ * ـدكم يَحْظَى بىَ السّاعى
أعيشُ الدَّهرَ إن عشتُ * بقلبٍ منكِ مُرْتاعِ
وإن حلّ بىَ البعدُ * سيَنْعانى لكِ النّاعى ٥

الغناء لإبراهيم المَوْصلىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفى كتاب إبراهيم بن المهدىّ الذى رواه الهشامىّ عنه أن لإبراهيمَ بن المهدىّ فيه لحنَيْن : ثقيلًا أوّل وماخُوريًّا . وفيه هَزَجٌ مُحْدَثٌ .

عنى إبراهيم الموصلى فى شعره وشعر ذى الرمة أكثر مما غنى فى شعر غيرهما

أخبرنى الصولىّ قال حدّثنا أصحابُنا عن محمد بن الفضل عن حمّاد بن إسحاق قال : ١٠

ما غنّى جَدّى فى شعر أحد من الشعراء أكثَرَ ممّا غنّى فى شعر ذى الرُّمّة وعبّاس آبن الأحنف .

مدح ابن الأعرابى شعرا له غنى به فى حضرة أحد أولاد الرشيد

أخبرنى الصّولىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله التّميمىّ قال :

كنّا فى مجلس آبن الأعرابىّ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يَلْزَم آبنَ الأعرابىّ، وكان يحبّه ويأنَس به ، فقال له : ما أخّرك عنّى؟ فآعتذر بأشياء ١٥ ثم قال : كنتُ مع مُخارق عند بعض بنى الرّشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنّاه به ، فآستكثر ذلك آبنُ الأعرابىّ وآستهاله وعجِب منه ، وقال : ما هو؟ قال : غنّاه بشعر عبّاس بن الأحنف :

بكتْ عينى لأنواعِ * من الحزن وأوجاعِ
وأنى كلَّ يوم عنـ * ـدكم يَحْظَى بىَ السّاعى ٢٠

فقال ابنُ الأعرابىّ : أمّا الغناء فما أدْرى ما هو، ولكن هذا والله كلامٌ قريبٌ مليحٌ .

نوه الواثق بشعره

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن الهيثم قال حدّثني محمد بن عمرو الرّوميّ[1] قال: كنّا عند الواثق فقال: أريد أن أصنع لحنًا في شعرٍ معناه أنّ الإنسان كائنًا من كان لا يقدر على الاحتراس من عدوّه، فهل تعرفون في هذا شيئًا؟ فأنشدنا ضروبًا من الأشعار؛ فقال: ما جئتم بشيء مثل قول عبّاس بن الأحنف:

٥ قلبي إلى ما ضرّني داعي * يُكْثِر أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوّي إذا * كان عدوّي بين أضلاعي
أسلمني للحبّ أشياعي * لمّا سعى بي عندها السّاعي
لقلّما أَبْقى على كلّ ذا * يُوشِك أن يَنْعانِيَ النّاعي

٢١/٨

قال: فعمل فيه الواثقُ لحنه الثقيلَ الأوّل، النّشيد بالوسطى[2].

قصة للتوكل وعلى ابن الجهم في صدد شعره

١٠ حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى أو حُدِّثتُ به عنه عن عليّ بن الجَهْم قال:

انصرفتُ ليلةً من عند المتوكل، فلما دخلتُ منزلي جاءني رسولُه يطلُبني، فراعَني ذلك وقلت: بلاءٌ تُتُبِّعتُ به بعد آنصرافي، فرجعتُ إليه وَجِلًا، فأُدْخِلتُ عليه وهو في مَرْقَده. فلما رآني ضحك، فأيقنتُ بالسلامة؛ فقال: يا عليّ، أنا مُذْ

١٥ فارقتُك ساهرٌ؛ خطر[3] على قلبي هذا الشعرُ الذي يُغَنِّي فيه أخي، قولُ الشاعر:

* قلبي إلى ما ضرّني دَاعي *

الأبيات. فحَرَصْتُ أن أعمَل مثلَ هذا فلم يَجِئْني، أو أن أعمَل مثلَ اللحن فما أمكنني؛ فوجدتُ في نفسي نقصًا، فقلت: يا سيّدي، كان أخوك خليفةً يغنّي وأنت خليفةٌ لا تغنّي؛ فقال: قد والله أهديتَ إلى عيْني نومًا، أعطوه ألفَ دينار،

٢٠ فأخذتُها وآنصرفتُ.

(١) في حـ: «عمرو الدوري». (٢) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «الثقيل النشيد بالوسطى». ولعل الصواب: «الثقيل الأول بالوسطى». (٣) في ب، س: «فخطر» بزيادة الفاء.

وجدتُ فى كتاب الشّاهينى بغير إسناد :

أنشد أبو الحارث جميز من شعره فقال : إنه قاله فى طباخة

أُنْشِد أبو الحارث جُمَّيْزٌ[1] قول العباس بن الأحنف .

* قلبى إلى ما ضرّنى دَاعى *

الأبيــات . فبكى ثم قال : هــذا شعرُ رجلٍ جائعٍ فى جارية طبّاخَةٍ مليحةٍ ؛ فقلت له : من أين قلت ذاك؟ قال : لأنه بَدَأ فقال :

* قلبى إلى ما ضرّنى داعِى *

وكذلك الإنســان يدعوه قلبهُ وشهوتُه إلى ما يضرُّه من الطّعام والشّراب فيأكله ، فتكثر عِلَلُه وأوجاعُه ، وهذا تعريض ؛ ثم صرّح فقال :

كيف آحتراسى من عدوّى إذا * كان عدوّى بيــن أضلاعى

وليس للإنسان عدوٌّ بين أضلاعه إلا مَعدتُه ، فهى تُتلِف مالَه ، وهى سببُ أسقامِه ، وهى مِفتاح كلّ بلاء عليه ، ثم قال :

إن دام لى هجْرُك يا مالِكى * أَوْشَــك أن يَنْعانىَ النّاعى

فعلمتُ أنّ الطبّاخةَ كانت صديقتَه ، وأنها هجرتْه ففقَدها وفقد الطّعامَ ، فلو دام ذلك عليه لمــات جوعًا ونَعاه النّاعى .

تمثل الحسن بن وهب بشعره فى حادثة له مع بنان

وحدّثنى الصّولىّ قال حدّثنى محمد بن عيسى قال :

جاء عبــد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرّبيع إلى الحسن بن وهب ، وعنده بَنان جاريةُ محمد بن حمّاد ، وهى نائمةٌ سَكْرَى وهو يبكى عندها . فقال له : مالَك؟ قال : قد كنتُ نائمًا فجاءتنى فأنبهَتْنى وقالت : آجلس حتى تشربَ فجلستُ ، فوالله ما غنّتْ

(١) كذا فى شرح القاموس والأغانى (ج ١ ص ٨٣ من هذه الطبعة) وقد ورد فيهما خلاف وتصويب فيه فانظره . وفى أ ، ء ، م : «حمين» . وفى ب ، س : «حميد» بالحاء المهملة . وكلاهما تحريف .

عشرةَ أصوات حتى نامت وما شربتُ إلّا قليلا ، فذكرتُ قولَ أشعرِ الناس وأظرفِهم ، العبّاس بن الأحنف :

صــــوت

أبكى الذين أذاقونى مودّتَهم * حتى إذا أيقظونى للهوى رقَدُوا

فأنا أبكى وأنْشِد هذا البيت .

كلام ابنه ابراهيم فى مدح شعره له و بلاغته وانشاده له

وحدّثنى الصّولىّ قال حدّثنى القاسم بن إسماعيل قال : سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول : ما رأيتُ كلامًا مُحْدَثًا أجزلَ فى رقّةٍ ، ولا أصعبَ فى سهولةٍ ، ولا أبلغَ فى إيجازٍ ، من قول العباس بن الأحنف :

تعالَىْ نُجَدِّدْ دارسَ العهد بيننا * كلانا على طول الجفاء مَلُومُ

٢٢/٨

قال الصّولىّ : ووجدتُ بخطّ عبد الله بن الحسن : أنشد أبو محمد الحسن بن مَخْلَد قال : أنشدنى إبراهيم بن العباس بن الأحنف :

صــــوت

إن قال لم يَفْعَل و إن سِيلَ لم * يَبْــذُل و إن عُوتبَ لم يُعْتِبِ

صبٌّ بعِصْيانى ولو قال لى * لا تَشْرَبِ (١) البارِدَ لم أشْرَبِ

إليك أشكو ربِّ ما حلّ بى * من صدّ هذا المُذْنِب المُغْضَبِ

— غنّى فى هذه الأبيات أحمد بن صَدَقة هزجًا بالوسطى . وفيها لحنٌ آخر لغيره — قال الحسن بن مَخْلَد (٢) : ثم قال لى إبراهيم بن العباس : هذا والله الكلامُ الحسنُ المَعْنَى ، السهلُ المَوْرِد ، القريبُ المتناوَل ، المليحُ اللفظ ، العذبُ المستَمَع .

(١) فى الأصول : « لم تشرب ... » . والتصويب عن الديوان . (٢) فى الأصول هنا : «الحسن بن خالد» .

مدح على بن يحيى شعره وقال على رويه شعرا

حدّثنى الصّولىّ قال حدّثنى أحمد بن يزيد المهلّبىّ قال :

سمعتُ علىّ بن يحيى يقول : من الشعر المرزوق[1] من المغنّين خاصّة [شعر][2] العباس ابن الأحنف ، وخاصّة قوله :

نامَ من أَهْـدى لىَ الأرَقَا * مستريحًا سامَنى قَلَقا

فإنّه غنّى فيه جماعةٌ من المغنّين ، منهم إبراهيم الموصلىّ وابنه إسحاق وغيرهما . قال : وكان يَسْتحسن هذا الشعر ، وأظن استحسانه إيّاه حَمَلَه على أن قال فى رَوِيّه وقافيته :

بأبى واللهِ مَنْ طرقَا * كابتسام البرق إذ خَفَقَا

وعمِل فيه لحنًا من خفيف الثقيل فى الإصْبع الوسطى . هكذا رواه الصّولىّ .

وأخبرنى جَحْظة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال : قال أبى : هذا الصوت :

* نام من أهدى لىَ الأرَقا *

مدح إسحاق شعره وقال إنه محظوظ من المغنين

من الأشعار المحظوظة فى الغناء لكثرة ما فيه من الصّنْعة واشتراك المغنّين فى ألحانه . وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن علىّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون[3] أنّه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق .

نسبة هذين الصوتين منهما

صوت

نام من أَهْدى لِىَ الأرَقا * مستريحًا زادَنى قَلَقا

لو يَبِيتُ الناسُ كلُّهم * بسهادى بيَّض الحَدَقا

---

(١) فى ب ، س ، م : «الموزون» وهو تحريف . (٢) تكملة يقتضيها سياق الكلام . وعبارة تجريد الأغانى «ومن رقيق شعر العباس المحظوظ فى الغناء قوله ... الخ» .

(٣) فى الأصول : « ابن حمدون » . وهو تحريف . (راجع الاستدراك الأول ص ٥٣٧ ج ٥ من هذه الطبعة) .

كان لى قلبٌ أعيش به * فاصطلى بالحبّ فاحترقا
أنا لم أُرْزَق مودّتكم * إنما للعبد ما رُزِقا

لإسحاق فى هذا الشعر خفيفٌ بالوسطى فى مجراها . ولأبيه إبراهيم أيضا فيه خفيفُ ثقيل آخرُ . ولابن جامع فيه لحنان : رَمَلٌ مُطْلَق فى مجرى الوسطى فى الأوّل والثالث ، وخفيفُ رملٍ مطلَق فى مجرى الوسطى أيضا فى الأبيات كلها . وفيه لسُلَيْم هزَجٌ ، وفيه لَعَلّويه ثقيلٌ أوّل .

نسبة صوت على بن يحيى

صوت

٢٣ / ٨

بأبى والله مَنْ طَرَقا * كابتسام البرق إذْ خَفَقَا
زادنى شوقًا بزَوْرته * وملا قلبى به حُرَقا
مَنْ لقلبٍ هائمٍ دَنِف * كلّما سلّيتُه قَلِقا
زارنى طيفُ الحبيب فما * زاد أن أغرى بى الأَرَقا

الشعر لعلىّ بن يحيى ؛ وذكر الصّولىّ أن الغناء له خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وذكر أبو العُبَيْس بن حمدون أنّ هذا الخفيفَ الثقيلَ من صنعته . وفيه لعَرِيب ثانى ثقيل بالوسطى أيضا .

مدح عبد الله بن المعتز شعره

حدّثنى الصّولىّ قال : سمعتُ عبد الله بن المعتزّ يقول : لو قيل : ما أحسنُ شىء تعرِفه؟ لقلتُ : شعرُ العبّاس بن الأحنف :

صوت

قد سحّبَ الناسُ أذيالَ الظنون بنا * وفرّق الناسُ فينا قولَهم فِرَقَا
فكاذبٌ قد رمى بالحبّ غيرَكمُ * وصادقٌ ليس يَدْرى أنّه صدَقا

قال: وللمَسْدود[1] فى هذا الشعر لحن . قال : ولم يُغَنّ المسدودُ أحسنَ من غنائه فى شعر العبّاس بن الأحنف . هكذا ذكر الصّولىّ، ولم يأت بغير هذا . ولإسحاق فى هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ولابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ. وليزيد حَوْراء خفيفُ ثقيل عنه . وللمَسْدود رملٌ . ولعبد الله ابن العباس الرّبيعىّ خفيفُ رَملٍ .

٥

شكا الفضل بن الربيع جاريته الى ابراهيم الموصلى فأحاله على شعره

وأخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن سعيد قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

غَضِب الفضلُ بن الربيع على جارية له كانت أحبَّ الناس إليه، فتأخّرت عن استرضائه ، فغَمّه ذلك، فوجّه إلى أبى يُعْلِمُهُ ويشكوها إليه . فكتب إليه أبى : لك العزّةُ والشرف، ولأعدائك الذّل والرَّغْم . استَعْمِلْ قولَ العباس بن الأحنف :

١٠

تحمّلْ عظيمَ الذنب ممّن تحبّه * وإن كنتَ مظلومًا فقُلْ أنا ظالمُ

فإنك إلّا تَغْفِر الذنبَ فى الهوى * يُفارِقْك من تَهوى وأنفُك راغِمُ

فقال : صدقتَ، وبعث إليها فترضّاها .

دافع مصعب الزبيرى عن شعره

أخبرنى الصّولىّ قال حدّثنى أبو بكر بن أبى خَيْثَمة قال :

قيل لمُصْعَب الزّبيرىّ : إن الناس يَسْتبرِدُون شعرَ العباس بن الأحنف . فقال : لقد ظلموه، أليس الذى يقول :

١٥

---

(١) كذا فى الأغانى فى ترجمته (ج ٢١ ص ٢٥٦) واسمه الحسن ، وكنيته أبو على ، وكان أبوه قصابا ، وكان هو مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر، وكان يقول : لو كان منخرى الآخر مفتوحا لأذهلت بغنائى أهل الحلوم وذوى الألباب . وفى الأصول هنا فى كل المرات التى ذكر فيها : «المشدود» بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

٢٠

صـــــوت

قالت ظلومُ سَمِيّــةُ الظُّلْمِ * مالى رأيتُــك ناحلَ الجسمِ
يا من رمى قلبى فأقْصَــدَه * أنت العليمُ بموقــع السَّهْمِ

الغناء لأبى العُبَيْس أو ابنه إبراهيم، ماخُورى.

قال شعرا فى البكاء فأجازته أم جعفر

٥ أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال حدّثنى أبو عبد الله الهشامىّ الحسن بن أحمد[1] قال حدّثنا عمرو بن بانَةَ قال :

كُنّا فى دار أُمّ جعفر جماعةٌ من الشعراء والمغنّين ، فخرجتْ جاريةٌ لهـا وكُمّها مملوء دراهم، فقالت : أيّكم القائل :

من ذا يُعيرك عينَه تبكى بها * أرأيت عيــنًا للبكاء تُعارُ

٢٤/٨

١٠ فأُومِئ إلى العباس بن الأحنف، فنثرتْ الدراهمَ فى حِجره فنفضَها فلقَطَها الفرّاشون، ثم دخلتْ ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الفرّاشين على عُنُق كلّ فرّاش بَدْرةٌ فيها دراهم، فمضَوْا بها إلى منزلِ العبّاس بن الأحنف.

أنشد الرشيد شعره فى البكاء فدعا عليه وسخط

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال حدّثنى محمّد بن موسى قال :
أنْشِد الرشيدُ قولَ العبّاسِ بنِ الأحنف :

١٥ * من ذا يُعيرك عينَه تبكى بها *

فقال : مَنْ لا صَحِبه الله ولا حاطه.

سرق مخلد الموصلى من شعره فكشفه عبد الله بن ربيعة الرقى

حدّثنى الصُّولىُّ قال حدّثنى عَوْنُ بن محمّد الكِندىّ قال :

---

(١) فى الأصول : « أبو عبد الله الهشامى أحمد بن الحسين » . وهو تحريف . (راجع الجزء السابع من هذه الطبعة ص ٢٩٣).

كنّا مع مَخْلَد المَوْصِلىّ فى مجلسٍ وكان معنا عبدُ الله بن رَبيعة الرَّقِّىّ؛ فأنشد مَخْلد المَوْصلى قصيدةً له يقولُ فيها :

كلُّ شىء أَقْوى عليه ولٰكنْ * ليس لى بالفِراق منك يَدانِ

فجعل يستحسِنه ويردِّده، فقال له عبدُ الله : أنتَ الفِداء لمن ٱبتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول :

سلبتْنى من السُّرور ثياباً * وكسَتنى من الهموم ثيابَا

كلما أغْلقتْ من الوصل بابا * فتَحَتْ لى إلى المنيّةِ بابا

عذّبِينى بكلِّ شىء سوى الصـ * ـدِّ فما ذقتُ كالصدود عذابا

قال : فضحك المَوْصِلىّ . والشعرُ للعبّاس بن الأحنف .

مدح الرياشى شعره

وأخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى أبو الحسن الأسدىُّ قال :

سمعت الرِّياشىَّ يقولُ، وقد ذُكِر عنده العباسُ بنُ الأحنف : والله لو لم يقل من الشعر إلا هذين البيتين لكَفَيا :

صوت

أُحْرَمُ منكم بما أقولُ وقد * نالَ به العاشقونَ مَن عَشِقُوا

صِرْت كأنى ذُبالةٌ نُصِبَتْ * تُضِىءُ للنّاسِ وهى تحترقُ

وفى هذين البيتين لحنٌ لعبدِ الله بنِ العبّاس من الثقيل الثانى بالبِنصر . وفيه لخَزْرَج رمَل أوّلُ عن عبد الله بن العبّاس :

أنتِ لا تعلمينَ ما الهمُّ والحُزْ * نُ ولا تعلَمين ما الأَرَقُ(١)

(١) ورد هذا البيت فى الأصول مفردا، وهو وإن كان على روىّ البيتين السابقين إلا أنه لم يمهد له، فالظاهر أن فى الأصول نقصا .

اختلف الرشيد وإسحاق الموصلي في مدحه ومدح أبي العتاهية

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعضُ مشايخ الأَزْد عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال :

كان الرشيد يقدّم أبا العتاهية حتى يجوزَ الحدَّ في تقديمه، وكنت أقدّم العبّاس ابنَ الأحنف، فاغتابني بعضُ الناس عند الرشيد وعابني عنده، وقال عَقِبَ ذلك :
٥ ويحَسْبِك يا أميرَ المؤمنين أنه يُخالِفُك في العباس بن الأحنف على حداثة سنّه وقلّة حِذْقِه وتجريبه، و يقدّمُه على أبي العتاهية مع ميْلك إليه . و بلغني الخبرُ فدخلت على الرّشيد، فقال لي ٱبتداءً : أيما أشعرُ عندك : العباسُ بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلمتُ الذي يريدُ، فأطرقتُ كأني مُسْتَثْبِتٌ ثم قلت : أبو العتاهية أشعرُ . قال : أنْشِدْني لهذا ولهذا، قلت : فبأيّهما أبدأ ؟ قال : بالعباس . قال : فأنشدتُه أجودَ
١٠ ما أرويه للعبّاس، وهو قوله :

٢٥/٨

أُحْرَم منكم بما أقولُ وقد * نال به العاشقونَ مَنْ عَشِقُوا

فقال لي : أَحْسَن، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدتُه أضعفَ ما أقدرُ عليه، وهو قوله :

كأنّ عُتّابَةَ من حُسْنها * دُمْيَة قَسٍّ فتنتْ قَسَّها
يا رَبِّ لو أنسيتَنِيها بما * في جَنّةِ الفردوسِ لم أنسَها
١٥ إني إذًا مثلُ التي لم تزل * دائبةً في طحنها كُدْسَها[1]
حتى إذا لم يبق منها سوى * حَفْنةٍ بُرٍّ قتلتْ نفسَها

قال : أتعيِّره هذا[2] ! فأين أنت عن قوله :

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ ما بي * أتحبُّ الغداةَ عُتبةَ حقّا
فتنفّستُ ثمّ قلت نعم حُـ * ـبًّا جرى في العروق عِرْقًا فعِرْقا

---

٢٠ (١) الكدس : العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك . (٢) في الأصول «أتعيره بهذا» وهي لغة رديئة .

ويحك! أتعرف لأحدٍ مثلَ هذا، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله: "فتنفَّسْتُ ثم قلت كذا وكذا"! اذهبْ ويحك فآحفَظْها؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولو كنت سمعتُ بها لحفظتُها. قال إسحاق: وما أشُكّ أنى كنت أحفَظ لها حينئذ من أبى العتاهية، ولكنّى إنما أنشَدتُ ما أنشدْتُ تعصُّباً.

صحب الرشيد الى خراسان وعرض للرجوع بشعر فاذن له

قال محمدُ بنُ يزيد:

وحُدِّثت من غير وجهٍ أنّ الرشيدَ ألِف العباسَ بن الأحنف؛ فلما خرج إلى خُراسان طال مُقامُه بها، ثم خرج إلى أَرْمِينِيَة والعباسُ معه ماشياً إلى بغدادَ، فعارَضه فى طريقه فأنشده:

قالوا خُراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا * ثم القُفولُ فقد جئنا خراسانا
ما أقدرَ اللهَ أن يُدْنِى على شَحَط * سكانَ دَجلةَ من سُكّان جَيْحانا[1]
متى الذى كنتُ أرجوه وآمُلُه * أمّا الذى كنتُ أخشاه فقد كانا
عينُ الزمانِ أصابتْنا فلا نَظَرتْ * وعذِّبتْ بصنوفِ الهجر ألوانا

— فى هذين البيتين الأخيرين رمَلٌ بالوسطى يُنسَب إلى مخارق وإلى غيره —

قال فقال له الرشيد: قد آشتقتَ يا عباس وأذِنتُ لك خاصّة، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

لم يبتذل هو ولا العراف شعرهما فى رغبة ولا رهبة

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنا محمدُ بن القاسم قال: سمعتُ مُصْعَباً الزُّبَيْرِىّ يقول: العباسُ بن الأحنف وعمرو العرّاف[2] ما آبتذلا شعرَهما فى رَغْبة ولا رَهْبة، ولكن فيما أحبّاه، فلَزِما فنّا واحدا لو لَزِمه غيرُهما ممّن يُكثِر إكثارَهما لضعُف فيه.

---

(١) جيحان: اسم نهر. (٢) كذا فى أكثر الأصول. وفى جـ: «العراق». والظاهر أنه تحريف عن «الوراق»، فقد كان عمرو الوراق شاعرا غزلا ظريفا معاصرا للعباس بن الأحنف.

ذكر الأصوات التى تجمع النَّغَم العشر

منها :

صوت

توهَّمتُ بالخَيْف رسماً مُحيلا * لعَزَّةَ تَعْرِفُ منه الطُّلولَا

٥ تَبَدَّل بالحىّ صوتَ الصَّدى * ونوحَ الحمامة تدعو هَديلا

عروضُه من المتقارب . الخَيْفُ الذى عناه كُثَيِّر ليس بخيف مِنًى ، بل هو موضع آخر فى بلاد ضَمْرَة . والطُّلول : جمع طَلَل[1] ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الدّيار . والرَّسم : ما لم يكن له شخص [وجسم][2] . والصَّدَى ها هنا : طائر ، وفى موضع آخر : العطش . ويزعُم أهل الجاهليّة أن الصَّدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا ١٠ يزال يصيح [أَسقونى][2] حتى يُدرَكَ بثأره . قال طَرَفَةُ :

٢٦/٨

كريم يروِّى نفسَه فى حياته * ستعلم إن مِتْنا صَدًى[3] أيُّنَا الصَّدِى

والحمام : القمارىّ ونحوها من الطير . والهديل : أصواتها .

الشعر لكثيّر والغناء لعُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر ، ونَسَبه إلى جاريته وكَنَى عنها ، فذكر أنّ الصَّنعةَ لبعض من كثرت دُرْبَتُه بالغناء وعظُم علمُه وأتعب نفسَه ١٥ حتى جمع النَّغَم العشرَ فى هذا الصوت ، وذكر أن طريقتَه من الثقيل الأوّل ، وأنّه ليس يجوز أن يَنْسُبَه إلى موضع إصبع مُفْردة ؛ لأن ٱبتداءه على المَثْنى مُطْلقًا ، ثم بسبّابة المَثْنى ، ثم وُسْطى المثنى ، ثم بِنْصر المَثْنى ، ثم خنصر المَثْنى ، ثم سبّابة الزِّير ، ثم وُسْطاه ، ثم بِنصره ، ثم خِنصره ، ثم النَّغْمة الحادَّة ، وهى العاشرة . وفيه لابن مُحرِز ثانى ثقيلٍ مطلَق فى مجرى البِنْصر . وفيه لابن الهِرْبِذ رَمَلٌ بالوُسطى عن عمرو ، وهذا الصوتُ من الثقيل

٢٠ (١) فى حـ « ما بان » . (٢) زيادة عن حـ . (٣) الصدى : العطشان .

الثانى، وهو الذى ذكر إسحاق فى كتاب النَّغم وعِلَلها أن لحن ابن محرز فيه يجمع ثمانيا من النغم العَشر، وأنّه لا يعرف صوتًا[1] يجمعها غيرُه، وأنه يمكن من كان له علمٌ ثاقبٌ بالصناعة أن يأتىَ فى صوتٍ واحدٍ بالنَّغم العشر، بعد تعبٍ طويل ومُعاناةٍ شديدة. وذكر عُبَيْد الله أن صانع هذا الصوتِ الذى كَنَى عنه فعلَ ذلك وتلطَّف له حتى أتى بالنغم العشر فى هذا متواليةً من أوّلها إلى آخرها، وأتى بها فى الصوت الذى بعده متفرّقةً على غير توالٍ إلّا أنها كلّها فيه، وذكر أن ذلك الصوتَ أحسنُ مسموعًا وأحلى. وحَكى ذلك أيضا عنه يحيى بن علىّ بن يحيى فى كتاب النَّغَم. وإذ فرغتُ من حكايةِ ما ذكَره وحكاه عُبَيْد الله فى نِسبة هذا الصوتِ فقد ينبغى ألّا أُجرىَ الأمرَ فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه. والذى وصفه من جهة النغم العشر متواليةً فى صوت واحد محالٌ لا حقيقة له، ولا يُمكن أحدًا بتّةً[2] أن يفعله. وأنا أُبيِّن العلّةَ فى ذلك على تقريبٍ، إذ كان استقصاء شرحها طويلا. وقد ذكرتُه فى رسالة إلى بعض إخوانى فى علل النغم، وشرحتُ هناك العلّةَ فى أنْ قُسِّم الغناءُ قسمين وجُعِل على مجريَيْن: الوُسطى والبِنْصر دون غيرهما، حتى لا يُدْخِل[3] واحدةً منهما على صاحبتها فى مجراها قُرْبُ مخرج الصوت، إذا كان على الوُسطى منه [او][4] إذا كان على البنصر وشبهه به. فإذا أراد مُريدٌ إلحاقَ هذا بهذا لم يُمكنه بتّةً على وجهٍ ولا سببٍ، ولا يُوجد فى استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأخرى. وإذا أُتْبِعت[5] إحداهما بالأخرى فى ناى أو آلة من آلات الزمر تفَصَّلَت إحداهما.

(١) فى الأصول: «وأنه لا يعرف صوتا الى عشرة بجمعها ... الخ». والظاهر أن كلمة «الى عشرة» مقحمة. (٢) المشهور فى هذه الكلمة أنها لا تنكر. قال ابن برى: مذهب سيبويه وأصحابه أن البتة لا تكون إلا معرفة لا غير، وإنما أجاز تنكيرها الفراء وحده، وهو كوفى. (٣) فى الأصول: «لا تدخل» بالتاء المثناة الفوقية. (٤) زيادة يقتضيها السياق. (٥) فى الأصول: «ولا اذا اتبعت ... الخ». والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه.

من الأخرى . وإنما قلّت النغمُ في غِناء الأوائل لأنهم قَسَّموها قسمين بين هاتين الإِصْبَعين ، فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأخرى فى طريقتها لم يكن ذلك إلا بعد أن يُفْصَل بينهما بنغم أخرى للسبّابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافةُ بينهما ، ثم لا يكون لذلك الغناء ملاحةٌ ولا طِيبٌ للمضادّة فى المَجْرَيَيْن ، فتركوه ولم يستعملوه ؛ فإن كان صحّ لعُبَيْد الله عملٌ فى النغم العشر فى صوت ، فلعلّه صحّ له فى الصوت الذى ذكر أنه فرّقها فيه ؛ فأما المتوالية — على ما ذكره ها هنا — فمحالٌ ، ولستُ أقدر فى هذا الموضع على شرحٍ أكثرَ من هذا ، وهو فى الرسالة التى ذكرتُها مشروح .

٢٧/٨

***

انتهى الجزء الثامن من كتاب الأغانى
ويليه الجزء التاسع
وأوّله نسب كثير وأخباره

فهرس

الجزء الثامن من كتاب الأغانى

التراجم التى فى هذا الجزء

فهـــرس الشـــعراء

فهـــــرس رجال الســـــند

(ا)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهـــــرس المغنين

فهـــرس رواة الألحـان

فهـــــرس الأعـــــلام

(ا)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ق)

(ك)

(ى)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

(ب)

(ت)

فهـــرس أسماء الأماكن

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهـــرس أسمـاء الكتب

فهـــــرس القــــوافى

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص س
أدركت	كَابَا	بسـيط	١٠:٢٣٤
فإن	والصنابُ	وافـــر	٤:٥٤
وعمرو	والذنوبُ	«	٨:٥٠
تكلفنى	والصنابِ	«	١:٥٤
ألا	جوابِى	«	٧:٢١٤، ١٢:٢١٩،
إذا	غضابَا	«	٦:٦
فغض	كلابَا	«	١٠:٦، ١٤:٢٠، ٢ ،٤٢
إذا	غضابَا	«	١١ : ١٦، ٢١ : ١، ٤١ :١٣، ٢١:١
رأيت	هابَا	«	٥:٢٠
ألا	غضابَا	«	٣:٢١
إذا	يصابَا	«	١٢:٢١
أجندل	غابَا	«	٦:٣٠
أقلى	أصابَا	«	٦:٣٢
كأنّ	كلابَا	«	٣:٧٤
نكحتَ	العرابَا	«	١٥:٧٤
وخضراء	النقابَا	«	١٩:٨٣
تعيب	العَجيبَا	«	١٦:٣٠٦
الحب	نصيبُ	كامـل	٦:٣٦٠
ذهب	مُغْربِ	«	١٥:٢٢٦
إن	بجوابِ	«	٥:١٠٦
لو	مراقبِ	«	٩:٣٥٥
لكن	العاتبِ	«	٣:٣٥٧
يا	الكئيبِ	مجزوء الكامل	١٤:٣٤٧
إن	لم يعتب	سـريع	١٣:٣٦٥

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص س
عاود	غربُ	خفيف	١١:٣٤٠
ما جرت	أصحابِ	«	٥:٢٧٦
فارقونى	إيابِ	«	١٠:٣٤٣
سلبتنى	ثيابَا	«	٦:٣٧٠
ألا	يعتبُ	متقارب	١٧:٣٦٠

(ت)

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص س
يقـــر	قَرّت	طـويل	١٨:١٢
فلا	تعلّت	«	١٦:٨٨
وبالحيرة	بَرّت	«	٧:١٧٩
ولقد	جُرّتِهَا	مـديد	٦:٢٠٨
سـلام	فاتَا	بسـيط	١٤:٣٣٦
من	أطريتُها	متقارب	٩:٢٢١، ١١:٢٢٢

(ج)

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص س
ألا	بَهرجُ	طـويل	٧:٢٦٣
كأنك	تشحجُ	«	٩:٢٦٣
مَنْ	الحجاجِ	كامـل	١٦:٦٦
إن	الخزرجِ	متقارب	١٠:١٨٦

(ح)

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص س
إذا	تسرحُ	طـويل	٧:٣١٦
فـا	أبطحُ	«	٩:٣١٦
كلانا	قروحُ	«	٩ : ٢٩٨
ر	بالقوادحِ	«	١٦:١٠٤
ستقضى	صباحُ	وافـــر	٤:١٣٧
ألستم	راحِ	«	٦ : ٨، ٤١ : ١٠، ٦٧:١٢، ٣٠٥:٧

(س)

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص	س
وهمـا	فـــرآنَا	خفيف	١٤٥	١
ليلتى	بالمحاسنِ	مجزوء الخفيف	٢٥٠	٢

(هـ)

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص	س
أما	فيهـا	بســيط	٢٥٨ : ٣ ، ٢٦٤	٣
ألا	فتـاهَا	وافـــر	١٨١	١٥
سأغلب	انتحاهَا	«	٢٦٢	٦

(ى)

صدر البيت	قافيتـه	بحـره	ص	س
فإن	يمـانيَـا	طـويل	٣٥	١٤
وإنى	انتقاليَـا	«	٣٦	٩
تركت	باقيَـا	طـويل	٤٨	١٧
فردى	ليَـا	«	٥٠ : ١٢ ، ٥١	٣
وخبّر	المراسيَا	«	١٢٥	١٥
وما	ليَـا	«	١٢٦	٧
يقول	سوائيَـا	«	١٣٢	١٤
لقـــد	هيَـا	«	١٥٢ : ١ ، ١٧٥	١٤
وقـــد	هيَـا	«	٢٩٧	٤
ألا	الهـدىّ	وافـــر	٢٤٤	٢

فهـــــرس أنصاف الأبيـات

مرتبـة حسب أوائل كلماتهـا

فهـــرس أيام العـــرب

فهـــــرس الموضـــــوعات

نسب جميل وأخباره

ذكر يزيد بن الطثرية وأخباره ونسبه

صفحة

ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره

ذكر أبى دلف ونسبه وأخباره

صفحة

أخبار سعيد بن عبد الرحمن

أخبار البردان

ذكر الأخطل وأخباره ونسبه

ذكر سائب خاثر ونسبه

ذكر جرادتى عبد الله بن جدعان وخبرهما وشىء من أخبار ابن جدعان

ذكر سلامة القس وخبرها

أخبار العباس بن الأحنف ونسبه

استدراكات

ورد فى ص ٤١ س ٦ : " عنعنة تميم وأسد وكشكشة ربيعة " . وصواب العبارة : "عنعنة تميم وكشكشة أسد وكسكسة ربيعة" كما ورد فى الصاحبي فى فقه اللغة لابن فارس (ص ٢٣ و ٢٤ طبع مصر) .

ورد فى ص ٦١ س ٢١ : "لبنى حمان بن عبد العزى" وقد نقلناه عن النقائض (ص ٤٩٢ طبع ليدن) وهو خطأ . والصواب : "لبنى حمان عبد العزى" كما جاء فى الاشتقاق لابن دريد (ص ١٥٠) والنقائض (ص ٩٧٠) .

ورد فى ص ٧٧ س ١٤ : " عمر بن عطية " وهو خطأ . والصواب : "عمرو بن عطية" كما جاء فى (ص ٥٠) من هذا الجزء .

ورد فى ص ٩١ س ٤ : " مالك بن عمر" . وظاهر أنه محرف عن : "مالك بن حمير" كما هو مفهوم من سياق النسب .

ورد فى ص ١٣٩ س ٦ : " ... عن الحارث مولى هشام" . والصواب : " ... عن أبى الحارث مولى هشام " . كما جاء فى (ج ١ ص ١١٤ س ١١) من الأغانى طبع دار الكتب .

إصلاح خطأ

وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية نذكرها هنا ليستدركها القرّاء فى النسخ التى وقعت فيها :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٠	هامش	مقارنة بينه	موازنة بينه
٧١	١٦	أبو بكر محمد	أبو بكر بن محمد
٩١	٥	وقال : مؤرج	وقال مؤرج
٩٢	٣	حن من ربيعة	حن بن ربيعة
١١٢	١٨	مختصر الأغانى	مختار الأغانى
١٢٢	١١	المكى	المدنى
١٩٠	١٩	شواهد العينى	شرح شواهد العينى
٢١٦	١٠	عبد النِّعيم	عبد النَّعيم
٢٨٠	٣و١٢	غُنْم	غَنْم
٢٨٩	١	عاصم بن شبل	عامر بن شبل
٣٠٠	١	محمد بن عمرو الجرجانى	محمد بن عمر الجرجانى
٣٣٠	٩	محمد بن عمران الجرجانى	محمد بن عمر الجرجانى
٣٠٣	هامش	وفرقه فى الصبيان	وفرقه على الصبيان
٣٥٥	٥	محمد بن سعيد	محمد بن سعد
٣٥٨	١٧	محمد بن سعيد	محمد بن سعد
٣٦٨	٦	محمد بن سعيد	محمد بن سعد
٣٥٧	هامش	أن تغنيه بشعر	أن تغنيه بشعره

(مطبعة الدار ١٩٣٤/٥٠/٢٣٠٠)

